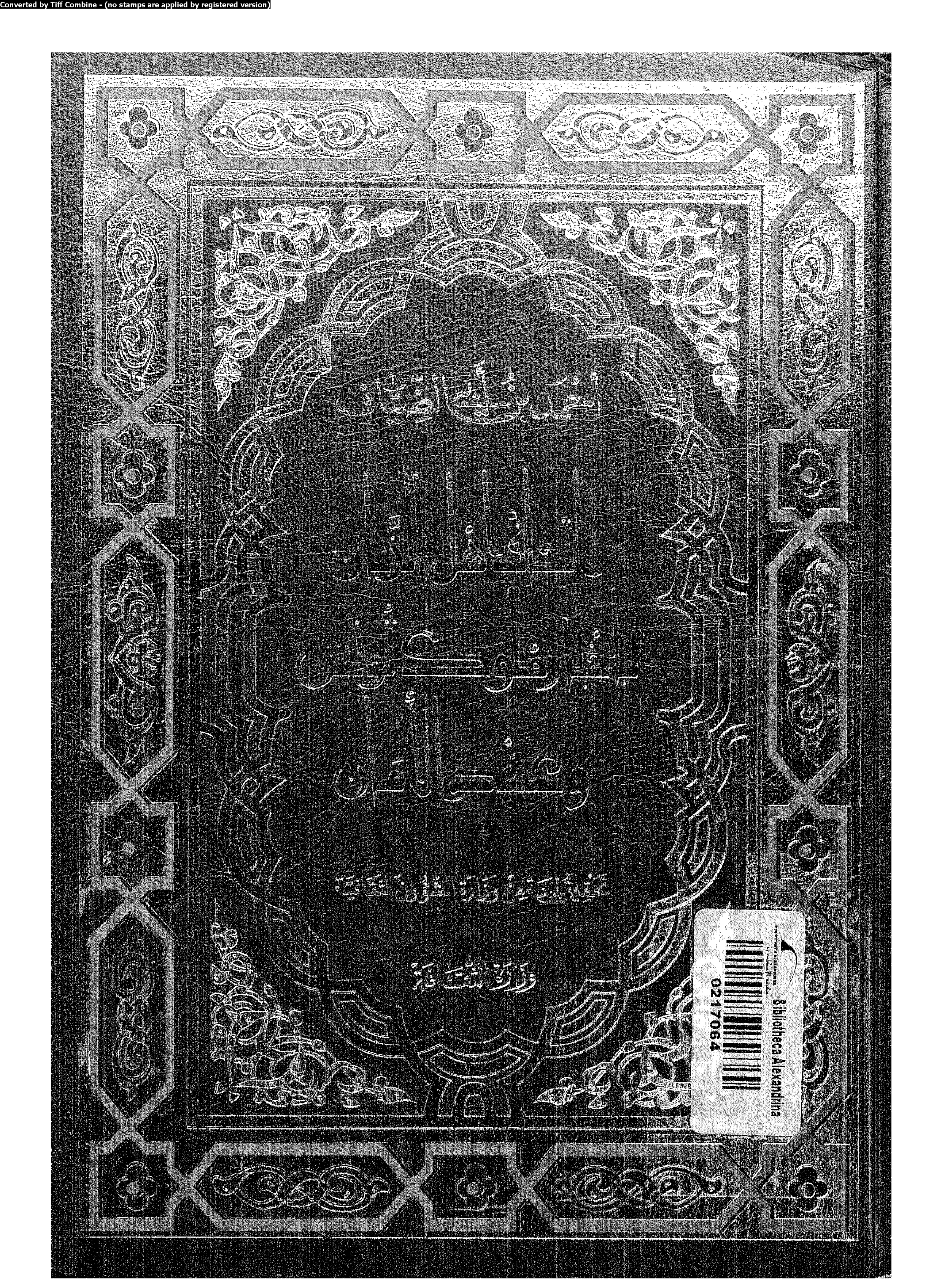

وزارة الثقافة
Bibliotheca Alexandrina
0217064











إتحاف أهل الزمان

بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان

المجلّد الرابع

الجزء السابع

التصميم والتنفيذ:
الدار العربية للكتاب

وزارة الثقافة

أحمد بن أبي الضياف

إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان

تحقيق لجنة من وزارة الشؤون الثقافية

تنفيذ:
الدار العربية للكتاب





1



الخاتمة الموعود بها

في ذكر أعيان من العلماء والوزراء وغيرهم

على ما ذكرناه في خطبة الكتاب

من تقديم من تقدم للدار الآخرة

من اي صنف كان



ورأينا لاتمام الفائدة ، ان نلمع بذكر أعيان العلماء الذين ذكرهم الوزير الكاتب العلامة أبو محمد حمُّودة بن عبد العزيز ، في تاريخه « الباشي » ، عند انقراض دولة بني ابي حفص ، فانه ذكر تقريرا بليغا نفيسا في حال الحضرة التونسية ، وتقلُّبها بين العمران والحضارة في تلك الازمنة ، الى ان وصل الى ذكر العلم في الحاضرة التونسية ، فقال ما نصه باختصار : « وقد كان العلم لاول دولة الترك قد ارتفع منها بالمرة ، كما قدمنا ، حتى ورد عليها المولى احمد افندي من أرض الروم ، لاول المائة الحادية عشرة ، على عهد عثمان داي . وكان متفننا في العلوم ، فأخذ عنه جماعة من أهلها منهم الشيخ محمد الغماد ، والشيخ ابو يحيى الرّصّاع ، والشيخ محمد بَرَاوْ ، وابو قاسم البجائي ، وغيرهم ، وارتحل الى المغرب الاقصى ، وافدا على سلطانه مولاي احمد الذهبي ، فوجده يقرىء « المطوّل » للمولى سعد الدين التفتازاني ، بالجامع كل يوم ، فأوسعه مبَرّةً وإكراما . ثم عاد الى تونس ، فكان يقول : « وجدت في جامع القرويين بمدينة فاس سبعة عشر كرسيا يقرئون التفسير ، وكلهم عن التفسير بمعزل ، الا أن مَلِكَهم يفهم الخطاب » . ثم ارتحل بعد ذلك الى بلاده . فكانت بها (1) هذه الطبقة التي ذكرنا ومن عاصرهم ، كأبي الفضل قاسم عَظُّوم ، صاحب « البرنامج » وغيره .

وانتشر بها العلم ، وخرج منها جماعة من الاعلام والافاضل ، طبقةً بعد طبقة ، وكل طبقة هي أكثر عددا من التي قبلها ، الى ان كانت الطبقة التي في ايام المولى المقدس حسين باي بن علي ، فألقى العلم عندهم عصا التسيار ، وصاروا رحلة لطالبه ، ونجعة لمرتاده ، فكان منهم حافظ المغرب [ابو عبد الله محمد زيتونة ، وعالم افريقية على الاطلاق] (2) ابو عبد الله محمد الخضراوي ، وخلق كثير . واتفق خروج جماعة من أيمة الهدى ، وأعلام الدنيا ، في نواحي عمله ، كالامام أبي الحسن علي النوري ، الذي

(1) اى تونس .
(2) الزيادة عن ق .

طبقت تصانيفه المفيدة الآفاق ، وأبي فارس عبد العزيز الفوراتي رَدِيفِه في ذلك ، كلاهما بصفاقس ، وأبي اسحاق ابراهيم بن عبد الله الجُمَّني ، الذي أطبق الكافّةُ على ولايته وعلمه ، بجزيرة جربة .

ثم انتقل الى طبقة بعدهم في أيام علي باشا ، لم يقصروا عن شأوهم ، ولم يقفوا دون مداهم ، كقاضي الجماعة أبي محمد حمودة الريكلي ، الذي بَعُد العهد بوجود مثله ، علما وديانة وعدالة ، والمفتي أبي عبد الله محمد سعادة ، شيخ السِّيرة والادب ، والمحقق شيخ الجماعة ابي الحسن علي سويسي ، ووالدنا ابي عبد الله محمد بن عبد العزيز ، الذي لم يكن في عصره من يحسن « المختصر الخليلي » وشروحه مثله ، وشيخنا العلامة الراوية المطلع أبي عبد الله محمد المكُّودي ، الوافد عليها من فاس ، وواحد المغرب علما ودينا وورعا أبي محمد عبد الله السُّوسي ، الوافد عليها من المغرب الاقصى ، الى غير هؤلاء من الاعيان المهرة والعلماء الاجلّة .

ثم جاءت هذه الدولة الميمونة الغراء ... » ، الى ان قال : « وأكثَرَ مولانا ايده الله تعالى من الجرايات والاوقاف لاهل العلم بحضرته ، فكثر طالبه فيها ، وارتحل اليها الناس في طلبه من الآفاق ، ونفقت بها اسواقه ، وزخرت بحاره ، ففيها اليوم من الجهابذة النقاد ، والفحول الذين تضرب اليهم أكباد الابل ، جماعة لا يشق غبارهم ، ولا يجارى مضمارهم ، كشيخنا المفتي أبي الفضل قاسم المحجوب المساكني ، حامل لواء المذهب المالكي بالمغرب ، وشيخنا المفتي الاكبر ابي عبد الله محمد بن حسين بيرم ، عالم الحنفية بالمغرب من غير مدافع ، ومن لم يوجد مثله فيهم منذ زمن شاسع ، وشيخنا ابي عبد الله محمد بن علي الغرياني شيخ التربية وواحد العصر علما ودينا وورعا وسلوكا ، وشيخنا أبي عبد الله محمد الشَّحْمي نسيج وحده الذي لا يدانيه احد ولا يَتَعلَّق به في تحقيق العلوم العقلية من الكلام والمنطق والحكمة ، وشيخنا الفاضل ابي عبد الله محمد بن حسن الهدة بسوسة ، وغيرهم ممن تبتهج بهم المحافل ، وتزدهي بهم المنابر ، ويقال في شأنهم : كم ترك الاول للآخر » . اهـ محل الحاجة من ذلك التقرير ، واكثر هؤلاء أشياخ من يأتي ذكرهم ان شاء الله تعلى .

[1 ـ احمد البـرانسى]

ابو العباس احمد الشريف الثعالبى الشهير بالبرانسى
احد اعلام المفتين بالمذهب المالكى

هذا الفاضل من ذرية الولي المفسر العارف بالله سيدي عبد الرحمان الثعالبـي (1) ، المعظم ضريحه بالجزائر ، ليومنا هذا .

وهو من اشياخ العلامة شيـخ الاسلام ابـي عبد الله محمد بيرم الثانـي . ذكـره في شرح نظمه للمفتين بتـونس على المـذهب النعمـانـي ، عند ما ترجم لنفسه بما نصـه : « واخذت العلم عن جماعة.... » ، الى ان قال : « وباقِـيَ العلوم عن الشيـخ المحقـق صالح الـكَوّاش ، والفاضلين البارعين المفتيين ابـي العباس احمد الشريف الثعالبـي الشهير بالبرانسـي ، وابـي عبد الله محمد الدرناوي » ، اهـ محل الحاجة .

وكان الشيـخ بيرم يثني على هذا السيد ، بما محصله ، انه كان صالحا عالما متبحرا في المعقول والمنقول تبحر الـراسخين ، سالـكـا نهـج المهتدين ، متقشفا تقشف الاتقيـاء الزاهدين ، محتقرا للدنيـا ، جادّا في طلب المرتبة العليـا . وتصـدر للفُتْيـا ، وصار رئيس المفتين ، عـابدا عفيفا ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، يغيّر المنكـر على الامير والمـأمور ، ولا يـكـترث بما وراء ذلك من الامور .

وقد تقدم خبر تغييره للمنكر ، في الباب الاول ، لما حل الطاعون بهذه الحاضرة (2) .

وللناس فيه اعتقاد ، يقود به القلوب الى الخير فتنقاد .

ولم يزل معظما مكـرما ، متبرّكا به ، الى ان صار الى رحمة ربه ، سنة 1197 سبع وتسعين ومائة والف ، (1782/83 م.) واعقب ابنا معدودا في الاعيان ، من أهل الشان .

[2 ـ اسمـاعيل كـــاهية]

الوزير ابو الفداء اسماعيل كاهية .

اصل هذا الرجل من القُرْج ، ونشأ في خدمة الباشا ابـي الحسن علي باي الحسينـي ، ونجُب وبرع ، فباشر الخطط الجسيمة ، وترقّى في المناصب العظيمة ، كالسفر بالمحالّ ، وولايـة الاعـراض وغيرهما .

---

(1) ولد بالجزائر وتوفى بها (1386 ـ 1468 م) .
(2) انظر ص 14 من ج 3 .

وصاهره مخدومه على بنته ، فولدت له بنتين ، وكان حديد الطبع ، أبيّ الضيم ، ضيق الحَوْصَلَة في الاحتمال ، فهرب من مخدومه ، ثم بعث له وأمّنه ، واعتمد أمانه ، وللامان يومئذ اعتبار ، فرجع لخدمته ، وكان ينافس ابناء سيده ، وأبناء أخيه .

ووقعت وحشة بينه وبين الباي أبي محمد حمودة باشا ، اعقبت شحناء من الصغر .

ولما توفي سيده ، واستبد ابنه المذكور في الولاية ، خشي بادرة تلك الشحناء ، وحذّره احمد الكافي الجويني ، المختص بالباشا ابي الحسن علي باي ، فلاذ بمنجاته ، وترك بناته ، في حجر امهما وخالهما .

ولما حل مصر ، تقدم وصار من صناجقها ، ثم انتقل للقسطنطينية ، وتسنم الخطط العالية ، وصار باشا بالشام .

ومن كرم طباعه أنه مهما رأى احدا من اهل تونس ، الا حن له وأكرمه ، واعانه على غربته ، ولم تحفظ عنه كلمة سوء في تونس ، ولا في احد من اهلها ، ومهما سئل عن سبب هروبه ، يقول : « مكتوب التقدير » ولم يفه ببنت شفة ، كأنه لم ير تونس . تواتر خبر ذلك عنه من الحجاج وغيرهم .

وكان شجاعا كريما ، وفيّ العهد ، عزيز النفس .

وتوفي عن سن عالية ، في خدمة الدولة العلية ، ورأينا بعض حَفَدَته باسلامبول ، سنة سبع واربعين ومائتين والف ، ولم نعرف تاريخ وفاته . وسمعنا اوصافه ممن عاصره في الخدمة . وبقي اخوه في الخدمة بعد فراره .

[3 ـ محمد بن حسن الهدة]

ابو عبد الله محمد ابن الشيخ حسن ابن الشيخ
عبد الرزاق ويعرف بالهدة ابن الشيخ محمد ابن الشيخ
القاضي محمد ابن الشيخ احمد السوسي .

نشأ هذا الفاضل في بيت علم وفضل ، في القديم والحديث ، بسوسة ، خلفا عن سلف ، تسنم بنوه ذرى الخطط العلمية بها ، من تأليف وتدريس وفتوى وقضاء وإمامة .

وهذا احد الافراد الذين ذكرهم العلامة الوزير ابو محمد حمودة بن عبد العزيز ، مرصعا بهم تاج مخدومه ، ومملكته وعصره ، كما تقدم .

ارتحل هذا الفاضل في طلب العلم الى مصر ، فأخذ عن اعلامها مثل الشيخ الصعيدي ، والشيخ البليدي ، والشيخ الدمنهوري ، وغيرهم من أعلام الازهر . ولما بلغ رتبة التحصيل ، رجع لوطنه ، مملوء الوطاب بالعلوم العقلية والنقلية ، وتصدر في مدينة سوسة للتدريس فأفاد ، وعلا كعبُه وطار صيته .

ولما اراد الله نفع اهل الحاضرة بعلومه الزاخرة ، امتحنه بمفارقة بلاده ، فاتى الحاضرة وسكنها ، وتصدر للتدريس بالجامع الاعظم ، جامع الزيتونة ، فانثالت عليه طلبة العلم واعيان الاذكياء ، فأفاد وأجاد ، وبث العلم في صدور الرجال ، ولم ينقطع بذلك عمله . ثم رُجع لمسقط رأسه .

وله مصنفات جليلة ، منها ما بيَّضه بنفسه ، ومنها ما جمعه ابنه بعد وفاته ، كشرح « السلَّم » ، وحاشية على « مختصر السعد التفتازاني (1) » ، وحواشٍ على شرح الفاكهي ، ورسالة في ذم الدنيا ، واخرى في الرجاء والخوف .

وكان عالما محققا فاضلا تقيا ورعا ذا فكر وقاد ، يلتفت الى الصعاب فتنقاد ، مع همة عالية . وسرت فتاويه في الحاضر والباد ، محبَّبا الى الناس ، معظما عند الخاصة والعامة . وكان شيخنا ابو الفداء اسماعيل التميمي يُحَلّيه باكثر من هذا .

ولم يزل على نزاهته وفضله ، والناس تنتفع بوابله وطَلّه ، الى ان توفاه الله سنة 1197 سبع وتسعين ومائة والف ، (1782/83 م.) ، ودفن بقبره المشهور بسوسة .

[4 — محمد بن محمد بوراس]

ابو عبد الله محمد ابن العالم المفتى ابى عبد الله محمد ابن قاسم بوراس الهذلى .

هذا البيت من أعيان البيوت بالقيروان ، من قبائل الفتح الاسلامي .

ونشأ هذا الفاضل في طلب العلم ، فأخذ عن أبيه وغيره من علماء القيروان ، وتقدم لخطة الفتوى والامامة ، وغيرهما من الخطط العلمية .

وكان فقيها عالما ، خيِّرا فاضلا ، وجيها ماجدا .

---

(1) سعد الدين التفتازاني : ولد فى تفتازان (خراسان) 1322 م . من علماء الاسلام منقولا ومعقولا توفي بسمرقند 1389 م

وتوفي في محرم 1198 ثمان وتسعين ومائة والف (نوفمبر — ديسمبر 1783 م.) .

وله ابن هو ابو عبد الله محمد السنوسي ، نشأ في طلب العلم ، ثم ارتحل في طلبه لتونس ، وأخذ عن الشيخ عبد الله السوسي وغيره . ودَرّس بالقيروان ، وتوفي قبل والده في سنة ثمانين (1766/67 م.) .

[5 — محمد المحجوب الحنفي]

المفتي الشيخ محمد المحجوب الحنفي

قال الشيخ بيرم الثاني في ترجمته ، في شرحه لنظم المفتين ، ما نصه : « لما توفي الشيخ حسين البارودي وُلّيَ الفتوى الشيخ محمد المحجوب ، ثم بعد مدة من موته زيد ابنه الشيخ محمد مفتيا ثالثا .

اما الاول فكان فقيها مشاركا في عدة فنون ، متوسط الملكة في جميعها ، خيّرا كثير الاعتقاد في المجاذيب وأرباب الاحوال . اخذ الفقه عن المفتيين ابي المحاسن يوسف الامام (يعني برتقيز) ، وابي عبد الله محمد أرنووط ، وعن الشيخ البركة حمودة العامري ، والشيخ المعتقد أبي الفضل قاسم بن عبد الملك ، والمحقق الشيخ الحرقالي . وأقرأ في الفقه والنحو والبيان والكلام .

ولاّه علي باشا تدريس مدرسته الحنفية حين انشأها ، ثم عزله عنها واولى فيها والدي ، ثم وُلّيَ نقابة الاشراف بعد عزل الشريف المختار ، ثم خطبةَ الجامع الباشي بعد موت الشيخ الكبير ابي العباس احمد الطرودي ، ثم الفتوى بعد الشيخ البارودي ، ثم توفي الى عفو الله تعالى بالطاعون عام 1198 ثمان وتسعين ومائة والف » (1783/84 م.) .

[6 — علي بوراس]

ابو الحسن على بن محمد بن محمد بن قاسم بوراس الهذلي .

هو ابن صاحب الترجمة المتقدمة ، نشأ بين يدي ابيه ، واخذ عنه وعن اخيه ، وعن الشيخ سيدي عبيد الغرياني وغيرهم .

وحصل ودرّس وافاد ، وتقدم لخطة الفتوى بالقيروان .

وكان عالما فاضلا ، خيّرا وجيها ، نزيه النفس .

توفّي في اشرف الربيعين من عام 1199 تسع وتسعين ومائة والف (جانفي — فيفري 1785 م) .

[7 ـ عبد اللطيف الطوير]

ابو محمد عبد اللطيف بن محمد الطوير المذحجى القيروانى .

نشأ هذا العالم بالقيروان ، في بيت علم ومجد ، وطلَبَ العلم في بلاده ، ثم رحل في طلبه الى تونس ، فأخذ عن اعلام ، ولازم الشيخ سيدي عبد الله السوسي ، وانتفع به ، وتقدم لخطة القضاء بالقيروان ، ثم لرئاسة المجلس الشرعي بها .

وكان اذا أتى ، يحضر مجلس الباشا ابي الحسن علي باي بن حسين باي ، ويسامره مع أهل سمره .

وله فيه امداح رائقة ، رام ان يزاحم بها امام البلاغة الكاتب ابا عبد الله محمد الورغي . والتاريخ « الباشي » مشحون بها .

وله مباحثة انتصر فيها للشيخ المفتي ابي عبد الله حسين البارودي على بحر المعارف الذي لا يُسبَر غَورُه ، وروض الفنون الذي تضوَّع مسراه وأينع نَوْره ، الشيخ لطف الله الازمرلي ، الطائر الصيت ، لما قَدِم الى تونس ، واشار الى ذلك في بعض رسائله .

وبالجملة فقد كان عالما فقيها ، صدرا ذكيا ، شاعرا ناثرا أديبا ، عالي الهمة ، كريم النفس ، صادعا بالحق .

ولم يزل معظما مكرما الى ان توفاه الله سنة 1199 تسع وتسعين ومائة والف (1784/85 م.) .

[8 ـ محمد بن سعيد]

الشيخ ابو عبد الله محمد بن على بن سعيد ، ويلقب فى عصره بنجم الدين .

هذا الذكي من افراد العلماء ، ومفاخر تونس . سمعنا ترجمته ممن عاصره ، وان كانت آثاره تنبئك عن اخباره .

اصل والده من بُوحجر ، قرية من قرى المنستير ، وأُتِي به لتونس مهاجرا لطلب العلم ، فأقبل عليه بكليَّته ، وجدّ فوجد ، وهجر الرقاد فنال في قليل من الزمن ما اراد .

وسكن المدرسة المرادية ، واخذ عن الشيخ الشريف العلامة المفتي ابي عبد الله محمد ابن عالم عصره المفتي ابي الفضل قاسم المحجوب ، والشيخ صالح الكواش ، وغيرهما من اعيان ذلك العصر ، ولم يلبث ان اقتحم على الفحول أغيالها ، وطمح الى الغايات فنالها ، وتصدر لبث العلم في فنون عديدة ، وتضوع طيبُ تقاريره المفيدة ، وتهافتت الاذكياء الى دروسه ، وتزاحموا على التقاط الفرائد من طروسه ، وكان مصداق كم ترك الاول للآخر ، والمواهب بيد الاول والآخر .

وله من التآليف حاشية على « شرح الاشموني لالفية ابن مالك » ، ابدع فيها ما شاء ، من عيون التحقيق مع براعة الانشاء ، تتنافس الحذاق في اقتنائها ، والاهتداء بنجوم سمائها ، وحاشية على « السكتاني » في علم الكلام ، وحاشية على « شرح الخبيصي » في علم المنطق ، ورسالة فيه سماها « اللوامع » .

وله ديوان جمع فيه شعره الرائق ، الدالّ على ادبه الفائق ، سماه « الفلك المشحون ».

وقلمه في الانشاء أمضى من السنان ، وابدع من بديع الزمان . يقال ان الوزير الكاتب ابا محمد حمّودة بن عبد العزيز ، كان يتوقع ان يزاحمه في خطة الكتابة .

وانتفع به اعيان من العلماء ، كشيخنا العلامة المفتي ابي العباس حميدة بن الخوجة ، والفقيه الوجيه ابي عبد الله حسين بن عبد الستار وغيرهما .

درّس كتاب « الشفاء » بجامع الزيتونة بعد صلاة الصبح ، ويوم ختمه ، حضره العالم الاديب ابو عبد الله الحاج محمد السنوسي ابن الشيخ العلامة عبد الله السوسي ، ومدحه بقصيدته الدالية الغراء ، واجابه عنها .

وكان نقي العرض ، جميل الصورة ، فصيح اللسان ، حتى ان العامة يجلسون وراء حلقة درسه ، تلذذا بنغمته في كيفية الالقاء ، لا تمر مذاكرة في فن من الفنون الا وله فيها التبريز ، ولا تعرض جواهر الكلام على مُحَاكّات الافهام الا وكلامه الابريز ، مع محاضرة تسبي المَجالس والمُحاضر ، ويروق الانظار زهرُها الناضر .

ولم يزل على حاله ، رافلا في حلل كماله ، الى ان فجعت المجامع العلمية بخبر منيته ، على حال شبيبته ، وذلك سنة 1199 تسع وتسعين ومائة والف (1784/85 م.) .

وصلى عليه شيخه ابو عبد الله محمد المحجوب ، وكادت ان لا تتم الصلاة ، من كثرة البكاء والعبرات ، من الامام ومن خلفه ، من شهداء رب الارضين والسماوات .

ودفن بزاوية سيدى أحمد سقّا ، خارج باب حومة العلوج .

[9 ـ محمد بن حسن الدرناوى]

ابو عبد الله محمد بن حسن الدرناوى المفتى .

نشأ هذا التقي في طلب العلم ، واخذ عن اعلام عصره ، ودرّس بالجامع الاعظم في مصره . واخذ عنه جماعة من الاعيان ، وحاز قصب السبق في هذا الشان ، وتصدر للفتوى ، فبلغ الغاية القصوى ، وكتب بجميل خطه كتبا عديدة ، على جميعها تقاريره المفيدة ، وتباع الكتب التي بخطه بضعف قيمتها الى الآن ، لما على حواشيها من تقاريره الواضحة البيان .

وكان بارعا في الفقه والفرائض ، وله شرح على « الدرة » .

كان رحمه الله تقيا عفيفا ، محافظا على ما يقرّب الى الله زلفى ، بعيدا عن التصنع ، قانعا بالكفاف ، سالكا سُبُل الزهد ، متواضعا على تضلعه من العلوم العقلية والنقلية ، عالي الهمة نقي العرض .

ولم يزل على حاله ، في كريم خلاله ، ناظرا في مطية ترحاله ، متزودا من اعماله الى دار مآله ، حتى قدم لرحمة ربه الذي يُحب لقاءه ، سنة 1199 تسع وتسعين ومائة والف (1784/85 م.) . ودفن بالجلاز (1) وتبرك الناس بشهود جنازته ، وخلف ابنا من اعيان العدول الموثقين ، يرتزق بصناعة التوثيق ، معروفا بالعفة والنزاهة ، رحمه الله .

[10 ـ محمد بن عبد الله عظوم]

ابو عبد الله محمد ابن العالم المفتى ابى محمد عبد الله ابن العالم عبد اللطيف عظوم القيروانى .

شهرة هذا البيت بالقيروان وغيرها في العلم والفضل واضحة وضوح الصبح ، غنية عن الشرح . والموضوعات الفقهية « كالبرنامج » و« الاجوبة » وغيرهما من التآليف قاضية بذلك .

(1) صوابه · الزلاج .

وآل هـذا البيت ينتسبـون لـ « مـراد » احدى قبـائل العرب الذين جـاؤوا للفتـح الاسلامـي . واهل القيروان محافظون على هذه الانساب الزكـية .

نشأ هذا الشيـخ في طلب العلم ، سالـكـا سَنَن آله ، فقرأ على العالم الفقيه ابـي عبد الله محمد الخنقـي وغيره من علماء القيروان . ولما ضم الى مجده الاصيل ، ملـكـة العلم والتحصيل ، تقدم للخطط الشرعية ، كالقضاء والفتوى بالقيروان ، سالـكـا نهـج أسلافه ، متحليا من الـكمال بأحسن أوصـافـه ، الى ان تـوفي في رجب سنـة 1199 تسع وتسعين ومائة والف (ماي — جوان 1785 م.) ، ودفن بمقبرة آله ، رحمه الله تعالى .

[11 ــ محمـد الخنـقى]

العالم الفقيه الشيخ محمد الخنقى .

هذا الفاضل وفد الى القيروان ، واتخذها دارا ، تبركا بآثار الصحابة والتابعين ، رضي الله عنهم . وكان عالما صالحا ، تقيا خيّرا ، مثابرا على نفع الناس بالعلم ، ابتغاء وجه الله .

أخذ عن الشيـخ العدوي بمصر ، وغيره من مصابيـح الازهر . وتردى في القيروان بالعفـة والوقار والسكينـة ، فحل من قلوب اهلهـا بالمـكانة المـكينة ، ولم يزل معتقدا متنفعا به معظمـا ، الى ان توفي سنـة 1199 تسع وتسعيـن ومـائـة والف (1784/85 م.) ، ودفن في تـراب القيروان .

[12 ــ احمـد العـروسى]

ابو العباس احمد العروسى الاندلسى

هذا الرجل من اعيان الاندلس بتونس ، وكان تاجرا خيّرا عفيفا .

تقدم امينا على صناعة الشاشية بالحاضرة ، وهـي من الخطط النبيهة بها ، لا يتقدم لها الا من كان وجيها ، نقـيّ العرض ، امينا عارفا .

ولم يزل على حالته المرضية ، الى أن أتته المنية ، في الطاعون الجارف سنة 1199 تسع وتسعين ومائة والف (1784/85 م.) وله عقب بالحاضرة .

[13 ـ حسونـة القصـــرى]

الشيخ الفقيه حسونة القصرى .

سمعت ترجمة هذا الفاضل من شيخنا القاضي اسماعيل ، وهي انه من قصر الرباط بالمغرب ، وفد الى حاضرة تونس بقصد التجارة ، وكان عالما فقيها خيرا ، حسن المحاضرة ، زكي النفس ، عالي الهمة .

وكان له محل بالربَع (1) في تونس ، لوضع سلعه على اختلافها ، فكان يأتي الى جامع الزيتونة صباحا ، ويقرىء درسين احتسابا ، وبعدهما يذهب لموضع سلعه ، كأعيان التجار .

ورغب الطالبون في دروسه ، وانتفعوا بعلومه . ولما جعل الباشا علي باي الحسيني مرتبا للمدرسين ، نظمه في سلكهم ، ولما بعث له مكتوب المرتب امتنع من قبوله ، فأحضره لديه وقال له : « لِمَ ترغبُ عن مرتب بلادنا ، وانت الآن من اعيانها ؟ » فقال له : « لم ارغب عن البلاد ، بدليل اني اخترتها ، وقد جلت في الآفاق ، لكن الله اغناني ، وله الشكر بما يسره على يدي من ربح التجارة ، فلا يسوغ لي والحالة هذه اخذ الاجرة على العلم ، فانـي أبث العلم لله خالصا ، فأعط ذلك لمن هو احوج منا » ، فاستحسن حاله ، وعظمت منزلته عنده .

ولهذا الشيخ من الوجاهة والفضل ما اقتضى ان الولي العارف بالله سيدي احمد بن سالم التجاني لما اتى الى تونس نزل عنده بداره ، مدة اقامته بالحاضرة ، حتى استكمل تدريس « الحكم » لابن عطاء الله (2) ، بمسجد سوق البلاط ، وسافر من داره شاكرا داعيا .

ولم يزل هذا الخيِّر في تجاراته الرابحة ، وافادته الناجحة ، ونزاهته الواضحة ، الى ان لبى داعي الله المثيب على ما ألهم من الاعمال الصالحة ، في سنة 1199 تسع وتسعين ومائة والف (1784/85 م.) .

[14 ـ محمد عريــف]

ابـو عبد الله محمد عريف .

من اعيان اهل البلاد ، وبيوت النباهة في الحاضرة .

تقدم شيخا في ربض باب سويقة ، فأحسن ضبطه ، واذكى العيون على اهل الشر والدعارة ، وأقام سكانه في مهد أمان وراحة .

---

(1) اى سوق الربع ، وهى معروفة بهذا الاسم الى اليوم .

(2) من المتصوفة ، توفى فى المدرسة المنصورية بالقاهرة سنة 1309 م .

وله في السياسة التي يستخرج بها الحق من الباطل قدم راسخ ، وفكر وقاد ، حتى قال بعض الجهلة ان له قرينا من الجن يخبره . وله في ذلك اخبار مأثورة في الحاضرة ، ينقلها الخلف على السلف ، حتى اضطر اهل الفساد الى الخروج من الحاضرة ، هروبا منه ، ورجعوا بعد وفاته .

وكان وجيها خيِّرا عالي الهمة حسن المروءة ثاقب الفكر ، محببا الى الناس .

ولم يزل على صفاته المرضية ، الى ان حل بـه وافد المنيـة ، رحمه الله ، في شعبـان سنة 1200 مائتين والف (جوان 1786 م.) ، وترك ابنا يأتي خبره ، ان شاء الله تعالى .

[15 ـ عبد القـادر الحلفـاوى]

الشيخ عبد القادر بن على بن محمد الحلفاوى ابن الشيخ محمد الولى
مشهور الزاوية بباب الخضراء

نشأ هذا الشيخ في بيت أصيل ، مؤسس على صلاح ومجد اثيل ، وجرى في خلاله ، على نسق آلـه .

وكان فقيها فاضلا ، وجيها نزيها ، عفيفا تقيا ، معتقدا معظما عند الخاص والعام ، متفيئًا ظلال ما لزاويتهم من الاجلال والاحترام .

وتوفي ، رحمه الله تعلى ، أول هذا القرن الثالث عشر سنة 1201 (1786/87 م.) ، ودفـن بزاويتهـم .

[16 ـ حمـودة بن عبد العزيـز]

الوزير الكاتب ابو محمد حمودة بن محمد بن عبد العزيز .

نشأ هذا الفاضل بين يدي ابيه ، العالم الفقيه ، واخذ عنه ، حتى إنه كان يسامـره ليلا بعلم السِّيَر والتاريخ ، في حال صباه . ثم أخذ عن اعلام من العلماء ، كالشيـخ أبـي عبد الله محمد المكُّودي المفتـي ، والشيـخ المفتـي ابـي الفضل قاسم المحجـوب ، والمفتـي الاكـبر ابـي عبد الله محمد بن حسين بيرم عالم الحنفية ، والشيـخ العالم الصوفي ابـي عبد الله محمد بن علي الغريانـي ، وابـي عبد الله محمد الشحمـي ، والشيـخ المفتـي ابـي عبد الله محمد بن حسن الهدة السوسـي ، وغيرهم من علماء الحاضرة .

وتصدر للتدريس ، فشنف الاسماع بكل نفيس ، وانتفع به اعلام ، صاروا أيمة في الاسلام ، كالعلامة المفتي ابي عبد الله محمد بيرم الثاني ، وعالمي المالكية ابي عبد الله محمد المحجوب واخيه ابي حفص عمر وغيرهم .

وطلبه الباشا علي باي الحسيني ، ليستعمله في قلم الانشاء ، فامتنع ، ثم طلبه ثانيا على يد الشيخ المفتي ابي عبد الله محمد بن حسين البارودي فاجاب ، وقبله أحسن قبول ، وقربه نجيا ، واستعان به في تدبير دولته ، وبعثه سفيرا عنه الى قسنطينة والجزائر ، في بعض الاغراض السياسية ، ثم ضمه الى ابنه ابي محمد حمودة ، ولي عهده ، فاحسن تربيته ، وعلمه النحو والصرف والتاريخ ، وغير ذلك مما لا يسع الكامل جهله ، ونال ما شاء من الحظوة والاقبال ، وتوجهت تلقاء مدينه الآمال ، وباكر بابه العمال .

وكان من افراد العلماء واعلام الكتاب ، وفريدة عقد ذوي الالباب والآداب ، وتاريخه « الباشي » الذي ألفه في مدح مخدومه ، اعظم شاهد له بالبلاغة والبراعة في فن الانشاء ، والله يؤتي الحكمة من يشاء . وله في العلوم الشرعية والعقلية القدم الراسخ واليد الطولى . وكان فصيح اللسان ، ماضي القلم ، عذب المجالسة ، آية الله في المحاضرة ، بحيث اذا حضر مجلسا توفرت الدواعي على سماع ما يلفظ من قول في كل فن ، مع وقار وهمة عالية زاحمت الكواكب ، واشعة زينت المواكب .

وكان يُدِل على مخدومه الثاني ، وهو ابن تربيته الباي حمودة باشا ، بما له من حق التعليم ، بما لا يحتمله سن الشباب ، وعلى رجال دولته ، ويحتملون له لقصور الانشاء والترسيل على قلمه يومئذ .

ولما تفاقم الحال ، أردفه مخدومه بولاية العلامة الاكتب ، الجامع بين شرفي النسب والاكتساب ، ابي محمد سيدي حسن بن عبد الكبير الشريف ، فغص منه ، وضاق ذرعه ، لتقدمه في العلم والصناعة ، فتحيل — يغفر الله له — بما اقتضى انفصال سيدي حسن الشريف عن خطة الكتابة ، وابدل الله درهمه دينارا .

وبهذا التحيل سلقته الالسن من رجال الدولة وغيرها ، بتتبع المعائب ، ومن سابق الدهر عثر ، حتى ضربه فرج الزوز الباجي بالرصاص ، وحكمه الباي فيه ، فحكم بكسر يديه ورجليه ، وإلقائه ببطحاء القصبة ، حتى يموت ، كما سبق خبره في الباب الاول ، فكانت القاصمة لنجم سعادته ، وسقوط منزلته عند مخدومه .

سمعت من شيخنا العلامة القاضي اسماعيل التميمي ، وهو الذي حفظت منه ترجمة هذا الشيخ ، قال : « انه كان يجلس عندي بدكّان الشهادة في سوق البلاط ، لقربه من داره ، فمر الشيخ عبد الرحمان البقلوطي ، ايام اختلال عقله ، بقتل مخدومه الباشا علي بن محمد ، وهو ينظر اليه ، وبذهاب ماله ، فجلس امام الدكان على قارعة الطريق ، يلتقم بطيخا مكسرا ، فقال له : « قبح الله رجلا اصطفاك لخدمته » ، فقال له البقلوطي : « رأيتني والامر مدبر عني ، ولو رأيتني والامر مقبل ، كحالك الآن ، لعظّمت من حالي ما حقّرت ، واستحسنت مني ما قبّحت ، وسبحان من لا يحول » ، واختنق بالبكاء ، وانصرف » .

ولم يزل بعد ذلك في تراجع ، الى ان حملته ايدي المنية ، من هذه الدنيا الدنيّة ، في السنة 1202 الثانية من هذا القرن الثالث عشر (1787/88 م.) .

وله حاشية على « الوسطى » ، في علم الكلام ، وتاريخه المعروف ، ورسالة في القبلة ، وديوان شعره الرائق ، وكان في الشعر أحسن منه في النثر ، لانه يقول كما يريد .

واعقب ابنا اسمه محمد ، ساء حاله ، وأباد تراث ابيه ، في قليل من المدة ، بمذاهب الترف ، وباع الربع والعقار ، وخرج بالبيع من الدار ، ولله عاقبة الامور ، رحمه الله ومتعه برضوانه .

[17 ـ محمد الـــريغى]

أبـو عبد الله محمد ابن العالم الفـاضل أبى عبد الله محمد الـريغى السـوسى .

نشأ هذا الفاضل في بيت علم وفضل بسوسة ، واخذ عن ابيه ، وجدّ في طلب العلم الشريف ، وروَي من مناهله ، وجلّى في ميادينه ، وتدرج في الخطط العلمية ، وتصدر للفتوى .

وله عند الملوك اجلال وتعظيم ، سمعت من شيخنا العالم الراوية القاضي اسماعيل التميمي ، أن هذا الفاضل لا تأخذه في الله لومة لائم . وذلك ان علي باشا بن محمد ، لما غلب عمه ، واستولى على البلاد ، ومنها سوسة ، قتل منها ما شاء ، وقال لهذا الشيخ : « إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا... الآية » (1) ، فقال له الشيخ ، غيرَ مبال ولا مكترث : « لو غيرك

(1) س 5/آ 33 .

قالها يا سيدنا ، وانت من اهل العلم ، وبيعة عملك في اعناق هؤلاء القوم ، لا يجوز لهم الخروج عنه ، ولم يصدر عنه ما يقتضي خروجا ، فافعل باجتهادك ما تريد » ، فسكت الباشا ، وتجاوز له ، ومن تلذذ بالكلام تنغص بالجواب .

وكان هذا الفاضل عالما تقيا ، جريئا في الحق ، خيّرا وجيها ، محمود السيرة .

ولم يزل على حاله ، يتدرج في اوصاف كماله ، الى ان توفي في السنة الثانية من هذا القرن الثالث عشر (1787/88 م.) رحمه الله تعالى .

[18 ـ محمد بن محمد بن محمد صـــدام]

ابو عبد الله محمد ابن العالم المفتى ابى عبد الله محمد
ابن العالم المفتى الحاج محمد ابن العالم المفتى ابى بكر ابن العالم
المفتى ابى الطيب صدام اليمنى القيروانى .

هذا الفاضل اصله من قبائل الفتح الاسلامي ، نشأ في بيت علم ودين ، وحاز قصب السبق في الميادين ، واخذ راية الفتوى باليمين .

وكان فاضلا عالما ، بارعا في العلوم الشرعية .

تقدم لخطة الفتوى بالقيروان ، وبث فيها العرفان .

ولم يزل على حاله ، في حلل كماله ، الى ان توفي عن سن عالية سنة 1204 اربع ومائتين والف (1789/90 م.) .

[19 ـ محمد سويسى]

الشيخ القاضى ابو عبد الله محمد سويسى .

هذا الفاضل من بيت علم وعفاف وتقوى ، درّس بجامع الزيتونة وافاد واجاد .

وتقدم لخطة القضاء ، فحمدت سيرته ، وباشرها بلين مع دين متين . [فكان من قضاة العدل ، وتقدم اماما ثانيا بجامع الزيتونة ، فلازم الجامع ، وكان عالما فاضلا ، ماجدا تقيا ، معدودا في الصالحين ، محببا لاهل الحاضرة ، ما شئت من] (2) زهد وعفاف ،

(2) الزيادة عن ق .

ورضى بالكفاف ، وتثبت في الانصاف ، الى ان توفي سنة 1204 اربع ومائتين والف (1789/90 م.) ، بعد ان أقام في خطة القضاء ، اربعين سنة ، وتجاوز السبعين في العمر ، رحمه الله تعالى .

[20 ـ علي دمدم]

ابو الحسن علي دمدم .

نشأ هذا السيد في بيت فضل وشرف ، واقتفى أثر السلف ، ونال الخطط العلمية كالامامة والعدالة ، وهو شيخ الطريقة الشاذلية بهذا المصر في ذلك العصر ، أمّ رجالها بالمقام والمغارة ، وكرّر بهم احزاب الشاذلي ومناقبه وأخباره ، واقتفى بهم ما استطاع آثاره ، وتعرض للواردات الالهية ، في تلك المعابد المباركة بالاوراد ، والمنهل الشاذلي غير ممنوع عن الوُرّاد ، والاعمال بالنيات .

وكان فاضلا وجيها ، خيِّرا عفيفا ، تقيا مقصودا للدعاء ، محببا الى الناس ، وهم شهداء الله على خلقه ، وتوفي سنة 1206 ست ومائتين والف (1791/92 م.) .

[21 ـ أبو الطيب صدام]

ابو الطيب بن عبد الحفيظ ابن القاضى ابى العباس احمد صدام اليمنى القيروانى .

نشأ هذا الفاضل في بيت مجده الشريف الشهير ، وطلب العلم بالقيروان ، فاخذ عن اعلامها ، ثم ارتحل لطلب العلم بتونس ، وأخذ عن اعلام عصره ، ورجع لبلاده ، فأفاد وأجاد ، وتقدم لخطة القضاء ، ثم ترقى الى الفتوى .

وكان فاضلا عالما ، خيِّرا فقيها ، وجيها معظما .

وتوفي أوائل القرن الثالث عشر .

[22 ـ حمودة صدام] .

ابو محمد حمودة بن عبد الحفيظ ابن القاضى ابى العباس احمدصدام اليمنى القيرواني.

نسج هذا الفاضل على منوال آله ، وجدّ في تحصيل العلم من رجاله ، ورمى أغراضه البعيدة ، بسهامه السديدة . وعرضت عليه خطة القضاء فابى ، وآثر التدريس ، ونثر الجوهر النفيس ، فكان عالما فاضلا ، تقيا ورعا ، عالي الهمة ، يأنس بالوحدة والانقطاع ،

ويتعلل من الدنيا بقليل المتاع ، الى ان توفي ، رحمه الله ، ليلة الاثنين السادس والعشرين(1) من شوال سنة 1208 ثمان ومائتين والف (26 ماي 1794 م.) .

[23 ـ أحمد السوسى]

ابو العباس احمد ابن العالم الولى سيدى عبد الله السوسى .

هو ابن أحد الاعلام الذين ذكرهم الوزير الكاتب ابو محمد حمودة بن عبد العزيز ، ونقلنا كلامه في فاتحة الخاتمة .

نشأ هذا الفاضل في حجر أبيه ، وقرأ عليه مع أخويه ، ابي عبد الله محمد السنوسي وابي عبد الله محمد الوسط ، وكانوا على درجة عليا في الفضل والعلم ، واكبرهم آية الله في الشعر والادب ، وشعره يسع ديوانا معروفا عند اهل الادب ، واوسطهم آية الله في الفقه والتصوف ، واصغرهم صاحب الترجمة عاقه المرض عن بث العلم في الجامع ، فعاش في كسر بيته جليس كتبه ، وآثاره العلمية في هوامش كتبه على كثرتها بخطه ، دالّة على اطلاعه ، واتساع باعه .

وكان تقيا عفيفا ، نزيها سالم العرض ، معتقدا معظما ، مزارا للتبرك به .

وله في هذه الحاضرة وجاهة على خموله وتواضعه .

وله بنات علمهن القرآن والفقه ، وطريق التصوف ، سمعت من والدي انه اراد خطبة احداهن ، فاستشار في ذلك الشيخ المفتي ابا النخبة مصطفى البارودي ، فقال له : « لا تفعل ، فانها لا ترضى بامثالنا ، ولا ترى كفوءا لها الا من كان على قدم والدها ، في العلم والصلاح ، ونحن من ابناء الدنيا ، وهي من بنات الآخرة ، هذا وابوها ميت » .

ولم يزل هذا الفاضل ابن الفاضل اخو الفاضلين حليف ذكر ، وجليس كتاب ، الى ان دعاه الله فأجاب ، أواسط رمضان من سنة 1208 ثمان ومائتين والف (اواسط افريل 1794م.) .

ولم اقف على تاريخ اخويه . ومما يشهد لفضلهم ، ان والدهم نفعنا الله به ، لما حضرته الوفاة ، أحضر ثلاثتهم ، وقال لهم : « من ترك اولادا ، والشكر لله ، مثلكم أتُنَفَّذُ وصيته ؟ » ، فقالوا : « لك علينا السمع والطاعة » ، فقال لهم : « اذا مت

(1) هى 25 حسب التقويم .

فاغسلوني على مقتضى السنة ، واحملوني الى قبري ، من غير جهر بالذكر امام النعش » ، وفعلوا وصيته ، ووصل الى قبره ، وجميع من شهد الجنازة سكوت ، يذكرون الله سرّا ، رحم الله جميعهم .

[24 ـ علي محسن]

ابو الحسن علي بن احمد بن محمد بن محسن ابن الشيخ سيدى
احمد الشريف امام جامع دار الباشا .
وقد ذكر الوزير السراج سلسلته الى سيدنا الحسين بن
علي ابن ابى طالب رضى الله عنهم .

نشأ هذا الشريف في بيت شرف ودين وفضل ، توارثه عن السبط الحسين ، واخذ راية العلم والتقوى باليمين ، وسلك ما استطاع سبيل آبائه الطيبين الطاهرين ، ما شئت من كرامات تذكر ولا تنكر ، واخلاق نبوية تشكر .

تقدم اماما ثالثا بالجامع الاعظم جامع الزيتونة ، مع الشيخ ابي عبد الله محمد سويسي ، وكان فاضلا عالما عاملا ، صالحا بركة معتقدا ، تتبرك الناس الى الآن بقبره ، سليم الصدر ، عالي القدر ، هاشمي النفس ، عالي الهمة ، محببا الى الناس ، بحيث لا ينطق باسمه احد الا مقرونا بالسيادة ، التي تظهر عليه سِيمَاهَا ، والى البتول منتهاها .

ولم يزل على فضله الذي لا يَبْلَى ، الى ان لحق بالرفيق الاعلى ، وكان ذلك في السادس والعشرين من ذي القعدة سنة 1209 تسع ومائتين والف (الاحد 14 جوان 1795 م.)، وابنه محمود الخصال ، ومظهر سرّ الآل ، هو كبير الائمة بالجامع الاعظم في هذا التاريخ ، وهو سنة ثلاث وثمانين من القرن الثالث عشر ، فسح الله في اجله ، ومتع المسلمين ببركته .

[25 ـ محمد الملا]

الشيخ محمد الملا .

نشأ هذا الخيِّر في بيت نبيه من بيوت الحنفية ، وقرأ العلم وحصل الملكة العلمية ، لا سيما في الفقه ، وسلك طريقة القطب الجيلي رضي الله عنه ، وجذبه حبه ، وله امداح نبوية ، وامداح في شيخه ، تحسن بها اصوات المنشدين ، وتجتمع لها الجماعات ، والاعمال بالنيات .

وكان تقيا عفيفا ، ذاكرا رقيق القلب ، متواضعا اديبا ، وشعره معروف .

ولم يزل معتقدا ، معظما مكرما ، الى ان توفاه الله سنة 1209 تسع ومائتين والف (1794/95 م.) . واعقب ابنا نسج على منواله ، واقتدى بحميد خلاله .

[26 ــ محمد بن حسين الدرناوى]

الفقيه الكاتب ابو عبد الله محمد بن حسين الدرناوى .

هذا الرجل له ملكة حسنة في العلم والادب ، وتدرج في قلم الانشاء ، في دولة الباشا علي باي وابنه ، الى ان صار رئيس الكتاب ، ثم عزله مخدومه .

وكان اديبا حسن اللقاء وجيها ، وبقي بعد عزله نقي العرض ، على وجاهته واحترامه ، الى ان توفي في ربيع الاول سنة 1211 احدى عشرة ومائتين والف (سبتمبر 1796 م.) .

[27 ــ رجب خزنه دار]

الوزير رجب خزنه دار .

اصل هذا العفيف من الموالي ، وله ذكر في التاريخ الباشي ، رباه الباشا علي باي ، وكان معه في غربته بالجزائر ، ولما حان رجوع اولاد حسين باي بن علي الى تونس ، أتاهم رجل معتقد ، واجازهم في التوسل بالصلاة الكاملة ، المعروفة لتفريج الكرب ، يقرؤها اقربهم للتقوى ، في الليل تحت اديم السماء ، عددا معينا مستكثرا ، فاجمعوا على أن يقرأها رجب خزنه دار ، وفيهم العلامة الشريف الفاضل ابو عبد الله محمد الشافعي، والفقيه الكاتب ابو العباس احمد الاصرم .

وخدم في دولة سيده ومربيه ، وفي دولة ابنه ابي محمد حمّودة باشا ، معظما مكرما.

وكان تقيا عفيفا ، امينا ثقة ، سلم الناس من يده ولسانه ، الى ان توفي في الرابع والعشرين من ذي القعدة سنة 1211 احدى عشرة ومائتين والف (الاحد 21 ماي 1797 م.) . ودفن بالتربة ، عند سيدي قاسم السبابطي .

[28 ــ حمودة الحلفاوى]

الشيخ الحاج حمودة بن ابى الحسن بن ابى عبد الله محمد الحلفاوى.

نشأ هذا الفاضل في بيت عفة وصلاح وفضل ، وزاويتهم في الحاضرة معروفة ، وبالخير والبركة موصوفة .

وكان وجيها كريما ، خيرا عفيفا ، معتقدا عالي القدر ، معظما عند الخاصة والعامة ، الى ان توفي سنة 1212 ثنتي عشرة ومائتين والف (1797/98 م.) .

[29 ـ محمد العواني]

الشيخ الشريف ابو عبد الله السيد محمد ابن السيد الحاج
عبد الملك العوانى القيروانى .

طلع هذا السيد في افق شرفه ، سالكا نهج سلفه ، واضاف الى نسبته الهاشمية ، النسبة العلمية ، ورحل في طلب العلم الى حاضرة تونس فاخذ عن أعلامها .

ولما امتلا حوضه ، واثمر بالعلوم روضه ، رجع لمسقط راسه ومدفن اجداده ، واستقر بزاوية اسعاده .

ولبيت العواني ذكر في القيروان بل وفي غيرها من البلدان ، وناهيك بالنسبة الى سيد ولد عدنان .

وكان فقيها خيرا ، فاضلا وجيها ، متحليا بوقار وسكينة ، حالاّ من الناس بالمكانة المكينة ، ما شئت من فضل وادب ، وشرف موروث ومكتسب ، الى ان توفي سنة 1212 ثنتي عشرة ومائتين والف (1797/98 م.) .

[30 ـ محمد بيرم الاول]

شيخ الاسلام ابو عبد الله محمد بن حسين بيرم .

اول هذا البيت رجل من الجند الذي قدم متطوعا مع سنان باشا ، لفتح هذه البلاد الاسلامية ، وافتكاكها من يد السبنيول ، المتغلب عليها .

واختار بعد الفتح المُقام بها ، وتزوج ، ومن ذريته صاحب الترجمة ، وقد ترجم له ابنه شيخ الاسلام ابو عبد الله محمد في شرح منظومته للمفتين على المذهب الحنفي ، من لدن الفتح ، عند ما شرح قوله :

قفاه حسين البارُدي وقرينه   أبو من غدا في جمعهم ينظم الشِّعْرا

بما نصه : « واعلم انه لما اضيف ابو عبد الله محمد درغوث للشيخ ارنووط ، بقي معه اسما بلا مسمى ، ولفظا بلا معنى ، وما زال الامر على ذلك الى ان انقرضت دولة علي باشا

يوم الخميس سادس ذي الحجة من عام 1169 تسعة وستين ومائة والف ، وجاءت دولة المولى الامير المعظم محمد باي ابن الامير الكبير حسين باي ، فعزل المفتيين ، واولى مكان الشيخ ارنووط الشيخ ابا عبد الله حسين البارودي ، عمّ والدتي ، الفتوى بخطبة الجامع اليوسفي ، التابعة لها ، ومكان أبي عبد الله محمد درغوث والدي ، وخرجت بذلك الفتوى وتلك الخطبة عن بيت الدرغوثيين ، بعد ان أقامتا بها من عام خمسة وسبعين والف الى آخر عام تسعة وستين ومائة والف ، اربعا وتسعين سنة ، متداولَتَيْن بين أربعة منهم ، وتلك الايام نداولها بين الناس ، والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين . وليس سبب عزل المذكورين كونَها من جماعة علي باشا ، بدليل عدم عزل الافندي ، وهو الشيخ الاجل ابو النخبة مصطفى الطرودي ، ولا مفتيَيْ المالكية وهما الشيخان الاجلان ابو العباس احمد المكودي وابو الفضل قاسم المحجوب ، وكلهم من الجماعة الذين هو أولاهم ، وانما عزل كل منهما ، كالقاضي المالكي الشهير بالكافي ، لسبب يخصه ، على ما افصح به ذلك الامير ، وقت توليتها لوالدي . اما ابو عبد الله محمد درغوث فلما سبق في صورة ولايته من كونها بشفاعة صهره لقصوره ، واما القاضي الكافي ، فلكثرة القدح في أمانته ، واما الشيخ ارنووط فلما صدر من باي قسنطينة من مهانته ، وذلك ان علي باشا لما ايقن بحركة الجزيريين اخذ كثيرا من ماله ، فقسطه اقساطا ، كل قسط عشرة آلاف بندقي ، واودع كل قسط بعضا من الناس ، ومنهم المفتي المذكور ، فلما دُخلت البلدُ من اقطارها ، وعبثت ايدي الجزيريين بالنهب في ديارها ، دُخِلت دارُ الشيخ ارنووط ، ونُهبت له تلك الوديعة ، فلم يصدّقه حسن باي قسنطينة في ذلك ، واتهمه بانه استخلصها لنفسه ، فضربه بالسياط ، رجلا كبيرا قارب الثمانين من اهل العلم ، لا سامحه الله ، فتذمم الامير بعد هذا من ابقائه رئيس المفتيين بدولته ، ولقد كان حاملا من فعل حسن باي به أمرا عظيما ، ساعيا في خلاصه جهدَه .

حكى لي من كان رئيس الكتاب ببلدنا ، وهو ابو عبد الله محمد الدرناوي ، ان ذلك الامير استدعاه ، وارسله للشيخ ارنووط ، وهو في سجن حسن باي ، وقال له : « قل للشيخ يكتب كتابا لحاكم الجزائر ، يفصل القضية ويستعطفه فيه » ، ولما وقع الصلح على قدر من المال يؤديه الشيخ ، وباع فيه ما ملكه في عمره ، من دار سكناه ، وهنشيره ، ولم يوف ثمنهما بذلك ، زاد فيه الامير الف محبوب من عنده » .

« فلنرجع لترجمة من في البيت من الشيخين ، فنقول : اما الاول فهو الشيخ الكبير الصدر الشهير العَلَم النحرير صاحب الغوص في التحرير ، ولد عام اثني عشر ومائة والف في ايام مراد باي ، واخذ العلم عن جماعة منهم الاستاذ ابو الحسن علي سويسي ، حضر له في اقرائه لشرح الباشا على « التسهيل » .

والعلامة المحقق ابو عبد الله محمد الحرقافي ، سمعت منه رحمه الله قال قرأت عليه شرح « القطر » لمصنفه ، فلما ختمته سألته تعيين ما اقرأ بعده ، فاشار « بمُنْلاَ جامي » ، فاستصغرت نفسي عنه ، فقال انا أدرَى بما يصلح لك ، فطرتك جيدة ، ومالك الا ان تصل الى فهمه ، فقرأته عليه .

والشيخ ابو محمد حمّودة العامري الخليفة بالجامع الاعظم . واخذ الفقه عن الشيخين ابي العباس احمد الطرودي ومُلاّ باكير امام علي باشا ، وقد عاقته المحن التي اعترضته في الدولة الباشية عن تعاطي التدريس ، لان جل مدتها مرّ عليه بين سجن ونفي مكرّر لزغوان مرتين ، فانه بعد ان سرحه لتونس ، حين جاء نفي اخيه الشيخ حسن ، من الروم ، واولاه ما كان بيده من امامة الجامع اليوسفي وروايته ، لم يمض الا نحو عام ، وبَدَا له فيه ، فرده منفيا لزغوان ، وما سرحه الا بعد انقضاء فتنة ابنه يونس باي ، فأولاه امامة الجامع الباشي ، وروايته وتدريسه .

ولما انقرضت دولته ، وجاءت دولة المولى محمد باي ، انشده لسان الحال :

سعد الزمان وساعد الاقبال ودنا المُنى واجابت الآمال

لان ذلك الامير اولاه من العزّ والاقبال ، ما لا يعبّر عنه مقال ، فصرفت اليه الوجوه ، وتعلقت به الآمال ، واولاه منصب الفتيا بتابعتها على ما مرّ ، واعطاه ايضا خطبة باردو ، ونقله من الجامع الباشي ، مُبْقًى عليه روايتُه وتدريسُه ، لجامع والده امامة ورواية وتدريسا وخطبة ايضا ، فاجتمعت بيده ثلاثُ خطب ، ولم يتفق ذلك لاحد قبله ولا بعده .

فاما خطبة باردو فباشرها بنفسه ، واما خطبة جامع يوسف داي فاناب فيها امام الخمس به الشيخ عمر بوشناق ، كما أنابه في رواية الجامع الباشي ، واما خطبة جامع والد الامير فأناب فيها من كان مستقلا بها ، كبقية وظائف ذلك الجامع ، المنقولَ عن

جميع ذلك لمجرد امامة الجامع الباشي ، وهو الشيخ محمد قَرَبَطَاق ، فكان منشدا بلسان الحال ، قول من قال :

ومن النوائب أنني في مثل هذا الامر نائب
ومن العجائب يا فتى صبري على هذي العجائب

وأعطي ايضا المدرسة الشماعية فأقرأ بها « مُلاَّ مِسْكِين على الكنز » ، كما أقرأ بدرس الجامع الباشي « الجوهرة على القدوري » ، ولم يختمها .

وكان رجلا قَانِتا لربّه خاشعا ، قائما بالحق صادعا ، حسن التلاوة لكتاب الله تعالى اتقانا لتجويده ، وعذوبةَ نغمة به ، لا يشق له في ذلك غبار .

وله رسائل مفيدة ، في مسائل عديدة ، وما زال على ما هو عليه من الاحترام ، الى ان وافاه الحمام ، وانتقل لرحمة الملك العلام ، وذلك في ذي القعدة الحرام من عام 1186 ستة وثمانين ومائة والف (جانفي — فيفري 1773 م.) » .

وذكر في الشرح المذكور ، ما قيل فيه من المراثي ، لا داعي لذكرها ، ثم قال :

« واما الثاني ، وهو والدي رحمة الله عليه ، فولد في شوال من عام ثلاثين ومائة والف (اوت — سبتمبر 1718 م.) ، ثم جد في تحصيل العلم ، فأخذه معقولا ومنقولا ، فروعا واصولا ، من جهابذة ذلك العصر ، أشهرهم الامام الكبير ملحق الاحفاد بالاجداد ، وحائز قصب السبق بين النقاد ، ابو الحسن علي سويسي ، اخذ عنه « مغني ابن هشام » و « تسهيل ابن مالك » و « البخاري » بشروحها .

وحافظ العصر العلامة المحقق المفتي ابو العباس احمد المكودي ، أخذ عنه كتب المنطق بأسرها ، و « مختصر السعد » ، و « مطوله » . ورَوَى عنه « صحيح البخاري » ، واجازه بمروياته .

والعالمان العَلَمان محققا المذهب المالكي في ذلك الزمان ، ابو عبد الله محمد بن عبد العزيز ، وابو الفضل قاسم المحجوب . أخذ عن الثاني « المكودي على الالفية » ، وعن الاول ذلك ، و « الاشموني » ، و « التصريح » ، و « المحلي » ، و « مختصر السعد » على « التلخيص » ، وعصام على « الاستعارات » بحواشيها و « الكبرى »

بحاشيتي المنجور واليوسي ، و « الفية العراقي » في المصطلح ، بشرحي القاضي والمصنف . وروَى عنه « الصحيح » ، واخذ الفقه النعماني عن محققه العلامة ابي محمد حسن البارودي ، وهو عن شيخه المحقق المفتي عبد الكبير الصوفي ، وهو عن شيخه علم الاعلام وشيخ الاسلام ابي الحسن علي الصوفي ، وهو عن شيخه علم الاعلام وشيخ الاسلام ابي النخبة مصطفى بن عبد الكريم ، وهو عن شيخ الاسلام صدر الحنفية ، وباثّ هذا المذهب بالديار التونسية ، ابي العباس احمد الشريف الاندلسي .

واخذ عنه جماعة من اعيان المذهبين ، كالشيخ الفقيه النبيه الفرَضي ابي محمد حمّودة بن محمود ، والشيخ الفقيه النبيه ابي محمد حمّوده باكير الامام ، والشيخ الفقيه ابي الحسن علي شندرلي ، وهؤلاء من الحنفية ، ومن المالكية الشيخ العلامة حامل راية مذهب مالك ومفتيه الآن ابو عبد الله محمد المحجوب ، والفاضل المحقق ابو عبد الله محمد الدميني قاضي الكاف كان ، والمحصل ابو زيد عبد الرحمان الفوراتي قاضي صفاقس كان ، والبارع المحقق للعلوم العقلية والادبية ، الناظم الناثر ، ابو محمد حمودة ابن عبد العزيز ، وهو المترجم له في تاريخه « الباشي » ، في الجماعة الذين قال فيهم لا يشق غبارهم ، ولا يجارى مضمارهم ، واليهم تضرب اكباد الابل ، بقوله : وشيخنا المحقق المفتي الاكبر ابي عبد الله محمد بن حسين بيرم عالم الحنفية بالمغرب ، غير مدافع ، ومن لم يوجد فيهم مثله منذ زمن شاسع .

وله من التآليف اختصار « انفع الوسائل » المسمى « ببغية السائل » ، ورسالة في « السياسة الشرعية » ، وتقريض على شرح العلامة ابي النخبة مصطفى الطرودي على الرسالة « العبادية » في العروض ...» . وذكَرَه ، ولا حاجة لنا بنقله ، ولا ننقل ما بعده ، ثم قال : « واكتفيت من نظمه ببيتين نظمهما في تقريض « مقدمة ابن هشام » ، قبل موته ، وهو في غاية المرض ، بنحو سبعة ايام ، فانه لما رأى ذلك الكتاب بيد ابني محمد زاد الله في علمه وتوفيقه ، اذ كان يقرأ فيه اذ ذاك ، وهو صغير ، أمره فكتبهما على ظهره ، وهما :

لله در امام حاز كل ثنا ... وكل فخر ونال الفضل اكمله

سمّى القواعد هذا الجمعَ قلت إذا ... ان القواعد جمع لا نظير له

وابيات كتبها اجازة لاخينا العلامة مفتي المالكية ، المنفرد بتحقيق ذلك المذهب في البلاد المغربية ، ابي عبد الله محمد المحجوب ، وقد كان استجازه ، وهو بحال مرض ،

فبعث اليه باجازة العلامة ابي العباس احمد بن مبارك لشيخه الحافظ ابي العباس احمد لمكودي ، واقتصر على قوله :

اجـزت ابا عبد الاله محمـــدا بمحجوبَ يُدْعَى فخرَ مذهب مالك
بما قد اجاز الشيخ لي وَهُو الذي اجـاز له العـلامة ابن مبـارك
ومـا كنت اهلا ان اجيز وانما لمرغوب من أحببت لست بتـارك
وعذرا لترك البسط اذ حـال دونه عـوارض اسقـام بجسمـي فواتك
وأسأل من مولىً تـواتـر فضلـه لنـا ولكـم هـديا لخيـر المسالك

انتهى محل الحاجة » . الى ان قال : « واتى الوالد الاجل المحتوم ، وانتقل الى رحمة الحي القيوم ، يوم الاربعاء آخر شوال عام 1214 اربعة عشر بعد مائتين والف (26 مارس 1800 م.) ، فاستكمل من العمر اربعا وثمانين ، واقام في الفتوى خمسا واربعين ، وكتب على ضريحه من انشاء الشيخ العلامة المحقق ابي حفص عمر المحجوب قاضي المالكية والخليفة بالجامع الاعظم كان ، رحمه الله تعالى ، وهو :

أحسن عـزاء القـائليـن وأرخـوا لـهَفـا لحامـل مذهـب النعمان (1)

انتهى بلفظه ، مع اختصار ما نبهنا عليه . وقبره في تربته قرب داره الشهيرة .

وانما ذكرنا الترجمة بطولها ، لانها لا تخلو عن فوائد تاريخية .

ثم ان صاحب الترجمة توفيت زوجته ، وألح عليه الباشا علي باي بن حسين ، وزوجه بجارية من حظايا داره ، بعد أن أعتقها ، وجهزها ، فتزوج بها في بستانه بمرناق ، وأولدها ابنه العالم الفاضل ابا النخبة مصطفى بيرم ، وهو الآن من اعيان المفتين ، وامام الجامع اليوسفي ، كثّر الله في علماء الامة من امثاله وامثال بنيه .

31 ـ حمـودة الـوحيشي

العالم الفقيه حمودة بن محمد الوحيشي القيرواني .

نشأ هذا الفاضل في زاوية احترامه ، وانثالت عليه بركة جده ، فانقطع الى العلم ، واخذ عن اعلام القيروان ، كالشيخ حمودة عطاء الله ، والشيخ الخنقي ، وغيرهما ، وتقدم لخطة القضاء ببلده ، فأبان بسيرته ، ما اودع الله في سريرته .

(1) وقعت مقارنة المنقول من هذا النص بمخطوطة من رسالة الشيخ بيرم الثاني المشار اليها .

وكان خيرا عفيفا ، حسن الاخلاق ، كريم النفس ، محببا لاهل بلده .

وتوفي في ذي الحجة من سنة 1214 اربع عشرة ومائتين والف (افريل — ماي 1800م.) واعقب ابنا لاحت عليه سيماء النجابة في العلوم ، لولا عائق الاجل المحتوم .

[32 — عبد الله التميمي]

الكاتب عبد الله التميمي .

احد اعيان الموثقين بالحاضرة . كان فقيها مشاركا ، له معرفة بالفرائض وصناعة الانشاء ، تقدم لديوان الانشاء ثم انفصل عنه ، وبقي في وجاهته ينتحل صناعة التوثيق ، الى ان توفي سنة 1214 أربع عشرة ومائتين والف (1799/1800 م.) .

[33 — محمد عيسى]

ابو عبد الله محمد عيسى

هو من اعيان بلدية الحاضرة ، المرتزقين بالفلاحة ، وله بها معرفة مذكورة ، اقتضت ان تقدم بسببها امينا .

وكان مقربا عند الباشا ابي الحسن علي باي ، يعتمد رأيه في الاسباب الباعثة على عمل الفلاحة ، التي اعظمها العدل في قبول الاعشار ، وأرى مصداق ذلك عيانا للباي ابي محمد حمودة باشا ، فقال له : « ان العَشّارين يأخذون لانفسهم شيئا كثيرا زائدا على ما التزموا به ، وها انا التزمه ، ولا نأخذ لنفسي زائدا ، واذا لزمتني خسارة فهي علي » ، فأسعفه لذلك ، وظهر سر ذلك عيانا ، وكثر البذر ، فكثر العشر . ثم ان بعض الشياطين زاد عليه ، فكلمه الباي في ذلك ، فقال له : « ان الذي ابتدع هذه اللزمة ، لا شك انه في النار ، وانا فعلت ذلك لوجه الله وتقربا اليه » ، وسلم ، وظهر بتسليمه ما توقعه من النقص ، فراوده الباي على الرجوع فامتنع .

وكان وجيها خيِّرا ، نقي العرض ، صادعا بالحق ، من غير مبالاة ، سَوِيّ الظاهر والباطن ، جِدّيّ الطبع .

ولم يزل على حاله ، الى ان توفي سنة 1214 اربع عشرة ومائتين والف (1800 — 1799 م.) . رحمه الله تعالى وعفا عنه .

[34 ـ على الجزيرى]

ابو الحسن على الجزيرى .

اصله من ابناء جند الجزائر ، ولد بالحاضرة التونسية ، ونشأ في خدمة الباي حسين بن علي ، وقاسى مع اولاده ألم الغربة بالجزائر .

وله في الجزائر اسم معروف ، وابلى البلاء الحسن في حروب وهران مع الصبنيول ، وأبدى من الشجاعة والصبر والاقدام ، ما لم يزل حديثه ، وجاء مع ابناء الامير حسين بن علي لتونس حين عادت الكرة لهما ، وابدى من الشجاعة ما صار مثلا ، وتقلد الخطط النبيهة ، كالاعراض ودار الجلد وغيرهما .

وكان شجاعا مهيبا ، خيرا وجيها ، ذا جدٍّ وحِدّة ، ومع هذه الحدة كان رقيق القلب . يحكى انه في مَحَجٍّ حوانيت عاشور ، سمع بمكتبه المعلّم يضرب صبيا صغيرا ، وأكثر من ضربه ، فارسل اليه ، وقال له : « اى ذنب لهذا الصغير ، الذى بالغت في ضربه ؟ » ، فقال له : « لم يحفظ » ، فقال له : « ان بُنيته لا تطيق هذا المقدار ، ولعلك ايها المؤدب لم تعلم معنى الضرب » ، وجلده بنفسه ، واوجعه ، واستحسن الحاضرون ذلك ، ولعمري انه حسن ، لان تأديب الصبيان له حد محدود في الشريعة المطهرة . وسمع الامير بذلك ، ولم ينكرها عليه .

ولم يزل على هذا الاجلال ، الى ان صار لرحمة الرب المتعال ، في السابع عشر من ربيع الثاني سنة 1215 خمس عشرة ومائتين والف (الأحد 7 سبتمبر 1800 م.) . ودفن بتربته المعروفة .

[35 ـ رجب بن عياد]

رجب بن قاسم بن عياد .

نشأ هذا الرجل في بيت خدمة ووجاهة ، ورفاهية ونباهة ، محبا لمخدومه ، ناجح المساعي . واستكفى به مخدومه حمودة باشا في بناء بوغاز حلق الوادى ، وتقلب في الولاية النبيهة . وله فضل وكمال ، واثر يذكر .

ولما شرع في بناء داره المعروفة به ، احتاج لدار استولى عليها الخراب ، وهي حبس ، فأذن القاضي بمعاوضتها ، وهو يومئذ ابو عبد الله محمد بن محمد بيرم ، وبعد تمام المعاوضة ،

حجر عليه التصرف ، حتى يجعل مال المعاوضة تحت يد امين القاضي ، فقال : « احسن الله الى الشيخ ، حيث احتاط بجانب الحبس ؛ لاننا معشر المخازنية لا امان لنا ، فيقبح ان نكون امناء على ما في ذمتنا ، ونحن غير آمنين في انفسنا » ، واشترى في اليوم دارا باكثر من ضعف القيمة ، وبعث له برسمها ، وطلب رسم المعاوضة ، وتم مراده .

وله في الكرم اخبار مأثورة . وكان راجح العقل ، حسن اللقاء ، لين العريكة ، ندىّ الكف ، فصيح اللسان ذا همة عالية .

ولم يزل على وجاهته ووقاره ، الى ان توفي سنة 1215 خمس عشرة ومائتين والف (1800/01 م.) . وترك ابنا مغفلا ، وله عقب .

[36 ـ مصطفى خوجة]

الوزير الشهير مصطفى خوجة .

سمعت ترجمة هذا الفاضل من والدي ، ومن شيخنا وشيخ شيوخنا القاضي اسماعيل التميمي ، وغير واحد .

اصله من بلاد القرج ، جاء صغيرا الى الباشا علي بن محمد ، وشمس دولته مصفرة من وَجَلِ غروبها ، ولما انقرضت دولته ، وتفرق جمعه ايدي سبا ، سكن هذا الفاضل بالمدرسة الباشية ، قرب الجامع الاعظم ، وقرأ شيئا من مبادىء العلوم ، سادّا رمقه بصناعة تسفير الكتب ، ثم اصطفاه الباشا علي باي بن حسين ، واستخدمه ، ورأى منه النجابة والامانة والوقار ، فقرّبه نجيا ، واولاه خطة خزنة دار ، وزوّجه بنته ، فماتت في عصمته ، ثم زوجه بأختها وهو شيخ ، فمات عندها .

ونشأ الباي حمّودة باشا في كفالة تربيته ، وهو حارس شبابه من جهة أبيه ، وكان يوقره ويرمقه بعين المهابة والاحترام . ولاهل هذا البيت محبة فيه واجلال ، يقفون عند رأيه ولا يقطعون امرا دونه ، تيمنا برأيه ، وتعقبهم الندامة ان خالفوه ، لانه يشير عليهم بنظر العقل ، لا بنظر الهوى .

ثم طلب من سيده ان يسرحه لاداء فريضة الحج ، فسرّحه بعد لأْيٍ ، وجهز له مركبا ، تُبَلّغه وتبقى بالاسكندرية ، ليرجع فيها . ولما قضى فريضته رجع ، وفي مدة سفر رجوعه توفي الباشا علي باي ، وقام ابنه مقامه ، فبلغ حلقَ الوادي بُعَيْدَ موته ، وبه سمع

الخبر ، وقال : « لو بلغني نعيه ، وانا بالاسكندرية ، ما قدمت حتى انظر الحال » ، والحال ان المتولي ابن تربيته ، ومنزلته في هذا البيت منزلة الاب البر الشفيق ، فانظر حال الوزراء في الملك المطلق ، الذي لا ينبغي الا لله الواحد الخالق ، كما تقدم في العقد الاول من المقدمة .

ولما نزل البر تيمن ابنُ تربيته لقدومه ، واستكفى به في عظائم الامور ، واقامه مُقامه لما سافر ، وفتح الآذان الواعية لنصائحه وان خالفت هواه ، واستكفى به في حرب طرابلس على مرضه وكبر سنه ، كما تقدم في الباب الاول من هذا الكتاب .

وكان خيّرا عفيفا ، متأنيا في موضع التأني ، قوي الفكر ، سليم الصدر ، مأمون الغيبة ، منصفا من نفسه ، متواضعا وفيّ العهد ، مقتصدا بعيدا عن السرف ، وكان ضيق النفس ، بعيدا عن المداهنة ، لا يكاد يتجاوز ، ولا يعقب لذلك حقد ، واهل عصره يتجاوزون له ذلك ، ويحتملونه احتمال الابناء من الآباء ، سريرة طيبة ألبسه الله رداءها ، قليل الفصاحة في الخطاب ، وان كان المقصود منه الفعال ، لا تزيين المقال .

وعاش قرير العين مرفع الشأن ، محببا الى عباد الله ، وحب الله موصول بحب عباده ، الى ان توفاه الله بعد فسيح من العمر ، عصرَ يوم الجمعة الثاني والعشرين (1) من جمادى الاولى من سنة 1215 خمس عشرة ومائتين والف (10 اكتوبر 1800 م.) ، ودفن في تربته المعروفة بتونس ، وساء الناس فقده ، ولم يعقب ولدا ، ويقال انه طلب من زوجه بنت الباشا علي باي ، التي توفي عندها ، أن لا تتزوج بعده لتكون زوجته في الدار الدائمة .

وله حبس على مواليه ، عاشوا فيه ، هم وابناؤهم ، لهذا العصر ، رحمه الله تعلى .

[37 ـ محمد طاطار]

ابو عبد الله محمد طاطار .

هذا الرجل من أحفاد الداي طاطار المتقدم ذكره .

نشأ في وجاهة ، وتقدم للخطط العرفية ، كوكالة السور والابراج ، ونحو ذلك في الحاضرة ، وباشر اعماله بصلابة وشدة ، وله مكانة عند امير عصره ، تقتضي الوثوق به.

(1) هو 21 حسب التقويم .

وكان وجيها حازما ، صادعا بالحق ، ذا وقـار .

ولم يزل على حاله الى ان توفي سنة 1215 خمس عشرة ومائتين والف (1800/01 م.) ودفـن بتـربته من الجـلاز .

[38 ـ محمد البـــارودى]

الشيخ المفتى ابو عبد الله محمد ابن الشيخ المفتى ابى عبد الله حسين البارودى .

ترجم له شيـخ الاسلام ابو عبد الله محمد بيرم الثانـي في شرح نظمه للمفتيـن من الحنفية ، بما لفظه : « فـكـان فقيها جليلا ، بارعا نبيلا ، محققا فروعا ، حسَن المشاركـة أصولا ، آية كـبرى في فصاحة اللسان ، في تلاوة القرءان ، يلين لها ولخطبته كـل جلمود ، اذ قد أوتِـيَ مزمارا من مزامير داود .

أخذ العلم عن جماعة كوالده ، والشيـخ حمودة بن محمود ، والشيـخ علي شندرلي ، وخاتمة المحققين الشيـخ صالح الـكـواش ، والعلامة المفتـي ابـي عبد الله محمد الدرنـاوي ، وامام النحو في عصره ابـي العباس احمد السويسـي . واتقن التجويد عن والده ومؤدبه الذي انتهت اليه الامامة في هذا الفن الشيـخ حمّودة ادريس .

ودرّس بالشماعية نيابة عن والده في حياته ، واستقلالا بها بعد وفاته . أقرأ بها « صدر الشريعة » ، حضرت له يوم ختمه اياه ، وقد كـتب على آخره كـتابة جيدة ، ألقاها يومئذ . وشرع بعده في اقراء « الدرر » ولم يـكمله . والف رسالة في مسائل الحيطان ، قرظتها له .

وما زال يفتـي مع والدي ، الى ان توفي ، وأقمت مفتيا مع الشيـخ محمد البارودي الى ان توفي الى رحمة الله تعالى ، ضحى يوم الثلاثاء سادس عشر (1) اشرف الربيعين من عام 1216 ستة عشر ومائتين والف (28 جويلية 1801 م.) .

وكـتب على ضريحه من انشاء الشيـخ ابـي حفص عمر المحجوب » . انتهى بلفظه .

قلت : وله عقب تَسَنَّمُوا ذرى المنابر ، وبعضهم تقدم للفتوى . وصاهره البـاي ابو محمد حمّودة باشا على بنته ، وأولدها ولدا مات في حياته ، وتوفيت بعد زوجها ، ودفنت بتربـة آلـه .

---

(1) هو 17 حسب التقويم .

[39 ـ أحمـــد الابى]

ابو العباس احمد الابى الحنفى

نشأ في عفاف ، وحصل ملكـة علمية ، وتصـدر لصناعـة التوثيـق ، وتولى شهـادة اوقاف الحرمين ، وهـي من الخطط النبيهة في الحاضرة .

وكـان نزيه النفس ، نقـي العرض ، معدودا في الاعيـان ، الى ان توفي في جمادى الاولى سنة 1216 ست عشرة ومائتين والف (سبتمبر — اكـتوبر 1801 م.) .

[40 ـ محمد بن عبيـد الغريـانى]

ابو عبد الله محمد بن محمد ابن الشيخ عبيد الصغير الغريانى القيروانى .

هذا الفاضل من بيت رفيـع عماده ، كـثير أمجاده . وله في مدينة الصحابة مجـد شامخ ، وذكـر راسخ . وزاويتهم في القيروان مشهورة ، واخبارها مذكـورة .

اقبل هذا الماجد على العلم فاخذ عن جده العلامة الخطيب الشيـخ عبيد الصغير ، وغيره من اعلام بلده . ثم ارتحل الى تونس ، فأخذ عن اعيان كالشيـخ قاسم بن عاشور وغيره . ثم ارتحل لاداء فريضة الحج ، فأخذ عن الشيـخ الامير بمصر ، ثم رجع لوطنه .

وكان عالما محدثا ، فقيها خيرا ، وجيها ماجدا ، مستغنيا عن الخطط بزاويته ، وعن اسباب الاحترام بوجاهته وسمعته .

ولم يزل على حاله ، سالـكـا نهج آله ، يرفل في حلل كماله ، الى ان توفي سلـخ رجب الفرد الاصب من سنة 1216 ست عشرة ومائتين والف (اوائل ديسمبر 1801 م.) ودفن بزاويتهم في القيروان .

[41 ـ عمر أبـو حديبـــة]

ابو حفص عمر ابو حديبة الترغوتى القيروانى .

نشأ هذا الفاضل في طلب العلم ، واخذ العلم عن علماء القيروان . ثم ارتحل الى الحاضرة فاخذ عن علمائها ، ثم آب لوطنه ، يبث العلم . وتقدم لخطة القضاء ببلـده ، فقام بحقها ، وأوصل الحقـوق لمستحقها .

وكان عالما عفيفا ، وجيها نقي العرض ، محمود الاثر ، الى ان توفي في ربيع الثاني من سنة 1217 سبع عشرة ومائتين والف (اوت 1802 م.) .

[42 ـ محمد الطويبى]

ابو عبد الله الشيخ محمد الطويبى ، قاضي الحاضرة

نشأ هذا الفاضل في طلب العلم ، وأقبل عليه استفادة ثم افادة .

ودرّس بالجامع الاعظم ، فانتفع الناس به . وتقدم لخطة القضاء مع امامة الجامع الاعظم ، لما توفي الشيخ محمد سويسي ، فجلّى في مضمار الخطتين ، واخذ فيهما الراية باليمين ، ولازم الجامع ببيت بدُوَيْرَتِه لصلاة الصبح والعشاء ، فصيح الخطبة ، جهوري الصوت ، يستميل الاسماع والقلوب ، ويؤثر وعظه الهدى المطلوب .

وكان هذا الفاضل عالما فقيها ، منصفا صادعا بالحق ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، حافظا لناموس الخطة ، وقور المجلس قليل الخلطة ، شديدا بغير عنف ، هيّنا بغير ضعف ، أعطى الخطة واجبها .

سمعت ترجمته بابلغ من هذا ، من شيخنا الراوية القاضي اسماعيل التميمي .

ولم يزل على هذه الاوصاف الزكية ، الى ان لبى داعي المنية ، في تاسع شوال من سنة 1217 سبع عشرة ومائتين والف (الاربعاء 2 فيفري 1803 م.) .

وترك اولادا على قدمه ، أحدهما يأتي ذكره ان شاء الله تعالى ، في هذا الموضوع ، والآخر قائم بخطة القضاء بجبل المنار .

[43 ـ حمزة الجباس]

الشيخ ابو يعلى حمزة بن محمد الجباس .

نشأ هذا الذكي بالحاضرة ، واخذ عن أعلامها كالشيخ الشحمي والشيخ صالح الكواش وغيرهما .

وتصدر للتدريس ، فافاد واجاد ، وعد من الجهابذة النقاد ، لا سيما في النحو .
سمعت ترجمته من تلميذه شيخنا امام الاعلام ابي اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي .

وكان نزيه النفس ، ألمعيّ الفكر ، فصيح اللسان ، عذب البيان .

ولم يزل في وقار التدريس ، ينشر الدر النفيس ، محمود السجية ، والخلال المرضية ، الى ان رفعته وهو في سن الكهولية يد المنية سنة 1217 سبع عشرة ومائتين والف (1802/03 م.) ، رحمه الله .

[44 ـ محمد الكيلانى]

الشيخ ابو عبد الله محمد الكيلانى .

اصله من طرابلس ، وقدم الى الحاضرة في طلب العلم ، فاستفاد وافاد .

وتصدر لخطة التوثيق ، فكان من رجالها ، وفرسان مجالها . سمعنا ترجمته من شيخ الشيوخ ابي الفداء القاضي اسماعيل التميمي .

وكان فقيها موثقا عفيفا ، حسن الاخلاق ، عربي السجية ، بعيدا عن التصنع ، وفيّ العهد ، الى ان توفي في سنة 1217 سبع عشرة ومائتين والف (1802/03 م.) ، وترك ابنا جلى في مضمار العلم والادب ، رحمه الله تعالى .

[45 ـ حسونة مارية]

ابو محمد حسونه مارية .

ولد هذا الرجل بتونس ، وهو من ابناء عسكر الترك بها ، وخدم في الدولة ، وترقى في منصات الخدمة ، الى ان صار باش آغة الوجق التونسي .

وكان وجيها خيِّرا ، نقيّ العرض ، لم يُذْكَر بسوء .

توفي في الثامن عشر من جمادى الاولى سنة 1218 (الاثنين 5 سبتمبر 1803 م.) ثماني عشرة ومائتين والف .

[46 ـ على فارح]

الشيخ ابو الحسن على فارح .

نشأ هذا الرجل في بيت خير وعفة ، وهو من حفاظ القرءان ، المتعبدين بتلاوته في غالب أوقاتهم ، وصار شيخ القراء بالجامع الاعظم .

وكان خيِّرا عفيفا ، وجيها جديّا ، سالكا سبل الخير ، وأعْظِمْ بمنقبة تلاوة القرءان ، فأهله أهل الله .

ولم يزل على حاله الى ان توفي في شعبان سنة 1218 ثماني عشرة ومائتين والف (نوفمبر — ديسمبر 1803 م.) ، رحمه الله تعالى .

[47 ــ صالح الكواش]

ابو الفلاح الشيخ صالح بن حسن الكواش .

سمعنا ترجمة هذا العلَم ممن لا ينقطع بهم عملُه ، وهم تلاميذه الذين أدركناهم ، كبركة العصر ابي اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، والعالم الراوية ابي الفداء القاضي اسماعيل التميمي ، وغيرهما من تلاميذه .

ومحصلها ان هذا الشيخ أصله من الكاف ، وسبب هذا اللقب ، أن والده كان يحترف بِكُوشَةٍ قرب سيدي المِشْرِفْ بتونس ، فولد ابنه هذا ، على ما قال ابنه ، في ربيع الاول من سنة سبع وثلاثين ومائة والف (نوفمبر — ديسمبر 1724 م.) ، وحفظ القرءان ، واخذ العلم عن اعلام ذلك العصر كأبي عبد الله محمد الغرياني ، وأبي الحسن سيدي عبد الكبير ، والقاضي أبي محمد حمُّودة الريكلي الاندلسي ، وابي العباس احمد اللعلاع ، وابي عبد الله محمد بن حسين بيرم ، وغيرهم .

وانتفع به الناس انتفاعا بقي أثره ، وشاع خبره ، في العلوم المعقولة والمنقولة ، وصار مناخ رحال الطالبين ، ووجهة السائلين ، فتوجهت تلقاء مدينة الاطماع ، وامتلأت باحاديثه الاسماع ، وما على الصبح غطاء ، ولا على الشمس قناع .

ثم خرج بالحاضرة تحت جناح الاختفاء ، من زاوية الولي سيدي منصور بن جردان ، فرارا من سطوة الباي علي باشا بن محمد ، المتقدم خبره ، لانه توسم فيه الميلَ لبني عمه ، وهم اذ ذاك بالجزائر ، فتوجه لطرابلس ، ومنها لازمير ، ومنها لاسلامبول ، ونال بها الحظوة والشهرة في تلك المدينة ، ونزل في قلب شيخ الاسلام وداره بالمكانة المكينة ، وجرت بينهما مباحثات يطول ذكرها ، وطلب منه ان يشرح الصلاة المشيشية ، فشرحها شرحا أعجب به اهل القسطنطينية . ورام الاقامة بها لما لاقى من الثروة والاقبال والتعظيم ، كما هي عادة تلك الحاضرة ، عمرها الله ، مع اهل العلم ، ثم كاتبه ابو عبد الله محمد باي

ابن حسين ، وطلب منه القدوم لتونس ، واكد عليه ، وحب الوطن من الايمان ، فقدم ، فقبله احسن قبول ، بما يجب لمقامه العلمي .

ثم ان الشيخ اتهم بمقال سوء في جانب الباشا علي باي الحسيني ، فنفاه الى منزل تميم ، وبقي بها شهرا ، ثم سرحه ، وأمر أن يؤتى به اليه ، قبل الوصول لداره ، فجيء به اليه معظما مكرما ، فقام له ، وأجلسه حذوه ، وخلع عليه ، وحباه .

وبات عنده ، وواكله وباسطه ، الى أن قال له : « أيها الشيخ نطلب منك ان تسامحني » ، فقال له الشيخ : « لا افعل ، والموقف بين يدي الله » ، فاعتذر الباي بان أناسا بلّغوا اليه ما غيّره ، وحرك غضبه ، فقال له الشيخ : « العذر اقبح من الذنب ، لان الله ولاّك امرنا ، فتسمع فينا الاقاويل ، وتعاقبنا قبل سماع جوابنا ، والله يقول : يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ (1) » ، ولم يزل الباي يلاطفه ويعتذر اليه ، الى ان سامحه في تلك الليلة ، ومن عفا واصلح فأجره على الله .

وكان هذا الشيخ نادرة الدهر في الحفظ وثقوب الفكر ، والفصاحة والاجوبة المسكتة ، وثبات الجأش في تغيير المنكر ، لا يخشى في الله لومة لائم .

يحكى ان اهل المجلس الشرعي يتقون شدته ، الى غير ذلك من اوصافه المشكورة، وحسناته المذكورة ، واحاديثه المنشورة .

وكانت بيده المدرسة المنتصرية ، ومن أوقافها دار بقربها لسكنى شيخها ، فتداعت ، وتعسر اصلاحها من الوقف لضيقه ، فأتى الباي حمودة باشا ، فأعظم مقدمه ، وقام لتلقّيه ، واجلسه حذوه ، فقال له : « ان والدك علي باي أولاني المدرسة المنتصرية ، وانا ساكن بدار وقفها ، فتداعت وتعذرت السكنى بها ، والحبس لا يفي ، ولي حق في بيت مال المسلمين » ، فقال له الباي : « نبني لك من الغد دارا على ما تريد ، ونشتري لك ما ترضاه من الدور ، وتكون ملكا لك ولابنائك ، وهذه الدار تبنى من الوقف » ، فقال له الشيخ : « ليس هذا من محاسن الاخلاق ، دار سكنّاها حتى سقطت ، لا نتركها لفائدة تخصني ، ليس هذا من الوفاء » ، فراجعه الباي ، فاصر على مطلبه ، فأمر ببنائها في الحين ، وخرج الشيخ بأهله واثاثه ، وسكن بدار تلميذه الكاتب الوجيه ابي عبد الله

(1) س 6/49 .

محمد المسعودي ، وأتاه تلميذه باهله وصبيته يخدمونه ، وسكن بدويرة صغيرة في سقيفة الدار ، وتكفل الوزير ابو المحاسن يوسف صاحب الطابع بذلك ، فكان كثيرا ما يأتي بنفسه لينظر حال العملة ، عناية بالشيخ ، الى ان تم البناء في نحو شهرين ، ورجع الشيخ الى داره ، الى ان انتقل منها الى دار البَقَا ، والدار الآخرة خير وأبقى ، عشيةَ يوم الاثنين ، ودفن صبيحة يوم الاربعاء التاسع عشر من شوال سنة 1218 ثماني عشرة ومائتين والف (1 فيفري 1804 م.) ، وقبره معروف ، قرب الامام ابن عرفة .

وانطلقت ألسن الادباء في مراثيه ، وكتب عليه من شعر تلميذه ابي العباس احمد زَرُّوق الكافي ، وبيت التاريخ :

وقال الورى قد مات علامة الورى فأرِّخْ : يموت العلم ان مات صالح

[48 ـ محمد الطوير]

ابو عبد الله محمد بن عبد اللطيف الطوير القيرواني .

نشأ بين يدي أبيه المتقدم الذكر ، واخذ عنه العلوم ، وعن غيره من اعيان القيروان .

وتقدم لخطة الفتوى ، وكان وجيها فاضلا اديبا فقيها ، ما شئت من مكارم أخلاق ، على طيب أعراق .

ولم يزل على حاله المعهود ، الى آخر أنفاس الاجل المعدود ، في رجب من سنة 1219 تسع عشرة ومائتين والف (اكتوبر 1804 م.) .

[49 ـ محمود الوزير]

الحاج محمود بن احمد الوزير الاندلسى .

نشأ هذا الوجيه في بيت نباهة من أعيان الاندلس ، يحفظ القرءان كغالب اهل بيته ، مقبلا على شأنه وتجارته ، بعيدا عن التصنع وشَارَتِه .

وكان خيرا عفيفا ، معروف القدر ، محمود السيرة ، ذا وقار وهمة عالية ، حسن الوجهة مع الله تعالى ، الى ان توفي في رجب من سنة 1219 تسع عشرة ومائتين والف (اكتوبر 1804 م.) ، وترك عقبا محمود السيرة .

[50 ــ مصطفى البـارودى]

الشيخ المفتى مصطفى ابن الشيخ المفتى محمد البارودى .

ترجم له شيخ الاسلام ابو عبد الله محمد بيرم بما نصه : « كان فصيحا جيد القريحة ، أخذ عن والده ، وجمع سواه ، منهم العبد الفقير ، قرأ عليّ رُبُعَ « الدرر » الا ان المرض عرض له في حال صغره ، فعاق هلالَه عن الكمال . توفي أبوه وهو مريض ، فوُلِّيَ جميع وظائفه ، بعد ان كان وُلِّيَ في حياته خطبة الجامع الباشي ، عوضا عن اخيه المرحوم الذكي الزكي ابي عبد الله محمد .

ولم يزل به مرضه ، الى ان نقله غُصْنَ شباب ، الى التراب ، فتوفي الى عفو الله تعالى ليلة الثلاثاء سابع عشر (1) شعبان من عام 1219 تسعة عشر ومائتين والف (20 نوفمبر 1804 م.) واعقب ابنا من نجباء الابناء ، يأتي خبره ان شاء الله تعالى .

[51 ــ عمر المرابـط]

الحاج عمر المرابط القيروانى .

هذا الرجل من أماثل القيروان ، كان سرّاجا ، وتعلق بخدمة اولاد الباي حسين بن علي ، وغرّبَ معهما ، وكان في الجزائر يخدم السروج ، ويأتي بربح عمله الى مخدومه محمد باي ، ما دام بالجزائر ، وقدم معهما لتونس ، ونال الحظوة ، وتولي بسوسة ، ثم نقل الى ولاية القيروان .

وسافر بركب الحجاج من القيروان في حدود سنة 1180 ثمانين ومائة والف (1766/67 م.) ، وحصل بذلك شهرة وعناية ، اقتضت ان الباي حمودة باشا ، قدم ابنه لولاية القيروان ، في حياة ابيه ، وهو صغير .

ولما اراد توديع الباى ، قابله في اصطبل مراكبيه ، فقال له : « اختر فرسا من هذه الخيل » ، فاختار ما استحسنه ، ولما ناوله الطابع ختم عليه ، وقال له : « بلّغه لابيك على هذه الحالة ، وافعل ما يأمرك به » ، وهذا يدل على سنّه اذ ذاك .

---

(1) هى 16 حسب التقويم .

وكان والده راجح العقل ، خيرا وجيها ، متأنيا متثبتا في الامور ، حنكته التجارب ، خاطبا مودة اهل القيروان ، والتحبب اليهم بتعظيم اعيانهم ، وعيادة مرضاهم ، وتشييع جنائزهم ، وحضور ولائمهم ، الى غير ذلك مما سمعته من ابنه ومن أبي .

وطعن في السن ، وقيده الهرم ، ولم يزل على حاله الى ان توفي اواخر العشرة الثانية من القرن الثالث عشر (اوائل سنة 1806 م.) ، وله عقب بالقيروان ، تقلبوا في الخدمة ، لو ساعدهم الجد .

[52 ــ حسونة بوكراع]

الفقيه حسونة بن محمد بوكراع .

هذا الفقيه من بيت نبيه في الحاضرة ، له مشاركة علمية ، لا سيما الفرائض .

تصدر للتوثيق ، وتقدم لشهادة الديوان ، وكانت من أنبه الخُطط في تونس ، ولصاحبها نوع امتياز في زيه .

وكان وجيها خيرا ، فقيها فاضلا ، حسن الاخلاق .

ولم يزل على حاله ، الى ان توفي في جمادى الثانية من سنة 1220 عشرين ومائتين والف (اوت ـ سبتمبر 1805 م.) .

[53 ــ أحمد بن الامين]

الشيخ احمد ويدعى حمادة بن الامين .

هذا الشيخ من أنبه بيوت الحاضرة . نشأ في عفة وولوع بالقرءان العظيم وروايانه ، وتقدم في هذا العلم ، وحاز قصب السبق في مضماره ، مع مشاركة في غيره ، اذا زَيَّنَ صوته ببلاغة آي القرءان ، خرّ السامعون الى الاذقان ، وخشعت القلوب ، وانفتحت الآذان .

وانكر عليه الشيخ صالح الكواش كيفية اعادة الكلمة من الآية ، لاختلاف الرواية ، وهي طريقة يلجيء اليها طلب الاختصار في التعليم ، وبالغ بالانكار عليه ، ووقف رافعا صوته بذلك في الجامع ، فلم يكترث بانكاره ، واستمر في درسه على طريقته وطريقة امثاله ، من علماء التجويد ، هذا ، والجامع غاصٌّ بالمصلّين وقت الظهر .

وكان خيرا عفيفا ، وجيها طلق المحيا ، حسن الاخلاق ، ذا سكينة ووقار ، واقتفاء لنهج الاخيار .

ولم يزل على حاله ، الى آن منيته وانتقاله ، في ذي القعدة من سنة 1220 عشرين ومائتين والف (جانفي — فيفري 1806 م.) .

[54 ـ حمودة باكير]

الشيخ الامام حمودة باكير .

هذا الفاضل من مشائخ الباي أبي محمد حمودة باشا ، وإمامه وإمام أبيه .

أخذ عن أعلام ، ودرّس بالجامع الاعظم ، وله في العلوم اليد الطولى . وعاق الناسَ عن الانتفاع بعلومه سكناه بباردو للقيام بخطة إمامة الخمس ، ورواية صحيح البخاري ، في كل يوم .

وكان فاضلا عفيفا ، عالي الهمة ، مرموقا بعين الاجلال والتعظيم ، بعيدا عن التصنع . سمعت من ابنه الشيخ الفقيه ابي الثناء محمود ان فقهاء الحنفية يأتون اليه في موسم العيد ، فاذا رأى احدا منهم غير مكترث بشارات زيّه ، يسأل ابنه عنه ، وعن درسه ، ولا يسأل عن المتصنعين في اللباس ، فقلت له : « لِمَ تسأل عن اولئك ، ولا تسأل عن هؤلاء ؟ » ، فقال : « هؤلاء ذلك مبلغهم من العلم ، واولئك يرجى خيرهم ، لان هممهم مصروفة الى التقدم بالمعارف ، لا باللباس والزّي ، فالمرء لا يعرف ببرده ، كالسيف لا يعرف بغمده » .

ولم يزل على اخلاقه الزكية ، ورتبته العلية ، الى ان لبّى داعي المنية ، في الخامس والعشرين من ذي الحجة سنة 1220 عشرين ومائتين والف (الاحد 16 مارس 1806 م.) . وشهد الباي وآل بيته جنازته ، وحملوا نعشه الى قبره ، شأن التلميذ البارّ مع الشيخ المربّي الناصح . وحزن الباي وبكى لفراقه مثل والده .

[55 ـ محمد العيوني]

الشيخ الامام الحاج محمد العيوني .

هو من رجال السعادة ، بحُلّتَيْ العبادة والافادة . وكان يجلس للتدريس ، مثل جلوسه للتّشَهّد ، أدبا مع العلم . غلب عليه طريق القوم في التصوف ، وانفتحت له ابواب التّعَرّف ، وكاد ان لا يرى في الوجود ، غير الواحد الموجود ، واطبقت الكافة على التبرك به ، وطلب الدعاء منه .

تقدم اماما ثالثا بالجامع الاعظم ، بعد وفاة الشيخ الطويبي ، ولم يخطب الا خطبة واحدة ، أنابه فيها الشيخ عمر المحجوب الامام الثاني ، وبعدها تغيب مدة ، ثم ظهر ، وتعاظم به الجذب ، وقاده الى الانفراد تارة ، والى السياحة اخرى ، حتى لحق بالرفيق الاعلى وذلك في سنة 1220 عشرين ومائتين والف (1805/06 م.) رحمه الله .

[56 ـ أحمد النفاتي]

الشيخ ابو العباس احمد المدعو بالحاج حميدة النفاتي .

اصل هذا الشيخ من بيت علم وفضل ووجاهة ، وتقلب بنوه في الخطط العلمية من القضاء والفتوى والامامة والتوثيق .

ونشأ صاحب الترجمة على سَنَنِ سلفه ، وله في العلم بضاعة كافية . وتقدم للامامة بجامع التبّانين المعروف بجامع الخطبة وجامع النفافتة ، لكثرة من وُلِّيَه في بيتهم .

وكان خيّرا ، تقيا عفيفا ، فقيها فاضلا ، معتَقَدا ، تحفظ عنه الكرامات . سمعت من أبي انه زار هذا الشيخ ، فقال له : « ان اهلك حامل ، وستلد ولدا أسمه احمد » ، فظهر بوالدتي الحمل ، وسمّاني باسمه تبركا ، والاعمال بالنية ، والله المبلّغ للأمنية .

ولم يزل هذا الشيخ في أطوار إسعاده ، الى ان دعته المنية لمعاده ، ثالث محرم فاتح سنة 1221 احدى وعشرين ومائتين والف (الاحد 23 مارس 1806 م.) ، رحمه الله تعالى .

[57 ـ عبد اللطيف القصار]

الشيخ عبد اللطيف القصار .

هذا البيت من اعيان بيوت الحاضرة الذين لهم ذكر في التواريخ والتآليف العلمية ، كبيت الرصاع ، وبيت القلشاني ، وبيت العصفوري ، وبيت الغماد ، وامثالهم .

وتداول بنو هذا البيت الخطط بالجامع الاعظم ، بعد ان تداول سلفهم الخطط العلمية ، ووصل صاحب الترجمة الى رتبة المزوال اي المباشر لازالة ما يقع بالجامع الاعظم ، مما لا ينبغي ، وهي من الخطط النبيهة في الحاضرة ، وصاحبها محتسب الجامع على القراء والمؤذنين ، وسدنة البيت ووكلاء احباسهم ، يتزيّا بزِيّ الايمة ، وهو الذي يخرج أمام الامام يوم الجمعة ، ويناوله الرُمح ، ويبقى واقفا الى ان يجلس الامام على المنبر ، وهو

الذي يقيم الصلاة في اليوم . واهل هذه الحاضرة ، عمرها الله تعالى ، يتشرفون بخطط هذا الجامع على اختلافها ، من غير نظر لفائدة دنيوية ، ويتنافسون في وراثتها تنافسَهم في ارث الحُطام الدنيوي ، من الآباء والجدود .

وكان صاحب الترجمة فاضلا تقيا ، خيرا وجيها ، معدودا في الاعيان ، له مشاركة علمية ، ووقوف في أحوال الجامع ، ذا وقار ، الى ان توفي في محرم من سنة 1221 احدى وعشرين ومائتين والف (مارس — افريل 1806 م.) ، فقام ابنه ابو الثناء محمود مقامه ، وجرى على سنن ابيه ، وكان غرّا كريما ، والمؤمن غر كريم ، بعيدا عن التصنع . رأيته بزيّ الايمة يوم الختم ويوم العيد .

ولما توفي قام اخوه ابو عبد الله محمد الطاهر مقامه ، على صغر سنه ، وسلمت له هذه الرئاسة ، وهو الآن من أعيانها ، وفرسان ميدانها ، وألزمه امير العصر ، وكالة الجامع ، فامتنع كل الامتناع ، وقال : « لا نسلم في خطتي بالجامع » ، ثم ألزمه الامير ان يقبل التوكيل ، ويبقى على خطته الاولى ، وهو الآن بها ، كثر الله من امثاله .

[58 ـ محمد الاصرم]

ابو عبد الله محمد الاصرم .

اصل هذا البيت من القيروان ، ونسبهم في قبائل الفتح من اليمنية . وخرج صاحب الترجمة هو واخوه مع اولاد الباي حسين بن علي الى الجزائر ، ورجعا معهم ، وتقلبوا في الخطط العالية .

فأما أخوه وهو ابو العباس احمد الاصرم ، المشهور الذكر في الفضل والادب ، و« التاريخ الباشي » مشحون باشعاره ، فتقدم لرئاسة قلم الانشاء ، وألقاب الوزارة . ولما اقبلت عليه الايام ، جاءه داعي الحمام ، وهو على حالة العز والاحترام .

وصاحب الترجمة تقلب في الخطط النبيهة ، كولاية صفاقس ، وله فيها اثر تقدم خبره ، وارسى امره الى ان صار خوجة عسكر زواوة ، وهي من الخطط المشار الى صاحبها ، اذ هو المتصرف في احوال زواوة .

وكان خيرا فاضلا ، وجيها نصوحا ، انفق جاهه في ابواب الخير ، حنكته التجارب ، لا يستغنى مخدومه عن رأيه . وكان الباي حمودة باشا يعرف له فضل التقدم مع ابيه .

ولم يزل على حاله وجلاله المعلوم ، الى ان اتاه الاجل المحتوم ، في الخامس والعشرين من صفر سنة 1221 احدى وعشرين ومائتين والف (الاربعاء 14 ماي 1806 م.) .
وله ابناء احيوا ذكره ، يأتي خبرهم في موضعه ، ان شاء الله تعالى .

[59 ـ أحمد البكاى]

ابو العباس الشيخ احمد البكاى .

كان فقيها ، خيرا عفيفا ، له ملكة في العلوم . وتصدر للتدريس والامامة بجامع سيدي البلاّغ بالحلفاوين ، يقرىء به مبادىء العلوم ، وانتفع بدروسه اعيان منهم شيخنا أبو عبد الله محمد البحري بن عبد الستار ، وكان يقصد نفع العامة والمبتدئين بدروسه .

ولم يزل على حاله متزودا لمآله ، الى حين انتقاله ، في شعبان من سنة 1221 احدى وعشرين ومائتين والف (اكتوبر — نوفمبر 1806 م.) .

[60 ـ عمر المحجوب]

العلامة القاضي ابو حفص عمر ابن العلامة قاسم المحجوب الشريف .

نبغ هذا الذكي من بيت علم وشرف ، واخذ عن والده امام العصر ومرجع الفقه المالكي ابي الفضل قاسم المحجوب وغيره .

يحكى انه بحث مع والده بحثا متجها ، فرد عليه اخوه ، وكان أسنّ منه ، فقال ابوهما : « إرْتَاحْ يا سِيدِي مُحمد ، والله انه على صغر سنه ، اذكى منّي ومنك » ، وصارت مثلا يضرب لكل من يزاحم من فوقه .

وبرع في المعقول والمنقول ، والادب ، وتصدر للتدريس ، والقى النفيس ، وانتفع به اعلام كشيخنا العلامة ابي اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، وكان يطيل الثناء عليه ، آية الله في علم التوثيق والادب .

تقدم اماما ثالثا بالجامع الاعظم مع الشيخ الطويبي ، ثم تقدم لخطة القضاء ، ومع ذلك يكتب للباي ما يحتاجه في مهمات الانشاء ، وخطاب الملوك ، اذ لم يكن يومئذ كاتب بارع سواه .

ولما توجه شيخنا سيدي ابراهيم للسلطنة الشريفة بالمغرب سفيرا عن الباي ابي محمد حمودة باشا في طلب الميرة ، طلب منه الباي ان يكتب على لسان الحال لصاحبه الشيخ ابن شقرون من اعيان تلك الدولة ، بما نص المقصود منه ، بعد صدر بليغ : « وننهي اليكم ، وصل الله حفظكم واسعادكم ، ووفر من كراماته امدادكم ، واطال فيما يزلفكم لديه آمادكم ، وجعل في ذات الله محبتكم واعتقادكم ، أننا لم نظعن عن معاهد المودة ، ولم نبرح عن الثناء على مقامكم من تلك المدة ، ونسائل عنكم الركبان القادمين الينا ، ونبحث عن انبائكم السفر المجتازين علينا ، رعيا لاواشج العلم والادب ، ومبرة للسلسلة التي هي اصح من سلسلة النسب ، فنتشي من اخباركم بما ينشط القلوب والالباب ، ويستخلص من الحمد والشكر خالص اللباب ، وانتم بحمد لله على الحالة التي يرتضيها كمالكم ، وتبتسم بالاعجاب بها آمالنا وآمالكم ، تحت (1) الايالة التي ندعو الله تعلى ان لا يقلص عن المسلمين ظلالها ، وان يسوغكم زلالها . والى هذا نعرفكم ، عرفكم الله عوارفه ، واسبغ عليكم من الفضل مطارفه ، ان حضرة افريقية حاطها الله بعنايته الكافية ، واسبغ على اهلها رداء العفو والعافية ، قد أعوزها الخصب في الاعوام المنفصلة ، وتوالى عليهم الجدب في سنين متصلة ، لا سيما هذه السنة الشهبا ، فانها تلونت لاهاليها تلون الحربا ، وما كشفت النقاب عن عوّارها ، ولا اوضحت لهم مكنون إعسارها ، لكون الزرع قد استغلظ واستوى على سوقه ، ولاحت لهم من الخصب وأضحات بروقه ، فما راع القوم الا إخلاف انوائها ، وتجهم اشد من الصحو لسمائها (؟) ، قضاء من الله مقدرا ، وحكما سابقا في أم الكتاب مدبرا ، ولم يجد القوم ملاذا من هذا الامر ، ولا مفزعا الى ان يكشف الله سبحانه عنهم هذا الضر ، الا ان اوفدوا الانفار المذكورين اعلاه للمَشْوَر الافخم ، والنادي الاعظم ، حضرة مولانا السلطان الشريف ، ذي القدر المنيف ، أعز الله تعالى سلطانه ، وحرس بعين العناية أرجاءه واركانه ، وهولاء القوم ، وان كان بأيديهم مكتوب من اميرنا الباشا ، ايده الله تعالى ، في طلب ابتياع الميرَة ، من ممالك مولانا السلطان ، نصره الله تعالى ، الا انهم في الحقيقة وفد هذا الرعيل من جمهور المسلمين ، أوفدوهم على حضرة مولانا السلطان ، ممتارين قائلين : « مَسَّنَا وأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ » ، ولا جرم انهم أصابوا المرمى

(1) كذا في خ و ع و ف .

واستبصروا ، حين فزعوا لحضرة مولانا السلطان وانتصروا ، وبهمته العالية على القحط استنصروا ، وارسلوا الانفار المذكورين ، وفودا لطلب الميرة وانتظروا ، ونعرفكم بان الاول منهم ، وهو الفقيه المتفنن البارع ابو اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي من نجباء الطلبة الذين اخذوا عنا ، وميزه تحصيله بمزيد الوصية عليه منا ، ولعلكم ، ان شاء الله ، اذا بلوتم نجابته ، واستنفضتم كنانته ، تحمدون في العلوم ذكاءه ، وترضون توغله في معارجها وارتقاءه ، لكنه ربما يتعسر عليه ، فيما هو بصدد سفارته ، الانتاج ، ويجهل في علله الادواء والعلاج ، فالمطلوب من مقامكم ، ووافر عزكم واحترامكم ، ان تكون لهؤلاء الوفد معينا ، وان تقر لنا ولهم بمعونتك عينا ، وتهديهم للظفر بالمقصود سواء السبيل ، وتوضح لهم كيفية الانتاج في هذا الامر على التفصيل ، حتى تترتب لهم الاقيسة المنتجة ، وتنفتح لهم الابواب المرتجة ، ولكم مزيد الدعاء بألسنة الخصوص والعموم ، والثناء بدلالة المنطوق والمفهوم ، والثواب الجزيل في اصطناع المعروف ، واغاثة الملهوف .

والله سبحانه وتعالى يبقيكم ، ومن طوارق الزمان يقيكم ، ولا زال ظل مولانا السلطان ممدودا ، وإرفاده محمودا ، وقطره مقصودا ، وبره معمودا مصمودا ، بمنه وكرمه». انتهى.

وكان فارس المنبر ، وجلّى في الخطب من انشائه ، بما يقتضيه حال الوقت . وكان امير العصر معجبا بخطبه في فصاحتها وبلاغتها ، وحسن إلقائها المؤثر في القلوب ، وكاد ان لا يصلي الجمعة الا خلفه .

وبين صاحب الترجمة والوزير ابي المحاسن يوسف صاحب الطابع مودة وثيقة ، يشاكيه بما يلاقيه من العزبة ، فاقتضى نظر الشيخ انشاء خطبة بليغة ، ذكر فيها وعيد العضل ، وغير ذلك مما ينادي بلسان الحال على الباي حمودة باشا بسوء ما ارتكبه من منع بطانته من التزوج ، ايثارا لمصلحة خدمته على مصلحتهم ، وعلى المصلحة العامة ، ومباهاة الرسول صلى الله عليه وسلم بأمته يوم القيامة ، فحرك ذلك غضب الباي ، وكاد ان يقوم قبل الصلاة ، لولا أناة فيه ، قيدت طبيعة غضبه ، فأسرها في نفسه ، وتوالت على الشيخ الامراض ، وقيدته عن الاغراض ، ومنها خطة القضاء ، فاختار لها شيخنا ابا اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، وفر منها كما سيأتي ان شاء الله تعلى ، وذلك في صفر سنة 1221 (افريل — ماى 1806 م.) ، قبيل وفاة الشيخ .

وكان هذا الامام علما في سائر الفنون ، عزيز المنازع ، عظيم الادراك ، ماضي القلم . ورسالته المتقدمة في الردّ على الوهابي (1) ناطقة بذلك ، عالي الهمة ، صحيح البديهة ، حسن الاخلاق ، وفيا طامحا لقُنَن المعالي .

ولم يزل في شرف نفسه وذاته ، الى آخر نفس من حياته ، وذلك موفى محرم من سنة 1222 اثنتين وعشرين ومائتين والف (الخميس 9 أفريل 1807 م.) ، بجبل المنار ، وجيء به لتربة آلـه بالجلاز .

وترك ابنا له ذكر حسن . وكتب على قبره من إنشاء الشيخ ابي زيد عبد الرحمان الكامل ، نظم عزيز ، مطلعه :

قف واعتبر فهنا ترى الانبـــاء جاءت بـه عن صخرها الخنســاء

وسمعت ترجمة هذا الشيخ من العلامة الراوية ابي الفداء القاضي اسماعيل التميمي ، ومن والدي ، رحمهما الله ، وغيرهما .

[61 ــ رجب بونمرة]

نشأ هذا الرجل في الخدمة الملكية ، وترقى في سلّمها الى ان صار كاهية الوجق التونسي ، وقاد الجنود ، وخفقت عليه البنود ، واستكفى به الباي حمودة باشا في المهمات لشجاعته ، وثقوب فكره .

وكان من رجال ناديه في المشورة ، وهو الذي عارضه حين أراد السفر بنفسه لقسنطينة ، كما تقدم . وأصابه فالج في آخر عمره ، منعه النطق ، ومع ذلك لم يستغن الباي عن مشورته ، ويجيبه بالكتابة .

ولما اقعده العجز ، ولزم كسر البيت ، استشاره الباي فيمن يوليه عوضه ، اذ لا بد للخطة من مباشر ، فاشار عليه بولاية ابي عبد الله محمد الخماسي من خاصته في الشواش ، فاولاه .

وكان كريما وجيها ، عربي السجايا ، بارع الفطنة ، عارفا بمواضع الشدة واللين في السياسة ، ذا همة .

ولم يزل في فراش مرضه ، موَفّى الجراية طبق غرضه ، الى ان توفي في جمادى الثانية من سنة 1222 اثنتين وعشرين (اوت — سبتمبر 1807 م.) .

---

(1) انظر ص 64 من الجزء الثالث .

[62 ــ سليمــان كــاهية الاول]

ابو الربيع سليمان كاهية الاول .

أصل هذا الرجل من أرض القرج ، وهو من خواصّ ممـاليك الباشا علي باي بـن حسين ، وخدم ابنه ، وترقى الى ان صار كاهية المحالّ ، وباشر في أسفاره رحلة الشتـاء والصيف ، وتمرن في ذلك الى أن سافر بالمحلة لقسنطينة ، وانما تقدم لسنّه فقط ، والا فهو غير مضطلع بما يلزم من التدرع للعظائم . ولما قدم منهزما ، كما تقدم ، أكـبـره الباي عن العقوبة ، ثم جعله كاهية بدار الباشا ، ليعيش بمرتبها .

وكان خيرا عفيفا ، مراقبا لله ، ذا غفلة ، يثق بـكـل احد ، بطيءَ الفهم ، مقيّـد اللسان بالعُجْـمَـة ، وعلى كـل حال فهو من اهل الخير ، والمؤمن غر كـريم .

توفي بعد أشهـر من رجـوعـه ، في الحـادي والعشرين من رجب سنـة 1222 اثنتيـن وعشرين ومائتين والف (الخميس 21 سبتمبر 1807 م.) .

[63 ــ أحمـد بو عبــده]

الشيخ الفقيه ابو العباس احمد بوعبده الحنفى

اصل هذا الشيـخ من ابناء الجنـد ، وكـان مطبوعـا عـلى حب العلـم من صغره ، أخبرنـي تلميذه ابو الفضل قاسم بن عاشور ، أن والده يمنعه من القراءة ، ويحُضّه على التـكسب ، وأعيته الحيلة في ذلك ، فحمله معه الى نوبة العسة بجربة ، ولما وصلها هرب الى دروسه بتونس ، وكـتبه الآغة بشهادة ابيه في جريدة الهاربين ، وكان ذلك ايام الباشا علي باي بن محمد ، وكان شديدا في ذلك ، فبعث له غاصبا أقامـه من الـدرس ، ولـما حضر لديه ، رآه صغير السن ، فقال له : « لِـمَ تهرب من الخدمة ؟ » ، فقال له : « يا سيدى أتيت الى دروسـي ، وانـا بين يـديك » ، فالقـى عليه مسائـل في النحو والفقـه ، فأحسن الجواب ، واعجب به ، ووصله بدراهم يشتري بها كـتبا ، وأمره بالانصراف لدرسه ، وسرحه من الخدمة ، وقال له : « اقدم اليّ ان احتجت لشـيء » ، فثابر على القراءة ، ووصل الى درجة التحصيل ، وتصدر للتدريس ، فانتفع به اعيان ، وتقلب في الخطـط العلميـة ، كالامامة والتدريس .

وكان خيرا عفيفا ، متواضعا حريصا على نفع الناس ، بتدريس مبادىء العلوم .

ولم يزل على حاله ، الى ان توفي في العشرين من ذي القعدة سنة 1222 اثنتين وعشرين ومائتين والف (الثلاثاء 19 جانفي 1808 م.) ، رحمه الله .

[64 ــ محمد السقا]

ابو عبد الله الشيخ محمد بن علي بن محمد
ابن عبد السلام السقا .

نشأ هذا الفاضل في بيت علم وعفاف ، وصيانة وديانة وامانة ، فاخذ العلم عن اعلام الحاضرة كالشيخ صالح الكواش ، والشيخ الشحمي ، والشيخ محمد بن قاسم المحجوب ، والشيخ محمد الهدة ، وغيرهم . وحصل المعقول والمنقول ، وعد من الفحول ، وزان الخطط العلمية ، وتقدم لخطة القضاء بسوسة ، فلاحت المعدلة وبانت ، وظهرت الحقوق الشرعية لاهلها حيث كانت ، لا تأخذه في الحق لومة لائم ، حتى انه حكم على والده بالسجن في حق للغير .

واستأذن لاداء فريضة الحج ، ولما رجع استقال من الخطة ، فلم يقبل منه لتعينها عليه شرعا ، فتدرع جُنّة الصبر .

وكان خيرا عفيفا ، تقيا ورعا ، عالما فقيها ، محققا حافظا ، قوي العارضة صحيح الاستنباط ، ذا همة عالية واعراض عن الدنيا ، محببا الى الناس ، وهم شهداء الله في خلقه ، عظيم الهيبة ، مقصودا للدعاء .

ولم يزل في معارج الارتقاء ، الى ان رحل الى دار البقاء ، في التاسع عشر من محرم 1223 ثلاث وعشرين ومائتين والف (الخميس 17 مارس 1808 م.) ، وخلف عقبا نسج على منواله ، وتابعه في حميد خلاله ، رحمه الله تعالى .

[65 ــ قاسم الرصاع]

الشيخ ابو الفضل قاسم الرصاع .

نشأ هذا الفقيه في بيته المشهور ، ونسبه في الانصار ، ولآله عراقة في الحاضرة التونسية ، من لدن الدولة الحفصية ، وتسنّموا ذرى الخطط العلمية ، من فتوى وقضاء وامامة وعدالة ، ومنهم مؤلفون ، ولهم ذكر في كتب التاريخ .

وجرى هذا الفاضل على سَنَن سلفه ، وله في الفقه والفرائض معرفة جيدة ، وتولى قضاء الفريضة ، وهي الشهادة على بيت المال .

ولم يزل في ظل نسبه وحسبه ، مع ما ينقل من حسن أخلاقه وأدبه ، الى ان توفي في السابع والعشرين من جمادى الاولى سنة 1223 ثلاث وعشرين ومائتين والف (الخميس 21 جويلية 1808 م.) ، عليه رحمة الله .

[66 ـ محمد برتقيز]

ابو عبد الله محمد بن حمودة
ابن يوسف بن محمد بن سليمان بن عبد الله برتقيز .

جده الاعلى عبد الله هو الذي هاجر الى الدين الاسلامي ، وجده يوسف ، ويدعى بالامام الزغواني ، وبرتقيز ، هو الذي رحل في طلب العلم ، فاستفاد وافاد ، وهو الذي اصطفاه الباي ابو عبد الله حسين بن علي لامامته ، وقدمه للخطط العلمية كالفتوى والخطبة ، واقبل عليه ، وقربه نَجيّاً .

وله من التآليف شرح « القدوري » في الفقه الحنفي .

ولما آلت الدولة لعلي باشا بن محمد قتله خنقا ، لما يعلم من مكانته عند عمه ، ذكر ذلك شيخ الاسلام ابو عبد الله مَحمد بيرم الثاني ، في شرح نظمه للمفتين من الحنفية .

ونشأ صاحب الترجمة في بيت مجده ، فقرأ العلم واستفاد . وكان فقيها خيرا ، معدودا من الاعيان ، توفي سنة 1224 اربع وعشرين ومائتين والف (1809/10 م.) ، على ما اخبرني به بعض آله ، وله عقب الى الآن ، معدودون من النجباء ، رحمه الله تعالى .

[67 ـ علي بوزغاية]

ابو الحسن علي بوزغاية .

أصل هذا الرجل من أرض القرج ، ونشأ في الخدمة الملكية مع اخيه اسماعيل كاهية الشهير الذكر ، المتقدم خبره . وترقى في مدارج الخدمة الى ان صار باش آغه ، وناب في خطة دار الباشا ، بعد وفاة سليمان كاهية الاول .

وكان خيرا صادقا ، امينا عفيفا ثقة ، الى ان توفي في جمادى الاولى من سنة 1224 اربع وعشرين ومائتين والف (جوان — جويلية 1809 م.) ، رحمه الله تعالى .

[68 ـ علي الآجري]

ابو الحسن الشيخ علي بن تاج القفصي الآجري .

نشأ هذا الفاضل بقفصة ، وكانت في القديم دار علم ، وحفظ بها القرءان ، وحصل ملكة ، ثم ارتحل في طلب العلم ، فحصل ملكة قوية في العلوم الشرعية ، وتولى رئاسة المفتين ببلاده .

وجرت له محنة سببها ثروته . أغرمه الباي حمودة باشا خمسين الف ريال ، وأمر القايد بخلاصها منه ، فتفنن في تعذيبه ، وربطه بنخلة واقفا ، ومنعه الماء ، ولما كاد ان يموت ، أجمع اهل بلده على كفالته ، واعانوه في دفعها . ثم جاء الى تونس يتكفف ، فأسكنه الباي في مدرسة باردو ، واجرى له ما عاش به ، وامره ان ينسخ له تاريخ ولي الدين ابن خلدون ، وجمع له نسخا جميعها محرفة ، وهو الذي اصلح تحريفه ، ثم رجعه الباي الى بلاده وخطته . وكانت عادة وفود الجريد في كل عام ان الباي يدخل أولا أهل المجلس الشرعي ، ويسألهم عن حال العامة ، وسيرة العمال فيهم ، فيجيبونه ، ثم يأذن لاعيان العامة بالدخول ، من لدن بني ابي حفص ، فكان هذا الشيخ اذا سأله الباي عن العامل ، يقول له : « والله اني أبغضه ، ولا أكلمه الا بين يديك ، ولي معه موقف بين يدي الله تعالى ، ومع ذلك هو أحسن للرعية من غيره » .

وكان هذا الشيخ فقيها متبحرا ، حافظا قوي العارضة ، صادعا بالحق ، لا يفتر عن تلاوة القرءان من حفظه . رأيته وأنا في سن الاثغار ، لانه كان صاحبا لابي لما كان بقفصة .

ولم يزل على حاله ، في أردية خلاله ، الى ان توفي سنة 1225 خمس وعشرين ومائتين والف بقفصة (1810/11 م.) رحمه الله تعالى .

[69 ـ محمد ماضور]

الشيخ ابو عبد الله محمد ماضور الاندلسي .

أصل هذا الفاضل من أفاضل الاندلس ، الفارين بدينهم ، وولد بسليمان ، من بلدان الاندلس ، وكانت تسمى وقتئذ بنت تونس . وقرأ بها القرءان العظيم ، وهاجر لطلب العلم بالحاضرة ، فأخذ عن اعلام من أيمة الاسلام ، وتصدر للتدريس بها ، ثم حن لمسقط راسه ، ومعهد إيناسه ، وتقدم اماما بجامع سليمان ، و [الى] خطة القضاء .

وكان عالما فقيها أديبا ، ذا فهم سديد وفكـر ثاقب ، خيرا عفيفا ، تقيا عالي الهمة . ولشعـره ديـوان معـروف .

ولم يزل معظما مكرما ، نبيه الشان ، الى ان لبّى داعي الرحمان ، في ذي الحجة من سنة1226 ست وعشرين ومائتين والف (ديسمبر 1811—جانفي 1812م.) عليه رحمة الله تعالى.

[70 ـ محمد المختـار المنكبى]

ابو عبد الله محمد المختار المنكبى .

أصل هذا الفقيه من أشراف باجة وبيوتها .

ونشأ صاحب الترجمة في الحاضرة ، وقرأ على اعيانها ، وانتظم في ثقات عدولها ، وتقدم لخطة القضاء بباردو ، وسلم فيها ، وكان فاضلا فقيها ، عفيفا نزيها ، مرموقا بعين الاجلال محبيا الى الناس ، الى آخر ما قدر له من الانفاس ، في أواخر ذي الحجة من سنة ست وعشرين ومائتين والف 1226 (اواسط جانفـي 1812 م.) رحمه الله تعالى .

[71 ـ علي البكـــرى]

ابو الحسن الشيخ علي بن بلغيث البكرى .

نسب هذا البيت في صميم قريش ، من بنـي أمية ، وقبر جدهم الاعلى معروف في المنيهلة من غابة تونس . وتداولوا امامة الجامع الاعظم ، مائة ونيفا وتسعين سنة ، منهم من تقدم باستحقاق ، كـأولهم تاج العارفين ، وامثاله ، ومنهم من تقدم بمجرد النسب البكرى ، كـهذا الشيـخ ، وسمعة دارهم في هذه الحاضرة ، لا تـكـاد تخفى ، وكان لزاويتهم من الثروة ما اعانهم على المروءة ، ونعم العون على المروءة الجدة . ولهم صدقات جارية ، وكرم مبذول ، واهل الحاضرة يومئذ يعظمونهم ، ويتغافلون عن مساوئهم . وكانت لزاويتهـم عروش كالمواطيس والحسنة وزياد ، يستقلون برئاستها وزكـواتها . يحكـى ان يونس باى لما مر في طريق خروجه عن ابيه الى القصبة بدارهم ، ورأى امامها الخيل المسوّمة ، وآثـار النعمة ، ونضارة العيش ، وجمال اقبال الدنيا ، تمنى أنه من ابناء الزاوية البـكـرية ، فقيل له في ذلك ، فقال : « شاركـونا في لذة العيش ، واستأثروا عنا بلذة الامن » .

ولم يزل هذا البيت في تراجـع ونقصان ، شأن عادة الزمان ، وهذا الشيـخ هو نفاضة جراب البيت ، وكان مغفلا ، محجورا عليه ، ادركـته وانـا طفـل ، لان دارنـا يومئـذ في

جوارهم ، يخشى حاجره ابا العباس احمد النوي ، لانـه يمنعه من الخروج ، سترا لحالته ، اذ كان لا يحسن الخطاب ، فضلا عن الكتابة والقراءة ، يحضر رواية الحديث بالجامع ، ولا يفوه ببنت شفة ، والاعلام بين يديه ينوبونه في القراءة .

ولم يزل على حاله ، الى ان توفي في بستانه بمرناق ، وأتِيَ به لتونس في الحادي والعشرين من جمادى الاولى سنة 1227 سبع وعشرين ومائتين والف (الثلاثاء 2 جوان 1812 م.) ، ودفن بزاويتهم ، وخرجت امامة الجامع من يومئذ من آل البكري ، الى آل رسول الله صلى الله عليه وسلم . وسبحان من لا يحول .

وبعد كتبي لهذه الترجمة ، أطلعني صاحبنا العلامة النحرير المفتي الماجد الشريف ابو عبد الله محمد الطاهر بن عاشور على تقييد بخط شيخ شيوخنا العلامة الراوية ابي الفداء القاضي اسماعيل التميمي ، ذكر فيه ما علم من أيمة الجامع عمره الله ، من لدن ابن عرفة الى هذا الشيخ ، رأيت إلحاق مضمونه بهذه الترجمة باختصار ، ولا يخلو من فائدة ، قال في فاتحته :

⁂

هذا برنامج المقدمين للامامة والخطابة بالجامع الاعظم من تونس ، أمنها اللهتعلى ، من لدن الشيخ الامام ابن عرفة فمن بعده ، على ترتيب فى الوجود ، مع بيان تاريخ وفاة من اتصل بنا علم تاريخه .

I — ابن عرفة

الشيخ الامام شيخ الاسلام ، علامة الدنيا
وحائز قصب السبق فى الفنون بلا ثنيا العابد الصوام القوام
مجد المائة الثامنة ابو عبد الله محمد ابن الشيخ
العالم الصالح المتبرك به ، جار الله سيدى محمد ايضا شهر
ابن عرفة الورغمى التونسى

ولى الامامة بعد وفاة الشيخ ابى اسحاق ابراهيم البسيلى ، واستخلف فى ايام سفره فى الامامة والفتوى تلميذه القاضى الغبرينى ، وفى الخطابة الفقيه ابا عبد الله محمد البطرى ، واستمرت الامامة والخطابة الى وفاته ، رضى الله عنه ، فى الرابع والعشرين من جمادى سنة 803 ثلاث وثمانمائة (1400 م.) وعمره سبع وثمانون سنة واشهر ، وله التصانيف المفيدة ، فى فنون عديدة . رحمه الله تعالى .

II — الغبــريــنى

تلميذه شيــخ الاسلام ، علم الاعــلام ، قاضى الجماعة ، وحافظ المــذهب الصالح ، احد قضاة العلم والعدل ، الجامع بــين العلم والعمل ، شيخ الشيوخ ابو مهدى سيدى عيسى الغبرينى ، المتقدم ذكره .

ولى الامامة والخطابة بعد وفــاة شيخه الامام ابن عرفة ، الى ان توفى فى 27 ربيع الثانى سنة 815 خمس عشرة وثمانمائة (1412 م.) ، على الاصح .

III — البـــرزلى

تلميذه ايضا ، شيخ الشيــوخ ، واستاذ ذوى الفضــل والرسوخ ، احد ايمــة المــذهب ، سيدى ابو القاسم بن احمد بن اسماعيل بن محمد بن المعتل البرزلى البلــوى القيروانى ثم التونسى ، صاحب النوازل المشهــورة احد كبراء تلامذة الامام ابن عرفة .

ولى الامامة والخطابــة عوضا عن الغبرينى المــذكور ، واستمر الى وفاته فى 15 ذى القعدة سنة 843 ثلاث واربعين وثمانمائة (1439 م)، وقيل اربع واربعين، وعمره مائة وثلاث سنين ، ودفن بالجلاز ، عليه رحمة الله تعالى .

IV — أبو القــاسم القسنطينى

الامام العلامة فريد دهره ، وحجة عصره ، قاضى الجماعة ، شيخ الشيوخ ، الحجــة جــامع شتات العلــوم ، القــاضى ابــو القــاسم القسنطينى ، احــد تلامذة الغبرينى .

ولى عوضــا عن البــرزلى الى ان تــوفى قتيــلا فى 17 صفــر سنــة 846 ست واربعين وثمانمائــة (1442 م.) ، ضرب بمغروس عند سلامــه من صــلاة الصبـــح ، وهو على سجادة عند بــاب البهور ، فقتل ضاربه فى الحــين ، تحت صومعة الجامع ، والقى خارج المسجد ، فكتب الشيخ وصية ، ومــات بعد قتل قاتله . يقال ان ذلك ناله بسبب حكمه ، رحمه الله تعالى .

V — القلشـــــانى

الشيخ الامام العلامة المحقق ، النظار الحجة ، تحفة الوقت وفريدة العصر ، قاضى الجماعــة ابو حفص عمر ابن الشيخ الامام الصالــح القدوة القــاضى ايضا ابى عبد الله محمد ابن الشيخ الصالح ابى محمد القلشانى الباجى ، من باجة تونس ، صاحب شرح « الطوالع » ، و « مختصر ابن الحاجب » .

ولى عوضا عن ابى القاسم القسنطينى المتقدم ، خطيبا فقط ، وولى معــه الامامــة الشيخ الفاضل محمد المسراتى القيروانى ، الى ان توفى بالطاعون فى 24 رمضان سنة 847 سبع واربعين (1444 م.) وقيل ثمان واربعين وثمانمائة ، رحمه الله تعالى .

VI — المســـــراتى

الشيخ الفقيه المدرس ، العلامة الفاضل ، محمد المسراتى ، امام الصلاة المتقدم ، رجعت لامامته الخطابة بموت القــاضى القلشانى ، توفى فى 18 شوال سنة 850 خمسين وثمانمائة (1447 م) ، رحمه الله تعالى .

VII — ابن عقـــاب

شيخ الاسلام العلامة الحجــة ، المحصل المحقق ، العــارف الناقد النظار ، صاحب الاجوبة المفيدة ، والتحقيقات البديعة ، ابو عبد الله محمد بن محمد بن ابراهيم بن عقاب الجذامى التونسى ، قاضيها وامامها وخطيب الجامع الاعظم بها ، وشيخ المدرسة المنتصرية بحدثان بنائها ، من اذكياء اصحاب الامام ابن عرفة .
ولى امامــة الجامــع وخطبتــه عوضــا عن المسراتى المتقــدم ، الى ان تــوفى فى 17 جمادى الاولى سنة 851 احدى وخمسين وثمانمائة (1447 م.) ، رحمه الله .

VIII — الـونشـــريسى

الشيخ الامام الزاهد الورع ، العابد الصالح المحقق ، ابو عبد الله سيدى محمد بن ابى بكر الونشريسى المغربى ، عدلــه الشيخ ابو مهدى الغبرينى ، وجمع بين خطبة الجامع وامامته ، بعد ابن عقاب .
وكان من الصالحــين المحبين للخمول ، توفى رحمه الله تعالى ونفعنا بــه عصر يوم الاربعــاء خامس ربيع الثــانى سنــة 853 ثــلاث وخمسين وثمانمائة (1449 م.) ، رحمه الله ورضى عنه .

IX — البحيـــــرى

الشيخ الامام نخبة الزمان ، العلامة الراوية الرحلة ، ابو محمد عبد الله ابن سليمان البحيرى ، قاضى الانكحة بتونس .
ولى الخطابة فقط ، بعد الذى قبله ، وقدم معــه للامامة الفقيه ابو الحسن اللحيــانى .
توفى البحيــرى فى 5 ذى القعــدة الحــرام سنــة 858 ثمــان وخمســين وثمانمائــة (1454 م.) .

X — سيدى احمد القلشانى

الشيخ الامام حافظ المذهب ، وامام المغرب ، المؤلف النحرير ، صاحب الصيت الشهير ، ابو العباس سيدى احمد القلشانى، اخو سيدى عمر المتقدم .

كان من العلم والتحقيق بالمكان الذى لا يجهل ، شرح « المدونة » و « الرسالة » و « ابن الحاجب » ، وولى فى حياة ابيه قضاء قسنطينة ، ثم قضاة الجماعة بتونس ، ثم سلم فيه لحفيده الشيخ محمد ، واقتصر على الفتيا ، وخطابة الجامع ، وولى معه الامامة الفقيه الفاضل احمد المسراتى .

توفى رحمه الله تعالى يوم الاحد عند المغرب فى 8 شعبان سنة 863 ثلاث وستين وثمانمائة (1459 م.) ، وحضر جنازته السلطان فمن دونه .

XI — سيدى احمد المسراتى

الشيخ الامام حافظ المذهب ، القدوة المتفق على فضله ودينه ، ابو العباس سيدى احمد المسراتى ، امام الصلاة المذكور ، جمعت له الخطبة بعد الشيخ القلشانى .

وفى عهده توفى ولى الله تعالى الشيخ الصالح المتصوف ابو الصراير سيدى احمد بن عروس ، نفعنا الله به ، وذلك فى 8 صفر 868 (1463 م.) ، وتقدم الشيخ المسراتى [للصلاة عليه ، وكان يومه مشهودا ، واستمر الشيخ المسراتى] (1) على امامته وخطابته الى وفاته ، ولم اقف على تاريخ وفاته ، وكان حيا فى عام 882 اثنين وثمانين وثمانمائة (1477 م.) .

XII — الحفيد القلشانى

الشيخ الامام العلامة ، العارف بالنوازل ، قاضى الجماعة ، ابو عبد الله محمد ابن القاضى عمر القلشانى المتقدم .

ولى القضاء بعد عمه ، كما تقدم ، ومكث سبع عشرة سنة ، ثم رحل الى القاهرة ، وراج فيها امره ، ثم عاد لتونس ، فولى خطابة الجامع والفتيا ، ثم صرف ، وتوفى سنة 890 تسعين وثمانمائة (1485 م.) .

XIII — الرصاع

الشيخ العلامة ، المتفنن المدرس المحقق المتقن ، الولى الصالح البركة ، الجامع بين القضاء والفتيا ، صاحب الاجوبة المحررة ، والتآليف المشتهرة ، ابو عبد الله سيدى محمد بن قاسم الانصارى نسبا ، التلمسانى مولدا ،

(1) الزيادة عن ق .

التونسي تربية ومنزلا وقراءة ، يعرف بالرصاع ، لان جده الرابع من والده كان نجـارا يرصع المنابر ، ويزين السقوف ، وهو الذى صنع منبر جامع الشيخ ابى مدين الغوث رضى الله عنه ، واخذ اجـرة عن ذلك محل قبر بحذاء الشيخ ، فـدفن بـه .

قال بعض ذريتـه : « من لـدن صنع الجـد المنبر ، لا زالـت ذريتـه فى ارغد عيش » .

ارتحل هذا الشيخ لتونس فى عام 831 (1427 م.) ، ومعه والدتـه ، واما والده فسبقه بعامين ، فربى فيها واستوطنها ، وترك بها عقبه الى الآن .

وتولى قضاء المحلة، ثم قضاء الانكحة، ثم قضاء الجماعة، ثم سلم واقتصر على الفتيا وامامة الجامع وخطبته .

توفى عام 864 اربعة وستين وثمانمائة (1459 م.) . وله تآليف مشهورة ، غالبها موجود .

XIV — ابـن عصفـــور

الشيخ الفقيه المـدرس ، الامام العلامـة ، ابو البـركات محمد بن محمد ابن عصفور .

كان مدرسا بمدرسة ابن تافراجـين بحوانيت عاشور ، وليها بعد وفـاة البرزلى، كما فى الزركشى. وذكر ابن ابى دينار انه ولى امامة الجامع الاعظم، وان ولى الله تعالى الصالح صاحب الكرامـات سيدى منصور بن جـردان ، توفى فى حجر هذا الامام، بمقصورة الجامع الشرقية، وحمله الامام لموضع سكناه، بدرب ابن عبد السلام ، فجهزه واخرج جنازته من داره ، وصلى عليه بالجامع ، ودفن بزاويته بحوانيت الفـار ، بربض باب الجزيرة ، سنة 904 (1498 م.) . وقبلـه بعامين توفى الشيخ الولى (1) سيدى قاسم الجليزى .

وها هنا انقطع الخبر ، وعمى الاثر ، وطوى بساط تفاصيل اخبار العلماء ، لما دهم الحضرة فى المائة العاشرة من الفتن ، بتقلص ظل الدولة الحفصيه عنها ، وبلوغهـا سن الهرم ، فتجاسرت عليهـا الثوار من كل جـانب ، وتنقصت من اطرافها ، واجلبت الاعراب عليها ، وامتدت ايدى العدو الكافر اليها ، سنة الله التى قد خلت من قبل .

وقد كان فى الحضرة فى هاتيك الايام ، علماء اعلام ، كالقاضى ابى حفص القلشـانى الحفيد ، والشيخ احمد سليطن ، والامام الصوفى محمد الحـويجب ، وامـام المعقولات وبحـر المنقولات الشيخ محمد مغوش . ولم نقف على تفصيل احـوالهـم .

(1) كذا فى ق ، وفى خ : « المـالدى » وفى ع : « المـالوى » .

وما زالت الحضرة فى مكابدة الاهــوال ، الى ان اظلتها الدولــة العثمانية ابقاها الله للاسلام ، فاذهبت عنهــا الباس ، وطهرتها من الارجاس والادناس ، سنــة 981 (1573 م.)

وكان امام الجامع فى اول هذه الدولة الشيخ محمد الاندلسى ، ولنذكر من الايمة فيها من علمناه منهم .

XV — الانــــدلسى

الشيخ الامــام ، احد الاعلام ، الــورع الصالــح الزاهد ، ابــو عبد الله محمد الاندلسى .

قال فى بشائر اهل الايمان : « اخذ عن الشيخ مغوش ، واخذ عنه الشيخ ابــو يحيى الرصـــاع » ، قال : « ونفى لطرابلس ، فلحقه الشيــخ ابو يحيى ، وقرا عليه هناك » ، ذكر هذا فى ترجمة ابى يحيى .

وقال بعض فضلاء المغاربــة من ذرية الشيخ الصالــح سيدى عبد العزيز القسنطينى ، فى رحلة له ، انه قدم لتونس فى عــام 982 ، وهو العــام الثانى للدولة التركية ، وانه زار الجامع ، وذكر حسنه ورونقه ، قال : « وفيه اذ ذاك امام خطيــب ، يقال له سيدى محمد الاندلسى ، رجل خير فقيه ، عليــه سمت اهل الخير ، ووقار اهل العلم ، وليس فى البلد من تقبل عليه النفس ويرتضيه العقل غيره ، مشارك فى العلوم ، يتعاطى دراسة فنون من تفسير وفقه ونحو وبيان وغير ذلك ، وله صيانة ونزاهــة ومعاشرة مليحة » . الى هنا كلامــه ، ولم نقف على ازيد من هذا .

XVI — ابــو يحيى الــرصـــاع

شيخ الاسلام ، علم الاعلام ، الفقيه المدرس ، المفسر المحقق ، ابو يحيى ابن المرحوم الوزير المعظم قاسم الرصاع ، من آل الشيخ الرصاع المتقدم .

كان فقيها اصوليــا ، اقــرا التفسير بالجامــع ، وكانــت فيــه دعابــة ، يــداعب كل احــد .

وولى الامامة والخطابــة بالجامع سنة 1017 (1608 م.) فى دولــة المــرحوم عثمـــان داى ، واستمــر عليهما سبع عشرة سنــة ، او ثمانى عشرة سنــة ، وولى الفتيا ، فسلم فيها لاجل الجامع .

وكان والده وزيرا للامير حميدة الحفصى .

وتوفى الشيخ ابو يحيى سنة 1034 اربع وثــلاثــين (1624 م.) او خمس وثلاثين والف . ودفن بزاوية الشيخ القرطبى ، المعروف بابى مقطع بالجلاز ، رحمه الله تعالى .

البـكريـون

اولهم الشيخ الفاضل ، العالم العامل ، المحقق المدرس ، ابو الحسن .

XVII — علي تـاج العـارفـين

كان من اهل الفضل والدين ، ومن بيت صلاح ، معظم عند اهل افريقية غاية ، وتزوج الشيخ تاج العارفين ابنة الشيخ الصالح الناسك ، ابي الغيـث القشاش ، ومنه انجر اليهم غالب الاملاك التي بايديهم . ونسبهم في بني امية مشهور ، ولفظ البكري ، نسبة لجدهم الشيخ ابي بكر الاكبر .

ولي الشيخ تـاج العارفين امـامـة الجامع وخطبته ، باشـارة من الشيخ ابي يحيى الرصاع ، قال في بشائر اهل الايمان : « لما مرض الشيخ ابو يحيى مرض الموت ، استشير فيمن يصلح للامامة ، وقيل له هل يصلح ابنك ، فقال لا ، فقيل له فالشيخ براو ، فقال يصلح ، الا ان اهل ا لمدينة تانف منه ، لكونه ليس منهم ، فقيل له فالشيخ الغماد ، فقال جوهرة عليها الران ، فقيل فالشيخ تاج العارفين ، فقال جـوهرة ما مستها يدان ، فتولى الجامـع بعده ، وكفاه هذه الشهادة ، من الشيخ ابي يحيى » ، وتوليته على هذا في سنة 1034 اربع وثلاثين والف (1624 م.) او خمس وثلاثين والف ، في دولة المعظم يوسف داي ، وهو اول الايمة من بيته ، ولم اقف له على تاريخ وفاة .

XVIII — ابنه الشيخ العلامـة المـدرس المحقق ابو بـكر

جلس للتـدريس ، وهو ابن خمس عشرة سنـة ، وحضره علماء وقته ، وسلموا له مرتبته .

تولى الامامة والخطابة . ولم اقف على تاريخ وفاته .

XIX — ابنه الشيخ العالـم المقـرى أبـو الحسن علي

قال في بشائر اهل الايمان : « حفظ القرءان ، واتقنه غاية ، وكان حسن الاداء ، خطيبا مؤثرا ، جهوري الصوت ، حسن الاخلاق ، ذا سخاء وعطاء وافر ، وهمة عالية ، ونسب رفيع ، وهو آخر الخطباء البكريين . توفي سنة 1123 ثلاث وعشرين ومـائـة والف (1711 م.) ، ورثـاه الـوزير السراج وارخـه ، وبيت التـاريـخ : فارخ تمام الخطب » اه .

ولقد نعاهم بهذا التاريخ ، اذ لم يات بعد هذا منهم خطيب ذو اهلية ، ونالهم ما نـال امثالهم من بيـوت الشرف ، من الحضارة والتـرف ، فاخـذ بيتهـم في الانحطـاط .

XX — الشيـخ ابـو الغيـث

هو ابن الشيخ المتقدم فيما احسب ، ولى الامامة والخطابة ، الا انه لم يكن متاهلا ، وتـوفى فى عهد الامير على باشـا ، وتـرك ولـديـه الشيخ عثمـان ، والحاج حمودة ، صغيرين ، فقدم الامير للامامـة الشيخ الامام العالم الصالـح المدرس الناصح ابـا محمد

XXI — حمودة الريكلى الاندلسى (1)

فاخذ الشيخ عثمان فى اكتساب الفضائل ، واسباب الولايـة ، واشتغل بالقراءة ، واخذ العلم عن الشيخ ابى عبد الله محمد سعادة ، وجرى ذكره بخير عند الاميـر ،وفتلوا له فى الـذروة والغارب ، الى ان عـزل الشيخ الريـكلى ، واولاه خطـة آبائـه .

XXII — الشيـخ عثمـان

كان نبيه القدر ، صاحب جاه ووجاهة ، مثلا فى حسن الذات والشارة ، وكاد يجدد طريقة سلفه ، وكان يباشر الامـامـة والخطابة ، ويركب على الخيل المسومة ، بالسرج المحـلاة ، التى لا تناسب الا الملـوك ، فوشى بـه الى الاميـر على باشا ، فعزله بعد ثورة ابنـه يونس ، وقدم الشيخ الفقيه ابا الندا غيث غلاب ، اماما مستقلا ، وكان خليفة عنه ، ثم اعاده بعد اشهر .

ولما اتى الله بهاته الدولة الحسينية ، وكان صاحبها اذ ذاك مولانـا المعظم الصدر الشهيـر سيدى محمد له ميل لاجراء الامـور على عوائدها ايـام والده رحمه الله ، قيل : « ان من عوائد البكريين ، ايام سيدنا الوالد ، ان امر الجامع اليهم ، يولون فيه من شاؤوا من الخلفاء » ، ففوض اليهم ذلك ، فعزل الشيـخ عثمان الفقيه غيثا من الخلافة ، لما يجده فى نفسه عليه ، بتوليته مكانه . واستمر مدة معزولا ، الى ان رجع الى الخلافة على يد ابن غلال ، واستمر الشيخ عثمان على خطته الى وفاته سنة 1176 ست وسبعين ومائة والف (1762 م.) .

XXIII — اخوه الشيخ الحـاج حمـودة

ولى بعده ، ولم تكن فيه قابلية . قيل انه صعد المنبر ، فلم يقدر ان يفوه بكلمة ، فبقى مدة ، فاستنزله المزوال ، بهياة ازدراء كما ينزل الصبيان .

وتوفى فولى بعده ابنه الشيـخ ابو الغيث ، وكان مثـل ابيه ، فاشرك معـه قريبه الشيخ تاج ، الى ان صرف بعد وفاة ابى الغيث ، وولى مكانه الشيخ على بن ابى الغيث ، وهو آخرهم ، وكان ابن ابيه وجـده ، معدوم القابلية ، الى ان

(1) انظر ص 120 ج 2 .

توفي عاشر جمادى الاولى سنة 1227 سبع وعشرين ومائتين والف (الجمعة 22 ماى 1812 م.) .

وقد جرت عادة الله الاغلبية فى الدول ، ان تختم بما بدات به ، فكانت دولة البكريين فى الجامع جارية على هذا ، بدؤوا بعلي تاج العافين، وختموا بعلي . والله وارث الارض ومن عليها ، وهو خير الوارثين . انتهى باختصار .

***

ولم يذكر الشيخ في ذلك التقييد ، من ولّي بعده ، ولا بأس بذكرهم ، في هذا النسق ، تكملة لهذا الغرض ، وان كان مخالفا لما شرطناه ، من تقديم من تقدم للدار الآخرة ، لتكون هاته الوريقات برنامجا لخطباء الجامع ، من لدن ابن عرفة . فأقول :

لما توفي هذا الامام صاحب النسب الاموي ، والفخر الدنيوي والاخروي ، طلع النور من مطلعه ، والعذب من منبعه ، بفارس المنبر والمحراب ، الجامع بين شرفَي النسب والاكتساب ، شيخ الشيوخ وعمدة الراسخين ، في سائر الميادين .

[72 ـ حسن الشريف]

ابو محمد سيدى حسن ابن الامام العلم
ابى الحسن سيدى عبد الكبير الشريف ،
ابن السادة الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا .

نشأ هذا السيد في بيت شرفه ، ناسجا على منوال سلفه ، فأخذ عن أبيه ، وعن الشيخ الشحمي ، والشيخ الغرياني ، والشيخ عبد الله السويسي ، وغيرهم من اعلام ذلك العصر ، ومفاخر هذا المصر . واخذ راية التحصيل ، وتصدر للتدريس ، وله في صناعة الانشاء يد طولى .

واستكتبه امير العصر ابو محمد حمّودة باشا ، وقرّبه نجيًّا ، وكانت صناعة الانشاء يومئذ مقصورةً على الوزير الكاتب أبي محمد حمّودة بن عبد العزيز ، وكان يُدِلُّ بذلك ، فضاق ذرعه بمزاحمة مثله في الصناعة ، يقال انه تحيل ، واخبر الباي بسرٍّ كان أودعه عند الشيخ الشريف ، وادعى أنه سمعه من حاشية الشيخ .

ولما اراد الله نفع المسلمين بالعلم ، قال الشيخ هذا ممّا يخدش وجه الامانة ، فنبذ الخطة ظهريا ، وتركها نسيا منسيا . يقال انه رأى في منامه ، قبيل التسليم ، انه سقط في خندق ، فاستغاث برسول الله صلى الله عليه وسلم فجذبه ، واخرجه ، سمعت ذلك من

غالب مشائخنا تلاميذه رحمهم الله ، وظهر مصداق الرؤية ، وهو ان الشيخ اصبح بيت العلم في صدور الرجال ، وجال من معارك الانظار في كل مجال ، وانثالت الى رياضه المتطلبون ، وتراكموا على دروسه من كل حدب يَنْسِلون ، وانتفع به أعلام واعيان ، كشيخنا ابي اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، وشيخنا ابي عبد الله محمد بيرم الثالث ، وشيخنا ابي عبد الله محمد البحري بن عبد الستار ، وشيخنا ابي عبد الله محمد بن الخوجة ، وشيخنا ابي عبد الله سيدي محمد بن ملوكة ، والشيخ ابي الحسن علي الدرويش ، والشيخ ابي عبد الله محمد العذاري ، والشيخ ابي محمد فرج التميمي ، والشيخ ابي عبد الله محمد السقاط ، والشيخ حسن الخيري المفتي بالمنستير ، والشيخ ابي النخبة مصطفى بيرم المفتي الحنفي ، والشيخ ابي عبد الله محمد الطويبي ابن الشيخ القاضي ، والشيخ الصوفي ابي المحاسن يوسف بن ذا النون الزوابي الباجي ، والشيخ أبي العباس احمد الزهاني ، والشيخ يونس الدباغ ، والشيخ ابي عبد الله محمد الخضار المفتي بالحاضرة ، والشيخ ابي عبد الله محمد بن عيسى ، والشيخ ابي عبد الله محمد القُبِّي ، الى غيرهم مما لا يأخذه نطاق العَدّ ، رأيته وأنا طفل مع أبي يقرىء في الجامع « صحيح مسلم » بشرح الأُبِّي ، وسائر مدرسي الجامع أمامه .

اخبرني شيخنا البحري بن عبد الستار انه كان يفاكه تلاميذه في الدرس ، خشية سآمتهم ، واذا بحث أحدهم بحثا ، يُحسن الاصغاءَ اليه ، ويعيده للطلبة باوضح عبارة ، ويقول لهم : « هل ظهر لاحدكم جوابه ؟ » ، واذا أجاب أحد يصغي اليه ، ويعيده ايضا ، تدريبا لتلاميذه على المباحثة ، وتلذذا بنجابتهم ، فاذا خرج أحدهم عن أدب البحث ، يقطع المباحثة ، ويجيب التلميذ ، ويقبل على درسه .

لامه بعض أصحابه على هذه الحالة بأنها لا تناسب مناصب الشيوخ ، فقال له : « انت ترتاح بالمعاركة بين الديوك ، وانا ارتاح بمقارعة الرجال بسيوف العقول » .

وكان على تلك الجلالة والرفعة ، يحتمل لتلاميذه ما تحتمله الآباء من الابناء . جلس يوما لدرس « المُغْني » فقال له ابو عبد الله محمد الاخضر القسنطيني : « يا سيدي ، مفتاح بيتي ضاع ، وكتابي بها ، فلا تقرىء الدرس اليوم » ، فأجابه الشيخ متبسما بقوله : « العبرة بكتابي لا بكتابك » ، فقال له الاخضر : « اذا غلطتَ من ينبهك لغلطك » ، فضحك الشيخ والحاضرون ، فقال لهم الشيخ : « كثر الله فيكم من يرد غلطي » ، وترك الدرس في ذلك اليوم . الى غير ذلك مما يسمع من تلاميذه ، في حرصه على نفعهم .

ولما توفي الشيخ البكري المتقدم ذكره ، وابنه صغير ، جالت العقول فيمن يلي الخطبة ، لان امامة هذا الجامع ، عمره الله ، من المناصب العالية في الحاضرة ، والعادة فيها ان تكون من بيت فضل ونباهة ، كبيت البكريين ، فما راعهم الا مجيء النسب الحسيني العلوي الهاشمي ، مع العلم والفضل المسلَّمَيْن ، فاهتز المنبر به سرورا ، وتألق نورا ، وكاد ان يندرس ولم يكن شيئا مذكورا . فخطب الشيخ من إنشائه البديع ، بما يزري بالبديع ، وقرع بالوعظ المسامع ، فأجرى المدامع ، ثم تقدم للفتوى في رجب من سنة ثلاثين ومائتين والف (جوان — جويلية 1815 م.) ، بعد امتناع ، فجلّى في ميدانها ، وحاز قصبَ السبق في مضمار أعيانها .

وكان من بحار العلم الزاخرة ، ورجال الدنيا والآخرة ، حليما واسع الصدر ، الا اذا انتهكت حرمة من حرمات الله ، تراه اشدّ ما يكون . أتى يوما من داره الى الجامع وقت الظهرين ، فتعلقت بثيابه امرأة ، يجرها تركي من الجند الى بيته ، في فندق العطارين كَرْهًا ، فمسك الجنديّ ، ورغب منه ان يتركها ، ولا يهتك ستر حجابها ، فتساكر الجندي ، وأبى ، فخلع برنسه ، وافتكها منه قهرا ، وحمله بنفسه الى الداي ، واعيان العطارين من خلفه ، يريدون القبض على الجندي ، خوفا على الشيخ ، وهو ينتهرهم ، ولما قارب دريبة الداي ، تعرضت له الحوانب ، وأرادوا أخذه من يده ، فأبى الا أن يدفعه بنفسه للداي ، وخرج الداي ، وقال له : « هذا المحارب يبقى في محبسك ، الى ان يبلغ خبره الى الامير » ، ورجع للجامع ، وفي الحين بعث الداي ترجمانه الى الامير يخبره ، وهو يومئذ حمُّودة باشا ، فكان من سياسة الامير أن أمر بقتله خنقا في الحين ، ولم يجد وقتئذ كاتبا حاضرا ، فكتب الباي امر القتل بخطه ، ورجع الترجمان ، وبعد صلاة العصر خنق الجندي ، وألقي ببطحاء القصبة ، وأتى الترجمان الى الشيخ مخبرا ، وتقيدت بهذه السياسة في التقرير ألْسُنٌ .

وكان رحمه الله عالي الهمة ، عفيف النفس ، رقيق القلب .

يحكى ان أمة من رقيق السودان هربت من سيدها ، واعترضته في الطريق ، ولاذت به في الشفاعة لسيدها ، بان يبيعها ، فقال لها : « اين محل سيدك ؟ » ، فقالت : « بربض باب سويقة ، قرب سيدي علي العلوي » ، فقال لها : « تقدمي » ، وهو وراءها ، من زاوية سيدي احمد بن عروس ، الى طرف الربض ، في حرٍّ قائلة . ولما وصل الدار أوقفها ، ودق الباب بنفسه ، فخرج سيدها ، فلما رآى الشيخ ارتاع ، واكب يقبّل أقدامه ،

ويقول له : « يا سيدي ، لو بعثت الي أتيتك » ، والشيخ يقول له : « اما تُحب ان ازورك » ، ثم قال له : « ان هذه الامة استشفعت بي اليك ، لتبيعها » ، ولما رآها ارتاع ، وقال له على البديهة : « يا سيدي ، أيسوغ لي ملكها ، حتى ابيعها ، وهي أتت معك ؟ هي حرة لوجه الله ووجهك ، واشهد علي بذلك » ، ونَجزَ عتقَها ، وخرج مشيّعا للشيخ ، متذمما من انه تسبب في تعبه . وأخبرني شيخنا البحري باسم هذا الرجل ، وضلّ عن حفظي ، وهو من عامة الناس ، غير معروف بكرم ولا غنى ، لكن الغنى غنى القلب . الى غير ذلك من حكايات مأثورة عنه ، ينقلها الخلف عن السلف ، في التواضع والفضل ، وحسن الخلق وحلاوة المحادثة ، وتعظيم الناس له ومحبتهم فيه .

ولم يزل على حاله ، رافلا في حلل جماله وكماله ، بالغا ما شاء من آماله ، الى ان كانت التلبية لداعي الله خاتمة أعماله ، وفجعت به تونس ليلة السبت الثامن والعشرين من ذي القعدة سنة 1234 اربع وثلاثين ومائتين والف (18 سبتمبر 1819 م.) ، في الطاعون الجارف ، ودفن بالجلاز ، في تربة آله صلوات الله عليهم .

وحضر امير العصر ، وهو يومئذ ابو عبد الله حسين باي وآل بيته ، وتبركوا بحمل نعشه وزاحموا الناس عليه ، ونزل الباي بنفسه الى لَحْده في القبر رحمه الله .

وترك حاشية على « القطر » ، طبعت في المطبعة التونسية ، وحاشية على شرح الشيخ « مياره للامية الزّقّاق » ، وشرع في تأليف سمّاه « معين المفتي » ، كان شيخنا البحري ينقل منه ، وعاقه عن إتمامه الاجل المعدود .

وانطلقت ألسن الشعراء بمراثيه ، ونشر ما اودع الله فيه .

ومن الغد قدم الباي اخا الشيخ للخطبة ، وسائر خططه ، عدا الفتوى ، وهو :

[73 — محمد الشريف]

ابو عبد الله سيدى محمد ابن ابى الحسن
سيدى عبد الكبير الشريف .

نشأ كأخيه في طلب العلم ، وأخذ في صغره عن والده ، ثم أخذ عن اعلام عصره ، كالشيخ الشحمي ، والشيخ الغرياني ، وابي عبد الله محمد بن ابي الفضل قاسم المحجوب ، وغيرهم . ودرّس بالجامع ، سمعته يقرىء درس « التحفة » للتاودي ، وانا

يومئذ في المبادىء ، وهو اذ ذاك شاهد الديوان ، وهـي من الخطط النبيهة وقتئذ ، واشتغاله بها منعـه من كـثرة التدريس .

وتقلب في الخطط العلمية ، ثم تقدم لخطبة الجامع الاعظم بعد وفاة أخيه ، فتلقى راية الخطبة بيمينه ، واستحقها بشرفه وفضله وعلمه ودينه ، فحرك بمواعظه المجامع ، وشنف المسامع ، وارسل المدامـع .

آية الله في العفة والنزاهة ، وحسن الخلق ، والفصاحة في الخطبة ، جانحا لاخـلاق الصالحين ، من الزهد وعدم التكـلف ، والتواضع ورحمة المسكـين ، حسن السجية سَمْحَ اللقاء ، عالي الهمة ، ذا نفس بمعادها مهتَـمَّـة ، متبركا به .

وان الباشا المشير ابا العباس احمد باي ، لما بنى قصره بباردو ، طلب من الشيـخ ان يـكـون أول من يدخله ، فأجابه لذلك .

ولم يزل على حاله ، محببا الى الناس ، على اختلاف الاجناس ، زيادة على ما يجب لبيتهم المطهر من الارجاس والادناس ، وحب الناس موصول بحب الله ، الى ان ارتحـل الى دار البقاء ، وما عند الله خير وابقى ، في السابـع والعشرين من جمادى الاولى سنة 1255 خمس وخمسين ومائتين والف (الخميس 8 أوت 1839 م.) ، وشهد جنازته اميـر العصر المتقدم ذكـره ، وحمل نعشه ، ولم يتخلف عنها احد من الحاضرة ، الا العاجز ، ودفن في تربة آلـه صلوات الله عليهم .

ومن الغد تقدم لهذه الخطة العلية شيـخ التقوى ، وركـن العلم الاقوى ، وصـدر الفتوى ، الذي جمع من العلوم على اختلافها ما تقصر عنـه الاطماع ، وحَـكَّـم في نشرها اللسان واليراع ، وما على الصبـح غطاء ، ولا على الشمس قناع ، الشائـع ذكـره في النواحـي :

[74 ـ ابراهيـم الـريـاحي]

شيخنا وشيخ شيوخنا ابو اسحاق
سيدى ابراهيم بن عبد القادر الرياحي .

ولد هذا الفاضل بتستور ، من بلدان الاندلس ، بهذا القطر التونسي ، وحفظ بها القرءان العظيم ، وهاجر الى الحاضرة في طلب العلم ، فسكـن بمدرسة حوانيت عاشور ،

ثم بمدرسة بير الحجار ، وتفرغ للعلم من جميع اعماله ، وقصر نفسه على ابتغاء كماله ، فأخذ عن أعلام كالشيخ ابي الفلاح صالح الكواش ، والشيخ ابي محمد سيدي حسن الشريف ، وأخذ النحو عن امامه الشيخ ابي يعلى حمزة الجباس ، واخذ الاصول عن امامه أبي الفداء الشيخ سيدي اسماعيل التميمي ، واخذ البيان والمنطق عن الشيخ ابي حفص عمر المحجوب ، واخذ عن الشيخ أبي عبد الله محمد الطاهر بن مسعود ، وكان يميزه من بين أقرانه ، بابطال الدرس اذا غاب ، وكلّمه بعض الطلبة في ذلك ، فقال : « هذا الرجل ننتفع به اكثر مما ينتفع بنا » ، وغيرهم من أعلام عصره .

ولما اتسع في العلوم مجاله ، وشهدت له شيوخه ورجاله ، تصدر للتدريس ، ونثر الدر النفيس ، فازدحمت الافواج على دروسه ، واستعدوا لما يثمر من غروسه ، وكيفية إلقائه انه ينقل الدرس ، ويمليه من حفظه ، ثم يقرر ما يظهر له ، ثم يسرد كلام المصنف ، على كيفية تبعث النشاط في النفس ، هو اول من اخترعها ، واتخذها فحول العلماء من بعده ، كشيخنا ابي عبد الله محمد بيرم الثالث ، وشيخنا ابي عبد الله محمد ابن الخوجة شيخي الاسلام ، وغيرهما .

وبعد نيف وعشرين سنة من قدومه ، سئم ضيق العيش ، والوَحدة بالمدرسة ، حتى عزم على الخروج من الوطن ، ورأى المُقام به من ضيق العطَن ، وبلغ ذلك للوزير أبي المحاسن يوسف صاحب الطابع ، فتسبب له في خطة التوثيق ، وكانت يومئذ شيئا مذكورا ، ولما جاء رسول الوزير بأمر الولاية ، وهو والد العبد الفقير ، قال له : « نترجى عشرين سنة مستقبلة ، حتى أجمع من أجر الوثائق ، ما اتخذ به بيتا وزوجة ؟ » ، وصمم على السفر ، وعظم على الوزير لمحبته في الوطن خروجُ هذا العالم من المملكة ، والحالة هذه ، وانه سُبَّة ومعرة ، فاشترى له دارا بما يلزمها من الضروريات ، والتزم له بنفقة التزوج ، فتزوج ، وكان ذلك في اسرع وقت ، ووالى عليه وابل كرمه ، فاطمأنت به الدار ، وقرّ له القرار ، وتدرج لاوج المعالي ، وشاع ذكره .

واختاره الباي ابو محمد حمّودة باشا ، سفيرا للسلطنة الشريفة بالمغرب ، على عهد ابي الربيع مولانا سليمان ابن مولانا محمد ابن مولانا عبد الله ابن مولانا اسماعيل ، في غرض جلب الميرّة لهذه الايالة ، في مسغبة ، وذلك في سنة 1218 ، وتقدم في ترجمة شيخه أبي حفص عمر المحجوب ، المكتوب الذي أصحبه اياه ، فجلّى في ميدان السفارة ، وقابله السلطان باحتفال ، ومزيد إجلال ، وانشده قصيدته الشهيرة التي مطلعها :

ان عز من خير الانام مزار ... فلنا بزورة نجله استبشار

أوَلَيس نور المصطفى بجبينه ... كالشمس يظهر نورها الإقمار

فاشف الغليل بقربه ، فلطالما ... شط المزار وعاقت الاقدار

واحفظ جفونك من سناه فانه ... ببريقه تُتَخطَّف الابصار

واذا أنامله اللطاف لثمتها ... فحذار من غرق فهن بحار

وانفذ بعجز ابن الخطيب فانما ... لابن الخطيب بلثمها (1) المعشار

ومنها :

هذا الخليفة وابن أكرم مرسل ... وسليل من فخرت به الامصار (2)

وخلاصة الاشراف والخلفاء من ... بيت البتول ومن حواه إزار

واعزّ سلطان واشرف مالك (3) ... شرفت بملك يمينه الاحرار

واحق من تحت السماء بأن يُرى ... مالك البسيطة والورى انصار

ولذا [غدت] كل القلوب تحبه ... ولغيره الاجسام وهي قفار

هذا سليمان الرضى ابن محمد ... من اشرقت بجبينه الانوار

هذا الذي رد الخلافة غضة ... وسما به للمسلمين منار

ومنها :

وهو الذي يرجى لكل ملمة ... ضاقت بحمل ضئيلها الاقطار

وهو الذي يُسعى اليه اذا دجى ... ليل الخطوب وساءت الافكار

كمجيئنا نسعى اليه وقد سطا ... جدب وعمّ جميعنا إضرار

علما بأنّا ان رأينا وجهه ... زال العنا وتزحزح الاعسار

مولًى رأى الدنيا بمقلة زاهد ... ودرى بأن جمالها غرّار

فرمى بها متنزها وكذاك من ... كانت كرامَ أصوله أطهار (4)

وتخيّر الاخرى بهمة عارف ... لم يُرْضها دون الجنان قرار

---

(1) فى « تعطير النواحى » :

وابنذ بفخر ابن الخطيب فانما ... لابن الخطيب بفخرها المعشار

(2) فى « تعطير النواحى » : الاعصار .

(3) فى « تعطير النواحى » : واجل سلطان واكرم وارث .

(4) فى « تعطير النواحى » : الاطهار .

ومنهـا :

تهـوى المشارق ان تكـون مغاربا … ليعمهـا في الملتجيـن جـوار
وتنال مـن عـز الشريف كما رأت … أن كـان فيهـا للخلافـة دار
رُد الـزمـان لصـدره فكـأنما الفـاروق بيـن ظهـورنـا أمَّـار
العـدل يبسـط والنفـوس سوامـح … والـديـن يظهـر والعلـوم تـدار
والنـاس في رغـد الحيـاة بجنـة … تجـري لهـم من تحتهـا الانهـار
فليشكـروا النعـم التـي عمتهـمُ … الله يعلـم انهـن غـزار

وكـل هذه القصيدة عيون .

ثم بلغه وهو بحاضرة فاس ، عمرها الله ، ان السلطان وقف درسه في « التفسير » عند قوله تعلى : « وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ » (1) ، فجاءه البشير بان سفينة من سفنه الحربية ، غنمت من سفن أهل حربه غنيمة ، وحسن موقع هذا الاتفاق ، فهنأ السلطانَ بقصيدته الشهيرة ، التي مطلعها :

دلائـل فضـل الله فينـا تتـرجـم … وان غفلـت عنهـا طوائف نُـوَّم
ومن أكـرم النَّعمَـا ولاية من لـه … علينـا وفينـا حكـمة وتحكـم
تلطـف في إخفـائها متستـرا … ومـن كملـت فيـه الـولاية يكـتم
ولمـا اراد الله إظهـار سـره … جرى الامر في الاظهار من حيث يعلم
الـم تغتنـم وقـت المسـاء وغـدوة … بدا الوقف في التفسير آية « واعملوا »
ليـدري صحيـح الـذوق ان مليكـنا … لـه في طـريق الـكشف نهج مقـوّم
وأن لـنـا فيمـا قضـاه مغـانمـا … فجعَّلَ ذي ، بدءًا لما هو أعظم (2)
فـلا زالـت الايـام تخـدم سعـده … ولا زال مثـلي في حـلاه (3) ينظـم

ورجـع الشيـخ من سفارته قرير العين ، مقضِيَّ الحاجة ، مشكور المسعى ، وخلف طيب الثناء ، آخذا بمجامع قلب السلطان .

(1) س 8/41 .
(2) فى خ و ع و ف : يجعل ذى بدو الخ ... وفى « تعطير النواحى » : فعجل ذى برء الخ ...
(3) فى « تعطير النواحى » : فى علاه

وهنأه لما رجع ابنه من فريضة حجه بقصيدة مطلعها :

هذا المنى فانعم بطيب وصال فلطالما أضناك طول مطال
ماذا وكم أوليتني يا مخبري بقدومه من منّة ونوال
بشرتني بابن الرسول ، لوَ انَّما روحي ملكت بذلتها في الحال
بشرتني بسلالة الخلفاء مَن أمداحهم تتلى بكل مقال
من حبهم فرض الكتاب كما ترى « الا المودةَ » حين يتلو التالي
من ضمهم شمل العباد واذهبوا رجسا ، فيالك من مقام عالي
لولاهم كان الورى في ظلمة مدت غياهبها بكل ظلال

وهي طويلة وكلها فرائد ، واجازه السلطان عنها بمال ، وأجابه بمكتوب وقصيدة على رَوِيِّها من انشاء بعض كتابه ، مطلعها :

حَيَّتْ فأحيت قلب صب صَال كي ما تبشره بطيب وصال
هيفاء ترفل في ثياب سندس من نسج تونس لا تسام بمال

منها :

يا أهل تونس حزتم شرفا بما ابديتمو من صالح الاعمال
يكفيكم أنْ فيكم هذا الذي حلت بلاغته محل كمال

وقرئت هذه القصيدة على الباي في ديوان المحكمة ، وذلك أنها أتت في ظرف مكاتيب الوكيل بجبل طارق ، ولما قرأ الباي عنوان المكتوب ، قال لوزيره ابي المحاسن يوسف صاحب الطابع : « هذا مكتوب من مولاي سليمان للشيخ ابراهيم » ، فقال له الوزير : « اقرأه وحدك » ، فأبى ، فألح عليه ، ففتحه ، فوجد المكتوب ومعه القصيدة ، فقال له الوزير : « ان صاحب القصيدة انما قصدُه بشعره الشهرة » ، فأمر الكاتب الاديب ابا عبد الله محمد قلالة بقراءتها ، فقرأها قائما في ديوان المحكمة ، وبعث بها وبالمكتوب للشيخ .

وبهذا التقرير تعلم حال السلطنة المغربية الشريفة وقتئذ ، من السذاجة الاسلامية ، والتخلق باخلاق الخلفاء والصالحين ، من إقراء التفسير ، والتمدح باخلاق الصالحين ، كما تقدم في العقد الاول من المقدمة .

وفي اواخر صفر من سنة 1221 (اواسط ماي 1806 م.) ، بعد انفصال الشيخ ابي حفص عمر المحجوب من خطة القضاء ، بعث الباي الى الشيخ ليوليه خطة القضاء ، فامتنع وتعلل بانه لا يسوغ له ان يتقدم على شيخيه ابي الفداء اسماعيل التميمي ، وأبي العباس احمد بوخريص ، وأنهما أصلح للخطة منه لمباشرتهما التوثيق ، وهو الاس ّ في فقه القضاء ، الى غير ذلك من المعاذير ، فألزمه الباي قبول الولاية فقبلها ظاهرا . ولما رجع لتونس أتاه شيخنا العلامة ابو العباس احمد بن الخوجة القاضي الحنفي مهنئا ، ومما قال له : « اي الكتب تعتمدها في مباشرة الخطة ؟ » ، فقال له الشيخ : « اعددت كتاب ابن رحال » ، فانكر الشيخ في نفسه الجواب ، اذ لم يعرف كتابا لابن رحال في الاحكام ، وعند الغروب توجه الشيخ بزاوية تلميذه العالم الصالح شيخنا ابي عبد الله محمد بن ملوكة وناجاه بما عزم عليه من الهروب ، فوافقه وأحضر له مركوبا ، وشيعه بنفسه راجلا ، ووجه معه بعض الطلبة ، فاصبح بمقام الولي العارف بالله سيدي علي عَزّوز بزغوان ، وقال القاضي الحنفي : « قد اخبرني الشيخ بانه اعد للامتناع الرُّحُول » .

ولما قدم الباي الشيخ اسماعيل للخطة ، رجع الشيخ ابراهيم الى ما ألِفَه واعتاده ، من التدريس والافادة ، ينفق من سعة ، ويكره الدّعَة ، والملوك تتسابق الى تعظيم قدره ، واظهار فخره .

وقدمه الباشا ابو عبد الله حسين باي لرئاسة اهل الشورى من المفتين ، بعد ان قال له الحاضرون : « قد تعين الامر عليك شرعا ، بعد وفاة الشيخ اسماعيل » ، فقال للباي : « اقبلت شهادتهم ؟ » ، فقال : « نعم » ، فقبل الولاية كما تقدم في الباب الرابع من هذا الموضوع ، فزان الخطة ، وصدع بالحق .

وأنابه الباشا أبو النخبة مصطفى باي للحج عنه ، وكتب معه مكتوبا للحضرة النبوية ، وامره بالقائه في الروضة العلية ، والاعمال بالنية ، كما تقدم في الباب الخامس .

ثم قدمه المشير الباشا ابو العباس احمد باي للخطبة بالجامع الاعظم ، بعد وفاة من تقدمه لرحمة الله ، فعَلا ذروة المنبر وحرك بمواعظه الرواسي ، وليّن القلب القاسي ، ونبه الغافل والناسي ، جهوريّ الصوت يقرع المسامع ، من صحن الجامع ، وهو اول من قرأ يوم المولد النبوي كتاب فضائله ، كما تقدم .

وبعثه المشير المتقدم للدولة العلية العثمانية ، مستشفعا به في بعض الاغراض السياسية ، كما مر ذكره في الباب السادس ، ونجحت سفارته ، وربحت تجارته ، وأكرمه السلطان محمود وهاداه ، وعند لقائه قرأ قوله تعلى : « يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الاَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الْهَوَى » (1) الى آخر الآية ، ثم أنشده قصيدته التي مطلعها :

العز بالله للسلطان محمود   ابن السلاطين محمود فمحمود
خليفة الله ما أعلاه من شبه   بالصالحين وبالنبيء داوود

وهي معروفة في ديوان شعره ، وتقدمت مع غيرها في الباب السادس .

وخلف في القسطنطينية أخبارا تتلى ، واستجازه عالم الملة الحنيفية شيخ الاسلام ابو العباس أحمد عارف باي ، فاجازه نظما رأيته عنده بخطه .

وله دعاء مجاب ، وخاطر ليس بينه وبين الحق حجاب .

وامتحن بموت ابنه الامام العالم ابي عبد الله محمد الطيب ، قبيل وفاته ، وخطب بعد ابنه خطبة نعى فيها نفسه ، كالمودع ، نذكرها تبركا ، وهي :

« الحمد لله الذي هدانا بسيدنا محمد غيبة وحضورا ، وجعل حضوره رحمة للخلق وسرورا ، واطلع في مغيبه شمس كتابه وبدر سنته نورا ، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة اجدها ان شاء الله كنزا مذخورا ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي لا يزال مدحه في الكتب المنزلة مسطورا ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وكل من كان سعيه مشكورا .

ايها الناس ، أوصيكم وإيَّاي بالوصية التي أوصى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم عند انتقاله ، وكانت آخر خطبه كما صرح بذلك في مقاله : « أيها الناس انه قد كبر سني ، ورق عظمي ، ونعيت اليّ نفسي ، واقترب اجلي ، واشتقت الى ربي عز وجل ، فاذا مت فالله خليف عليكم ، والسلام عليكم » ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : « ايها الناس ، من لقي الله وهو يشهد أن لا اله الا الله مخلصا ، لا يخلط معها غيرها ، دخل

(1) س 38/ I 26 .

الجنة ، ومن أعان الظلمة نزل به ملك الموت يبشره بلعنة الله والنار ، ومن عظم صاحب دنيا طمعا في دنياه سخط الله عليه ، ومن خان جاره شبرا من ارض طوقه الله الى سبع ارضين ، ومن تعلم القرءان ثم نسيه تعمّدا لقي الله مجذوما ، وسلط الله عليه بكل آية حية تنهشه في النار ، ومن لم يعمل به كان في درجة اليهود الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، ومن تسخط رزقه لم ترفع له الى الله حسنة ، ومن رجع عن شهادة أو كتمها اطعمه الله لحمه على رؤوس الخلائق ، ومن له زوجتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة مائلا شقّه ثم يدخل النار ، ومن آذى جاره حرم الله عليه ريح الجنة ، ومن اكرم فقيرا مسلما لقي الله وهو يضحك اليه ، ومن غش في بيع أو شراء حشر مع اليهود ، ألا إن من غشنا فليس منّا ، ومن كظم غيظه عن أخيه المسلم أعطاه الله اجر شهيد ، ومن مشى بالنميمة سلط الله عليه في قبره نارا ، ومن شرب الخمر سقاه الله من سم الاساود ، وهي العقارب ، ألا وشاربها وعاصرها ومعتصرها وبائعها ومبتاعها وحاملها والمحمولة اليه وآكل ثمنها سواء ، ومن أكل الربا ملأ الله بطنه نارا ، ومن خان أمانة لقي الله وهو عليه غضبان ، ومن شهد شهادة زور علّق بلسانه يوم القيامة ، ومن سمع فاحشة فأفشاها فهو كمن اتاها ، ومن تحلم كلف يوم القيامة ان يعقد بين شعيرتين ، ولن يعقدهما ، ومن قاد ضريرا في حاجة كتب الله له بكل خطوة عتق رقبة ، ومن سعى لمريض في حاجة خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه ، ومن أذّن فقال اشهد ان لا اله الا الله اكتنفه سبعون الف ملك يستغفرون له ، ومن مشى الى مسجد فله بكل خطوة يخطوها عشر حسنات ، ويمحى عنه عشر سيئات ، ويرفع له عشر درجات ، ومن حافظ على الجماعة حيث كان ومع من كان مرّ على الصراط كالبرق اللامع ، ومن ذرفت عيناه من خشية الله كان له بكل قطرة عينٌ في الجنة ، على حافتها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ومن عاد مريضا فله بكل خطوة حتى يرجع الى منزله سبعون الف حسنة ، ومن تبع جنازة فله بكل خطوة مائة الف حسنة ، ومحيت عنه مائة الف سيئة ، ورفع الله له مائة الف درجة ، ومن صلى عليها وكّل الله به سبعين الف ملك يستغفرون له حتى يرجع ، فان شهد دفنها استغفروا له حتى يبعث من قبره ، ومن تعلم العلم وعلمه يريد بذلك ما عند الله لم يكن في الجنة افضلُ منه ، ألا وان العلم افضل العبادة ، وملاك الدين الورع ، ألا وان الله عز وجل سائلكم عن اعمالكم ، وما من شيء نهى عنه الا ببيّنة ، ليهلك من هلك عن بيّنة ، ويحيا من حيّ عن بيّنة ، وهو بالمرصاد ، وليجزي

الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى ، من عمل صالحا فلنفسه ، ومن أساء فعليها ، وما ربك بظلام للعبيد » . فلما اراد ان ينزل من المنبر قام له رهط من الانصار ، وقالوا له : « يا رسول الله ، كيف العيش بعد هذا اليوم ؟ » ، فقال لهم : « ناجيت ربي عز وجل في أمتي ، فقال لي باب التوبة مفتوح ، حتى ينفخ في الصور ، من تاب قبل موته بسنة تاب الله عليه ، ثم قال سنة كثير ، من تاب قبل موته بشهر تاب الله عليه ، ثم قال شهر كثير ، من تاب قبل موته بجمعة تاب الله عليه ، ثم قال جمعة كثير ، من تاب قبل موته بيوم تاب الله عليه ،ثم قال يوم كثير ، من تاب قبل موته بساعة تاب الله عليه ، ثم قال من تاب قبل ان يغرغر بالموت تاب الله عليه » ، ثم نزل صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

جعلني الله واياكم ممن سمع فامتثل ، ووفقني واياكم لصالح القول والعمل ، الا ان انفع ما يسر به القلب الكئيب ، ويستغنَى به عن المعالج والطبيب ، كلام مولانا القريب المجيب ، اعوذ بالله من الشيطان الرجيم : « إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ » (1) اهـ .

وعدت هذه الخطبة من مكاشفات كراماته ، فاقترب الوعد الحق بمماته .

وكان رحمه الله عالي الهمة ، أبيَّ الضيم ، وقور المجلس ، منصفا من نفسه ، آية الله في إنكار المنكر من غير مبالاة ، وله في الباب السادس اخبار ، مترنما بتلاوة القرآن ، متخلقا بالسنة ، سالكا طريق القوم ، مراقبا لربه ، متنشقا روح الله من مَهَبِّه ، كريم النفس ، فصيح اللسان ، عذب البيان ، يميل الى الانفراد ، والتعلل بقليل المتاع ، ولم تزل رتبته في ارتفاع ، وبدائعه نور على يَفَاع ، والعطاش تتضلع من أنهاره الزاخرة ، حتى لبى الى تلك الدار الآخرة ، في الثامن والعشرين من رمضان سنة 1266 ست وستين ومائتين والف (الاربعاء 7 أوت 1850 م.) ، بالمرض الوبائي المعروف بالكوليرة . ودفن بتربته المعروفة باسمه . وأفل بوفاته للعلم كوكب ثاقب ، ووُوريت بمواراته العلوم والمناقب ، وانقطع عن البلاد مُزْنُه ، فعمها حُزْنُه ، ولله در تلميذه الكاتب البارع ابي عبد الله محمد الباجي المسعودي حيث قال :

---

(1) س 4/آ 17 .

اری جیش الردی یرمي نصالا ويصلي غالب الاكباد جمرا
فلما استعظموه اغتال فردا يعم مصابه ، ومضى ومرّا (1)
أليس مصاب ابراهيم خطبا يَرُوع جميعَ أهل الارض طرا
سقى الرحمان تربته سحابا من الرُّحمى ، ورضوانا وبِرّا

وله حاشيته على « الفاكي » ، أشرف فيها على التمام ، وحاشية على شرح « الخزرجية » في العَروض ، وصلوات على النبيء صلى الله عليه وسلم ، وديوان خطب ، وديوان شعر ، جمعهما ابنه الاديب الفقيه ابو الحسن علي ، وأجوبة عن مسائل شتّى تسع مجلدا كبيرا لو جمعت .

وجبر الله صدع المنبر من هذا الجامع ، بفريدة من آل البيت ، وهو الامام العالم النزيه ، التقي النقي ، الفاضل صدر الافاضل ، تلميذ ابن عمه الحسن الشريف ، الغني عن التعريف ، تدرج في سلم الامامة بهذا الجامع ، من سنة 1234 اربع وثلاثين ومائتين والف ، وعلا هذا المنبر بالمواعظ البديعة ، وَلَبَّتْهَا القلوب سامعة مطيعة ، وهو ابو الثناء سيدي محمود ابن الامام ابي الحسن سيدي علي ابن سيدي احمد ابن سيدي محمد ابن سيدي محسن ابن الشيخ سيدي احمد الشريف الشهير بامام جامع دار الباشا .

ولما توفي ابن عمه سيدي محمد ، كان هو اماما ثانيا بالجامع ، وهو المترشح بحسب العادة للخطبة . ولما أولى الباي سيدي ابراهيم الرياحي ، لم يأنف من ذلك ، بل سلّم له ، واعترف بفضيلته ، على عادة انصافه ، وما يعد من جميل أوصافه ، وعرف كل منهما ما لصاحبه من المزية ، والاخلاق الزكية ، حتى ان الشيخ أوصاه على صغار بنيه ، لمّا راى فيه من الانصاف وحسن الوفا ٔ والعفة وعلو الهمة والتقوى . وسمعت ثناء كل واحد منهما على صاحبه ، وانما يعرف الفضل ذووه ، وهو الآن أطال الله بقاءه للمسلمين بركةُ الجامع وفارسُ منبره ونور محرابه ، ولقاء الله أعزّ آرابه ، فسح الله في اجله ، وزاد بذلك في عمله .

ولنرجع الى ما كنا بصدده من اخبار الاعيان على النسق المتقدم ، ولكل زمان أعيانه ، ولكل فارس ميدانه .

---

(1) يشير الى ان وباء الكولبرة انتهى امره بموت الشيخ الرياحي ، كما يروى .

[75 ـ عبد السـلام الشـرفي]

الشيخ ابو محمد الحاج عبد السلام الشرفي الصفاقسي

هذا البيت من أمجاد البيوت بصفاقس ، معدود في بيوت العلم والفضل ، ونشأ صاحب الترجمة في ظل شرفه ، فأخذ العلم عن والده ابي العباس احمد ، وعن عمه ابي محمد حسن ، والشيخ الطيب الشرفي .

وتقدم لخطة الفتوى على عهد أبيه ، وكان ناسجا على منوال آلـه في العلم ، وحسن السيرة ، توفي سنة 1227 سبع وعشرين ومائتين والف (1812/13 م.) .

[76 ـ علي الشفي]

ابو الحسن الحاج علي الشفي .

من أعيان الحاضرة ، المشار اليهم ، يرتزق من التجارة في الطِّيب وغيره ، وله حانوت بالعطارين .

وكان وجيها فاضلا ، خيِّرا صلبا في الحق ، انتخبه الباي ابو محمد حمودة باشا لبناء قشلة العطارين ، وثوقا بامانته ، ووفى بما يجب لديانته .

ولم يزل على وجاهته ، الى ان توفي أوائل ذي الحجة سنة 1227 سبع وعشرين ومائتين والف (اوائل ديسمبر 1812 م.) ، وخلف ابنا مثله ، تقدم لامانة العطارين ، وتوفي على وجاهته وأمانته ، وخلف ابنا قام مقام ابيه للامانة .

[77 ـ محمد بوثور]

ابو عبد الله الحاج محمد بوثور .

من اعيان الحاضرة ، ووجوه تجارها ، قدمه الباي لكفايته وامانته ، لبناء قشلة البشامقية بالحاضرة ، فاحسن القيام ، ووفى المرام .

وامتحن في أواخر عمره ، بذهاب بصره ، ولم اقف على تاريخ وفاته ، وغالب الظن انه في هذه العشرة من هذا القرن .

[78 ـ مصطفى الارنووط]

ابو النخبة مصطفى الارنووط .

نشأ في الخدمة الملكية ، من اعيان حوانب الترك ، ثم ترقى عند الباي أبي محمد حمّودة باشا ، فوكله على خزائن حبوب الطعام ، واستخلاص الاعشار ، ووجهه سفيرا الى الدولة العلية العثمانية ، وسفر عنه ايضا لبعض الدول باروبا ، في اغراض عديدة ، فاحسن السفارة ، وتمم أغراض مخدومه .

وكان وجيها فصيحا ، حسن الاخلاق ، حلو الشمائل ، نبيه الفكر ، عالي الهمة ، عزيز النفس ، موثوقا به ، مقربا عند مخدومه .

ولم يزل على حاله ، الى ان توفي في اوائل رمضان من سنة 1228 ثمان وعشرين ومائتين والف (أواخر أوت 1813 م.) .

[79 ـ حسين برناز]

الشيخ المفتى ابو محمد حسين
بن مصطفى برناز

ترجم له شيخ الاسلام ابو عبد الله محمد بيرم الثاني ، في شرح نظمه للمفتين ، بما نصه : « كانت له ملكة حسنة في الفقه والنحو ، وهي في الفقه احسن ، وكان رجلا خيرا ، حسن الظن في الناس ، مقبلا على شأنه ، معرضا عما لا يعنيه ، طارحا للتكلف ، قائما بحقوق الصحبة . صحبته ما يقرب من خمسين سنة فما تغيرت من جانبه بشيء ، جزاه الله خيرا ؛ ولد سنة 1140 ، وقرأ على غالب الشيوخ الذين أخذت عنهم ، وانفرد عني بثلاثة الشيخ أبي الظفر مراد موسيكه قاضي الحنفية كان ، قرأ عليه « الدرر » بتمامه ، والشيخ الامام ابي محمد حمودة باكير ، والشيخ أبي محمد حمّودة البرادعي ، قرأ على كل منهما « صدر الشريعة » . وأقرأ في النحو صغار كتبه ، وفي الفقه « صدر الشريعة » . وكان شرع في مزجه ، ولم يتممه ، كما أقرأ « الجوهرة على القدوري » ، وأظنه لم يختمها .

ولي اولا الفتوى بالمنستير ، وامامة جامعها الحنفي وخطبته .

وكانت عادته أن يأتي لتونس كل عام للزيارة مرة ، فتخلف في بعض السنين ، فكتبت له في ذلك ، فلم يأتني منه جواب ، فكتبت اليه معاتبا ومداعبا :

على اي شيء لا يرد جوابي وينبذ ظهريا لديك كتابي ؟

ثم طلب رفع يده عن وظائف المنستير ، والعود لبلاده ، فأجيب ، وانتصب هنا للشهادة ، ثم ولي خطبة جامع القصر ، بعد موت ابي عبد الله محمد برتقيز ، ثم امامة الجامع اليوسفي وروايته ، ورواية الجامع الباشي بعد موت الفقيه ابي عبد الله محمد المُلاّ ، ثم القضاء لما نقلتُ منه الى الفتوى ، ثم عزل عنه لتغفله . ولما كان عزله لا لريبة، وهو رجل قد طعن في السن ، جبره الامير ، جبره الله تعلى بين يديه ، بزيادته مفتيا ثالثا ، فبقى على ذلك ، الى أن توفي الى عفو الله تعلى ، في ذي القعدة الحرام سنة 1228 ثمان وعشرين ومائتين والف (اكتوبر — نوفمبر 1813 م.) فيكون قد بلغ من العمر ثمانية وثمانين سنة ، ولم يبلغ هذا السن من مات من جميع المذكورين ، وكتب على ضريحه من انشاء الشيخ ابي اسحاق الرياحي :

كل الورى هدف لسهم حمام حكم جرى حتى على الحكام

الخ ... » اهـ .

واقول ، خلف هذا الشيخ ابنا من أعيان الفقهاء المدرسين ، خطب على منبر الجامع اليوسفي ، وهو الآن على منبر جامع القصر ، ناسجا على منوال ابيه ، كثر الله من أمثاله .

[80 — محمود مقديش]

الشيخ ابو الثناء الحاج محمود مقديش الصفاقسي .

هذا البيت من أنبه بيوت صفاقس ، ونشأ صاحب الترجمة في طلب العلم ، فأخذ عن علماء صفاقس ، ثم ارتحل في طلبه الى زاوية الجُمَّني بجربة ، ثم ارتحل الى تونس ومصر ، فأخذ عن أعلام جامع الزيتونة ، والجامع الازهر . ولما تضلع بالعلوم رجع الى بلاده صفاقس ، فأفاد واجاد ، ونفع العباد ، وتزاحمت على منهله الوُرّاد ، وافنى عمره في هذا المراد ، وأتى فيه بما يستجاد ، وتلاميذه بصفاقس أعلام ، وايمة في الاسلام .

وكان متخلقا بالانصاف مع ما فيه من محمود الاوصاف ، والف حاشية على تفسير « ابي السعود » سماها « مطالع سعد السعود ، على تفسير ابي السعود » ، وشرح نظم

ابن عاشر في العبادات المسمى « بالمرشد المعين » ، وشرح « القلصادي » ، وكتب تاريخه المعروف ، ولم نر تآليفه لانها لم تصل الى حاضرة تونس .

وسافر من بلده في غرض الزيارة الى القيروان ، فوافاه الاجل المحتوم ، وسبحان الحي القيوم ، وحمله ابنه الشيخ محمود ، وكان معه ، الى تربة آله بصفاقس ، وحب الوطن من الايمان ، وذلك سنة 1228 ثمان وعشرين ومائتين والف (1813 م.) .

[81 ـ أحمد بن الكاتب]

ابو العباس احمد بن الكاتب .

من أعيان بيوت الحاضرة ، وجدُّه كان كاتبا للباشا علي بن محمد بالقلم التركي ، صاهره على بنت ابنه محمد ، وصاحب الترجمة من ذريتها .

وكان وجيها فاضلا كريما ، مظهرا للنعمة ، طامح النفس الى قنن المعالي ، متشبها بابناء الملوك ، وله امتزاج بالباي ابي عمرو عثمان قبل الولاية امتزاج أكفاء ، وافنى في ذلك الطارف والتالد من تراث سلفه ، ثم تراجع حاله ، فقعد ملوما محسورا ، والله الآخذ بيد الكريم ، توفاه مستورا ، في رجب سنة 1229 تسع وعشرين ومائتين والف (جوان — جويلية 1814 م.) ، قبيل ولاية صاحبه ، ودفن بتربة آله ، رحمه الله تعلى .

[82 ـ أحمد البارودى]

الشيخ المفتى ابو العباس احمد بن حسين البارودى

قال الشيخ أبو عبد الله محمّد بيرم الثاني ، في ترجمته ، من شرح نظمه للمفتين من الحنفية ، ما نصه : « الشيخ الاجل ، والدراكة الاكمل ، ذو الفكر الغواص ، الذي يعجز عن غوصه كثير من الخواص ، فارس المنبر والمحراب ، الآتي فيهما من الفصاحة وحلاوة النغمة بالعجب العجاب . وزاد على اخيه وأبيه بالشعر الرائق ، والنظم الفائق ، شارك اخاه في شيوخه السابق ذكرهم ، وانفرد عنه بالاخذ عن والدي ، قرأ عليه قطعة كبيرة من « الاشموني » في النحو ، و « ملتقى الابحر » في الفقه ، واخذ عن شيخنا العلامة امام المعقولات ابي عبد الله محمد الشحمي « الخبيصي على التهذيب » في المنطق . خطب في صغره بباردو نيابة عن والده ، ثم اخذ بعده الجامع الجديد ، بجميع

علائقه ، ثم تدريس الدرس الحنفي الذي بمدرسة الامير المقدس المولى ابي الحسن علي باي ، بعد موت الشيخ حمودة بن محمود ، المرتب فيه اولا ، ثم تدريس المدرسة العُنْقية ، بعد موت الفقيه ابي العباس احمد الطراز ، ثم الفتوى وخطبة باردو . ودرْس التجويد ، ودرس الجامع الباشي ، بعد موت ابن اخيه ابي النخبة مصطفى . وسبب تأخر ولايته الفتوى [عنه] امتناعه منها اولا ، فان الامير رحمه الله تعلى قد رام بعد موت اخيه صرفها اليه ، وان يزيد ابنَ اخيه ثالثا ، رعاية لابيه ، فابى الشيخ احمد عليه . ولقد قال لي في ذلك الامير حين اجتماعنا بمجلسه : « تكلم مع فلان فاني خاطبته في الولاية فابى » ، فعالجته في ذلك ، فما زادته معالجتي الا إباء ، فاقتصر اذ ذاك على ولاية حفيده مصطفى المذكور ، حتى اذا توفي ولم يمكنه الامتناع بعد اعادة الطلب عليه أجاب » .

...« وتوفي الشيخ احمد هذا الى عفو الله تعلى ، ليلة الجمعة الثانية والعشرين من شوال من عام 1229 تسعة وعشرين ومائتين والف (7 اكتوبر 1814 م.) ، ودفن بجَبَّانة المرسى ، جوار الشيخ سيدي عبد العزيز المهدوي بوصية منه ، وكتب على ضريحه من انشاء العلامة ابي اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، وهو :

عش ما تشاء لـذاذةً وحبـورا ان القصـور ستستحيل قبـورا »

الى هنا ترجمة شيخ الاسلام الثاني ، واقول : اني رايت هذا الشيخ وانا طفل صغير ، يوم اقيمت صلاة الفريضة بجامع الوزير ابي المحاسن سيدي يوسف صاحب الطابع ، حملني اليه أبي ، وهو قرب المنبر ، فغاية ما أتذكر أني قبلت يده ، وقرأ على رأسي ، وجعل في اصبعي خاتما صغيرا ، تحتمله اصبعي ، به ثلاث حجرات ديَامُنْتْ ، وفرحي بالخاتم أذهلني عن تحقق وجه الشيخ ، وأكبر والدي هذه العناية منه ، وكان من أعز أصدقائه الممتزجين به ، تصاحبا في السفر لاداء فريضة الحج ، واتصلت الصحبة ، وكان يستدعي والدي للمبيت عنده ، اذا طال تخلفه عليه ، والرسول يقول له : « اني متعين لك من الشيخ » ، ويطلب الخدمة ، شأن الأُلفة ، السالمة من متاعب الكلفة . وكان والدي وغالب من نعرفه من اشياخي يطيلون الثناء عليه ، بانه من رجال العلم والسياسة ، واخلاق الرئاسة ، من الكرم وعلو الهمة ووقار المجلس وحسن اللقاء ، وفصاحة اللسان والوفاء بالعهد وحسن الخلق وآداب المعاشرة ، ويحب اظهار نعمة الله عليه بفاخر الثياب ، وركوب الخيل المسومة بالسروج المحلاة ، الى غير ذلك .

وكان من رجال دولة الباي ابي محمد حمودة باشا .

اتفق ان الشيخ توجه لحمام قربص للتداوي ، وبعده توجه والدي للتداوي ايضا ، ومعه الكاتب ابو البقاء خالد الزهاني ، ولما وصلا أتيا الشيخ للسلام عليه ، فقال لهما : « ما هذه الاحمال التي سبّقتموها ؟ » ، فقال له أبي : « ضروريا تنا » ، فقال له الشيخ : « اما اذ عزمت على النزول بمحل يخصك فلا اغصبك على صحبتي ، وانت مريض ، فأبقي لك الفراش والغطاء والثياب » ، ووقف بنفسه ، فتصدق بسائر الزاد على فقراء المرضى ، وقال له : « يشين وجه المروءة من الجانبين ، ان تقدم لمحل وأنا به ، وتأتي بالزاد ، ونحن بهذه الالفة » .

ومن سياسته ان شيخنا العلامة ابا عبد الله محمد بيرم الثالث لما تقدم لخطبة الجامع الذي بناه الوزير بالحلفاوين ، أتى الشيخ الى والده ، وقال له : « أنا نُرافق ابنك الى الجامع » ، فقال له الشيخ : « احمله الى دارك ، وافعل به ما شئت » ، فحمله الى داره ، وقد هيأ له شعار الخطباء ، وقرأ الخطبة عليه ، وترافقا الى الجامع ، ورجع معه بعد صلاة العصر الى أبيه .

وكان صلبا في الحق ، غيورا على المنصب الشرعي . بلغه ان رجلا عين له الداي غاصبا ، فمرّ به على دار القاضي ، فمسك حَلَقَتها ملتجئا ، فغلبه الغاصب وفك يده من الحلقة ، فبعث الى الداي في الحين ، وقال له : « ما بال الحوانب لا يخرجون من الزوايا احتراما لها ، وهذه دار رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ » ، وعزم على رفع الامر لامير العصر ، والتسليم في الخطة ، فاستشفع اليه الداي بشيخ الاسلام ابي عبد الله محمد بيرم الثاني ، فبعث له وثبطه عن عزمه .

وكان واقفا عند أمره ، لا يهاب غيره . بعث له الوزير ابو المحاسن يوسف صاحب الطابع ، وهو بحمام قربص ، الف محبوب ، فردها وقال للرسول : « قل لسيدك لو بعث لي فرسا او شيئا مما يؤكل قبلت ، وشكرته عن الهدية ، ولا اقبل المسكوك ، وقد اغناني الله عن الصدقة ، والشكر لله ، فادفعها لمن هو احوج مني » ، فقال له والدي ، وكان معه : « يكون ردها على يدي » ، فقال له : « اما هذا فنعم » . ولما رجع أبي ، حمل له المال ، فوجده متغيرا (1) ، فقال له : « ان الرجل يراك حبيبا من أكفائه ، حتى انه لا

(1) متغيرا : مستاء (عامية تونسية) .

يَشْقُل عليه ان يكشف اليك قناع حاجته ، فاذا انت تبعث له دراهم مع قاسم البواب ، بغير مكتوب » ، الى غير ذلك ، ولم يزل والدى بالشيخ ، الى أن ألزمه ان يكاتب هذا الوزير في بعض حاجاته ، شأن الاكفاء المتحابّين .

وتقدم ثباته ليلة وفاة الباى ابي محمد حمودة باشا ، في الباب الثاني من هذا الموضوع .

ولم يزل هذا الشيخ حزينا على فراق ذلك الامير الشهير الاجل ، الى ان وافاه بعد موته داعي الاجل ، ودفن في عزيز جوار ، والدار الآخرة هي الدار .

[83 ـ أحمد الشرفى]

ابو العباس الشيخ احمد الشرفى الصفاقسى

نشأ في شرف بيته النبيه ، وأخذ عن اعيان اهل بيته وذويه ، وغيرهم من اهل بلاده . وارتحل في طلب المزيد من العلم الى تونس ، ومنهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا ، فأخذ عن الشيخ الغرياني ، والشيخ قاسم المحجوب وغيرهما ، ورجع لبلده مملوءَ الوطاب ، حاملا ما زكا من المعارف وطاب ، فأفاض على الطالبين السجال ، وبث العلم في صدور الرجال ، وتقدم لخطة الفتوى فجلى في ذلك الميدان ، بالقلم واللسان .

وكان في الحق جسورا ، وعلى الاذى صبورا ، عالما خيرا وجيها .

ولم يزل ينفع الناس ، الى آخر ما قدر له من الانفاس ، ووفاته في سنة تسع وعشرين ومائتين والف (1813/14 م.) رحمه الله .

[84 ـ يوسف صاحب الطابع]

الوزير الشهير ابو المحاسن يوسف خوجة صاحب الطابع .

هذا السيد من أفاضل الموالي ، ومن السابقين الى المعالي ، [اصله] كما أبان عن نفسه لاصحابه وذويه ، ومنهم أبي ، من البغدان . أتي صغيرا دون البلوغ لاسلامبول ، فاشتراه احد تجارها في بُنِّ القهوة ، وكان القائد بكّار الجلولي ، لما علم ترشح الباى حمودة باشا للملك والسفر بالمحالّ ، بعث الى القسطنطينية ، يرتاد مماليك ليهديهم اليه ، فساق القدر رسوله الى هذا المملوك ، فاشتراه . ولما اراد السفر به منعه حارس المرسى ، لصدور فرمان سلطاني بمنع خروج المماليك لمصر ، فقال هذا المملوك : « انا رجل حر

أعتقني سيدي ، ولي اخ بتونس هو صاحب الطابع بها ، أريد السفر اليه » ، فخلى الحارس سبيله ، فتعجب رسول الجلولي من فطنته ، وقال له : « من لقنك هذا ؟ » ، فقال : « لم أقله عن روية » .

ولما وصل لصفاقس ، أقام بين يدي القائد بكار ريثما يتعلم اللغة واخلاق البلاد .

ولما اتى للحاضرة بوفد البيعة استصحبه معه ، وكساه بزى امثاله ، وقال له : « اذا دخلت ورائي الى حضرة الباي ، فقبل يده ، وتأخَّر ، وقِفْ آخر المماليك القائمين بين يديه ، ولا تتبعني ، لانك مملوكه » ، ففعل ، وانخرط في زمرة المماليك . وعادتهم ان السابق في الخدمة يتقدم على من جاء بعده .

ولهذا الرجل نفس عصامية ، ولما حان سفر المحلة ، طلب من سيده ان يحمل الزغاية بين يديه ، فسكت عنه ، فارتمض لذلك وصبر ، ولما خرجت المحلة ، خرج وراء سيده ، كآحاد المماليك ، وأتى العلامة الاكتب ابو محمد حمودة بن عبد العزيز بمكاتيب للامضاء بالختم ، في الوطق على العادة ، فنظر الباي لهذا المملوك يوسف ، وقال له : « هل تحسن الطبع ؟ » ، فقال له : « نعم » ، فأجلسه ، ورمى له بطابعه ، وقال له : « مهما اتت المكاتيب ، تقدم لتطبعها » ، فصار يطبع من يومئذ ، وبه صار لهذه الخدمة شأن .

وقال له العلامة الكاتب : « عيِّن احدا لخلاص عوائد الطابع » ، فقال له : « خلاّصك يخلِّص لي ، فخذ ما شئت ، وأعطني ما شئت » ، فكان يبعث اليه بذلك ليلة الوصول للحاضرة ، ولم يعين احدا لخلاص عوائده الا بعد وفاة الشيخ الكاتب ، فاستقل بدخله ، وعيّن لخلاصه تابعه الحاج صالح بوغدير ، ثم قاسم البواب .

ولما ترقى صاحب الطابع الى هذه الخدمة ، انفتح بينه وبين سيده باب التخاطب ، وبدا هلال نجابته ، فتدرج في مراقي العز والرفعة ، واسباب الشهرة والسمعة ، وتقرب لسيده ، وكان عَيْبَة سرِّه ، يرى الدنيا بعينه ، ويستطيب به لذة الملك ، فجلى في ميادين السفارة للدولة العلية ، وبسياسته كفى الله المؤمنين القتال ، وقاد الجنود ، وخففت عليه رايات البنود ، واتيح له النصر ، ولهج بالثناء عليه لسان العصر ، بما لا تأخذه يد الحصر ، واسس جميل المآثر في هذا المصر ، فهو مصداق قول القائل :

آثاره تنبيك عن اخباره ... حتى كأنك بالعيان تراه

تالله لا يأتي الزمان بمثله ... ابدا ، ولا يحمي الثغور حماه

فمنها جامعه الحافل البديع الشكل بالحلفاوين ، والزاوية لتعلم القرءان ، والمدرسة للعلم ، والاسواق حوله ، والوكالة والمخازن والحمام .

وكان ابتداء البناء فيه يوم الاحد غرة محرم الحرام سنة 1223 ثلاث وعشرين (20 فيفري 1808 م.) ، واقامة الصلاة به يوم الجمعة الثاني عشر من أشرف الربيعين سنة 1229 تسع وعشرين (4 مارس 1814 م.) ، كما تقدم في الباب الاول .

واول خطيب به شيخ الاسلام العلامة المحقق ابو عبد الله محمد بيرم الثالث ، واول امام فيه للخمس شيخنا العلامة الحجة ابو العباس احمد الأُبِّي ، واول المدرسين به شيخ الشيوخ المحقق ابو عبد الله محمد الفاسي ، ابتدأ به « التفسير » للقاضي البيضاوي ، وشرح السعد « للعقائد النَّسَفية » ، وعالم العصر وبركة المصر شيخنا أبو اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، ابتدأ به شرح « القسطلاني لصحيح البخاري » ، و « المختصر » في الفقه المالكي ، ودرّس في النحو ، وهو شيخ المدرسة ، والشيخ الفقيه ابو العباس احمد العوّادي درّس الفقه ، وشيخنا العلامة ابو عبد الله محمد بن الخوجة درّس « تذكرة القرطبي » في الحديث .

وجعل به اربع خزائن مملوءة بالكتب العلمية ، مكتوبا عليها التحبيس ، اثنتان لنظر الامام ، واثنتان لشيخ المدرسة .

واوقف على الجامع اوقافا نافعة جارية ، حتى انتفع بفاضلها غيره من جوامع الحنفية ، في اقامة ابنيتهم .

ولما اقيمت الصلاة بهذا الجامع أحصى رحمه الله ما يلزمه من المصروف في عام ، من مرتب الايمة والخوجات والمؤذنين والوقادة ومشائخ الدروس والطلبة بالزاوية والمدرسة ، والخبز لهم ، والزيت للتنوير ، واحياء ليالي المواسم ، وغير ذلك من المصروف اللازم ، وما يمكن ان يطرأ ، ودفع ذلك للوكيل ناضًّا ، فكان دخل العام الاول من الوقف فاضلا للجامع ، وأبقى في خزنته من الرخام والآجر والجير وآلات الرّمّ ما يبني جامعا ، وعاثت في ذلك الأيدي بعد موته .

وجعل دفترا لاحصاء أوقافه ، واشترط في حبسه ان يحضر في كل عام امام الجمعة ، وامام الخمس ، وشيخ المدرسة لمحاسبة الوكيل على يد شاهد الوقف ، واول وكيل به

الشيخ الذاكر ابو الحسن علي الباز . واول شاهد به شيخنا العلامة الاكتب ابو عبد الله محمد بن سليمان المناعي . وبنى لِصْقَ الجامع مكتبا لتجويد القرآن ، أول مدرس به الشيخ المجود الحافظ ابو الفلاح الحاج صالح السنَّان . وقدّر أن يبني قرب الجامع تكية للفقراء ، فعاقه الاجل ، وله اجر من همّ بحسنة ، وجعل في مدخل صحن الجامع من الباب الجوفي تربته ، واول من دفن بها الولي المجذوب صاحب الكرامات سيدي عثمان بن كرم ، دفن بها غرة رجب من سنة 1225 خمس وعشرين ومائتين والف .

والذي باشر بناء الجامع ، هو الوجيه المهندس الحاج ساسي بن فريجة ، وطلب من صاحبه ان يدفن في سقيفته ، فدفن بقبة سيدي مصطفى الجزيري داخل بابه الجوفي ، وتقدم بعض ذلك في الباب الاول عند مناسبة ذكره .

ولما تم بناء هذا الجامع ، واقيمت الصلاة فيه ، انهل ودق الادباء بتواريخه وتهنئة صاحبه ، نذكر بعضها ، لانه لم يرسم فيه شيء منها ، فقال شيخنا العلامة ابو اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي :

ذكر جميل يوسف قد جدده   وذخيرة في الصالحات مخلده

ذا الجامع الحسن الذي هو جنة   لولا رسوم الدين فيه مسرده

لا تمتلي منه العيون بقُرة   الا وقد اخذت مناها الافئدة

بيت على التقوى تأسس والرضى   فابو المحاسن بالرضى ما اسعده

ولكم اتى فيما بنى بمحاسن   جُمَلٍ ، ولكن ذي محاسن مفرده

مدد من الباشا العظيم جرى له   فأتت به منه الامور مسدده

لا بل هو الباني ولكن حبه   فضل الخَفِي في الخير قد اخفى يده

حمودة باشا وما ادراك ما   ملك به نِعَمُ الاله مجدده

نامت به الخضراء في ظل الهنا   وغدت لاجفان العُداة مسهّده

ولكم له من صالحات رصعت   تاجا على راس الزمان منضده

صنع به ابتهجت ملائكة السما   وغدت به شيع الابالس مكمده

يهني الورى وخصوصا العلماء والصلحاء انوار له متوقدة

ما شئت من علم قبست ومن هدى   يهدي به الله من قد أيده

ما شئت من آي الكتاب وسنة   هذي مسلسلة وتلك مجوده

يهدي المفسر والمحدث منهما ليـن الفـؤاد وادمعـا متبـدده
فـالله يجزيـه الـرضـى وينيلـه غـرف الجنـان وثـم يـزلف مقعـده
فـاشكـر لـه واسأل وقـل متعجبـا ومـؤرخـا : لله مـا قـد شيـده

وقال شيخ الاسلام ابو عبد الله محمد بيرم الثاني يهنىء الامير ويعتذر عن تخلفه يوم شهود الجمعة في الجامع :

أهنـي بهـذا الجامع الشامخ القدر جمـال العـُلى حمودة النافذ الامـر
أميـرا اذا عـد الملـوك رأيتهـم نجـوما وكان البـدرَ في وسط الشهـر
ولا عجـب اذ فـاقهـم وهو منهمُ فـان الليـالي بعضهـا ليلـة القـدر
لـه المـأثـرات الغـر والهمـة التـي غدت في التعالي دونها رفعة النسـر
وقـد انبـأت آثـاره عـن علـوهـا ومن تلك هذا المعبد الواضح الفخـر
تعلقـت الآمـال منـه بـوضعـه فبـاشره مـن رام تنفيـذ ذا الامـر
ومـا كـان يعـزى في الامور لتابع فـذلك للمتبـوع حقـا بـلا نـكـر
فحـق هنّـا المـولى بمكـرمـة أتـى بهـا مجـده تبقـى الى آخـر الدهـر
وحـق عليهـا منـه لمـا تـوضحـت جـلالتهـا قسط عظيـم من الشكـر
اطـال الـه العـرش في العـز عمـره ووفقـه للخيـر في السـر والجهـر
ومـا غـاب عنـي ان سعيـيَ واجب لهـذا الهنـا لـكـنني بيّن العـذر

وقال ايضا مهنئا للوزير :

هنيئـا لادراك المنـى والـرغـائـب ونيـل الـذي املتـه مـن مطـالـب
بـاتمـام هـذا الجـامع المفـرد الـذي بـدا كسمـاء زينـت بالكـواكب
تتبعـتَ انـواع المحـاسن كـلهـا فـافرغهـا التـدبيـر في خيـر قـالـب
فجـاء على ما قـدر الفكـر هيكـلا عظيمـا يـُرى اعجـوبة في العجائـب
فـاصبحت الخضراء تـزهو واصبحت تفاخر ارضَ الشـرق ارضُ المغارب
فقيـد بشكـر الله نعمتـه التـي تفـاصيلهـا لا تستطـاع لحـاسب
ومـن شكـره شكـر الامير فـانـه لتسييـر ذي الخيـرات اعظم جـانب
مليـك لـه الاملاك اضحت حـواسدا على مـا حـواه من عظيم المنـاقب

فلا زال في حصن منيع وعـزه   عليك رواقا من جميع الجوانب
بحرمة خير المرسلين محمد   شفيع الورى المرجو لحسن العواقب
عليه صلاة الله ما لاح بـارق   وقهقـه رعد من بكاء السحائب

ولو تتبعنا سائر ما قيل من الاشعار ، طال بنا الحال .

وجميع ما صرف على هذا الجامع من الغنائم ، وفوائد التجارة ، في دفتر مخصوص بخط أبـي .

ومن مـآثر هذا الوزير انه اعاد بناء الجامع المعروف بجامع العبيدي ، بمحج الزاوية البكرية ، واحدث به مئذنة ، وحبس عليه ، وعلى قيام الليل بالمئذنة حبسا نافعا . واول امام به الشيخ محمد العذاري .

وأحيا سائر ما اندرس او تداعى من المكاتيب القرءانية بالحاضرة .

وله قنطرة على واد بطريق ماطر ، أرخها الشيخ المفتي ابو العباس احمد ابن الشيخ المفتي حسين البارودي .

وله البرج المعروف باسمه بباب الخضراء ، بناه وعمره بالمدافع من ماله ، وذلك انه اشار بوضعه ، فعارضه الوزير ابو عبد الله محمد العربي زروق بعدم لزومه ، فقال له : « اشرَعْ في بنائه ، وسائر ما يصرف عليه اقبضْه مني ، ولا تُدْخِلْه في حساب الدولة » ، ففعل .

وله عناية باجراء الماء في الحاضرة وغيرها ، فبنى سقايته داخل باب عليوة ، وأوقف عليها من العقار بقربها ما بقيت به لعصرنا ، وسقاية داخل باب سيدي عبد السلام ، وسقاية الحلفاوين التي عليها بعض علوه ، ومبانٍ بحمام قربص من حمامات وغيرها ، وسهل طريق الوصول اليه تسهيلا يَسَّر وصول المرضى اليه ، وله البئر الجديدة قرب مقام الشيخ العارف بالله سيدي ابي سعيد الباجي ، وهو ماء مَدين ذلك الجبل ، وعليه الى الآن امة من الناس يسقون ، وحبس عليه اوقافا نافعة ، وله البئر المعروفة ببير مسيس قرب جبل المنار ، الى غير ذلك مما لا ينقطع به العمل بعد الموت .

وله حبس جليل على المارستان للمرضى بصفاقس ، وكان يحبها محبة الوطن ، ويقول هي اول ارض مس جلدي ترابها .

وله حبس على ثلاثين قارئا يقرؤون تمام القرآن العظيم بجامع الزيتونة كل يوم في ثلاثين سِفْرا ، تحبيسها بخط العلامة ابي حفص عمر المحجوب .

ومرّ يوما في طريقه للمحمدية بحومة السبخاء فنادى المؤذن لصلاة العصر ، فنزل ودخل الجامع ، وصلى مع الجماعة ، ولما خرج تلقته اهل الحومة ، وقالوا له : « ان جامعنا تداعى للخراب ، وليس له وقف يفي باصلاحه ، نطلب منك اصلاحه » ، فشكرهم على عنايتهم بمعبدهم ، وعلى كونهم رأوه اهلا لمطلبهم ، ووجه العملة ، وأعاده احسن مما كان في اسرع وقت ، ووشّح بابه بالرخام ، وبنى قربه مكتبا ، وجعل به صومعة لم تكن ، وحبس عليه .

ولاهل هذه الحومة اعتناء بجامعهم هذا ، لبُعْد غيره عنهم ، فمن الاتفاق ان ميضاته سقطت ، فتعرضوا للوزير ابي النخبة مصطفى خزنه دار ، ايام المشير ابي العباس احمد باي ، حين مروره للمحمدية ، وقالوا له : « ان المرحوم يوسف صاحب الطابع ، بنى لنا جامعنا هذا ، ونطلب منك ان تصلح لنا ميضاته » ، فلبّى طلبهم ، وقال لهم : « لكم الفضل في ذلك » ، فرمّها في أسرع وقت ، على يد أبي عمرو عثمان باش بواب .

قال لي بعض العلماء : « ان الوزير ابا المحاسن مما يصدق عليه قوله تعلى : « الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (1) » ، وكان يرسل لسائر مكاتيب الحاضرة ، وأكثرُها من بناءاته ، في كل عام ، بمال مع ابي الحسن علي الباز ، يدفع لشيخ المكتب خمسة ريالات ، ولكل واحد من الاولاد نصف ريال ، من ضرب السنة ، ويطلب الرسول من المعلم تسريح الاولاد يوم اخذ العطية ، فيقرؤون الفاتحة ، وينصرفون مسرورين بالامْرَين ، شاكرين داعين بلسان لم يعص الله .

وكان يبعث زكاة امواله سرا للعلماء ، واعظم صدقاته ما كان سببا في بقاء شيخنا سيدي ابراهيم الرياحي بهذه الحاضرة ، وانتفاع الناس بعلومه ، كما تقدم في خبره ، عند ذكر خطباء الجامع الاعظم ، وكان يوثر بصدقاته السرية من يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ، ويكثرها في رمضان ، ومواسم الاعياد وعاشوراء ، وله عناية بفك ديون الغارمين ، اذا اقعدهم الحال عن ادائها ، الى غير ذلك مما يجده بفضل الله ، يوم تجد كل نفس ما عملت من خير مُحْضَرا .

---

(1) س 2/ آ 274 .

ومذاهب هذا الرجل في الكرم حاتمية . سمعت من الاجل الرئيس ابي محمد حسن بن يوسف المورالي ، وكان من رؤساء شقوفه ، أنه خصه بنقل الرخام لجامعه من القرنة ، فكان يوم سفره يبعث لداره القمح والزيت والدراهم للنفقة ، ويوم قدومه يبعث له كسوة متمومة ، والف ريال ، دون أجر البحرية . وهكذا في كل سفرة . ولما تم نقل الرخام ، ملّكه الشقفَ بجميع آلاته ومدافعه ، وكانت اربعة ، وقال له : « تمعش به » ، فاتخذه سبب رزقه ، الى أن أخذه الجزيريون ، كما يأتي في خبره ، ذلك من حكاياته المأثورة في الخير والكرم .

والسبب في ثروة هذا الوزير هو التجارة خارج الايالة ، والغزو في البحر . وله سفن كثيرة يستعملها في الغزو ، ويحمل فيها متاجره للبلدان ، وكان تسريح الحبوب والزيت للخروج غير منضبط ، في ذلك العصر ، واهل المملكة لا يدفعون سراحا على ما يخرجونه منها ، وانما يدفع السراحَ غيرُ اهل المملكة من التجار ، حتى ان المقرب من رجال الدولة يطلب من الباي تسريح مقدار من الحبوب أو الزيت فيعطيه تذكرة الاذن ليبيع ذلك التسريح لغير اهل المملكة من التجار ، لما يقتضيه ذلك الحال من الثمن .

وهذا الوزير لا يدفع شيئا على اخراج ذلك مع كثرته ، حتى كاد ان ينحصر فيه المتجر خارج الايالة ، لا سيما صوف الشاشية النافقة يومئذ ، وذلك سبب ثروة خدامه كالحاج يونس بن يونس الجربي ، ومحمد اللوز الصفاقسي ، مع ما رزقه الله من السعادة في التجارة ، والغزو في البحر . وكاد ان لا يرجع له شقف بغير غنيمة ، وغالب اهل المملكة لا عناية لهم بالمتجر خارج بلدانهم ، وهمهم يومئذ الزراعة ، وشغل الارض ، واستخراج ما اودع الله فيها من الكنوز الطبيعية ، وكانوا يحصلون من ذلك اضعاف ما يلزم البلاد ، فتشتري وكلاؤه منهم ما يلزمهم بيعه ، وتجار الافرنج يومئذ قليلون ، وغالب تجارتهم وقتئذ صوف الشاشية ، والحرير ، والقرمز ، والملف ، والحديد ، واخشاب البناء ، وغير ذلك ، مما تحتاجه البلاد ، وهي يومئذ لم تصل الى درجة الترف والسرف ، كما تقدم في اخبار مخدومه .

وله عند الكثير من اعيان المملكة والحاضرة اموال لها بال على وجه القراض ، يتجرون بها معتمدين جاهه ، حتى ان الفقير القادر على عمل التجارة اذا استقرضه راس

مال يهش لذلك ، ولا يتوقف ، ولا يأخذ الا ثلث الفائدة من أموال قِرَاضه ، ترغيبا للناس في العمل ، وفي الاخذ من عنده ، ويقول : « القليل في الكثير كثير » .

واذا اعتبرت هذه الاسباب المتقدمة ، علمت سبب ثروته ، وانها توازي جباية الدولة يومئذ .

وشيوخ الحاضرة يعلمون ذلك ، ويرون ثروته كيف تعود بالنفع للبلاد . ومن اطلع على دفاتره التي بخط والدي ، يرى مصداق ذلك ، واكثر منه ، ولا تظنّ ان ثروته من مال الجباية او الرشوة وأسبابها ، فانها يومئذ قليلة ، وهي على نسبة الاتفاق مع العمال ، ثم ان الرجل له همة علية ، يكره بها الرشوة طبعا ، ويقول : « انها مذلة ، وصاحبها اجير ».

وبهذه الآثار ، اشتهر ذكره في الاقطار ، اشتهار الشمس في رابعة النهار ، وربك يخلق ما يشاء ويختار .

وهاداه سلطان المغرب الشريف مولانا سليمان بحصان كان راكبا عليه يوم المَشْور ، لما بلغه من بعض رؤساء شقوفه ، حين قدم عليه من سفره ، بأنه مر على تونس ، وأن وزيرها يوسف صاحب الطابع أكرمه وهاداه ، وهادى طائفة الشقف اعظاما لمولانا السلطان ، فقال لوزيره : « ارسل هذا الحصان اكراما ليوسف صاحب الطابع » . ولما وصل استعظم موقعه ، وكان يركبه في آخر امره ، وهو اشقر اللون ، بديع الشكل اعجوبة .

وبالجملة فاخبار هذا الرجل تملأ الصحف ، ومكانته عند مخدومه مكينة ، وله فيه المحبة الصافية والخلة الوافية ، وهو عَيْبَةُ سره وسمير نجوته ، وموضع شكواه وحصن امانته ، لا يستطيب العيش بدونه ، وهذا سبب منعه من التزوج ، لان سيده يبيت في صراية الرجال وهو معه . واستأذن سيده في التسري ، فأذن له ، وبعد ذلك أشاع أنه سيزوجه من أخته التي مات عنها الوزير مصطفى خوجة . ولما بلغه ذلك انكفّ عن التسري وانتظر .

حال هذا الوزير

كان حسنة من حسنات الدهر ، وبابا من ابواب الخير ، ماضي العزم قوي الحزم ، خيّرا تقيًّا ، عفيفا محافظا على النوافل والاذكار ، ثاقب الفكر ، ثابت القدم في المواقف الحربية ، ذا سياسة ، وأخلاق لا تصلح الا للرئاسة ، عالي الهمة ، أبيّ النفس ، كريم الطبع ، يحب العلماء والصالحين ، وقور المجلس ، حافظا ما يلزم الخطة بما لا يشوبه

كبر ولا عجب ، ممزوج الدم بحب الوطن ، كَلِفَ البال بما ينفعه ، محببا الى الناس ، وحبهم موصول بحب الله ، غيورا على خدمة سيده ، مجاهرا بعداوة من يقدم مصلحة نفسه على مصلحة الوطن ، يعيب المتصف بذلك ، ولا يراه أهلا لشيء من الخطط ، ولو كان محبوبا عند سيده ، آية الله في صدق النصيحة ، وكان يخاشن سيده في ذلك بما لا يسوّغه لا فرط المحبة الصافية ، فكان يقول له : « يا يوسف ، لا يتحملك غيري ، ولا تعيش أربعة أشهر بعدي » ، وكانت كالجفر .

وذلك أنه بعد مصابه بسيده ، طرقته الاوهام والظنون ، فصار أسيف القلب ، حليف الحزن .

وفي الثامن عشر من مصابه بسيده ، قدمه الباي ابو عمرو عثمان لولاية خطة خزنه دار ، وألبسه شعارها ، من القفطان ، والكُرْك ، والزمالة ، والطيلسان ، على الشكل المعتاد أيام أبيه . وكان لبس المخازنية يومئذ يقارب لبس الجند ، أقرب الى أهبة الحرب ، فتولى اسم الخطة ، واشتمل على الباي غيره ، وأنف من المزاحمة ، وأنساه فَقْدُ مخدومه طعم الدنيا ، فبقي متحجرا في عُلُوِّه المعروف بعلو مصطفى خوجة ، يأتي لملاقاة الباي كل يوم ، مشتملا على حزن وصمت وتغافل ، كأنه ضيف ، ويرجع لمحله ، وأبي معه ، لم يفارقه ليلا ونهارا ، حتى انه هم بالهروب ، لولا أن والدي يثبطه ، بل لولا القدر ، الى أن قتل عثمان باي ، واقتعد سرير الملك ابو الثناء محمود باي ، فقال له نصحاؤه ساعة جلوسه : « لا يتم لك امر الا باصطناع الوزير يوسف صاحب الطابع ، لانه زعيم الدولة ، العارف بسياستها ، ودقائق احوالها » ، فبعث اليه بالامان ، مع الوزير الشريف ابي عبد الله محمد العربي زروق ، فأتى مبايعا ، وعظم مقدمه ، وقال له في ذلك الديوان : « قد زوجتك بنت عمي أخت سيدي حمودة » ، وأعطاه قِيَادَ الامر ، وفتح أذنه لتدبيره ، وانفرد بالرئاسة ، فنافسه أهلها ، وحسدته رجال الدولة ، وكل ذي نعمة محسود ، ورضى الناس غاية لا تدرك .

وقال للباي : « ان هؤلاء الذين اعانوك على الثورة ، يجب إبعادهم ، حتى لا يجترىء على المنصب احد » ، وسمع بذلك الوزير ابو عبد الله محمد العربي زروق ، فعلم انه المقصود بذلك ، فنظر لنجاة نفسه ، ودبر مع ابنَي الباي في الفتك به ، وكان ما كان من قتله ،

وعبثِ السفهاء بجسده المكرم ، وجرّه مثل جيف البهائم ، وبقاء هذا الشين في جمال هذه الحاضرة ، عمرها الله . وتقدم تفصيل ذلك في الباب الثاني والثالث من هذا الكتاب .

وكان ذلك ليلة الاثنين الحادية عشرة من صفر سنة 1230 ثلاثين ومائتين والف (23 جانفي 1815 م.) .

وهذا شأن الوزراء للملوك الاطلاق، كما تقدم في العقد الاول من مقدمة هذا الكتاب.

وكتب على قبر هذا الوزير من نظم شيخنا العلامة ابي اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، بعد اختصار منه ، لضيق محل الكتابة ، وكان شيخنا يمليه علينا بتمامه ، ونصه :

لله قد وجب الدوام	وسواه نهب للحمام
حكم جرى تعميمه	حتما على كل الانام
سيان في تنغيصه	عال ومنخفض المقام
اين الملوك واين من	كانت لهم ترعى الذمام
لم يحمهم مال ولا	لمع الصوارم والسهام
وجميع عزهم انطوى	كالبرق في طي الغمام
لم يظفروا بسوى الذي	عملوه من خير مُدام
وجدوه نورا عندما	يسعى المقصر في الظلام
وجدوه سعدا مؤنسا	يهدي الى دار السلام
وجدوه ملكا جل ان	يسعى لعزته انصرام
وهو الذي قد رّامه	بصنيعه هذا الهمام
فأتى بكل عظيمة	عن مثلها صغر العظام
أوَلَمْ يُسِل عين الندا	حتى تضاءل كل طام (1)
او لم يشد للدين ما	انواره ذات ابتسام
من جامع جمعت له	كل المحاسن بالتمام
ومكاتب اضحى بها	در المفاخر في انتظام
وموارد بزلالها	ابرى الانام من الأُوَام

(1) في الاصل : حتى تضاءم كل ضام ، وكذلك في « تعطير النواحي » .

هــذا ، وكــم لبتــه فــي ... ايــامــه زمــر المــرام
والـدهــر كـم لحظتـه مـن ... اجـلالـه عيـن احتـرام
جـر العسـاكـر خلفـه ... وبـرأيـه صلى الامـام
واطـاعـه فـي حـربـه ... نصـر عـزيـز لا يـرام
ثـم انقضـى فكـأنـه ... طيـف تعـرض في منـام
ومَـنِ الـذي دامـت لـه ... والـدهـر مسلـول الحسام
تبكـي عليـه عـوائـد ... غُـرٌّ بـأدمعهـا انسجـام
الله يـرحـم يـوسـفـا ... ختـم الكـرام بـلا كـلام
لا غـرو ان أرختـه : ... بممـاتـه يَتُـم الكـرام

ولسان هذا النظم من الشيخ ، ينادي بالانكار على قتله . وكان بعد ذلك يـأتـي بنفسه لقراءة حزب المدرسة كـل غروب ، ويزور قبره كـل جمعة ، الى أن أضعفه الكبر .

دخلت يوما الى الجامع فرأيت الشيخ عند الباب المقابل للمحراب ، ينظر صب مطر ، فهرولت عند رؤيته ، ولما وصلته قال لي : « بئس ما صنعته من الجفاء ، أتمر على قبر صاحب ابيك ، ولا تقف مترحما ، داعيا ، ولو رآك ابوك ساءه ذلك ، أمَا تذكـر حنـانه عليك ، ومحبته فيك ، واحسانه لمعلمك وانت صبـي ؟ لا اقبلك حتى ترجع ، وتقرأ سورة الاخلاص ثلاثا والفاتحة ، وتدعو له بالرحمة والمغفرة » ، ففعلت ، ولما رجعت له قال لي : « السبب في بقائـي بين أظهركم حتى هرولت للقائـي ، هو صاحب ذلك القبر » ، واخذ يحدثنـي عن فضله وكماله ، وصغر الدنيا وتراثها في عينه ، وانه يطلب ملك الآخرة ، لا ما اتهموه به ، وهو ما اشرت له في المكتوب على قبره . وهذا الشيـخ ممن وفى له بعد الموت . كمـا تقـدم في البـاب الثـالث .

اللهم اغفر له وارحمه ، واجعله مع الذين انعم الله عليهم من النبيئين والصدّيقيـن والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا ، سبحانك لا تضيـع أجر من أحسن عملا .

[85 ـ حسن خـزنـدار]

الحاج حسن خزنه دار .

هو من ممـاليك الوزير ابي النخبة مصطفى خوجة المتقـدم ذكـره ، وكان خـازن داره ، ولذلك غلب عليه هذا اللقـب .

وترقى في الخدمة الى ان صار باش آغة الصبايحية بوجق تونس ، وخدم خطة دار الباشا نائبا ، لاقامة رسوم دار الخطة . وولـي خزنه دار اياما ، وكاهية بدار الباشا .

كان وجيها ، لم يحفظ عنه خيـر يذكـر ، وهو من الوالغيـن في دم الوزيـر ابـي المحاسن سيدي يوسف صاحب الطابـع ، كما تقدم في الباب الثالث من هذا الكـتاب ، وأول من عوقب في الدنيا منهم ، ولسان حال الوزير يقول : « تقدم الطالب ، والحـق المطلوب ، والحَـكَمُ عَدْلٌ لا يظلم مثقال ذرة » .

توفي في ذي الحجة سنة ثلاثين ومائتين والف ، ودفن بتربة سيده (نوفمبر 1815 م.)

[86 ـ محمد الخضـــراوى]

الشيخ ابو عبد الله محمد الخضراوى الانصارى القيروانى

هو من أفراد القيروان .

أخذ عن الشيـخ العالم ابـي محمد عبد اللطيف الطوير ، وغيره من علماء القيروان وتقدم لخطة الفتوى .

وكان فقيها خيرا وجيها نقـي العرض ، توفي سنة 1230 ثلاثين ومائتين والف (1815م.)

[87 ـ محمد النفـــاتى]

الشيخ ابو عبد الله محمد النفاتى .

من بيوت العلم في الحاضرة ، نسج على منوال آله . وعنده ملـكـة علمية في الفقـه والتوثيق ، وتقدم اماما خطيبا بجامع التّبانين ، المعروف بجامع النفافتة ، عوض أبيه .

وكان الوزير يوسف صاحب الطابـع يصلي الجمعة خلفه ، ايام اشتغاله ببناء الجامع، لان جامعه يصلي في اول الوقت .

وكان خيرا عفيفا ، غرا كـريما ، بعيدا عن التصنع معتقدا .

وكان جليسَه في التوثيق شيخنا العالم ابو عبد الله محمد بن سليمان المناعـي .

ولم يزل على حاله ، الى ان رمحته فرس ، فتوفي بسبب ذلك في الحين سنة 1231 احدى وثلاثين ومائتين والف (1815/16 م.) .

88 ـ محمد شـــاوش

ابو عبد الله محمد بن علي شاوش .

اصله من ابناء جند الترك ، ولسلفه خدمة في دولة الباشا علي باي بن حسين ، فنشأ صاحب الترجمة في بيت وجاهة ، وساعدته السعادة في المتجر .

وكان وجيها خيرا ، معدودا في الاعيان ، ذا مروءة .

ولم يزل على حاله ، الى ان توفي في منتصف محرم سنة 1232 اثنتين وثلاثين ومائتين والف (الخميس 5 ديسمبر 1816 م.) .

89 ـ محمد الفـــاسي

ابو عبد الله الشيخ محمد الفاسي .

هذا الفاضل من أفراد بيت الفاسـي ، الطائر الصيت ، المعروف بالعلم والفضل ، بحاضرة فاس ، عمرها الله ، ساقته المقادير ومَنّ الله به على هذه الحاضرة ، فاغتبـط به الشيـخ المفتـي ابو عبد الله محمـد بن حسين البـارودي ، وأنزلـه بداره على بساط اجـلال وتعظيم ، وضمه ضم الـكَمِـيّ لسيفه ، وضم اليه أبناءه ، يفيدهم العلم ، ويستفيد الشيـخ بمسامـرتـــه .

ودرّس بالجامع الاعظم ، فأخذ راية التقدم باليمين ، ونفع الطالبين ، وصقل الافـكـار ودرب الانظار ، وقويت اللحمة بينه وبين دار الشيـخ البارودي ، وتزوج امرأة من أقاربهم، وأولدها ابنا مات في حياته ، الى ان استخلصه الوزير ابو المحاسن يوسف صاحب الطابع فأفاض عليه سجال كـرمه ، وقابله بما يجب لمقامه من التعظيم ، وتصدر بجامعه لاقـــراء « تفسير القاضـي البيضاوي » ، وشرح « سعد الدين للعقائد » ، فظهر العذب من منبعـه ، والنور من مطلعه ، والفضل من موضعه ، ورأى الناس من هذا البحر الزاخر ، مصداق « كم ترك الاول للآخر » ، اذ كان على درجة عليا في تحقيق العلوم الشرعية والادبية والعقليـة ، كالمساحة والهندسة والفلك وغيرها ، مستـكـمل المحاسن خلقا وخلقا ، سَرِيًّا تقيا نقيـا ، عالي الهمة ، آية الله في العفاف والصبر والحلم ، وقور المجلس ، مهيبا على تواضعه ، منصفا فصيـح اللسان ، حسن التجمل ، بديـع المحاضرة ، حدّث عن البحر ولا حرج .

زاره أبي في مرض موته ، وحملني معه بنية التبرك ، وقال له : « يا سيدي ان ابني هذا نريد ان نطعمه البلاذر » ، (نبات بالمغرب يستعملونه للحفظ ، فساله عن كيفية الاستعمال) فقال له : « لا تفعل ، لما فيه من الخطر » ، ثم التفت الي وقال لي : « يا ابني، اياك ان تفعل ذلك ، فان ابن عرفة سئل عن البلاذر ، فقال هو الاجتهاد والتناظر » ، ثم أخرج كيسا تحت وسادته ، فيه سكة من الذهب ، وقال لوالدي : « هذا ما بقي عندي من إحسان المرحوم يوسف صاحب الطابع ، ارجو الله ان أتبلّغ بها الى انقضاء الاجل ، وان لا يجعل لغيره مِنّةً علي » ، ثم وضع يده على رأسي ، ودعا لي ، بما ارجو من الله قبوله .

ولم يزل في فراش ذلك المرض ، ولقاء الله احب اليه من كل غرض ، الى ان فجعت العلوم والمعارف بوفاته ، عصر يوم الثلاثاء الثاني (1) من ربيع الثاني سنة 1232 اثنتين وثلاثين ومائتين والف (18 فيفري 1817 م.) ، ونقله من دار سكناه ، تلميذه الشيخ الامام ابو العباس احمد ابن الشيخ محمد البارودي الى داره ، وخرج نعشه منها ، ودفنه بتربة آله ، ووجد عليه ما يجد الابن البار على الاب الشفيق .

وانثالت الادباء على مراثيه ، كشيخنا العالم العلامة ابي اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، والشيخ ابي عبد الله محمد الخضار ، رحم الله جميعهم .

[90 ـ حميدة بن عياد]

ابو العباس حميدة بن قاسم بن عياد .

ولد هذا الوجيه بجربة ، ونشأ في بيته النبيه ، ثم تقلب في الخطط النبيهة ، كولاية الاعراض وجربة وغيرهما . وقاد الجنود ، وخفقت عليه الرايات ، وكان محبا عند مخدومه الباي ابي محمد حمودة باشا ، يجالسه ويستعين برأيه ، ويوثره على أقرانه ، وتقدم ذكره في الباب الاول .

وكان كريما وجيها ، سليم الصدر ظاهر الثروة ، يغلب عليه الخير في أحواله .

ولم يزل على رتبته المكينة ، الى ان توفي في منتصف شعبان 1232 اثنتين وثلاثين ومائتين والف (الاثنين 30 جوان 1817 م.) ، ودفن بتربة آله خارج باب القرجاني . وخلف اولادا معدودين من النجباء ،[في كيفية جمع الاموال ، على اوجه لا تخطر ببال ، وتقدم بعضهم في خدمة الدولة] (2) .

---

(1) هو 1 حسب التقويم .

(2) الزيادة عن ى .

[91 ـ أحمد سويسى]

الشيخ ابو العباس احمد ابن العلامة ابى الحسن على سويسى .

نشأ هذا الفاضل في بيت فضل وعلم وتقوى ، واخذ عن والده وأعلام عصره ، وتقدم لخطة الفتوى أواسط رجب من سنة 1199 تسع وتسعين ومائة والف (أواخر ماي 1785 م.) .

وكان فاضلا عفيفا ، فقيها متواضعا ، يحب الخمول ، ليّن الجانب ، متثبتـا في الفتوى ، محببا الى الناس ، محمود السيرة ، الى ان توفي في ذي القعدة من سنة 1232 اثنتين وثلاثين ومائتين والف (سبتمبر — اكتوبر 1817 م.) ، وعمره ينيف على الثمانين ، وتقدم اخـوه الفقـ.ـ، لخطـة القضاء بالحاضرة ، وتقدم ذكـره .

[92 ـ علـى خليـف]

الفقيه الشيخ على خليف الصفاقسى

هذا الفاضل من علماء صفاقس ، وكان عالما عاملا ، مشهورا بالصلاح ، منكـبا على افادة العلم ، يغلب عليه التصوف وطريق القوم . وله نظم في تحريم الدخان .

ولم يزل بين عبادة وافادة ، الى ان لبّى الى دار السعادة سنة 1232 اثنتين وثلاثيـن ومائتيـن والف (1816/17 م.) .

[93 ـ محمد بـن عمـر]

ابو عبد الله محمد بن على بن عمر .

اصله من قبيلة اولاد عون ، يرتزق بفرسه ورمحه ، يُعَطِّل الطرقات ، فجد الباي ابو محمد حمودة باشا في طلبه ، وأذكـى عليه العيون . ولما بلغه ذلك أتاه بالمحكمة ، وقال له : « انا محمد بن عمر الذى أمرت بالقبض علي ، واهدرت دمـي ، فها أنا بين يديك » ، فالتفت الباي الى رئيس الكـتبة ، وقال له : « سمعا وطاعة لامر الله ، اذ يقول : « إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ »(1) فعفا عنه ، وأثبته صبايحـي بديوان المخازنية ، وبعد ثلاثة ايام أثبته شاوشا ، وقوفا مع العادة

(1) س 5/ آ 34 .

يومئذ ، وخيره في الاوجاق ، فاختار ان يكون لوجق القيروان ، وترقّى في الخدمة الى ان صار كاهية ذلك الوجق ، وعاملَ قبيلته .

وله في محلة سراط الشجاعة المشهورة والثبات ، ودافع عنه الاجل ، وبه جراحات ، ومات ابنه بتلك المحلة قتيلا ، فما حزن لموته ، وقال : « يحزنني لو هرب ، أكثر مما أجده لموته » .

وكان فارسا شجاعا كريما ، وجيها عربي السجية ، الى ان زارته المنية سنة 1232 اثنتين وثلاثين ومائتين والف (1816/17 م.) . واعقب ابناء فرسانا ، مات اكبرهم إثر أبيه ، سامحه الله .

[94 ــ محمد الكواش]

الشيخ ابو عبد الله محمد ابن العلامة الشيخ ابى الفلاح صالح الكواش

نشأ في حجر أبيه ، وأخذ عنه ، واستفاد منه ، وتصدر للتدريس بالجامع الاعظم فأفاد وأجاد ، ورام كبعض أبناء الافاضل ، ان يكون من اول وهلة معظما كأبيه ، وحال الزمان لا يقتضيه ، فما كل مائع ماء ، ولا كل سقف سماء .

وكان الوزير ابو المحاسن يجله ويواسيه ، ويعلم رتبة ابيه ، وانقطع ذلك عنه بموته ، وفات بفوته ، فلاقى الشدة والبُوس ، وقابله الزمان بالوجه العبوس ، وكان فصيح اللسان ، عذب البيان ، حلو الفكاهة .

وتوفي بالطاعون سنة 1232 اثنتين وثلاثين ومائتين والف (1816/17 م.) ، رحمه الله تعلى وغفر له .

[95 ــ محمد بن نصر]

الشيخ محمد بن نصر القابسى .

نشأ هذا الفاضل في عفاف وصيانة ، وخير وديانة ، وطلب العلم فحصله ، وبلغ فيه أمله ، وتصدر للتدريس بالجامع الاعظم ، وأصابه مرض أقعده ، فكان يقرىء بسقيفة داره ، في زقاق الاندلس ، بمدينة تونس ، والطلبة يتزاحمون على درسه ، لحرصه على النفع ، وله اقتدار على ايصال الطالب للمراد ، وتَضَلّع من منهله الورّاد .

وكان متقدما في المعقول والمنقول ، اديبا شاعرا ، واسع الصدر حسن الاخلاق ، ذا عفة وتقوى ، بعيدا عن التصنع .

ولم يزل في عبادة ، الى ان ألقى الى يد المنية مقاده ، في الثامن عشر من أشرف الربيعين سنة 1233 ثلاث وثلاثين ومائتين والف (الاثنين 26 جانفي 1818 م.) .

[96 ــ محمد المحرزى]

ابو عبد الله الشيخ محمد بن قاسم المحرزى .

نسج على منوال اخيه وابيه وجده ، وكان خيرا عفيفا ، عدلا وجيها ، نقي العرض . ولبيتهم في هذه الحاضرة سُمعة وجميل ذكر ، يتداولون مشيخة زاويتهم ، كابرا عن كابر ، على عادة جارية عندهم .

وتوفي في ربيع الثاني من سنة 1233 ثلاث وثلاثين ومائتين والف (فيفري — مارس 1818 م.) ، وبعده توفي شقيقه ، وهو :

[97 ــ أحمد المحرزى]

ابو العباس احمد بن قاسم المحرزى .

نشأ هذا الوجيه في بيت فضل وبركة ، ونسبهم في بني تميم من صميم قريش ، لان جدهم الولي الصالح العارف بالله سيدي محرز يتصل نسبه بشيخ الخلفاء سيدنا ابي بكر الصديق رضي الله عنه .

وكان عدلا فقيها عفيفا ، خيرا فاضلا ، عليه نور جده ، مرموقا بعين اجلال واحترام ، الى ان توفي في جمادي الاولى من سنة 1233 ثلاث وثلاثين ومائتين والف (مارس — افريل 1818 م.) ، عليه رحمة الله .

[98 ــ أحمد الحداد]

الوجيه ابو العباس احمد بن حسونة الحداد .

هو من اعيان بيوت الاندلس بهذه الحاضرة ، ونشأ بين يدي أبيه في جلباب وجاهة ، ومروءة وعفة ، وقرأ بالجامع ، وحصل ما تميز به عن العامة ، مما يلزمه لدينه ، ثم أقبل على التجارة ، وساعده البخت فيها .

وكان خيرا فاضلا ، عفيفا ثاقب الفكر ، عزيز النفس ، متواضعا على رفعة ، يباشر أحواله بنفسه ، يكره التظاهر للخطط ، ويميل الى الانفراد .

وامتحن بموت ابن له ، وقد وُسم بالنجابة في العلوم ، لولا عائق الاجل المحتوم .

ولم يزل على حالاته المرضية ، الى ان وافاه داعي المنية سنة 1233 ثلاث وثلاثين ومائتين والف (1817/18 م.) ، واعقب ابناء نسجوا على منوال ابيهم ، ومنهم الآن من أكره على الخطط ، فزهد فيها ، وهي راغبة فيه ، كثر الله تعلى من امثاله .

[99 ـ محمد الـوزيـر]

ابو عبد الله محمد ، ويدعى عزيزى بن الحاج محمود الوزير

نشأ هذا الذكي ، في بيته الاندلسي الاصيل ، ودأب في طلب العلم على درجة التحصيل ، ونبذ الاوطار والمال ، وتشوف الى درجات الكمال ، فقرأ على الشيخ الطاهر ابن مسعود ، وكان يباهي به ، وعلى شيخنا ابي اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، والشيخ الأُبِّي ، وغيرهم ، بِفكرٍ سَديد ، وباع في الالمعية مَديد ، وأخبارٌ فطنته في الجامع تتلى ، وعرائس أبحاثه تُجلى .

وكان خيرا عفيفا ، حافظا للقرآن العظيم ، نزيه النفس ، مشتغلا بدرسه ، حتى عن مصالح نفسه ، أدركتُه ، وانا صغير .

ولما حان من بدره أوان التَّمام ، عاجله الحمام ، واغتالته المنية من بين أترابه ، على نضارة من غصن شبابه ، في محرم سنة 1234 اربع وثلاثين ومائتين والف (نوفمبر 1818 م.)، رحمه الله تعلى .

[100 ـ محمد الحبيب الاصـرم]

ابو عبد الله محمد الحبيب
ابن الوزير الكاتب الاديب ابى العباس احمد الاصرم .

ولد هذا الاديب بالجزائر ، ايام غربة ابيه فيها ، مع اولاد الباي حسين بن علي ، واتى الحاضرة صبيا ، فقرأ القرآن ، واجتهد في تحصيل العلوم ، فحصل الملكة العلمية .

وله في التاريخ والادب باع ، واشعاره لم تزل تشنف الاسماع ، وتقدم لخطة الكتابة ، وسلم فيها أنفة من تقديم ابن عمه عليه ، وهو دونه في أدوات الصناعة .

وكان اديبا شاعرا ، فقيها مليح المحاضرة ، فصيح القلم واللسان ، قويّ العارضة ، حسن اللقاء ، عزيز النفس ، عالي الهمة ، نقيّ العرض ، حسن التجمل بالقناعة .

ولم يزل في لباس كماله ، الى آخر نفس انتقاله في ربيع محرم سنة 1234 اربع وثلاثين ومائتين والف (الثلاثاء 3 نوفمبر 1818 م.) .

[101 — محمد بن الطاهر بن مسعود]

العلامة الصالح ابو عبد الله محمد الطاهر بن مسعود .

نشأ هذا الفاضل من دوحة صلاح وفضل ، في عفاف جزل ، ورفض العلائق ، وتوجه الى طلب العلم ، فاخذ عن أعلام كالشيخ صالح الكواش ، وغيره من اعلام ذلك العصر ، وفي اقرب وقت رقى من درجة مجده الاصيل ، الى درجة التحصيل ، وحاز من الفنون العلمية اوفر نصيب ، ورمى الشوارد بسهم مصيب ، وتصدر للتدريس بالمدرسة السليمانية ، وجامع الزيتونة ، وبث فيهما من العلم فنونه ، كالتفسير والحديث والفقه ، والنحو والبيان ، والمنطق والاصول ، وعمر أوقاته بنفع المسلمين .

وتقدم اماما بالجامع الاعظم عوض العلامة ابي حفص عمر المحجوب ، في صفر سنة 1221 احدى وعشرين (افريل — ماي 1806 م.) ، ولم تثقل عليه الخطة ، لان مقره في غالب اليوم بالجامع .

وكان رضي الله عنه صالحا فاضلا ، عالما ناسكا ، تقيا نقيا ، معظما معتقدا ، مهيبا صادعا بالحق ، شديدا فيه ، يميل الى العزلة ، لا يُسَرِّح في غير المطالعة طَرْفا ، ولا يتنشق لغير المعارف عَرْفا ، وانفسح مجال دروسه ، واثمرت إدواح غروسه ، وممن لازمه وانتفع به العلامة الماجد ، صدر الفتوى الآن ابو العباس احمد بن حسين الكافي ، وشيخنا ابو عبد الله محمد البحري بن عبد الستار ، وكثير من أمثالهما ، بل لا تكاد تجد عالما في عصره لم يأخذ عنه ، فهو شيخ الشيوخ ، وعمدة اهل الرسوخ .

أتيته يوما ، وانا صغير ، بغير مشورة ابـي ، بعد ان فرغ من درس « الاشمونـي » ، وقبلت ركـبته ، وجلست امامه ، فنظر الي مستفهما ، فقلت له : « نريد أخذ الطـريقـة عنك » ، فقال لي : « لا طريقة لي الا هذه ، اكـتب في لوح قراءتك «الآجرومية » ، ثم « الالفية » ، واحفظهما ، مع حفظ لوحتك ، وتعال لاخذ الطريقة ، ولا تشغل فـكـرك بغير العلم ، فهو أقوم الطرق » ، فقمت من بين يديه ، واخبرت ابـي بالخبر ، فقال لي : « قد هداك » ، وفعلت بلوحتـي ما أمرنـي به .

وأخباره مشهورة ، وآثاره مأثورة ، وحسناته مشـكـورة ، ودرر علومه لم تزل الى الآن منثورة ، وجاءه أجله ، ولم ينقطع بما بث عملُه ، وتوفاه الله شهيدا ، أصيب بالطاعون في صلاة الصبـح بمحراب الجامع الاعظم ، وتوفي بعد ثلاثة ايام في السادس والعشرين من صفر سنة 1234 اربـع وثلاثين ومائتين والف (الجمعة 25 ديسمبر 1818 م.) ، واهتـزت البلاد لفقده ، ولم يتخلف احد من اهلها عن شهود جنازته . وانطلقت ألسن البلغاء بمراثيه ، والمكـتوب على ضريحه ، نظم تلميذه شيخنا العلامة الصالح ابي اسحاق سيدي ابراهيم الـريـاحـي .

[102 ـ محمد العـــذاري]

الشيخ ابو عبد الله محمد العذاري المساكني .

هاجر هذا الفاضل الى طلب العلم ، فأخذ عن أعيان ، كالشيـخ أبي محمد سيدي حسن الشريف ، والشيخ ابي عبد الله محمد الطاهر بن مسعود ، والشيـخ ابـي اسحـاق سيدي ابراهيم الرياحـي ، وغيرهم . وبلغ درجة التحصيل ، فتصدر للتدريس بالجامـع ، وتولى خطة القضاء بالمحلة مع الباي ابـي عبد الله حسين باشا ، فتناول الخطة بيد إنصاف ، واجـرى النوازل على ما يقتضيه العلم والعفاف .

وكان عالما فاضلا ، خيرا ثاقب الفـكـر ، نزيه النفس ، يميل الى الخمول ، نقـي العرض ، ممـدوح السيرة .

ولم يزل على حاله ، الى ان توفي بالطاعون ثالث صفر من سنة 1234 اربـع وثلاثين ومائتين والف (الاربعاء 2 ديسمبر 1818 م.) ، عليه رحمة الله .

[103 ـ عثمان الرصاع]

الشيخ ابو النور عثمان الرصاع .

نشأ هذا الشيخ في بيت سلفه المشهور ، ومارس العلم وشارك اهله في الملكة ، وله ذكاء وفصاحة ، ومعرفة بالفرائض والتوثيق ، وولي قضاء الفريضة ، والشهادة على بيت المال .

وكان ذا همة ووقار ، وعفاف ومجد موروث ومكتسب ، ووجاهته في الحاضرة معروفة .

ولم يزل على حاله ، الى ان توفي في صفر من سنة 1234 اربع وثلاثين ومائتين والف (ديسمبر 1818 م.) . وله ابناء نسجوا على منوال آلهم ، وزانوا بيتهم بجميل خلالهم . أكبرهم ولي خطة أبيه ، وزهد فيها وما زهدت فيه ، ولم يزده الالحاح ، الا قوة جماح ، كثر الله من أمثاله في المسلمين ، آمين .

[104 ـ حمودة الصباغ]

الشيخ ابو محمد حمودة الصباغ الحنفى .

نشأ هذا الشيخ في عفة وصيانة ، على درجة من الديانة ، ضرير البصر سليم البصيرة ، قرأ فاستفاد ودرّس فأفاد .

ودرّس في علم القراءة والتفسير . كان يقرىء تفسير « الخازن » بين العشاءين ، بجامعه من ربض باب السويقة .

اخذت عنه تجويد القرآن بروايتي نافع وحفص ، بمقام الولي العارف بالله سيدى محرز بن خلف ، وبعد الدرس نسرد له ما يريد ان يقرئه من تفسير « الخازن » .

واصطفاه الباي حمودة باشا لتجويد القرآن لآله ومماليكه .

وكان وقورا مهيبا ، عزيز النفس أبيّ الضيم ، معدودا من الاخيار .

ولم يزل على فضله واجلاله ، الى آن انتقاله ، بالطاعون في السابع والعشرين من صفر سنة 1234 اربع وثلاثين ومائتين والف (السبت 26 ديسمبر 1818 م.) . رحمه الله .

[105 ـ قاسم بن كرم]

الاديب ابو الفضل قاسم بن كرم .

نشأ هذا الاديب في بيت صلاح ومجد ، وله مشاركة علمية ، وتحصيل في الفنون الادبية ، وشعره معروف بين أدباء الحاضرة . وكان فاضلا أديبا ذكيا فصيح اللسان بليغ البيان .

ولم يزل على حسن الحال ، يتدرج في سلّم الكمال ، إلى أن توفي في صفر من سنة 1234 (ديسمبر 1818 م.) ، ودفن بزاوية جدّهم المعروفة .

[106 ـ قاسم المحجوب]

ابو الفضل قاسم ابن شيخ الفتوى
ابى عبد الله محمد ابن عالم المالكية
ابى الفضل قاسم المحجوب .

نشأ هذا الغصن في دوحة علم وشرف ، واقبل ليضيف الى شرفه الموروث شرفَ الاكتساب . فأخذ عن أبيه وغيره من أعلام الجامع بجدّ واجتهاد ، وفكر يدعو الابيّ فينقاد .

ولمّا أينع روضه ، وامتلأ حوضه ، عاقته يد المنية ، عن بلوغ الامنية . وكان سريا تقيا نقيا . توفي بالطاعون ثالث عشر ربيع الثاني من سنة 1234 ، أربع وثلاثين ومائتين وألف (الاحد 10 جانفي 1819 م.) ، رحمه الله .

[107 ـ أحمد بن سلامة]

الشيخ ابو العباس احمد ابن العالم أبى الحسن
على بن سلامة .

نشأ هذا الشيخ في تربية أبيه ، وأخذ عنه ، وهو من مشائخ الشيخ بيرم كما تقدم . وأخذ عن غيره كالشيخ صالح الكوّاش . وتصدّر للتدريس بالجامع الاعظم ، وانتفع بعلومه جمّ غفير من المسلمين . وأكثر تدريسه في الفقه والحديث . وتدرّج في الخطط العلمية ، وولّي القضاء في بنزرت . ثم حنّ لمسقط رأسه ، فاستقال ورجع لحاله من التدريس . وتقدم شيخا بالمدرسة المنتصرية عوض شيخه . وولّي شهادة الحرمين وامتُحِن فيها . وخبره معلوم ، وعند الله تجتمع الخصوم .

وكان فاضلا وجيها ، حسن الاخلاق ، سمح اللقاء ، فقيها موثقا ، ذا وقار وسكينة وتجمّل ، مرموقا بعين إجلال . وتوفي ، رحمه الله ، في شرك محنته بمحبسه ، يوم الجمعة السابع عشر (1) من جمادى الاولى سنة 1234 ، أربع وثلاثين ومائة وألف (12 مارس 1819 م.) ، رحمه الله .

وأعقب ذرية ضربوا بسهامهم في النجابة ، من عدالة وقضاء وفتوى وكتابة . كثّر الله تعالى من أمثالهم .

[108 — محمد مهنية]

ابو عبد الله محمد ويعرف بولد مهنيه .

كان جده من كتّاب الباشا علي باي بن محمد بالقلم التركي ، وتقرّب عنده فصاهره على اخته مهنية . وتدرج حفيده في الخطط السياسية . وتقدم ذكره في الباب الاول ، وشكايته من حسن باي ابن يونس . معدود من أهل الوجاهة .

توفي سنة 1234 ، اربع وثلاثين ومائتين وألف (1818/19 م.) .

[109 — مصطفى الدنقزلى]

الشيخ أبو النخبة مصطفى دنقزلى .

أصله من أبناء جند الترك ، وبيتهم في الحاضرة ، معدود في الاعيان . وقرأ هذا الشيخ بالجامع على الاعلام ، وحصّل ملكة علمية . وتقدم إماما بالجامع اليوسفي ، ولخطة القضاء بالمذهب الحنفي ، وصرف عنها ، كما صرف الشيخ برناز المتقدم ذكره للتغفل ، لا بجُرحة . وبقيت بيده امامة الجامع .

وكان وجيها خيّرا ، عفيفا غرّا كريما ، ليّن العريكة ، حسن الاخلاق متواضعا .

توفي في شعبان من سنة 1234 ، اربع وثلاثين ومائتين وألف (ماي — جوان 1819 م.) ، رحمه الله .

---

(1) هو 15 حسب التقويم

[110 ــ محمد بــن محمــود]

ابــو عبد الله الشيخ محمد بن محمود الحنفى .

هذا الشيــخ من بيت وجاهــة وعلم وعفــاف . قرأ فاستفــاد وحصّل ملــكــة علمية في المذهب الحنفــي . وتصدّر للشهادة ، وبرز في التوثيق والفرائض ، وشارك في غيرهما ؛ وروى الحديث ، وولّــي من الخطط العلمية .

وكان خيرا عفيفا ثقة ، ليّن الجانب مرموقا بعين إجلال .

ولم يزل على حاله وأسلوبه ، إلى أن توفي إثر وصوله من الحج خارجا من ذنوبه ، في السادس عشر من شعبان ، سنة 1234 ، اربــع وثلاثين ومائتين وألف (الخميس 10 جــوان 1819 م.) .

[111 ــ سليــم خوجــــة]

ابــو النجــاة سليم خــوجــة .

هذا الخير من الموالي ، واصله من القرج ، نشأ في خدمة الباي أبــي محمد حمودة باشا ، وتقرب لديه ، وكان آية في الوفاء . لما توفي سيده ، عيل صبره ، فكان اذا راى الباي عثمان في صدر المجلس بموضع سيده ، لا يستطيــع امساك دمعته ، حتى استثقل نفسه ، فطلب من الباي الخروج من الصراية ، فسرحه ، ولامه الوزير ابو المحاسن يوسف صاحب الطابع ، فقــال له : « استثقلت نفســي ، ورايت ذلك من ســوء الادب » ، ونزل عنــد أبــي النخبــة مصطفى بن حمزة ، أوضبــاشــي المماليك ، واسف الوزير على فقده . ولما ولّــيَ البــاي ابو الثناء محمود باشــا بعث اليه ، وقرب منزلتــه ، واستــكــفى به في مهماتــه وسفاراتــه ، فسافر عنه الى الــدولــة العلية العثمانيــة غيــر مرة ، وسافر الى الجزائر ، كمــا تقدم في البــاب الثالث ، ثم تزوج من مخدرات تونس ، بنت الشيخ علي مهاود ، شيــخ الربض ، والمقرب عند الوزير ، واستقر بتونس كساكـنيها من رجال الدولة .

وكان خيرا وجيها ، قارئا يــكــتــب بالقلم العربــي والتركــي ، حسن الاخلاق ، قويّ العارضة ، مصيب البديهة ، ذا وقار ودين ، وهمة عالية ، مع تواضع ، نازعا عن الفضول ، متثبتا فيما يقول ، مليــح الاثر ، طيب الخبر .

ولم يزل على حاله ، في برود كماله ، الى أن توفي يوم الاثنين غرة ذي الحجة (1) سنة 1234 اربع وثلاثين ومائتين والف (20 سبتمبر 1819 م.) .

[112 ـ محمد الحلفاوى]

ابو عبد الله الشيخ محمد ابن الشيخ الحاج حمودة ابن الشيخ على ابن الشيخ محمد الحلفاوى .

نشأ هذا الرجل بزاوية آله ، محافظا على برود كماله ، ناسجا على منوالهم ، مقتديا بطيب اعمالهم .

وكان نقي العرض ، خيرا عفيفا ، فقيها جاريا على سنن المهتدين ، متخلقا باخلاق الصالحين ، مرموقا بالاجلال والاحترام ، الى ان حل به رائد الحمام سنة 1234 اربع وثلاثين ومائتين والف (1818/19 م.) ، ودفن بزاويتهم .

[113 ـ محمد مـزالى]

ابو عبد الله الشيخ محمد مزالى المنستيرى .

هذا البيت من اعيان البيوت بالمنستير ، ونشأ هذا الشيخ في ظل مجده الاثير ، وجد في طلب العلوم فاستفاد ، وافاد واجاد ، وتصدر للتدريس فعد من الافراد ، وتقدم لخطة الفتوى والامامة والخطبة ببلده ، فحسنت آثاره ، وطابت اخباره .

وكان عالما فقيها ، متضلعا بالعلم ، اديبا شاعرا ، جيد الحفظ ، حسن التطبيق ، خيرا عفيفا ، معظما مقصودا للنفع ، حسن اللقاء ، ذا وقار وسكينة ، وتواضع على رفعة مكينة ، منصفا من نفسه .

عارضه القاضي ببلده ، وهو يومئذ العالم الفاضل ابو محمد حسن الخيري ، ولجّ معه في البحث ، الى ان قال للقاضي : « عمن أخذت العلم ؟ » ، فاجابه القاضي بقوله تعالى : « وَاتَّقُوا اللَّهَ ، وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ » (2) ، فاستحسن الجواب ، ومدح القاضي.

(1) هو 30 ذو القعدة حسب التقويم .

(2) س 2 / آ 282 .

وشعره محفوظ ، وبعين الاستحسان ملحوظ .

ولم يزل على حالاته المرضية ، الى ان لبّى داعي المنية في سنة 1234 اربع وثلاثين ومائتين والف (1818/19 م.) ، ودفن بمقام المازَرِي ، رضي الله تعلى عنه وارضاه ، بالمنستير .

[114 ــ محمد زعفـــران]

الفقيه ابو عبد الله محمد زعفران المنستيرى .

كان عالما فقيها معظما ، خيرا تقيا ورعا ، جاريا على سَنَن المهتدين ، مجاهرا في العبادة ، حريصا على الافادة ، معدودا في العلماء العاملين ، تدرج في الخطط العلمية ، وولي القضاء ببلده المنستير ، فاقام رسم الحق .

وحكم في نازلة بغير المشهور من مذهب الامام مالك ، ثم رجع ونقض حكمه بعد عامين ، وبيّن سبب غلطه ، فاشتكى المحكوم عليه للمجلس الشرعي بباردو ، بين يدي الباي ، وتأمل المجلس في الحكم ، فأثنوا على صاحبه بمتانة الدين ، وايثار الحق عن حظ النفس ، وعظمت منزلته ، ونقل لخطة الفتوى بسوسة ، فهرع أهل بلده ، واتفقت كلمتهم على عدم التسليم في قاضيهم ، ورفعوا شكايتهم على لسانٍ واحد ، فأسعفهم الباي ، ورجع نوره الى مطلعه ، وعذبه الى منبعه .

ولم يزل مكرما عزيز الجاه ، الى ان انتقل الى ما عند الله ، في خلال سنة 1234 اربع وثلاثين ومائتين والف (1819 م.) ، عن سن عالية .

[115 ــ صالــح بن عبد الجبـــار]

الشيخ الفقيه ابو الفلاح صالح بن عبد الجبار الفرشيشى .

هذا الشيخ من قبيلة الفراشيش ، هاجر لحفظ القرآن العظيم والعلم ، ثم ارتحل من تونس الى مصر ، فقرأ بالازهر على أعلامه ، ولازم الشيخ الامير ، وانتفع به ، ثم رجع لتونس ، مملوءَ الوطاب ، بما زكا وطاب ، من العلم المستطاب ، وآثر المقام بناجعته ، والالتحام باخوته ، في ظل خيمته ، عن سكنى المصر والانغماس في نعمته ، وانتفعت القبيلة بعلمه ، وحسنِ هديه ، حتى صار الراعي منهم يقرأ القرآن ، ويعلم ما لا بد منه ،

في شرع الايمان ، واذا عذله احد عن سكنى البادية ، يقول : « التلذذ بالمقام مع اخوتي ، ونفع قبيلتي ، أشهى الي من كل لذيذ » ، وينقل ما كان يستدل به العالم العارف بالله سيدي الحسن اليُوسي ، لما سكن البادية ، وكاتبه سلطان المغرب مولانا اسماعيل ، منكرا عليه .

وللوزير ابي المحاسن يوسف صاحب الطابع محبة وتعظيم فيه ، ينزل اذا أتى الحاضرة بدارنا ، لصحبة قوية بينه وبين أبي ، وباي العصر يجله اجلال علماء الحاضرة ، وللناس فيه اعتقاد .

وكان عالما فاضلا ، تقيا معتقدا ، معظما وجيها ، ملتحفا برداء الصالحين ، متخلقا باخلاق الناسكين .

وكان شيخنا العالم ابو اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي يعظمه ويجله ، ويزوره بدارنا ، ومنه سمعت ترجمته ، اذ كنت صغيرا من اولاد المكتب يومئذ ، وغاية ما أعلم منه ، انه يطلب مني ان نكرر له محفوظي من القرآن ، ويفسر لي ألفاظه ، بقدر ما تحتمله الصبيان .

وجاء من ناجعته مهنئا والدي ، لما فرج الله عليه محنته ، ورجع من الغد .

ولم يزل على حاله ، والقلوب منطوية على تعظيمه وحبه ، الى ان لبّى داعي ربه ، في سنة 1234 اربع وثلاثين ومائتين والف (1818/19 م.) . وكانت وفاته بالكاف ، اتاها زائرا ، واوصى بها ان يدفن بتراب بلاده .

وكان الوزير ابو عبد الله محمد العربي زروق بها يومئذ ، فجهزه في ثابوت ، وبعث به معظما مكرما الى تربته ، رحمه الله تعلى .

[116 ـ أحمد خوجة]

ابو العباس احمد بن محمد خوجة الحنفى .

نشأ هذا الوجيه في بيت مجد وعفة ، واصطحب والدُه مع الوزير مصطفى خوجة في المدرسة صحبة اقتضت وفاء كل منهما لصاحبه ، وذلك بسبب خدمة هذا البيت في الدولة . وتدرج بنوه في خططها النبيهة ، وصاحب الترجمة أقبل في شبابه على العلم ، وحصّل مع قريحته الصافية . ولما عد من اعيان اهل العلم جذبه الوزير الى الخطط السياسية ، وتقدم لولاية بنزرت ، فزان الرئاسة ، بحسن السياسة .

وكان عالما فقيها ، ذكيا فصيح اللسان ، عالي الهمة اثيرا في الدولة ، واختاره الباي رسولا الى السلطنة الشريفة المغربية ، ووافاه الاجل المحتوم بفاس ، وبلغ خبر وفاته لتونس في محرم سنة 1235 (اكتوبر — نوفمبر 1819 م.) .

[117 — محمد بن محمد بن محمد صدام]

ابو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن ابى بكر صدام القيروانى

نشأ هذا الشيخ في بيت مجده ، وأخذ عن أبيه ، وعن الشيخ عبد اللطيف الطوير وغيرهما بالقيروان . وتقدم للخطط العلمية بالقيروان ، كالامامة والقضاء والفتوى .

وكان فقيها ، خيرا وجيها ، جاريا في فضله وعفافه ، على سنن أسلافه .

وتوفي آخر محرم من سنة 1235 خمس وثلاثين (الخميس 18 نوفمبر 1819 م.) .

[118 — مصطفى بوخريص]

ابو النخبة مصطفى ابن العلامة ابى العباس احمد بوخريص .

نشأ هذا الفاضل بين يدي أبيه علامة العصر . وانقطع لشرف العلم انقطاعا جليا ، ونبذ الدنيا ظهريا ، فأخذ عن والده ، وعن شيخنا صالح العصر أبي عبد الله سيدي محمد ابن صالح بن ملوكة . وحفظ « المختصر الخليلي » ، وكانت مسائله نصب عيانه ، وأخذ عن أبي عبد الله محمد الطاهر بن مسعود ، وغيرهم . وله خط فائق ، وشعر رائق .

ثم أقبل على الله ، وتأنس بالوحدة والانقطاع ، مع ما له في الفنون من الباع ، قانعا بقليل المتاع .

وكان خيرا فاضلا ، تقيا سالكا ، يغلب عليه الصمت ، رافضا ما لا يعني ، عزيز النفس ، مهيبا حتى عند مشائخه ، عالما فقيها فَرَضِيّاً .

ولم يزل متجملا بخلاله ، في برود كماله ، الى آنِ انتقاله ، في صفر من سنة 1235 خمس وثلاثين ومائتين والف (نوفمبر — ديسمبر 1819 م.) .

[119 — حسن بوخريص]

وفي اليوم الرابع من وفاته ، توفي شقيقه أبو محمد حسن ، وكان يجري خلفه في كل فن ، وظهرت نجابته قبل استكمال هلاله ، لكن قطعت المنية وصل آماله .

[120 ـ محمد الطاهر بوخريص]

شقيقهما ابو عبد الله محمد الطاهر
ابن العلامة ابى العباس احمد بوخريص

نشأ هذا الذكي بين يدي أبيه ايضا ، وقرأ عليه ، وعلى من تقدم من الاعلام ، وحفظ « المختصر الخليلي » ايضا ، وأوقف نفسه على طلب العلم ، فأورى زند الذكاء اقتداحا ، وأجال في كل فن قداحا . وله اشعار تحفظ ، وبعين الاجادة تلحظ ، وله خط تفنن في أنواعه ، وابدع ما شاء في اختراعه .

وكان فقيها متفننا ، أديبا فصيح اللسان ، بليغ البيان ، ذا ذكاء يطير شرره ، وادراك تنبلج غرره ، حسن اللقاء ، ممتع المحاضرة ، ما شئت من كرم أخلاق ، ومذاكرة حلوة المذاق ، وبديهة نيرة الاشراق .

أدركتُه ، وانا بزاوية الشيخ ابن ملوكة ، وشيخنا يهش اليه ، ويقبل بالاستحسان عليه .

ولم يزل همه طلب المعالي من كل ثنية ، الى أن وافاه قاصف المنية ، في ربيع الاول من سنة 1235 (ديسمبر 1819 — جانفي 1820 م.) .

[121 ـ أحمد بوخريص]

أخوهم أبو العباس أحمد ابن العلامة ابى العباس احمد بوخريص .

نشأ هذا الفقيه بين يدي أبيه ايضا ، واستفاد منه ، واخذ عن الاعلام المتقدم ذكرهم، وبرع في الفقه فهمه ، وأضاء في سمائه نجمه ، وله يد طولى في الفرائض والتوثيق وحسن الخط ، وآثارها في الوجود تشهد له .

وكان فقيها فرضيا ، عالما عالي الهمة ، كريم النفس ، حسن المحاضرة ، ذا وقار ، جميل الاخلاق .

ولم يزل في مراقي الاعلام ، الى أن حل به رائد الحمام ، في رجب من سنة 1235 خمس وثلاثين ومائتين والف (افريل — ماي 1820 م.) ، رحمهم الله ، فَجَعَ الطاعون بهم حاضرة تونس ، وكانوا أغصانا في روضها المؤنس .

[122 ـ أحمد القسنطيني]

ابو العباس الحاج احمد القسنطيني .

كان هذا الوجيه من أعيان الحاضرة وتجارها ، عفيفا وجيها ، عزيز النفس ، ذا صدقات جارية ، نزيه النفس .

تقدم لوكالة الجامع الاعظم ، وهي من الخطط النبيهة في الحاضرة ، وهو الذي وشح رؤوس سواريه بالنقش . ولما شرع في ذلك انكر عليه الامام العالم الشيخ الطاهر بن مسعود ، وامر الطلبة باخراج تلك الاعمدة ، التي يعتلي الصانع عليها ، وبلغه الخبر ،فأتى عجِلا ، فقال له الشيخ : « تصرف من حبس الجامع في غير مصلحة ومن غير مشورة الايمة » ، فقال له بعنف : « انا غير محجور علي في مالي ، فاذا تبرعت منه لا استشير اماما ولا غيره » ، فسكت الشيخ ، فقال له الوكيل : « قل للطلبة يرجعون ما اخرجوه » ، ففعل .

وابطل هذا الوكيل عوائد كانت لوكلاء الجامع من الحبس .

ولم يزل على عفته وامانته ، الى أن خرج متطوعا بالحج ، فتوفي هناك ، ووصل خبر موته في سنة 1235 خمس وثلاثين ومائتين والف (1819/20 م.) . وقام ابنه مقامه في الوكالة على الجامع ، الا أنه لم يسلك نهج أبيه ، غفر الله للجميع .

[123 ـ محمد البرانسي]

ابو عبد الله الشيخ محمد
ابن العالم المفتى العباس احمد البرانسى الثعالبى .

نشأ هذا الشيخ في بيت عفاف وشرف ودين ، وتوجه لطلب العلم فاستفاد ، وتصدر للتوثيق ، وتقدم لشهادة الغابة بتونس ، وهي من الخطط النبيهة في الحاضرة .

وكان فاضلا ماجدا ، وجيها خيرا ، عفيفا عالي الهمة ، شديدا في الحق ، لان صاحب هذه الخطة يومئذ ، هو المحتسب على العشار في تطفيف الكيل ، وعلى الفلاّحة في زيتون الاحباس .

ولم يزل على حاله نقي العرض ، مكرما بحسبه ونسبه ، الى ان توفاه الله سنة 1235 (1819/20 م.) .

[124 ـ علي الباهي]

الشيخ ابو الحسن على ابن الشيخ العالم ابى الفداء اسماعيل ابن الشيخ العالم
الـولى ابى العباس احمد الباهى ، صاحب الكرامات نفعنا الله بـه

هذا الفاضل هو حفيد صاحب الزاوية الشهيرة بتونس ، بناها جده ابو العباس سيدي احمد الباهـي من ماله . ويرجـع نسبه لوائل بن حجر الصحابي .

وكان عالما صالحا معتقدا ، ذا كـرامات . ولما شرع في بناء هذه الزاوية المؤسسة على التقوى ، راوده الباشا علي بن محمد على ان يـُعينه بمال فأبى ، ثم راوده ان يحبس عليهـا هنشيرين فأبى ايضا . وقبره بها يتبرك به الى الآن .

وفي هذه الزاوية امداح من فحول الشعراء بتونس ، وفيها المقامة البهية للورغـي ، ومن ادباء مصر ، مجموع ذلك بديوان معروف .

وابنه ابو الفداء اسماعيل اخذ العلم عن أعلام ، وبعثه ابوه الى الولي العارف بالله سيدي ابراهيم الجمنـي ، فأقام في زاويته بجربة تسع سنين ، وأخذ عنه ، ثم قــدم الى الحاضرة متضلعا بالعلم والنور ، وتصدر للتدريس في زاوية أبيه .

وهذه الزاوية مأوى المتغربين لحفظ القرآن العظيم ، وسرها مشهور في ذلك ، وممـن حفظ بها القرآن والد العبد الفقير ، في قليل من الزمان ، وأخذ عن صاحبها مباشرة ، وكان يخدمه . ويحكـي عنه من الاسرار والـكـرامات ، الامور الغريبة . ولله في خلقه أسرار .

ونشأ صاحب الترجمة بين يدي ابيه ، واخذ عنه ما لا بد منه ، ثم رحل الى اداء فريضة الحج ، واجتمع بأعلام أخذ عنهم ، واغترف منهم ، ثم حج متطوعا ، وزار الشام ، وتطيب بقبور الانبياء صلوات الله عليهـم ، واجتمع بالامير الشهيـر الذكـر احمـد باشا الجـَزّار ، فاكـرمه وبالغ في إجلاله ، وعرف منزلته .

وتقدم شيخا بزاوية جده ، بعد وفاة ابيه ، على مقتضى نص حبسها ، وله رتبة عالية ، وامتزاج قوي مع الباي ابـي محمد حمّودة باشا ، يقوم للسلام عليه ، ويجلسه في مجلس التـكـريم ، ويركـب معه في شـَرْيـُولـِه الى منوبة ، اذا جمعهما الطريق ، رغبة في محادثته ، وتلـذذا بمجالسته ، التـي لا تمـل .

وكان الوزير أبو المحاسن يوسف صاحب الطابع ، يأتي لزيارته بداره في تونس ، ويقبل يده ، ويأتيه الى داره التي بناها بجبل المنار ، وهو يأتي الى الوزير في بساتينه ، ويقول : « نستحي من المبيت عند هذا الرجل ، لما نشاهد من أذكاره ونوافل صلواته ، مما لا اقدر على ربُعه ، وأنا ابن عالم ، وهو ابن جاهل ، وفضل الله يؤتيه من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين » .

ومن مكانة هذا الشيخ عند صاحبه أمير العصر انه ربما يفتات عليه في بعض الامور . اتفق انه جاء من داره بجبل سيدي ابي سعيد الى حلق الوادي ، فوصلت سفينة في اليوم من الاسكندرية ، وفيها سلطان المغرب المخلوع ، مولانا سلامة ابن مولانا محمد ، فتوقف الكاهية ابو عبد الله محمد خوجة في تنزيله للبر ، على الاذن من الباي ، وشرع يكتب في الاستئذان ، فقال له الشيخ : « انا رسول الباي اليك ، يأمرك بانزال هذا الشريف ، ليقيم عندك بحلق الوادي ، مكرما معظما ، حتى يتهيأ له المحل بتونس ، وان شئت نكتب لك رسالتي » ، فصدقه الكاهية . وركب من فوره الى باردو ، فوجد الباي بمنوبة ، فلحقه وقال له : « انـي نقلت عنك إذْنا لم تقله لي » ، وقص عليه الخبر ، « خشية ان يتغير خاطر الشريف ، بسبب التأخر ، فاشكر الله الذي جعل حاضرتك مأوى لاهل الشأن » ، فشكره الباي على هذا الافتيات ، وقال له : « الآن تحقق عندي انـي احب الناس اليك ، ونطقت بما في نفسي » ، وامر في الحين باحضار الدار للشريف، واكرم نزله ، واجرى له ما يناسب مقامه . واستقر بتونس الى ان توفي بها .

وتزوج هذا الشيخ كريمة من الترك بالمُورَة ، واتى بها ، أوْلَدَها بعض بنيه .

وكان هذا الفاضل خيرا عفيفا ، كريما ذا همة عالية ، ونفس زكية ، ما شئت من سلامة صدر ، وتواضع على رفعة قدر ، وباع في التاريخ طويل ، ومحاضرة واسعة ، لا يمل جليسه .

ولم يزل رفيع المقدار ، تساعده الاقدار ، الى ان لبّى الى تلك الدار ، في شوال من سنة 1235 خمس وثلاثين ومائتين والف (جويلية — اوت 1820 م.) ، فقام مقامه في الزاوية أخوه لابيه ابي عبد الله محمد بن اسماعيل .

[125 ـ عبد السـلام الفـراتى]

الشيخ ابـو محمد عبد السلام الفراتى الصفاقسى

هذا الشيـخ من أعز بيـوت صفاقس ، وأعيانهـا . نشـأ في طلب العلـم ، فحصـل واستفاد ، وتقدم للتدريس فافاد ، وعلا ذروةَ المنبر خطيبا ، وضمّخه طيبا .

وتقدم لخطة القضاء ببلاده ، وكان خيرا عفيفا ، صبورا نقـي العرض ، الى ان توفي عن سن عالية سنة 1235 خمس وثلاثين ومائتين والف (1819/20 م.) .

[126 ـ أحمـد بـن شعبـان]

ابـو العبـاس احمـد بن شعبـان .

نشأ في طلب العلم ، وأخذ عن أعيان كالشيـخ الطاهر ، وشيخنا ابـي اسحاق سيدي ابراهيم الرياحـي ، والشيـخ بن ملوكـة . وامتطى صهوة التحصيل في المعقول والمنقول . وتقدم قاضيا براس الجبل ، فاعطى الخطة حقها من الدين والتثبت ، وعد من قضاة الجنة .

وكان عالما فقيها ، ثقة خيرا وجيها ، نقـي العرض اديبا شاعرا ، وجواهر شعره محفوظة ، وبعيـون الاستحسان ملحـوظة .

وكان شيخنا الرياحـي يشيد بذكـره ، ويستجيد غرر شعره .

ولم يزل يمزج حلو الزمـان بمره ، الى يوم قبـره ، في سنـة 1235 خمس وثلاثيـن (1819/20 م.) .

[127 ـ أحمـد بيـــرم]

الشيخ ابـو العبـاس احمـد
ويدعى حميدة ابن شيخ الاسلام ابى عبد الله محمد بن حسين بيرم .

نشأ في بيت شرفه ، وقرأ مبادىء العلوم ، وعاقه عن الغرض ، ملازمة المرض .

وكان ماجدا عفيفا ، عالي الهمة محمود السيرة ، وجيها ملازما داره ، الى ان تـوفـي سادس ربيـع الثانـي من سنة 1236 ست وثلاثين (الخميس 11 جانفـي 1821 م.) ، ودفن بتربـة أبيـه قـرب دارهـم .

[128 ـ حسن شلبي]

ابو محمد حسن شلبي

جدهم شلبي ، المملوك الذي انذر الباي حسين بن علي ، وحذره من فتك الداي الاصفر ، فاصطفاه لما نجاه الله ، وقربه ، وصاهره على بنته ، فأولدها ولدا توفي ، وهذا من اولاده .

وله في الحاضرة وجاهة بهذا السبب .

وكان خيّرا ، ملازما لصلاة الظهرين بالجامع الاعظم ، ويتشبه بباي العصر في غالب زيّه . وله تَجِلَّة عند اولاد حسين بن علي ، لهذه القرابة ، الى أن توفي في شوال من سنة 1236 ست وثلاثين ومائتين والف (جويلية 1821 م.) ، عليه رحمة الله تعلى .

[129 ـ حسن بن اسطامراد]

ابو محمد حسن بن اسطا مراد .

هذا الرجل من أحفاد الداي اسطامراد ، كان وجيها مترفعا ، طاوي النفس الى المعالي بغير آلة لذلك ، سوى ثروة في المال ، من حطام آله واحباسهم ، ما درى كيف يصرفها .

وكان ظاهر النعمة ، حسن الزي ، يلبس الفاخر ، توفي يوم الخميس الثامن عشر (1) من ذي القعدة سنة 1236 ست وثلاثين ومائتين والف (16 اوت 1821 م.) ، ودفن بتربة جده المعروفة .

[130 ـ أبوبكر صدام]

الشيخ ابو بكر بن محمد بن محمد
ابن الحاج محمد بن ابى بكر بن ابى الطيب صدام اليمنى القيروانى .

نشأ هذا الفاضل بين يدي أبيه المتقدم الذكر ، واخذ العلم عن والده ، وغيره من علماء القيروان ، كالشيخ عبيد الغرياني وغيرهما . ثم رحل الى تونس فأخذ عن أعلامها ، كالشيخ الشحمي ، والشيخ قاسم المحجوب ، والشيخ عبد الله السوسي ، وغيرهم .

---

(1) هو 17 حسب التقويم .

ولما اضاف رتبة التحصيل ، الى مجده الاصيل ، تصدر للتدريس بجامع الزيتونة ، ونشر در العلم وعيونه ، ثم رجع لبلاده ، فتقدم لخطة الفتوى ورئاستها .

وكان عالما فقيها ، متبحرا فاضلا وجيها ، سالكا سبل المهتدين ، مشهورا بالورع في الدين .

ولم يزل رفيع المقام ، يرأس الاعلام ، والقيروان به في ابتسام ، الى ان عبست حين نعاه الحمام ، يوم الجمعة الحادي عشر (1) من رجب سنة 1236 ست وثلاثين ومائتين والف (13 افريل 1821 م.) ، رحمه الله تعلى .

[131 ـ محمد غريضو]

ابو عبد الله محمد غريضو الاندلسى .

هو من اعيان الاندلس (2) ، وساعده البخت في التجارة ، وتقدم لخطة بَاطَان الشواشي ، وهو من اعضاء مجلس التجارة .

وكان كريما وجيها ، عزيز النفس عالي الهمة ، يحب ان تظهر نعمة الله عليه .

توفي ، ولم يعقب ذكرا ، في سنة 1236 (1819/20 م.) .

[132 ـ محمد المستيرى]

ابو عبد الله محمد المستيرى .

هذا الرجل من أماثل البلاد ، كان يحترف بصناعة الشواشي ، وهو ربيب الباشا ابي الثناء محمود باي ، واخو زوجة ابنه من جهة الام ، ثم تقلب في الخطط النبيهة والاعمال ، ولبته الآمال ، ومع ذلك لم يَحِد عن الاستقامة ولا مالَ ، لما في طبعه من خلال الكمال ، يُدِلُّ بالنجابة ، ولا يلتفت الى القرابة ، والانسان ابن نفسه ، يقدم من تقدمه في الخدمة ، ويستشير في أعماله شيوخ الدولة ، بأدب في الاسترشاد .

---

(1) هو 10 حسب التقويم .

(2) غريضو : بكسر الغين وتشديد الراء المكسورة وضم الضاد .

قال له يوما ابو الربيع سليمان بن الحاج : « افعل ما يصلح بك ولا تتوقف على مشورة ، فلست مثلنا » ، فقال له : « والله ان جميع من تقدمني في الخدمة خير مني ، وما اشرت اليه من القرب لا اعتمده ولا أراه عمدة للعاقل » .

وكان وجيها عاقلا ، لبيبا يغلب عليه الحياء ، ليّن العريكة ، حسن اللقاء ، متواضعا ، حسن السيرة .

ولم يستكمل الامل ، حتى صبّحه محتوم الاجل ، في رابع صفر من سنة 1237 سبع وثلاثين ومائتين والف (الاربعاء 31 اكتوبر 1821 م.) ودفن بمقام الشاذلي ، رضي الله عنه .

[133 ــ محمد الخشايشى]

ابو عبد الله الحاج محمد الخشايشى .

نشأ هذا الشيخ في بيت نبيه شرفُه ، وله معرفة تامة بعلم الفرائض والفقه ، وملكة في غيرهما . وتنقل في الخطط العلمية ، وولي قضاء الفريضة ببيت المال ، وانفصل عنها .

وكان وجيها ، حسن المذاكرة ، مرموقا بعين الاجلال ، الى ان توفي في السابع والعشرين من اشرف الربيعين سنة 1237 سبع وثلاثين ومائتين والف (السبت 22 ديسمبر 1821 م.) ، واعقب اولادا ، يُحيُون اسمه ، ويحفظون رسمه .

[134 ــ أحمد بن سلمان]

الوالى العارف بالله ابو العباس أحمد بن سلمان .

اصل هذا الفاضل من زاوية الصقالبة ، بدخلة المُعاوين ، واستوطن منزل تميم ، لما تمَّم حفظ القرآن رحل لطلب العلم الى الحاضرة ، فأخذ عن أعلامها ، كالشيخ الغرياني ، والشيخ ابي محمد عبد الله السوسي ، والشيخ ابي الفلاح صالح الكواش ، ولازمه وسكن مدرسته المنتصرية ، واستعان بالطاعة ، فحصل من نور العلم اوفر بضاعة ، ثم أعرض عن متاع الغرور ، وزخرف دار المرور ، ورجع الى منزل تميم ، ونبذ العلائق والحاجات ، وذاق لذة المناجاة ، وقسم أوقاته بين عبادة وافادة ، وحث على اسباب السعادة.

وممن قرأ عليه شيخ شيوخنا ابو الفداء اسماعيل التميمي ، وكان يلهج بجميل ذكره ، وطيب آثاره ، في محاضراته واسماره ، وانتفع به اهل بلده عموما وخصوصا ، وكانوا في محبته بنيانا مرصوصا ، واشتهر اشتهار الصباح ، بالعلم والصلاح ، ونقلت عنه الكرامات ، وهي بالنسبة لمثله من اقل المقامات .

وكان إذا أتى تونس ينزل بالمدرسة المنتصرية ، في قرى شيخه الشيخ صالح الكواش ، وكان يسلم له الولاية .

اتفق ان بعض أحباب الشيخ نابته نائبة ، وتلميذه هذا عنده ، وكان ضعيف البنية ، يشتكي ألما برأسه ، يشتد بالبرد ، فأتاه شيخه ، وقال له : « يا سيدي احمد ، انت تعرف ان ابا الافادة ، كأبي الولادة ، ولي عليك حق ، وبمقتضاه نطلب منك ان تدعو لحبيبي فلان ، بتفريج نائبته ، وتبقي رأسك مكشوفا الى ان يفرج الله كربه » ، فبكى ، وقال له : « اذاً اموت يا سيدي ، حمّلني مشقةً غيرَ هذه » ، فقال له الشيخ : « لا قدرة على غصبك ، ولا يرضيني منك الا كشف الرأس » ، فامتثل باكيا ، وقبل مضي اليوم ، فرج الله على المكروب ، وعلى التلميذ [illegible]اء راسه . ثم قال الشيخ لتلاميذه : « نعلم ان الرجل من المحبوبين ، وان ملاقاة البرد لرأسه اشد الاشياء عليه ، فلا جرم أن الله يغار عليه » ، وهذا من غريب منازع الشيخ صالح . سمعت ذلك من الشيخ اسماعيل في مجالسه مرارا ، ولله في خلقه اسرار .

وكان والدي يعتقده ، سمعت منه انه حملني اليه ولي من العمر نحو العام ، فوضعني في حجره ، ودعا لي بما ارجو من الله قبوله .

وله في حديث الكرامات ، واجابة الدعوات ، آثار مأثورة ، واخبار مذكورة .

وكان رحمه الله عالما عاملا ، من ورثة الانبياء ، علم الشريعة تحققا وتخلقا ، تقيا نقيا ، عابدا صواما قواما ، زاهدا في الدنيا ، معرضا عن زخارفها .

وكان الوزير يوسف صاحب الطابع ، يبعث له كل عام هدية من دنانير وثياب وطيب مع والدي ، ويبيت عنده ليلة ، فيوزع جميع ذلك على فقراء البلد ، ولا يُدخل لداره شيئا من ذلك ، ولو قليلا ، كأنه أمين على توزيعها . ولما كلمه والدي في ذلك ، قال له : « حسبك تبليغ الامانة لمن ارسلت اليه ، وانا نعلم ما نحتاج اليه » .

وكان في بلاده آمرا بالمعروف ، ناهيا عن المنكر ، بلسانه ، يحب الخير لعباد الله ، ويدعو لهم بالهداية ، واسع الصدر ، يعفو ويصفح عمن ظلمه ، محبيا معتقدا عند العامة والخاصة ، وهم شهداء الله في خلقه ، وثناؤهم من موجبات الجنة ، ما شئت من العلم والدين ، وترفع الزاهدين ، واخلاق المهتدين ، وسيماء المتهجدين ، وانوار العابدين .

ولم يزل متعلق القلب بحب لقاء الله ، حتى احب الله لقاءه ، عشية يوم الثلاثاء من اوائل رجب سنة 1237 سبع وثلاثين ومائتين والف (3 رجب — 26 مارس 1822 م.) عليه رحمة الله تعلى ، ونفعنا ببركاته ، آمين .

[135 ـ محمد قلالة]

الكاتب ابو عبد الله الحاج محمد قلالة .

نشأ هذا الاديب بالقيروان ، وأخذ عن أعلامها ، وأتى الجامع الاعظم ، وحصل ملكة في الفنون ، وقرض الشعر ، وحاك الادب ، ثم رجع للقيروان ، واقام بها على صناعة التوثيق والتدريس .

ولما احتيج في قلم الانشاء الى كاتب اذ لم يكن في الكتبة يومئذ من يستكفى به ، استقدمه الباى حمودة باشا من القيروان ، وقدمه للكتابة ، فقام بانشائها ، وعد من نبهائها ، فقربه واستخلصه ، وغص به رئيس الكتاب يومئذ ، اذ كان يقصر عن مداه ، ولا تصل اليه خطاه .

وكان عالما اديبا ، كاتبا شاعرا ، وشعره محفوظ ، وبعين البلاغة ملحوظ .

وله قصيدة نظم فيها مآثر مخدومه الباى حمودة باشا ، وقصيدة أجاب فيها شيخنا العلامة ابا اسحاق سيدى ابراهيم الرياحي ، وغير ذلك مما جلى في ميدان الاجادة .

وهو على درجة من الفضل وعزة النفس ، واباءة الضيم ، وفي طبعه حدة احتملت ، وغطتها صناعته .

ولم يزل على جلالته المحسودة ، الى ان استكمل أنفاسه المعدودة ، ليلة الاربعاء الخامس والعشرين من رجب سنة 1237 سبع وثلاثين (17 افريل 1822 م.) .

[136 ــ محــرز النفـــاتي]

الشيخ ابــو محفوظ محرز بن رمضان النفاتي .

نشأ هذا الشيــخ في بيت مجدهم الاصيل ، وقــرأ العلــم واستفــاد جريــا على سَنَن اسلافه ، وتحبّب الى الناس باخلاقه وأوصافه . وله براعة في صناعة التوثيق والفـــرائض . وتقدم خطيبا بجامع التبــانيــن .

وكان خيرا عفيفا ، تقيا ليّن الجانب ، سمح اللقاء ، مقتفيا سنن المهتدين ، ذا سكينة ووقـــار .

ولم يزل معظما مكــرما ، الى ان توفي في شعبان من سنة 1237 سبــع وثلاثين ومائتين والف (افريل — ماي 1822 م.) ، ودفن بتربة آله ، وأعقب ابنا يحيي ذكــر أبيــه ، وبيتهــم النبيــه .

[137 ــ اســـــلام رايـــــس]

هذا الرجل من أعيان الجند ، وترقى الى الرئاسة البحرية ، وسافر بالاسطول ، وغـزا في البحر ،وتنقل الى أن صار قبطان البر ، وهو رئيس الرؤساء البحرية ، مُعَافىً من عناء الاسفـــار .

وكان وجيها مهيبا ، ذا عفــة ونزاهة وكــرم نفس ، شجاعا مقداما ، وله يومئذ الرتبة النبيهة ، مرضيي السيرة في البلاد ، شديد المحافظة على عرضه ، توفي اوائل ذي الحجة سنة 1237 (أواخر أوت 1822 م.) ، وتقدم عوضه محمد عزيز رايس .

[138 ــ أبوالغيث البكرى الاصغر]

الشيخ ابــو الغيث ابن الشيخ على ابن الشيخ ابى الغيث
ابن الشيخ عثمــان ابن الشيخ ابى الغيث ابن الشيخ على البكــرى
المتقــدم ذكــرهم فى الايمــة

نشأ هذا الشيــخ في أطلال بيتهم ، يرى أجداث مَيْتِـهم ، ثم طمحت نفسه بعد وفاة ابيه ، لعدم من يوقظه ويربيه ، الى الخطط المخزنية ، فالتزم العلفة والغابة ، ونابه فيهما ما نابه ، وكان لجده من جهة الأم احبــاس على الذرية ، اشترط في تحبيسها ان المستحـق

من الذرية على مقتضى النص ، اذا احتاج ، له ان يبيع الحبس ، وهو مصدق في دعوى الاحتياج ، من غير يمين ولا بينة . وكأنها كرامة للمحبس ، اذ هو سيدي ابو الغيث القشاش (1) وانحصر الاستحقاق فيه يومئذ ، فباع تلك الاحباس ، فيما لزمه من الخسارة ، وامتدت ايدي الفناء لاموال هذه الزاوية واملاكها ، وكانت الوزراء يقومون للسلام على مشائخ الزوايا اجلالا لهم ، لا سيما الزاوية البكرية ، فلما تولى هذا الشيخ الخطة المخزنية ، ودخل على الوزير ابي عبد الله محمد العربي زروق ، لم يقم له ، وقال له : « بالامس كنا نقوم لتلقيك اجلالا لسلفكم ، وحيث لم ترض بسيرتهم وآثرت عنها الولاية المخزنية ، فلا بد ان تكون كرجالها ، تفعل ما يفعلون ، من غير فرق » .

ولم يزل في هذه الحالات ، الى ان تداركه الله بالوفاة ، ليلة السبت الثامن عشر (2) من جمادى الثانية سنة 1238 ثمان وثلاثين ومائتين والف (1 فيفري 1823 م.) ، بمرض الجُدَرِي ، واخذت الزاوية في التراجع ، ولم يبق الا الاسم والخبر ، وسبحان من لا يحول ولا يزول .

[139 —] الـداي فيضـي

هذا الرجل من أعيان الجند وخيارهم ، نشأ باسلامبول ، واتى متطوعا للخدمة في الجند ، وتدرج في الخطط النبيهة والولايات ، وله امتزاج باهل البلاد ، وتودد لهم ، ومعرفة باعيانهم واقدارهم .

تقدم للخطة بعد ابي العباس احمد الباوندي في رابع محرم سنة 1237 سبع وثلاثين (1 اكتوبر 1821 م.) ، وهرع الناس لتهنئته ، واستبشروا بولايته ، لما يعلمون من سيرته ، الدالة على حسن سريرته .

طلع اليه يوما أحد أولاد الشيخ الحشايشي شاكيا ، فقال له باش حانبه : « هذا ولد الشيخ الحشايشي » ، فقال له : « أتُعَرِّفني باولاد البلاد ، وقد حضرت يوم عقد ابيه على امه ؟ » ، وسأله عن إخوته .

(1) من متصوفي تونس (959 — 1031 هـ) .
(2) هو 19 حسب التقويم .

وكان خيرا عفيفا ، عالي الهمة ، كريم النفس ، حسن اللقاء ، ذا سكينة ووقار ، متثبتا في فهم النوازل ، حسن الادراك ، ألمعيّ البديهة ، حازما ذا تجلد على كبر سنه .

ولم يزل حميد الحال ، مشكور الخلال ، الى ان عبست البلاد بوفاته اثر ابتسامها ، وكان ذلك ليلة النصف من شعبان سنة 1238 ثمان وثلاثين ومائتين والف (السبت 26 افريل 1823 م.) ، ودفن بتربة ابراهيم داي ، جوار الشيخ ابن زياد رضي الله عنه ، واعقب ابنا جرى في ميدان النجابة ، منتظما في سلك صناعة الكتابة ، كثر الله من أمثاله في الوجود .

[140 ـ رشيد خوجة]

ابو محمد رشيد خوجة .

هذا الرجل من الموالي ، واصله من بلاد القرج ، نشأ في الخدمة وتمرن فيها ، وائتمنه الباي ابو محمد حمودة باشا على نفائس مخبآته ، في المحل المعروف بالغرفة في قصر باردو ، وله احترام واجلال ، وصفات كمال . واغتبط به مَن بعده من الامراء .

وكان ثقة امينا ، خيّرا تقيا ، لين العريكة ، بعيدا عن الشر ، حسن الكتابة بالقلم التركي ، نقي العرض .

ولم يزل حميد الاوصاف ، رافلا في حلة عفاف ، الى ان توفي في الثامن عشر من ذي الحجة سنة 1238 ثمان وثلاثين ومائتين والف (الثلاثاء 26 أوت 1823 م.) ، ودفن بتربة الوزير ابي المحاسن يوسف خوجة ، وكان يحبه .

[141 ـ محمد العربي زروق]

الوزير الشهير ابو عبد الله محمد العربي زروق .

نشأ هذا السيد في بيت شرف اصيل ، ومجد اثيل ، اصله من أشراف باجة تونس ، وتقدم والده للخدمة وكيلا على أبنية دار الامارة بباردو ، وسكن به .

ونشأ صاحب الترجمة بين يدي أبيه ، وتعلق بخدمة الباي أبي محمد حمودة باشا ، وبينه وبين أخته زوج الباي محمود باشا نسب الرضاع ، وقربه الباي واصطفاه لمجالسته ،

واستكفى به في المهمات ، كاصلاح قلعة الكاف وتحصينها ، وبناء الابراج ، والسور ، وغير ذلك ، حتى زاحم الوزير ابا المحاسن يوسف صاحب الطابع ، ووجد كل منهما على صاحبه .

ولما مات سيدهما ، انحجر الوزير يوسف صاحب الطابع في محله ، نافض اليد من الخدمة ، وان تبدل زِيُّه وعلا اسم رتبته ، لكن العبرة بآثار خدمته ، والوزير العربي زروق انحاز الى اخته من الرضاع ، وزوجها وبنيها ، وقام لهم باعباء الثورة على الباي أبي عمرو عثمان ، وسَهُل عليه الامر ، لان الوزير ابا المحاسن مقصور اليد ، خامل الشان ، فكان يأتيه زائرا ، وربما يومىء اليه ، فيجيبه بتجاهل العارف ، الى ان كان ما كان ، وجلس ابو الثناء محمود باي على دست الامارة ، وصفا له الجو ، بقتل ابن عمه وابنيه ، وقرب الوزير ابا المحاسن باشارة الوزير العربي زروق ، فأول ما اشار به اقصاء رجال الثورة ، وعلم العربي زروق انه هو المعني بهذه الاشارة ، فسعى في منجاة نفسه ، واوغر صدور اولاد الباي وغيرهم ، بالحجر والعجز ، ونفوسهم بحدة الشباب طامحة للتصرف بالهوى ، واعانه ما في نفوس الاكفاء من الحسد ، ولا يخلو منه جسد ، حتى جاءت الداهية ، بقتل يوسف صاحب الطابع بتلك الاسباب الواهية ، واستبد الوزير العربي زروق بمنصب الوزارة ، ونسي ما كان يقرره في معاني الامارة المطلقة ، والقدر يحول بين المرء وقلبه ، ومد يده في الخدمة ناظرا في اشاراته الى المصلحة ، وان خالفت الهوى ، ومضى له ذلك مدة استمتاع الباي واولاده بمخلف المرحوم سيدي يوسف صاحب الطابع واصحابه ، حتى اذا نفد ذلك ، التفتوا الى من تسبب لهم في الملك ، ومنهومان لا يشبعان: طالب علم وطالب دنيا ، وثروة البلاد لا تفي بما تاقت اليه نفوسهم من السرف في الترف ، والوزير يصدُّهم عن ذلك ، الا انه ربما يسيء ، مدلا بالقرابة ، والمخاطرة بنفسه في الثورة ، لاخذ الملك لهم ، فاتخذوا الوزير ابا عبد الله حسين خوجه ، زبونا عليه ، واعانوا شراعه بالنسب ، مع ما في قلبه من الاخذ بثار سيده ابي المحاسن ، واعانه ايضا ما في نفوس الاكفاء ، من داء الحسد ، والحسود مغتاظ على من لا ذنب له ، واعانه ايضا ما جرت به عادة ملوك الاطلاق في الغالب ، من استثقال من يتسبب لهم في الملك . وانظر ذلك من ابي مسلم الخراساني صاحب الدعوة العباسية ، وطاهر بن الحسين قاتل الامين لرضى المأمون ، وأبي عبد الله الشيعي صاحب الدعوة العبيدية ، الى ان يصل بك العد فيمن دون هؤلاء الى هذا الوزير .

ولما حان القدر ، وقع في الحبالة التي نصبت له اولاً ، فردها على صاحبها ، ثم رُدت عليـــه .

وجرت عادة الله ان لا يقع في البئر الا من حفر ، ووقع له ما وقع لصاحبه من القتل ، واخذ المال والاتباع ، والتنكيل عليهم بتلك الاسباب التي هي كسراب بقيعة ،يحسبه الظمآن ماء ، حتى اذا جاءه لم يجده شيئا .

وكان ذلك ليلة الثلاثاء الثالث عشر (1) من صفر ، شهرِ صاحبه ، سنة 1238 (29 اكتوبر 1822 م.) ، كما تقدم في خبر مقتلهما من الباب الثالث (2) ، وحمل شلوه الى الجلاز ، فغسل به ، ودفن بتربته ، خشية ان تعبث الاراذل ، بجسده الشريف ، كما وقع بمن تقدمه ، فيقوى الشين في وجه البلاد .

ولما خرج والدي من سجن محنته خاطبه هذا الوزير في الرجوع للخدمة معه ، ببيت خزنه دار ، فأبى عليه ، وقال له : « لا ننكر اني صنيعتك من القتل ، ومع ذلك لا أنسى عهد صاحبي » ، فتجاوز له ، وبعث له من الغد الف ريال ، وقفيزين قمحا ، وكسوة له ولبقية اهل بيته ، رحمه الله .

وسمعت اخبار هذين الوزيرين من الشيخ ابي الفداء اسماعيل التميمي ، ومن والدي رحمهما الله ، وما راءٍ كمن سمع . نسأل الله ان يغفر لهما ، وهو الغفور الرحيم .

وكان هذا الوزير فاضلا حازما ، نبيها ثاقب الفكر ، أبيّ الضيم ، عالي الهمة ، عزيز النفس ، صعب المقادة ، شجاعا كريما ، وقور المجلس ، فصيح اللسان ، له مشاركة علمية ، قويت بمخالطة العلماء ، وله امتزاج قوي بشيخنا ابي الفداء اسماعيل التميمي ، يُربي على أخوة النسب ، وكان يحب الامتزاج باعيان البلاد ، كالعشرة الكبار حكام المتجر ، والعشرة الكبار من الشواشية وأمثالهم . وكان يبعث لهم من دار الباي اذا اتى للحاضرة ، ويجلبهم ويعاتبهم على التخلف عنه ، ما شئت من نفس هاشمية ، واخلاق على حدتها زكية ، ورائحة نبوية ، وسياسة كبح بها الدولة ورجالها ، وطمح بها الى الغايات فنالها ، ولم يزل القدر يساعده ، ويقوى به ساعده ، الى ان فارقه في الدنيا

(1) هو 12 حسب التقويم .

(2) انظر ص 106 وص 138 من ج 3

اسعاده ، وكبا به جواده ، ورثاه العالم الاديب المفتي ابو عبد الله محمد الخضّار ، بما هو مرسوم على قبره ، رحمه الله تعلى ، وهو :

الدهر يعثر بالجياد الضُّمَّـــر	ويطيش بالسهم السديد المنبري
والموت يهدم كل عز شامخ	ويروع بالحدثان كل معمر
بينا العزيز على الاسرة ناعما	حتى تراه على البساط الاغبر
هذا ضريح ضم نسمة من اذا	عدّ الكرامُ فَعدُّه بالخنصر
غربت به شمس الوزارة فهي في	اصدافه مخبوؤة كالجوهر
اكرم به أن ضم شخص محمد العربـيٍّ زروقٍ شريف العنصر	
قد كان حزما يستضاء برأيه	في ورد كل عظيمة او مصدر
كم سد فيض نواله من خلة	كرما ، وحلّ كربة عن معسر
حتى سقاه من الحمام إلاهُه	كأسا يضوع نسيمه كالعنبر
فلذاك بادر للترحل مسرعا	واجاب داعي الحق غير مقصر
ومضى تلاحظه العيون ، كما مضى	وَشْيُ الربيع بكل يوم أزهر
وغدا يجر ثيابه من سندس ،	وسط الجنان ، وعبقري اخضر
حُيِّيت مهما قيل فيك مؤَرِّخا :	روّى صداك نزيف ماء الكوثر

ورثاه غيره من أدباء العصر ، وجلّى من قال في بيت تاريخه :

فارحمه يا أهل المراحم ، فهو في	تاريخه : وافى علاك شهيدا

واعقب ابنا يأتي خبره ، ان شاء الله تعلى ، أصيب مع أبيه في درك المحنة ، ثم تداركه لطف الله ، ونجا بنفسه ، وشيءٍ من تراث ابيه ، ونال حظوة ، بعد تلك الكبوة.

[142 —] أبو عبد الله الملقب بالفرططو

هو من الموالي (1) ، ونشأ صغيرا في الجزائر ، وجاء الى تونس ، وخدم الباي ابا محمد حمودة باشا ، وهو صغير ، وآل امره أن اصطفاه ابو النخبة مصطفى باي ، وترقى عنده ،

(1) الفرططو : بفتح الفاء وسكون الراء وفتح الطاء الاولى وتشديد الثانية مضمومة .

وسافر معه بالمحالّ ، بخطة خزنه دار . هو من النجباء الاعيان ، معدود من اهل الشأن ، كريم النفس ، نقي العرض ، حسن الأخلاق .

ولم يزل على حاله ، الى ان توفي سنة 1238 ثمان وثلاثين ومائتين والف (1822/23م.).

[143 ــ أحمد سيالة]

ابو العباس احمد سيالة .

هذا البيت بصفاقس من أكابر البيوت ، المشار اليهم خلفا عن سلف ، وصاحب الترجمة وان كان تونسي المولد ، فهو من بنيها .

نشأ في عفاف وصون ، وعلق مهجته بالعلم ، فأخذ عن أعلام كالشيخ أبي محمد حسن الشريف ، والشيخ أبي عبد الله محمد الطاهر بن مسعود ، والشيخ أبي العباس أحمد الأُبّي الحنفي ، والشيخ أبي اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي . واجتمعت معه في بعض الدروس ، وكان ذكيا فصيحا حسن الاخلاق ، وعاقته المنية ، عن اتمام الامنية ، في محرم غرة شهور سنة 1239 تسع وثلاثين ومائتين والف (سبتمبر — اكتوبر 1823 م.) ، واعقب ابنا صار شيخ المدينة ، ومن رجال المجلس الاكبر ، نحا منحى والده ، في الذكاء والسياسة والفصاحة ، رحمه الله تعلى .

[144 ــ محمد القلشاني]

ابو عبد الله محمد بن تاج بن عبد اللطيف
ابن القاضى احمد بن عبد اللطيف القلشانى .

هذا الفاضل من بيت علم وفضل في القديم والحديث ، كما تقدم في تراجم أيمة الجامع ، وامتطى بنوه صهوات المراتب العلمية ، من تأليف وتدريس وامامة وفتوى وقضاء وتوثيق ، من لدن الدولة الحفصية الى هذا العهد . وكتب التاريخ مشحونة بفضائل الاعيان من هذا البيت .

ونشأ صاحب الترجمة ، محافظا على شرفه ، سالكا ما استطاع سبيل سلفه ، فطلب العلم ، وحصل الملكة ، وتقدم للتوثيق ، وتولى من المناصب الشهادة على اوقاف الجامع ، وقضاء الفريضة ، وشهادة بيت المال .

وكان فقيها ، خيرا عفيفا وجيها ، نزيه النفس ، حسن الاخلاق ، جميل المحاضرة ، متواضعا ، مرموقا في البلاد بعين اجلال .

ولم يزل على حاله ، الى ان توفي يوم المولد النبوي من سنة 1239 تسع وثلاثين ومائتين والف (الاحد 16 نوفمبر 1823 م.) ، وترك اولادا اعيانا ، نسخةً منه ، رحمه الله تعلى .

[145 ـ سليمان ململى]

ابو الربيع سليمان ململى (1) .

نشأ هذا الرجل في ظل الخدمة ، من حوانب الترك ، وترقى الى ان صار رئيس الحوانب ، وقربه مخدومه الباي ابو محمد حمودة باشا ، وسفر عنه الى رومة ، والى امريكا ، وانقلتيرة ، وحسنت وجهته ، وهو من خواص الوزير ابي المحاسن سيدي يوسف صاحب الطابع ، وامتحن بعد موته بالعزل والسجن فقط . سمعت من أبي انه لما نقل من بيت الحوانب الى السجن بالزندالة ، صادف ذلك اليوم تسريح صاحب الترجمة منها ، فترك له فراشه وغطاءه . ولم يزل أبي يذكر ذلك له .

وكان وجيها خيرا ، جديا ذا وقار وهمة وكرم نفس ، وفي آخره صار محتسبا .

ولم يزل مرموقا بعين اجلال ، الى ان توفي في جمادى الاولى سنة 1239 تسع وثلاثين ومائتين والف (جانفي 1824 م.) ولم يعقب ذكرا .

[146 ـ على مهاود]

ابو الحسن على مهاود

هذا الرجل من أعيان بلدية الربض . كان يحترف بالتجارة في غلال الزيتون ، وثمر الاشجار . وتقدم امينا على غابة تونس ، ثم تولى شيخا في الربض ، فقام بواجب الخطة ، وظهرت فيها نجابته وكفايته ، وهو من اشياع الوزير سيدي يوسف صاحب الطابع ، واصابته النكبة بعد موته بالسجن واخذ المال . ثم خرج من السجن صفر اليدين ، ورُدّت له داره ، وبقي خاملا الى ان كانت ثورة الترك ، فأعيد للخدمة لحاجة الخطة اليه ، كما تقدم في الباب الثالث .

(1) بفتح الميمين واللام الاولى وتشديد اللام الثانية مكسورة

وكان وجيها ثابت الجنان ، حازما عالي النفس ، ثقة امينا ، صلبا في الحق .

ولم يزل مرضي السيرة الى ان توفي في ذي الحجة من سنة 1239 تسع وثلاثين ومائتين والف (جويلية — اوت 1824 م.) ، عليه رحمة الله تعلى .

[147 ـ بلقاسم العفيفى]

الشيخ بلقاسم بن احمد العفيفى التبرسقى .

نشأ هذا الفاضل في بلد تبرسق ، وأخذ العلم عن الشيخ سيدي صالح الكواش ، والشيخ سيدي حسن الشريف ، وغيرهما من اعلام الحاضرة ،وتصدر للتدريس فافاد . وكان اكثر دروسه في الفقه ، ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين .

وكان تقيا خيرا ، عالما له الى الله وجهة ، ذا سكينة ووقار وتواضع ، عزيز النفس ، قانعا بالكفاف ، محببا الى الناس ، بعيدا عن التصنع .

ولم يزل على حاله بين عبادة وإفادة ، الى ان حل اجله ، ولم ينقطع عمله ، وذلك اواخر ذي حجة من سنة 1239 تسع وثلاثين ومائتين والف (أواخر اوت 1824 م.) .

واعقب أبناء سلكوا في العفة مسلك أبيهم ، واصغرهم هو الآن زينة مجالس العلم ، ومنابر الوعظ والفتوى ، وزان علمه بالعمل والتقوى ، كثر الله من أمثاله .

[148 ـ محمد حمزة]

الشيخ المفتى ابو عبد الله محمد حمزة .

هذا الشيخ من اعيان صفاقس ، أخذ عن الشيخ الطيب الشرفي ، وغيره من علماء بلده . وكان عالما متفننا قوي الحافظة ، وتقدم لخطة الفتوى ثم توفي سنة 1239 تسع وثلاثين (1823/24 م.) .

[149 ـ حميدة الغماد]

ابو العباس الحاج حميدة الغماد .

هذا الرجل من بيت علم ووجاهة ، تقلب بنوه في الخطط العلمية ، ونشأ صاحب الترجمة في ظل بيته فحفظ القرآن وضايقه الزمن في التوجه للعلم ، فأقبل على معاشه ، وتقدم شيخا بالمدينة ، وهي من الخطط النبيهة ، يقال لصاحبها أمين الامناء ، وله دخل في سائر

صناعات البلاد ، وما يرجع لعموم مصلحتها ، فأخذ الراية باليمين ، وقام بالخطة قياما لم يسمع مثله عمن تقدمه ، وقصر عنه من جاء بعده ، وأغنى وأقنى في ثورة الترك الاولى والثانية ، كما تقدم خبر ذلك .

وكانت المدينة ايام ولايته محروسة مأنوسة ، يدور أزقتها ، ويجوس خلال دورها ليلا ، يتوخى بقاء الستر ما استطاع ، ونبت حبه في قلوب اهلها النبات الحسن ، يعود مرضاهم مشفقا ، ويحضر جنائزهم حزينا ، وأفراحهم مسرورا .

استشاره والدي في التزوج ، فاشار عليه بوالدتي ، وقام باعباء ذلك وليّا من الطرفين .

وكان رحمه الله يقول لي : « أنت ابني » ، ومهما رآني يمتحن حافظتي ، بقراءة ما يقترحه علي من القرآن . وهكذا مع أولاد أصحابه .

وأخباره في الحاضرة ، تحسن بها المحاضرة .

وكان محببا لعقل مخدومه ، مكين المكانة عنده ، يستكفي به في المهمات ، ويرمي به في نحور المعضلات ، ثابت الفكر ، قوي القلب ، حسن المحاضرة ، وقور المجلس ، عالما بمنازل الناس ، معظما للعلماء والاشراف ، مثابرا على قراءة القرآن من حفظه ، يجلس مع القراء شيخا في المآتم التي يحضرها . وتجرأت عليه بالسؤال عن ذلك ، فقال لي : « انـي من مناصب القراء بحزب السبع ، وبها افتخر ، لا بمشيخ المدينة ، وما ضرّني أن أكون مع اخواني ممتزجا بهم حتى لا يظنوا بي الترفع عنهم ؛ والجلوس في عبادة التلاوة ، خير من الجلوس في وسط الدار » .

ولم يزل معظما وجيها ، معتبر الرأي ، الى ان توفاه الله في ربيع الاول من سنة 1240 اربعين ومائتين والف (اكتوبر — نوفمبر 1824 م.) ، بعد أن أقام شيخا نيفا وثلاثين سنة .

وله ابن نسج على منوال أبيه ، جاريا على قدمه . وتقدم شيخا بربض باب الجزيرة .

رحمه الله تعالى .

[150 — محمد الخماسي]

ابو عبد الله محمد الخماسي .

هذا الرجل من قبيلة الخمامسة ، من عروش ونيفة ، ونزل في فرسان المخازنية ، وجلى في مضمار الخدمة ، وتقلب في وظائفها ، الى ان تقدم كاهية وجق التوانسة ، باشارة

رجب بونمرة المتقدم ، واستكفى به مخدومه في المهمات ، وهو الذى أنكى في مقتلة الثائرين من جند الترك بوادى الطين ، ثم انفصل عن هذه الخطة ، وتقلد غيرها من الاعمال.

وكان شجاعا مقداما ، صبورا ثابت الجأش ، ذا همة ونفس أبية ، ووقار وصمت .

وتوفي في ربيع الثاني من سنة 1240 اربعين ومائتين والف (نوفمبر — ديسمبر 1824 م.) .
وله ابن اقتدى بأبيه ، وهو الآن من أعيان المخازنية .

[151 ـ أحمد بوخريص]

الشيخ العلامة ابو العباس احمد بوخريص .

اصل هذا الفاضل من جبل وسلات ، وساقته السعادة الى الحاضرة مع اهله ، في جالية الجبل ، لما أخلاه الباشا علي باى الحسيني ، فحفظ القرآن ، وأقبل بقلبه وقالبه على العلم ، فأخذ عن الاعلام والافاضل كالشيخ الشحمي ، والشيخ سيدى صالح الكواش ، والشيخ محمود الغنجاتي وغيرهم . وبرع في الفقه والاصلين والفرائض والتوثيق . وله قدم راسخ في غيرها من العلوم .

وتصدر للتدريس في الجامع الاعظم ، فروّى الظمآن من نهره الفياض ، وملأ الحياض ، وتدرب به أعيان ، من فرسان هذا الميدان ، وصاروا به من ذوى الشان ، يشار اليهم بالبنان ، كشيخنا ابي اسحاق سيدى ابراهيم الرياحي ، وشيخنا العالم الصالح ابي عبد الله سيدى محمد بن ملوكة ، وشيخنا ابي عبد الله محمد بن سليمان المناعي ، وشيخ الفتوى ابي النخبة مصطفى ابن شيخ الاسلام أبي عبد الله محمد بن حسين بيرم ، وغيرهم من صدور وأعيان ، تحلى بهم جيد الزمان ، ويقتصر عن إحصائهم الحسبان .

وكان آية الله في الحفظ وسعة الاطلاع ، مع ثقوب الفكر .

ولازم الدرس بالمحرزية بين العشاءين ، فانتفع به جم غفير من عامة ربضه . وكان يقول : « هذا الدرس أرجو به من الله ، ما لا أرجوه من غالب دروسي » . وله حرص على افادة تلاميذه .

وتقلب في الخطط العلمية ، وزان المنبر والمحراب ، وألزم لخطة القضاء ، فما وسعه الا ان اجاب ، وذلك في تاسع ربيع الثاني سنة ثلاثين (الأحد 19 فيفري 1815 م.) ،

وقام لله بما يجب في حقوق عباده ، بتقواه وجده واجتهاده ، ولم يقبل خصما في دار سكناه ، ثم انعكس نور عيني رأسه الى عين قلبه ، فلزمه التسليم اواسط رجب من السنة ، وأقبل على ما ألفه من افادة العلوم ، وأراحه الله من اساءة الخصوم .

وامتحن بموت أبنائه الاعيان المتقدم ذكرهم . سمعت من أكبرهم صاحبنا العالم الكاتب ابي عبد الله محمد قال : « لما قبض الاول منهم أتيته لبيته ، وقلت له : يا سيدي البركة فيك ، فقال لي : توفي اخوك ؟ ، فقلت : البركة فيك فقال : الله ، انا لله وانا اليه راجعون ، ثم سكت ، وخرجت لتجهيز دفنه ، وهكذا في بقيتهم ، لم أسمع منه غير هذا » ، وذلك يدل على ما له في مقام الصبر من رسوخ القدم ، لا يغره وجود ولا يروعه عدم .

وكان رحمه الله نزيها عفيفا ، عالي الهمة عزيز النفس ، أبيّ الضيم ، مقداما على قول الحق ، حاضر الجواب ، مائلا لاخلاق الصالحين ، بعيدا عن المداهنة والتصنع ، متبلغا بالكفاف ، متجملا بمعالي الاوصاف ، مهيبا عند الملوك .

ولم يزل فارسَ هذا المجال ، يملأ السِّجال ، ويبث العلم في صدور الرجال ، الى أن حل اجله ، ولم ينقطع بعد الموت عمله ، وذلك خامس ربيع الاول من سنة 1240 اربعين ومائتين والف (الخميس 28 اكتوبر 1824 م.) .

ورثاه تلميذه شيخنا المحقق ابو اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، بما هو مكتوب على قبره ، خارج باب القُرْجاني .

وأعقب أولادا تسنّموا ذرى الخطط العلمية والقلمية .

[152 ـ محمد الفـــراتي]

الشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد الفراتي الصفاقسي ويعرف بالشافعي .

نشأ هذا الشيخ في صيانة بيتهم المعروف بصفاقس ، وأخذ مبادىء العلوم عن علماء بلده ، ثم ارتحل لتونس ، فأخذ عن أعيان ، منهم العلامة ابو الفداء اسماعيل التميمي وغيره .

ورجع لبلده ، فتقدم لخطة الفتوى بها .

وكان جميل السيرة ، حسن الاخلاق ، فقيها مدرسا ، نقي العرض ، محببا الى الناس.

ولم يزل على حاله الى ان توفي سنة 1240 اربعين ومائتين والف (1824/25 م.) .

[153 ـ نصـــر الكـــافى]

الشيخ ابــو الفــلاح نصر الكــاف .

أصل هذا الشيـخ من الكـاف ، وهاجر لطلب العلم بتونس ، فأخذ عن أعلامها ، واختص بالشيـخ صالح الكـواش فانتفع به ، وتصدر للتدريس بالجامع ، وانتفع به جـم غفير ، لا سيما في الفقه المالكـي .

وكان فقيها حافظا ، عالما خيّرا تقيا ، على قدم شيخه ، نزيه النفس ، عالي الهمـة ، بعيدا عن التصنـع ، غرا في امور دنياه ، والمؤمن غر كـريم .

وسافر لاداء الفريضة ، وحَاضَر أعلام الأزهر ، ورجـع لتونس .

ولم يزل على حاله ، مستورا بتجمله متجملا بخلاله ، الى ان توفي سنة 1240 اربعين ومائتين والف (1824/25 م.) ، فيما اظن ، أو بعدها ، ولم اقف على تحقيق وفاته ، رحمه الله ، أدركـته ، والناس يعظمونه .

[154 ـ] شـــاكـير الملـــوك

هذا الرجل من ممـاليك الباي أبي محمد حمودة باشا ، وانتقل لتونس بعد وفاة سيده ، ثم رجـع للخدمة في دولة الباشا ابـي الثناء محمود باي ، وتزوج من عقائل تونس بنت علي مهاود شيـخ الربض ، وساكـنه ، وتقدم للخطط والأعمال ، وأساء واحسن ، وعلى بعـض الاساءات عـزل ، وبقـي مطروحـا .

وكان حاذقا لبيبا ، له معرفة بعلم الحساب وبراهينه ، وبرع فيها ، توفي في محـرم سنة 1241 احدى واربعين ومائتين والف (اوت — سبتمبر 1825 م.) ، ودفن بتربة الـوزير أبـي المحاسن يوسف صاحب الطـابـع .

[155 ـ محمد شرف الـدين]

الكـاتب ابو عبد الله محمد شرف الـدين .

أصله من نبهاء البيوت بنابل ، ونشأ في عفة وصيانة عرض ، وله مشاركـة علمية . قدمه الباي ابو محمد حمـودة باشا للكـتابـة ، في قلـم الانشاء وخف على قلبـه ، وتـأنس بمحادثته ، على قصوره في صناعته . وكان يركـب معه في شريوله ، إظهاراً لمحبته .

وكان ظريفا حسن الاخلاق ، حلو الفكاهة ، متجملا في حالاته . أقعده مرض النقرس عن الخدمة ، فبقي بداره ، موفّى الجراية المعتادة ، مرموقا بعين احترام ، مجاب المسألة ، الى ان توفي في محرم من سنة 1241 احدى واربعين ومائتين والف (اوت — سبتمبر 1825 م.) ، ودفن بالجلاز .

[156 ــ محمود بن محمود]

ابو الثناء الشيخ محمود بن محمود الحنفى .

نشأ هذا الرجل في بيته النبيه ، واخذ عن الاعلام ، وتفقه وحصل الملكة العلمية ، ومنعه عن ملازمة التدريس تكسّبُه بصناعة التوثيق والفرائض ، وله فيهما اليد الطولى ، وتولى في المراتب العلمية ، وسافر اماما بمحال الوزير ابي المحاسن يوسف صاحب الطابع .

وكان ذا همّة ووقار ، وعفة وتجمل ، عالما خيرا وجيها ، الى ان توفي في جمادى الاولى سنة 1241 احدى واربعين ومائتين والف (ديسمبر 1825 — جانفي 1826 م.) .

[157 ــ محمد الاصرم]

الكاتب ابو عبد الله الحاج محمد
ابن الوزير الكاتب ابى العباس احمد الاصرم .

نشأ هذا الشيخ بين يدي أبيه ، وأخذ عنه ، ثم قرأ في الجامع ، وحصل ملكة علمية ، وبضاعة في التاريخ ، وقدمه الباي ابو محمد حمودة باشا للكتابة ، في قلم الانشاء ثم تقدّمه لرئاستها ابن عمه وصهره ابو عبد الله محمد الاصرم ، فأنف لذلك ، وسلّم ، وألزمه الباي ، فرجع كاهية ابن عمه على كره ، ثم اصيب بمرض النقرس ، ولازم لاجله قربص ، وبنى به فسقية للماء ، وحمامات ودارا .

وكان وجيها مشاركا ، ذكيا ألمعي الفطنة ، أقرب من غيره لصناعة الانشاء ، عزيز النفس ، عالي الهمة ، حسن اللقاء ، كريم الخلق .

ولم يزل على حاله ، الى ان توفي بحمام قربص ، ودفن به ، في جمادى الاولى سنة 1241 احدى واربعين ومائتين والف (ديسمبر 1825 — جانفي 1826 م.) . وأعقب ابنا تقدم للكتابة .

[158 ـ أحمد الوصيف]

ابو العباس الشيخ احمد الوصيف

نشأ هذا الشيخ في عفة وصيانة ، وديانة وامانة ، وحصل ملكة علمية ، وله يد في فن التجويد ، ودرّس بالجامع ، يحترف بصناعة التوثيق ، وعد من أعيانها .

وكان عفيفا خيرا ، ذا سكينة ووقار ، حسن المحاضرة ، كريم النفس ، نقي العرض ، محببا الى الناس .

ولم يزل على حاله ، الى أن توفي في اواخر جمادى الثانية من سنة 1241 احدى واربعين ومائتين والف (اوائل فيفري 1826 م.) .

[159 ـ احمد بن الخوجة]

الشيخ العلامة شيخنا ابو العباس احمد
ويدعى حميدة بن الخوجة الحنفي .

نشأ هذا الشيخ في طلب العلم ، واخذ عن أعلام ، كأبي عبد الله محمد بيرم الثاني ، وأبي عبد الله محمد بن سعيد المتقدم الذكر ، المدعو بنجم الدين ، وغيرهما . واستولى على درجة التحصيل ، وتضلع بالعلوم ، فتصدر للتدريس ، فنثر الدر النفيس ، وملأ بزُلاله الحياض ، وغرس من فنونه الرياض ، فزكت ثمارها ، وسطعت انوارها .

وتدرج في الولايات العلمية ، كجامع محمد الباي المرادي ، إماما مدرسا خطيبا ، والمدرسة الشماعية ، وهو اول من سن الاختام في رمضان على الكيفية الموجودة الآن من فحول العلماء . وكان الباي حمودة باشا لا يفارق ختمه ، وتقع فيه المباحثة من أربابها ، على مقتضى آدابها .

وتقدم لخطة القضاء بالمذهب الحنفي ، لما صار الشيخ برناز مفتيا ، فتدرع للخطة بعفاف ودين ، وشدة ولين ، فكان من قضاة الجنة ، والنفس به مطمئنة . ثم انتقل لخطة الفتوى ، فزاد في شانها ، وعد من اعيانها .

وكان نادرة الدهر في العلوم العقلية والنقلية ، وهو المؤسس لبيتهم العلمي ، جيد الحفظ ، ثابت الفكر ، عالي الهمة ، عزيز النفس ، جميل الصبر ، قانعا بثوب التجمل ،

رافلا في حلل الكمال النفساني ، متقدما في الفضل ، حسن الاخلاق ، ذا وقار وسكينة ، وتواضع على تلك المرتبة المكينة ، بعيدا عن التصنع ، جديا في احوال الدنيا ، محفوظا بدرع التقوى من ألسنة السوء .

ولم يزل معظما محفوظا ، وبعين العناية ملحوظا ، الى أن فجعت الحاضرة بوفاته ، ليلة الثلاثاء السادس والعشرين (1) من شعبان سنة 1241 احدى واربعين ومائتين والف (4 افريل 1826 م.) ، ودفن بزاوية سيدى عطية قرب داره ، واعقب اولادا تسابقوا في ميادين الكمال والخطط العلمية ، أكبرهم أنْسَى ذكر ابيه ، كما تراه ان شاء الله تعلى ، وما غاب عني ان الفضل للمتقدم .

[160 — بكـــار الجلولى]

ابو محمد بكار بن محمد بن محمود بن بكار الجلولى الصفاقسى .

بيت الجلولي في صفاقس من البيوت المشهورة ، وآثارهم مأثورة ، ورسوخ قدمهم في الخدمة من لدن بني ابي حفص ، ونشأ هذا الغصن في دوحة مجده ، واقتنى من تربية جدّه ، وتسبب له في تحصيل ما لا بد منه من العلم ، وحصلت له درجة المشاركة ، وتقلد على صغر سنه الخطط ، واستقر حاله بعمل صفاقس ، وساسها بعقله ونبله . مَهّد له جده فيها مهادا سياسيا ، وذلك انه كتب لمشيختها ، واعيان جماعتها ، بان « هذا الشاب ابن اخيكم ، وانتم أعمامه ، فافعلوا معه فعل العم الشقيق » ، فرمق مشيختَها بعين الاجلال ، وشاورهم في الامر ، فحسنت آثاره ، وطابت اخباره ، مع ما فيه من المشاركة التي انخرط بها في سلك الطلبة .

وكان وجيها خيرا ، فاضلا ألمعيا ، متأنيا متثبتا ، متضلعا بما يلزمه من السياسة ، مطبوعا على اخلاق الرئاسة ، فصيح اللسان ، مفكرا في العواقب ، ينحو منحى جده ، واقفا عند أمره وحده .

ولم تزل ضاحكة ايامه ، الى ان أتاه حمامه ، وفجع به الاب والجد ، وللحياة اجل وحدّ ، وذلك في ذي القعدة سنة 1241 إحدى واربعين ومائتين والف (جوان — جويلية 1826 م.) .

---

(١) هي 25 حسب التقويم

[161 — محمد الباهى]

الشيخ ابو عبد الله محمد

ابن الشيخ ابى الفداء اسماعيل ابن الولى سيدى احمد الباهى .

نشأ هذا الفاضل في بيت مجده ، وأكمل أخوه تربيته ، وحثه على طلب العلم ، فأخذ عن أفاضل ، كالشيخ احمد البكاي ، والشيخ احمد بوعبدة ، ثم أخذ عن أعلام الجامع ، كالشيخ الطاهر ، والشيخ ابي اسحاق ابراهيم الرياحي ، والشيخ ابي محمد سيدي حسن الشريف . وحصل ملكة حسنة في البيان والنحو ، وحظا وافرا في التفسير والفقه والاصول . وتصدر للتدريس بزاوية جده ، وانتفع به اهل الربض .

وكان خيرا عفيفا ، تقيا سالكا نهج الاخيار ، جيد القريحة ، مصيب البداهة ، عالي الهمة ، سمح اللقاء ، متواضعا .

تقدم شيخا بزاوية جده ، بعد وفاة اخيه ، فأحسن القيام بشؤونها ولازمها .

ولم يزل موسوما بالعفة والتقى ، الى ان ارتحل الى دار البقاء ، والآخرة خير وأبقى ، في سنة 1241 إحدى واربعين ومائتين والف (1825/26 م.) .

[162 — شلبى بن شلبى]

ابو محمد شلبى بن شلبى ، ترجمان الداى .

كان وجيها وقورا ثقة معدودا في الاعيان ، يحسن اللغة التركية .

وصاحب هذه الخطة يومئذ هو السفير بين الباي والداي ، وهو عين الباي على الداي . وربما ينوب الداي في النوازل الخفيفة ، التي لا تتوقف على الاستئمار ، شأن تلك العادات الماضية .

وتوفي في ذي الحجّة من سنة 1241 ، إحدى واربعين (جويلية — اوت 1826 م.) . وأعقب ابنا قام برمق هذه الخطة زمنا ، إلى أن انقرضت بانقراض اسم الداي .

[163 — الحاج صالح بوغدير]

هذا الرجل من اعيان المخازنية المقربين في خدمة الباي ابي محمد حمودة باشا ، لا يتخلف على ركابه ، ويجيء يوم عرض المخازنية مع الجوانب على أهبة حرب ، ولما نجم

الوزير ابو المحاسن يوسف صاحب الطابع ولزمته الاتباع ، قال له سيده : « لمكانتك عندي نرخص للحاج صالح بوغدير في خدمتك » ، فاستعمله في خلاص عوائد الطابع ، ثم ترقى في الاعمال والولايات ، وهو مع ذلك يعرض حاله في كل سنة مع الحوانب . وهو وان ولد في البادية ، مطبوع على الحضارة ، بنى المباني ، وقدم الصدقات ، التي منها حزبٌ رتبه بجامع ابي محمد الحفصي ، قرب داره .

وكان شجاعا كريما ، وجيها ذا وقار ، يميل الى الخير ، توفي في العشرين من جمادى الثانية سنة 1242 اثنتين واربعين ومائتين والف (الجمعة 19 جانفي 1827 م.) .

[164 — أحمد الوزير]

ابو العباس الحاج احمد ابن الحاج محمود الوزير .

نشأ هذا الرجل في بيت مجده ، على نسق أبيه وجده ، وحفظ القرآن كآل بيته ، وشرع في قراءة علم النحو على الفاضل العالم ابي العباس احمد الكيلاني ، وجذبه داعي التجارة ، عن إعراب العبارة ، وتقدم ذكر اخيه في الفطنة ، ووقعت وحشة بينه وبين الامين ابي عبد الله محمد العروسي الاندلسي ، سببها تحاسد الاكْفاء ، فارق بسببها الاوكار ، ورفض الاوطار ، وتقلب في الاسفار ، وانتهى الى صحراء افريقية من ارض السودان .

وكان وجيها فاضلا ، جريئا نير الفكر ، عزيز النفس ، صعب المقاد ، طامحا الى قنن المعالي ، يقول القول ولا يبالي .

ولم يزل يتقلب في الاسفار ، الى أن أصاب سفينته قاصف ريح ، فأغرقها ، ونظمه البحر مع جواهره ، وجاء نعيه لتونس في شوال سنة 1242 اثنتين واربعين ومائتين والف (افريل — ماي 1827 م.) .

[165 — محمد الباشير]

الولى العارف بالله ابو عبد الله سيدى محمد الباشير .

أصل هذا الشريف من جبل زواوة ، وشرف بيته مشهور اشتهار الصبح ، غني عن الشرح ، أتى الحاضرة بعد وفاة عمه سيدي الونيس المشهور مقامه بالجلاز ، ودرّس في الحديث وفي الفقه ، وبطريق القوم فاز ، واستصحب عصى التيسار ، ونجا من العقبات

وجاز ، وحاز من ثمار السلوك ما حاز ، وامتاز من بين أصحابه أي امتياز ، فخفقت عليه أنوار الولاية ، ارثا واكتسابا ، جزاء من ربك عطاء حسابا ، ثم انعكس شعاع بصره الى نور قلبه فانقطع الى الله بخالص لبه ، كأمثاله من أهل الله وحزبه ، ولازم خلوته متجردا لعبادة ربه ، متنسما بنسيم العرفان من مَهَبِّه ، وظهرت عليه انوار الكرامات ، بعد ان تدرج في المقامات ، فانجذبت اليه ارباب السلوك ، وعظم في قلوب العامة والخاصة والملوك ، يسلمون له الولاية والصلاح ، ويعتقدون زيارته من اسباب النجاح ، وهم شهداء الله في خلقه ، بنص السنة « ومن اثنيتم عليه بخير ، وجبت له الجنة » .

وقرأت بين يديه تفسير ابن الفرس من اوله الى آخره ، وانا في مبادىء القراءة ، وتارة يأمرني باعادة بعض عبارات ، ريثما يتأمل .

وكان قبل الانقطاع يقرىء طلبة العلم بجامع القصر . والباي ابو الثناء محمود باشا حجر لسرّه أولاده (1) ، فكانا يأتيان لزيارته ، ويتيمنون (كذا) باشارته ، لاسيما عند سفرهما بالمحالّ ، أو اذا طرقهم حال . وأكبرهم هو الذي بنى له الزاوية المعروفة به في الحاضرة ، وله زاوية في غيرها مؤسسة على التقوى ، هي لابناء السبيل وطلبة القرآن مأوى .

وهو أول من احتفل لقراءة فضائل المولد وأخباره ، بمسجد قرب داره ، وأطعم فيه جيد الطعام ، ثلاثة ايام . ولما لزم داره ، اناب في قراءته شيخنا ابا اسحاق ابراهيم الرياحي ، يأتي من داره الى ذلك المسجد ، ويجلس على كرسي ، لرواية فضائل المولد .

وكنت ممن يحملني والدي الى زيارته ، ولما دخلت الجامع لقراءة المولد ، حملني اليه ، ومعي عمامة ادارها على رأسي بيده المباركة ، بطلب من أبي ، ودعا لي بما ارجو قبوله ، بفضل الله .

وكان رضي الله عنه عالما ، عابدا قانتا ، أوّابا ، معروفا باجابة الدعوة ، محببا الى الناس ، على اختلاف الاجناس ، لا سيما زواوة ، فانه قطب مدارهم ، يتبركون بثيابه وبسبحته الى يومنا هذا ، والاعمال بالنيات .

---

(1) يظهر ان الحجر لسائر اولاد محمود باشا ، والمتحدث عنهما بعد بصفة التثنية هما اللذان توليا الملك بعده : حسين ومصطفى .

ولم يزل سالكا طريقته المثلى ، وفضائله بلسان اهل الحاضرة تُتْلى ، الى ان لحق بالرفيق الاعلى ، يوم السبت السادس عشر (1) من شوال سنة 1242 اثنتين واربعين ومائتين والف (12 ماي 1827 م.) ودفن بزاويته المشهورة ، وتبرك المسلمون بشهود جنازته ، وحمل نعشه على عواتقهم ، ومنهم ابو عبد الله حسين باشا ، وسائر أهل بيته ، وسالت مدامعهم لفراقه ، رحمه الله ، ونفعنا ببركته .

وقام ابن اخيه مقامه ، فعمر الدار ، وحافظ على الآثار ، وعد من الاخيار ، كيف ؟ وهو من آل البيت الاطهار .

[166 ـ حسن الوزير]

ابو محمد حسن بن ابى العباس احمد الوزير .

هذا الرجل من اعيان بيوت الاندلس بالحاضرة ، وخيار التجار ، حفظ القرآن ، وربما صلى به التراويح في رمضان ، بالجامع القريب من دارهم المعروفة ، ملازما للتلاوة ، خيرا عفيفا ، ابيّ الضيم ، عزيز النفس ، مقبلا على شؤونه .

وكان الوزير ابو عبد الله محمد العربي زروق يلومه في التخلف عنه ، وهو غير مبال بذلك ، مع انه من اعضاء مجلس التجارة ، ذا تواضع لغير اهل الدنيا ، مرموقا في الحاضرة بعين اجلال وتكريم .

ولم يزل على حاله ، الى ان توفي في ذي القعدة من سنة 1242 اثنتين واربعين (ماي — جوان 1827 م.) ، واعقب ابنا حفظ القرآن ، وتعلم نصيبه من العلم ، معدودا من اهل العفاف ، راضيا بما قدر له من الكفاف ، كثر الله في المسلمين من أمثاله ، لم ينقطع بدعائه عمل أبيه .

[167 ـ محمد الشرفى]

الشيخ ابو عبد الله محمد ابن الشيخ ابى محمد حسين الشرفى الصفاقسى

نشأ في وجاهة بيته ، وظل صيته ، وأخذ العلم عن آله ، وغيرهم من علماء صفاقس ، ثم ارتحل الى تونس ، ورجع لصفاقس .

---

(1) هو 15 حسب التويم .

وتقدم لخطة الفتوى بها ، ثم عزل عنها ، وهو الذي أجازه الشيخ ابن سعيد باجازته المنظومة ، مطلعها :

حمدا لمن جعل اصل الشرف	في روضة العلم الزكي الانف
وجعل الذين يحملونه	عزهم عز الملوك دونه
وقال في فضلهم مبينا	هل يستوي الذين يعلمونا

وكانت وفاته سنة 1242 اثنتين واربعين ومائتين والف (1826/27 م.) .

[168 ـ أحمد السنان]

الشيخ ابو العباس احمد بن حمودة السنان .

نشأ هذا الشيخ في عفاف وصيانة ، ومروءة وأمانة ، وقرأ العلم ، وحصل ملكة ، وله في علم القرآن تضلع وباع ، وتلاوة تبعث الخشوع الى القلوب من الاسماع . واصطفاه الباي ابو محمد حمودة باشا لتعليم القرآن لآله ، الذين منهم المشير الاول ابو العباس احمد باي ، وكان يحسن الثناء عليه ، وعلم مماليكه ، وكلهم يثنون عليه ، ويذكرونه باجابة الدعاء .

تقدم اماما بجامع المهراس ، وناب الشيخ المفتي ابا العباس احمد سويسي في الخطبة بجامع ابي محمد الحفصي ، فأقام به الجمعة مدة حياته ، جهوري الصوت على المنبر ، حسن التلاوة في المحراب .

وكان فاضلا عفيفا ، خيرا تقيا نقيا ، متواضعا معظما ، يُلتمس منه الدعاء ؛ تلوح عليه أنوار السعادة ، الى ان توفي في منتصف صفر من سنة 1243 ثلاث واربعين ومائتين والف (الجمعة 7 سبتمبر 1827 م.) .

[169 ـ عمر البداى]

الشيخ الكاتب ابو حفص عمر البداى .

طلب العلم وحصل ملكة تصدر بها للتوثيق ، وله فيه يد ، مع حسن الخط ، ومعرفة في الفرائض . واستكتبه الباي ابو الثناء محمود باشا في قلم الانشاء ، فقام بواجب ما يلزمه ، واستعان بما علمه من التوثيق .

وكان وجيها خيرا ، ذا عفة ، نازعا عن الفضول ، مقبلا على خُوَيْصَّة نفسه ، نقي العرض ، سلم الناس من يده ولسانه .

ولم يزل على حاله ، الى ان توفي في ربيع الاول سنة 1243 ثلاث واربعين ومائتين والف (سبتمبر — اكتوبر 1827 م.) .

[170 — علي بلهوان]

ابو الحسن علي بلهوان التركي .

سبب قدوم هذا الرجل من بلده الى هذه الحاضرة ، ليصارع بلهوانا كان في الحاضرة ، فقال له الباي ابو محمد حمودة باشا ، لا نأذن له في مصارعتك ، الا اذا أثبتّ اسمك في ديوان جندنا ، فأبى وقال له : « تركت بقري وفلاحتي في بلادي » . ولم يزل يتمنع ، فاضطر الى النزول ، خشية ان يعيّر بالخوف وصارع هذا البلهوان ، فغلبه ، واولاه الباي عوضه ، وجعله في حوانب الترك ، وترقى الى ان صار رئيس الحوانب .

وكان شهما شجاعا ، أيّدا قوي البدن ، غرا كريما ، ذا عفة وديانة ، ومحافظة على الصلوات في اوقات الجماعة ، وربما ناب الامام في صلاة المغرب والعشاء والصبح ، بجامع القصر ، لقربه من داره ، صليت المغرب خلفه مرارا مع الشيخ الكاتب ابي عبد الله محمد المناعي . وعزل من رئاسة الحوانب ، مع من عزل من اعيان محلة قسنطينة ، كما تقدم في الباب الاول ، وبقي معزولا ، ثم ان الباي وكّله على زاوية الولي سيدي علي الحطاب ، فركب اليها ، وسأل عن دخل الوكيل ، فقيل له : « هو ما ترى من الصدقات وفضول الذبائح والنذور » ، فرجع الى الباي ، ورد أمر الولاية ، وقال له : « انا رجل عسكري ، لا اعيش من فضول الذبائح ، وزيت القناديل » ، الى غير ذلك مما يدل على عزة النفس ، وعلو الهمة ، فجعل له مرتبا .

ولم يزل على حاله ، الى ان توفي في اشرف الربيعين من سنة 1243 ثلاث واربعين ومائتين والف (سبتمبر — اكتوبر 1827 م.) ، واعقب اولادا نجباء ، تولى بعضهم عمل بعض العروش في الخيام ، وحمدت سيرته .

[171 ـ محمـــد الاصـــرم]

الوزير الكاتب ابو عبد الله محمد بن محمد الاصرم .

ابوه المتقدم ذكره ، خوجة زواوة ، ونشأ صاحب الترجمة بين يدي أبيه ، مغذّى بلبان الدولة ، متفيئا ظلالها ، على أساس سلفه . وقرأ العلم ، وحصل ملكة المشاركة ، واستكتبه الباي ، واختص بالوزير ابي النخبة مصطفى خوجة ، ورئيسُ الكتاب يومئذ ابو عبد الله محمد الدرناوي ، ولما عُزل سعى الوزير مصطفى خوجة في تقديمه عوضه ، ولما تقدم غصّ بعض أقاربه من الكتاب ، وسلموا كما تقدم ، واستكفى الباي بنجابته وحذقه ، ومهر في حسبانه بما اقتضاه الحال يومئذ ، وقلم الانشاء في الحقيقة بيد غيره ، كالشيخ ابي عبد الله محمد قلالة ، وغيره من جهابذة الكتاب . وله فيه اسم الرئاسة فقط ، وحساب سائر الجبايات على يده ، موثوقا بأمانته ، ويسافر في محلة الجريد مع الكاهية ، مستقلا بقلم حسبانه في الجباية .

وكان ثقة أمينا ، نصوحا عزيز النفس ، عالي الهمة ، أبيّ الضيم ، صحيح الرأي ، ألمعيّ الفكر ، أصيلَ البيت في الخدمة ، مهيب اللقاء ، صعب المعاشرة ، حتى مع ابناء أبيه ، وخاصته وذويه ، أثيرا عند مخدومه ، نبيه الشأن عالي الرتبة ، عميد النجوى .

ولم يزل في خطته ، الى ان توفي في الثاني والعشرين من ربيع الثاني سنة 1243 ثلاث واربعين ومائتين والف (الاثنين 12 نوفمبر 1827 م.) ، ودفن في تربته بالجلاز ، وقام في الخطة أخوه ، وابنه صار كاهية لعمه ، سيأتي خبرهما ، ان شاء الله .

[172 ـ يـوسف بـابـوش]

ابـو المحاسن يوسف بن محمد بابوش .

هذا الشيخ من اولاد جند الترك ، نشأ في مروءة وعفة ، وطلب العلم ، فحصل ملكة ، وقدمه الباي ابو محمد حمودة باشا للكتابة بدار الباشا ، وهي من الخطط الرفيعة في الحاضرة ، تولاها اعيان كالشيخ منصور المنزلي وأمثاله ، وصاحبها هو المهيمن على أموال مرتب الجند ، وله عند الباي وجاهة ، ووثوق به .

وكان صاحب الترجمة خيرا فاضلا ، ماجدا عفيفا ، عالي الهمة ، نقي العرض.

لم يزل على احترامه ، ورفعة مقامه ، الى ان توفي : آخر ربيع الثاني سنة 1243 ثلاث واربعين ومائتين والف (اواسط نوفمبر 1827) .

[173 — أحمد العوادى]

الشيخ ابو العباس احمد العوادى .

اصل هذا الشيخ من العواودة احد عروش قسنطينة ، وهاجر في طلب العلم الى تونس ، فأخذ عن اعلامها ، كالشيخ حسن الشريف ، والشيخ صالح الكواش ، وحصل ملكة حسنة ، خصوصا في الفقه المالكي ، ودرّس بالجامع الاعظم ، وانتفع به جم غفير . ووليّ خطة القضاء بماطر ، فاشتد في الحق ، لصلابته في الدين ، ثم سلم واقبل على التدريس ، والاحتراف بصناعة التوثيق ، راضيا بقليل المتاع .

واجتباه الوزير ابو المحاسن يوسف صاحب الطابع الى التدريس بجامعه ، وأفاض عليه من سجال كرمه ، فدرس « المختصر الخليلي » بشرح الخرشي ، و « ألفية ابن مالك » .

وكان عالما فقيها ، خيرا عفيفا ، تقيا مستورا بثوب التجمل ، قانعا بالكفاف ، وقور المجلس ، سالكا نهج الصالحين ، عزيز النفس .

ولم يزل على حاله ، في برود كماله ، الى ان توفي في رجب من سنة 1243 ثلاث واربعين ومائتين والف (جانفي — فيفري 1828 م.) .

[174 — محمد المحجوب]

العلامة ابو عبد الله محمد ابن العلامة ابى الفضل قاسم المحجوب .

نشأ هذا الفاضل بين يدي أبيه ، واخذ عنه الفقه ، وأخذ عن العلامة المفتي ابي عبد الله محمد بن حسين بيرم ، وعن العلامة ابي عبد الله محمد الشحْمي ، والعالم الصالح ابي عبد الله محمد الغرياني ، وغيرهم .

وكان آية الله في حفظ المذهب والاطلاع ، وأخباره في الحاضرة نور على يفاع .

وتقدم لخطة الفتوى صغيرا مع ابيه ، أيام الباشا علي باي بن حسين ، وقال له ابـوه يوم الولاية : « يا بنـي ، هذا ما على الآباء للبنين ، اما التقدم فلا سبب له الامن نفسك، وسترى ان الشيخ منصور المنزلي قاضـي باردو لا يسلم لي وانا ابوك » ، وعانى مع الشيـخ منصور ما يعانيه القرن من قرينه . وكان الامير الذي قدمه يحب مباحثة اهل المجلس الشرعـي بحضرته ، ليستفيد ويشارك على ما ذكـره صاحب التاريـخ الباشـي ، وكان يقول : « اقوى الاسباب في تفقهـي الشيـخ منصور المنزلي » ، وبذلك تقدم في هذه الميادين ، واخذ راية الفتوى باليمين ، حتى كادت ان تـكـون مقصورة عليه .

وكان الباي حمودة باشا يعطل المجلس اذا كان لهذا الشيـخ عذر يقتضي تخلفه ، وشُغْل اوقاته بالفتوى هو المانع له من التأليف ، وكـثرة التدريس .

وكان هذا العالم آية الله في العلوم الشرعيـة ، وله قدم راسخ في المعقولات ، فاضلا خيرا ، ذا سياسـة ودهـاء ، واعتقـاد في الصالحين ، معظمـا عند الخاص والعـام من اهل المملـكـة ، واقعـده الـكـبر في آخر أمره . حملني ابي اليه ، وهو بداره ، وانا في مبـادىء القراءة ، وقال له : « هذا ابنـي ، أتيت به اليك ليزورك ، ويتبرك بمشاهدتك » ، فسألنـي عن محفوظـي من المتون ، فأجبته ، فدعا لي ، وحثنـي على الاجتهاد .

ولم يزل طيب الذكـر ، زينة لاهل الذكـر ، الى ان جاءه اليقين ، بعد ان تجاوز التسعين ، يوم الاثنين السابـع عشر (1) من شعبان سنة 1243 ثلاث واربعين ومائتين والف (3 مـارس 1828 م.) ، ولم يتخلف عن جنازته الا من حبسه العذر ، وحضر أمير العصر، وهو يومئذ الباشا ابو عبد الله حسين باي ، ومعه بنوه ، ودفن بتربته في الجلاز ، وأعقب ابنا في المفتين ، وقام مقامه في الرئاسة ابو الفداء اسماعيل التميمـي ، فاعطيت القوس لباريها .

[175 ـ سليمـــان العــروسى]

الشيخ ابـو الربيع سليمان العروسى .

هو من ذرية الولي العارف بالله سيدي احمد بن عروس ، الشهير مقامه بالحاضرة ، نشأ في ظل فضل وصلاح ، واسرار عبق طيبها وفاح .

---

(1) هو 16 حسب التقويم

وكان خيرا عفيفا ، وجيها فاضلا ، متواضعا على رفعة ، سمح اللقاء ، حسن الاخلاق، محببا الى الناس ، معظما عند الملوك .

ولم يـزل في احترامه ومجـده ، مستمـدا من بركـة جـده ، الى ان وصل أجلـه الى حـده ، في سنـة 1243 ثلاث واربعيـن ومائتين والف (1827/28 م.) ، ودفـن بالـزاويـة ، واعقب اولادا .

[176 ــ محمد الطيب بوعتور]

الشيخ الكاتب ابو عبد الله محمد الطيب
ابن محمد بن محمد ابن الـولى عبد الكـافى بوعتور.

نبيهٌ البيت في حسبه ونسبه ، ونسبُه في صميم قريش من بني أمية ، وجدهم مشهور بالولاية ، وزاويتهم بصفاقس . ولها عادة في الدولة من قمح وزيت ودراهم لوقتنا هذا .

وتردد بنو هذا البيت في الخطط العلمية والقلمية ، وابو صاحب الترجمة من جهابذة الكـتاب عند اولاد الباي المرحوم حسين بن علي ، وله شعر محفوظ في التاريـخ البـاشـي وغيره ، وأحسن تربية ابنه هذا ، وحثه على العلم ، فاخذ في الحاضرة على اعلام ، واستـكـتبه الباي ، وزان خطة القلم مع ابيه ، وله يد في صناعة الانشاء ، ومكـانة عند مخدومـه ، وصار كاهية الرئيس في دولته ، وزاحمـه مدة حياتـه ، وانتظـم العبـد الفقيـر معه في هذا الخدمة ، مدة قليلة قبـل عجـزه .

وكان فقيها اديبا خيرا عفيفا ، فاضلا عالي الهمة ، نزيه النفس محافظا على عرضه ، لين العريـكـة ، حسن الاخلاق ، ما شئت من مجد ووقار ، ومحاضرة تسري في النفوس مسرى العقــار .

ولم يزل معظما محببا ، الى ان دعاه الاجل فلبّى في سنة 1243 ثلاث واربعين ومائتين والف (1827/28 م.) ، واعقب ابناء امتطى بعضهم صهوة الـكـتابة ، وحفيده الآن هـو شمس ضحاها ، وقطب رحاها ، ورئاستها مع الوزارة طوع بنانه ، لو حظـي باعانـة من طبــع زمـانــه .

[177 ـ محمد الطيب التليلي]

ابو عبد الله الشيخ محمد التليلي .

زاوية هذا الوجيه بفريانة ، قرب قفصة ، وجدهم العالم الصالح سيدي احمد التليلي باني البيت ، له امتزاج باولاد الباي حسين بن علي ، حين كانوا بالجزائر ، ونفعهم بعمله وجاهه وجاهته ، فوفّوا له ولبنيه من بعده ، وكان الباي يكرم وفادتهم ، وينزلهم بدار الضيوف ، ويراهم بعين الاجلال .

ونشأ صاحب الترجمة في زاويتهم المؤسسة على التقوى ، ولطالب العلم والقرآن مأوى ، فقرأ بها وتفقه وبرع ، وكان آية في الاصول والفقه ، مع نفس عصامية ، وفكر ثاقب غير ملتفت الى ما لسلفه من المناقب .

وكان وجيها عالما ، حَيِيًّا فصيح اللسان ، سمح اللقاء ، وتصدر للتدريس في زاويتهم ، وانتفع به أهل تلك الجهة .

ولم تزل همته بالمعالي معنية ، الى ان رشقه سهم المنية ، في سنة 1243 ثلاث واربعين ومائتين والف (1827/28 م.) ، ودفن بزاويته ، وزان الزاوية بعده ، اخوه الشافعي .

[178 ـ محمد دحمان]

الشيخ ابو عبد الله محمد دحمان الغساني القيرواني ، من قبائل الفتح .

نشأ هذا الفاضل في طلب العلم ، فأخذ عن الشيخ الخنقي ، والشيخ محمد بن عبيد الغرياني ، والشيخ حمودة الوحيشي ، وغيرهم من اعيان بلده . وحصّل ، واعتكف على التدريس بمقام السيد الصاحب رضي الله عنه ، وانتشر نفعه في الناس . ودرّس في غيره وحلّق ، وسطع نور علمه وتألق .

وكان عالما محدثا ، فقيها خيرا ، تقيا عفيفا ، يميل الى الزهد والخمول .

ولم يزل حميد الاوصاف ، متبلغا بالكفاف ، ولم تزل نفسه في رياض العلم سائمة ، الى ان ارتحل الى الدار الدائمة ، في اشرف الربيعين من سنة 1244 اربع واربعين ومائتين والف (سبتمبر — اكتوبر 1828 م.) .

[179 ــ علي الشـــاهد]

ابو الحسن الحاج علي الشاهد ، من بيت ابن سليمان .

اصل هذا الرجل من بيت نبيه في الحاضرة ، خرج منه أعيان في الخطط القلميـة ، واحترف هذا الرجل بالشهادة على قصور في التوثيق ، بل وفي رسم الحروف ، وصار كاتبا للباي ابي عبد الله حسين باشا ، ومعه شيخنا العلامة البارع ابو عبد الله محمد بن سليمان المناعـي ، وتقرب عند الباي ، ونال الحظوة ، ومد يده الى غير الكـتابة ، فكـان يتوجه الى « المنزل » ، محافظا لزيتون الباي ، ويباشر ما يباشره القواد ، وتسبب في ضرر فادح لزاوية الجديدي بالوطن ، سامحه الله .

وكان وجيها ، حلو المحادثة .

ولما ساءت اعماله ، تراجـع اقباله ، وتوفي رحمه الله في السابـع والعشرين من ربيـع الثانـي سنة 1244 اربـع واربعين ومائتين والف (الخميس 6 نوفمبر 1828 م.) .

[180 ــ أحمـــد خوجـة]

ابو العباس احمد ابن الوزير ابى عبد الله محمد بن محمد خوجة .

نشأ هذا الرجل بين يدي أبيه ، وساس تربيته ، حتى نجب ، وتقدّم كاهية بغار الملح.

وكان وجيها نبيها ، حسن الاخلاق ، فاضلا سخيا ، واسع الصدر ، حازما عالي الهمة.

ولم يزل في احترامه ووجاهته ، الى آخر ساعته ، في منتصف جمادى الاولى مـن سنة 1244 اربـع واربعين ومائتين والف (الاحد 23 نوفمبر 1828 م.) ، وبقـي والده حيـا بعده ، فصبر ، وبَشّر الصابريـن .

[181 ــ محمـد الشرفي]

ابو عبد الله محمد بن احمد الشرفي الصفاقسي .

اصل هذا الشيـخ من بيت الشرفي الشهير بالفضل في صفاقس ، وقرأ بالحاضرة على أعلام ، واستوطن الحاضرة ، ولازم شيـخ الفتوى ابا عبد الله محمد بن قاسم المحجـوب ، وتبحر في النوازل والتوثيق والفرائض ، وله في غيرها المشاركـة الحسنة .

وكان عفيفا خيرا ، ذكيا فصيحا ، حسن اللقاء ، عزيز النفس ، نقي العرض .

ولم يزل جاريا على سنن بيته ، الى أن توفي في الثامن عشر من صفر سنة 1245 خمس واربعين ومائتين والف (الاربعاء 19 اوت 1829 م.) .

[182 ـ عمر بن المؤدب]

الشيخ ابو حفص الحاج عمر بن المؤدب .

نشأ هذا الشيخ في طلب العلم ، وحصّل ودرّس بالجامع الاعظم ، وتقدم به اماما ثالثا ، في جمادى الثانية من سنة عشرين (اوت ـ سبتمبر 1805 م.) ، وذلك لما انجذب الشيخ محمد العيوني الى طريق التصوف ، وتشوف الى منازل الزهاد أي تشوف ، وآثر تعب السياحة ، على بساط الراحة .

وكان الشيخ ابو حفص يقدم الشيخ الطاهر ابن مسعود على نفسه ، وانما يعرف الفضل ذووه . وهذا الفاضل هو شيخ الطريقة الشاذلية ، وامام مقامها ومغارتها ، وسر بهجتها ونضارتها ، ونور محرابها ، والمتخلق باسرارها واحزابها .

وكان فقيها وجيها ، فاضلا خيرا ، عفيفا ناسكا ، ذا همة عالية ، وانفاس على التقوى متوالية ، ملازما للجامع الاعظم ، ليلا ونهارا ، حتى كاد لا يرى الا به .

ولم يزل في جلباب العفة والوقار ، الى أن أجاب الداعي الى تلك الدار ، ليلة الاحد الثامن عشر من جمادى الاولى سنة 1245 خمس واربعين ومائتين والف (15 نوفمبر 1829 م.) ، عن سن عالية ، ودفن في جوار المغارة الشاذلية ، وهرعت الناس لجنازته ، وقام ابنه مقامه في الامانة .

[183 ـ محمد الصفار]

ابو عبد الله الشيخ محمد الصفار .

نشأ هذا الشيخ في حال صون وعفاف ، فقرأ واستفاد ، وله معرفة بعلوم القرآن ورواياته ، تقدم لامامة التراويح بالجامع الاعظم ومشيخة القرّاء في صفر من سنة 1221 احدى وعشرين (افريل ـ ماي 1806 م.) ، فقام بواجب خطته ، بما علم من عفته .

وكان عفيفا خيرا ، ابيّ الضيم ، وقور المجلس ، شديدا في الحق ، لا تأخذ فيه مهابة ، نبيه البيت .

ولم يزل على حاله ، الى آن انتقاله ، في تاسع شوال سنة 1245 خمس واربعين ومائتين والف (السبت 9 افريل 1830 م.) ، بعد ان تجاوز في العمر التسعين .

[184 ــ على الستـــارى]

الشيخ ابو الحسن على الستارى الحنفى

نشأ هذا الشيخ في بيت وجاهة ورفعة ، وجدهم من كتاب الباشا علي باي بن محمد ، صاهره على بعض أخواته .

قرأ وتفقه في المذهب الحنفي ، وتقدم اماما بجامع يوسف داي ، وخطيبا بجامع القصر ، وسلم فيهما ، واستقر حاله على منصب التوثيق .

وكان مشاركا خيرا ، تقيا عفيفا ، ذا صمت ووقار ، مرموقا بعين اجلال ، الى ان توفي في منتصف صفر من سنة 1246 ست واربعين ومائتين والف (الخميس 5 اوت 1830م.)

[185 ــ محمد بوعتـــور]

ابو عبد الله الشيخ محمد بن محمد بوعنور الصفاقسي .

تقدم خبر هذا البيت ، ونسبه القرشي الاموي. ونشأ صاحب الترجمة في صون عفافه ، وظل أسلافه ، وقرأ واستفاد ، وتقدم لخطة القلم على سنن الآباء والاجداد ، وولي الشهادة على الغابة ، وهي من الخطط النبيهة في الحاضرة ، فقام بأعبائها من تغيير المنكر على الملتزمين في التطفيف عند قبول العشر .

وكان وجيها خيرا ، ماجدا عفيفا ، عزيز النفس ، عالي الهمة ، مرموقا باجلال في الناس ، الى آخر ما قدر له من الانفاس ، وذلك في العاشر من جمادى الثانية سنة 1246 ست واربعين ومائتين والف (الجمعة 26 نوفمبر 1830 م.) .

[186 ــ على الغـــزاوى]

الشيخ ابـو الحسن على الغـزاوى

هذا الشيخ مغربي الاصل ، وكان فقيها محصلا ، عفيفا خيرا ، سالكا مقبلا على شأنه ، مجانبا للفضول ، نزيه النفس ، حسن المحاضرة .

تقدم شيخا بمدرسة باردو ، وشاهدا على حبسه ، وسكـن بباردو ، وله معرفة بعلـم الفلك ، وله عند الملوك رتبة مأثورة .

ولم يزل على حالته المشكـورة الى ان توفي في رجب عند منتصفه من سنة 1246 ست واربعين ومائتين والف (الخميس 30 ديسمبر 1830 م.) ، طاعنا في السن .

[187 ـ أحمد زروق الكـافي]

ابو العباس الشيخ احمد زروق الكـاف .

أصل هذا الاديب من بلد الكـاف ، ونشأ في طلب العلم مع اخيه الشيخ السنوسي ، واختصاً بالشيخ صالح الكـواش ، وأخذ عن غيره من أعلام عصره ، وحصـل وبـرع ، ودرّس بالجامع الاعظم ، واستدرّ الـرزق من رشح قلـم الوثيقـة ، وشغلـه التكسب عن رياض العلم الانيقة ، وله في الادب الراية المنصورة ، وغرر القصائد المشهورة ، وقلائد الدر المنشـورة .

ثم تقدم لخطة القضاء بالمحلة ، فزانها بالعدل ، وعد من قضاة الفضل . وكان عالما فقيها ، فرضيا اديبا شاعرا كاتبا ، ذا همة ومروءة ، جميل الاخلاق ، حسن المحاضرة ، مشكـور الاقوال والاعمال ، معدودا من اهل العلم والـكمال ، الى ان توفي سنة 1246 ست واربعين ومائتيـن والف (1830/31 م.) .

[188 ـ محمـد بيرم الثـانى]

شيخ الاسلام ابو عبد الله محمد
ابن شيخ الاسلام ابى عبد الله محمد بن حسين بيرم .

ترجم هذا الشيـخ لنفسه في شرح نظمه للمفتين من الحنفية ، والانسان لا يـزكـي نفسه ، ونذكـرها تبركا ، ثم نقول ما علم الناس فيه ، ونصها : « كانت ولادة هذا الفقير في السادس عشر من ذي القعدة الحرام من عام 1162 اثنين وستين ومائة والف (الثلاثاء 28 اكتوبر 1748 م.) ، واخذت العلم عن جماعة : فالتجويد عن الشيخ محمد قَرَبَطاق ، وأبي اسحاق ابراهيم الحميري ، وأبي العباس احمد الوافي ، والفقهَ والحديثَ عن والدي ،

وباقيَ العلوم عن الشيخ المحقق صالح الكواش ، والفاضلين البارعين المفتيين ابي العباس احمد الشريف الثعالبي الشهير بالبرانسي ، وابي عبد الله محمد الدرناوي ، والفقيه ابي الحسن علي بن سلامة ، والنحوي أبي العباس احمد السوسي ، وقطب دائرة المعقول أبي عبد الله محمد الشحمي ، وأقرأت حسب الطاقة بالمدرسة الباشية ، نيابة عن والدي ، واستقلالا بها ، وبالجامع الاعظم وغيرهما . ثم خطبت بجامع يوسف داي نيابة عن والدي، ثم رفعنا ايدينا عنها ، فوليها امام الخمس به اذ ذاك الفقيه خليل ، ثم قلدت القضاء بعد عزل شيخنا قربطاق يوم السبت لست بقين من شهر ربيع الاول من عام 1192 اثنين وتسعين (27 ربيع الاول 1192 — 25 افريل 1778 م.) ، ثم استقلت منه ، فأقلت يوم الاحد الرابع من رجب الاصب من عام 1193 ثلا ثة وتسعين(18 جويلية 1779 م.) ، ووليه الشيخ حسن الترجمان ، ثم عزل منه ، وأكد علي في العودة اليه ، فعدت يوم الاثنين لاربع بقين من ثاني الربيعين من عام 1194 اربعة وتسعين (1 ماي 1780 م.) ، وطلبت الاقالة منه ثانيا ، فلم أجب اليها ، فصبرت ، ثم وليت الإشراف على الأشراف بعد موت الشيخ عبد الكبير الشريف عام 1206 (1791/92) وبقيت كذلك ، الى أن توفي الشيخ الوالد في التاريخ ، فقلدت الفتوى في الخامس عشر من محرم عام 1215 خمسة عشر ومائتين والف (الاحد 8 جوان 1800 م.) ، وسبب التأخر في هذه المدة ، التروي فيمن يقلد خطة القضاء التي كانت بيدي ، حتى وقع الاختيار على الشيخ حسين برناز ، وانا انتظر خاتمة الخير » اهـ .

قلت قد حقق الله رجاءه ، وذلك أني سمعت من شيخنا ابي الفداء اسماعيل التميمي ، وكان يزوره ، ويطيل الجلوس معه ، ويحادث كل منهما صاحبه في معضلات المسائل ، وكان يطيل الثناء عليه ، قال : « زرته في مرض موته ، ملقى في فراشه ، لا ينطق الا بقوله (لا اله الا الله محمد رسول الله ، اللهم أحيني عليها ، وأمتني عليها ، يا ارحم الراحمين ، يا رب العالمين) وكلما خاطبته ، أو خاطبه ابنه لا يجيبه بغير ما ذكر » ، قال : « فبكيت وقمت وقلت له : (نفض الله فراشك بالعافية) ، وخرجت ، فأمر ابنه ان يرجعني ، فاستدناني ، وقال لي : (لا تعد الى الدعاء لي بما دعوت ، فاني اشتقت للقاء ربي ، فاسأل الله لي التسهيل) ، فبكيت ، وخرجت ، وهذا آخر ما سمعته منه ، ومن الغد احب الله لقاءه » .

والعبد الفقير اخذ عنه سند « البخاري » ، وقرأت بين يديه ابوابا منه ، وأجازني ، وكان ذلك بمحضر حفيده صاحبنا ابي عبد الله محمد ، ليلة عُرسه ، فقال للحاضرين تحدُّثا بنعمة الله : « ابني هذا نعمة غير مترقَّبة ، وذلك أن أولادي وأمهم ماتوا في الطاعون الجارف ، وبقيت وحدي في البيت ، وعزمت على العزبة ، فكَتَب لي أبي بالتزوج ، فأخبرته بما عزمت عليه ، آيسا من الولد ، فكتب لي : انه لا ييأس من روح الله الا القوم الخاسرون ، فعند ذلك قلت له : امري بيدك ، فزَوّجَني من بنت الشريف الفلاّري ، فحملت بشيخكم ابني محمد ، ولما ولد ، قلت هل نعيش حتى نراه يقرأ كاخيه الميت ؟ فعشت حتى رأيته مدرسا ، ثم عشت حتى رأيته مفتيا معي ، ولما ولد له صاحبكم محمد قلت : هل نعيش حتى نراه يقرأ ؟ فعشت حتى رايته ، والشكر لله ، من نجباء الطلبة : هذه ليلة عرسه ، وفضل الله اوسع من هذا » .

وكان رحمه الله من قضاة العدل ، متثبتا متحريا ، قال لابنه لما تقدم للفتوى : « تثبت ، وارجع الى الحق ، ولا يغرنك ثناء الناس عليك ، وانت تعلم رسالة ابن الخطاب لابي موسى الاشعري رضي الله عنهما ، التي منها : الرجوع الى الحق خير من التمادى على الباطل . هذا خير الدين الرملي صاحب « الفتاوى الخيرية » افتى في نازلة ، وغلط ، فكتب الى مظنة بلوغها من النواحي بغلطه ، ودان الله بما رآه من الحق ، ولا يغرنك من يمسح ظهري بيده ، ويمسح بها وجهه تبركا ، لو أتى ذلك المتبرك الي في نازلة ، وحكمت عليه بصميم الشرع ، مزق جلدي بلسانه ، فاحذر يا بني من الاستبداد بفهمك ، وشاور فيه ، وانت تعلم ما في المشورة من الخير » .

وكان يثقل عليه منصب القضاء جدا ، فلذلك استقال اولا ، وندم الامير يومئذ وهو الباشا ابو الحسن علي باي على إقالته ، ولما استقال في دولة ابنه أبي محمد حمودة ، كتب على لسان خطة القضاء مكتوبا ، من فصوله : « انا خطة القضاء ، مكفولة نظرك السديد ، ورأيك الصائب الرشيد ، قلدتني لمن عطل أعمالي ، وأوجب إهمالي ، فكلما أتى الخصوم الى بابه ، لفصل خطابه ، قال المنتمون اليه إنه عليل ، وما للوصول اليه من سبيل ، فبعضهم يصبر ويدعوبالعافية ، وآخر يتأنف (1) ويقول يا ليتها كانت القاضية » ،

(1) لعلها : يتأفف .

وآخرها : « ووراثي صبية حمر الحواصل ، يضرعون اليك في إعفاء أبيهم ، وإبقاء من يربيهم ، فاقبل شفاعتهم ، وارحم ضراعتهم ، ولا تفرق جماعتهم » ، فصمم الباي على إلزامه ، وأجابه عن مكتوبه بقلم صاحب الانشاء أبي محمد حمّودة بن عبد العزيز ، بما نصه : « اما بعد ، فانه بلغنا مكتوبكم على لسان خطة القضاء ، ولعمري إنها إن اشتكت من ضعف في البدن ، فما اشتكت من ضعف في الدين ، وان اشتكت من عدم القيام لاجل المرض بحقها ، فما اشتكت من عدم اعطاء الحقوق لمستحقها ، وما كلفك الله ولا الزمناك ، ان تتصدر للقيام ايام يتعاهدك السقم ، لا سيما ومعك في البلد قاض يرفع على الشهود ، وجماعة مفتون يتصدرون للشورى على الدوام ، وهات أخبرني بمن تدين الله به أنه من رجالها ، ويقال فيه لم تلك تصلح إلاّ له ولم يك يصلح الا لها ، وإلاّ تعين الامر عليك ، فاصبر لحكم الله ، وعليك ان لا تستعفي ، وعلي ان لا أعفيك ، وعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ، والسلام .

وامتحن قبل تسليمه الاول بانتخاب عدد معين من الشهود بالحاضرة ، وكتب لكل من انتخبه في طرة أمر ولايته « اذنته في الشهادة » . واستشاط الفقيه الحاج مبارك الدياك غيظا ، لعدم انتخابه ، فسافر للمدينة المنورة شاكيا لقبر المصطفى صلى الله عليه وسلم بالقاضي ، ولما بلغ ذلك للباشا أبي الحسن علي باي بن حسين أبقى سائر الشهود على ما كانوا ، وكتب بذلك للقضاة .

ومن تثبّته أنه في المعاوضات يتوجه بنفسه لنظر العوض ، ويسأل عن القيمة غيرَ الامناء المعينين لذلك ، وهو أول من سن الزيادة على القيمة تحرّيا لجانب الحبس ، الى غير ذلك مما هو شائع الى الآن من أخباره ، وحميد آثاره .

وكان هذا الفاضل عزيز الحفظ ، جيد الفكر ، ناظما ناثرا ، آية الله في التقوى ، وَقور المجلس ، مهيبا عند العامة والخاصة ، هينا لينا ، رقيق القلب ، واسع الصدر ، محببا الى الناس ، يتبركون به ، متواضعا ، زوارا لمشاهد الصالحين .

وله من التآليف رسالة في بيع الوفاء ، ومنظومة في الهلال ، ورسالة في رجوع الموصي عن صيته ، بعد ان اشترط عدم الرجوع ، نحا فيها منحى المجتهدين من اهل الترجيح ، وقلد المذهب المالكي ، وقرضها أعيان علماء العصر ، وتلقوها بالقبول ، كشيخ الشيوخ

ابي محمد سيدي حسن الشريف ، وشيخنا ابي اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، الى غير ذلك من الرسائل ، التي لو جمعت كانت مجلدا ضخما (1) .

ولم تزل بحاره العلمية زاخرة ، وتونس به مفاخرة ، الى ان حنّ الى الدار الآخرة ، في السادس عشر من جمادى الاولى سنة 1247 سبع واربعين ومائتين والف (الاحد 23 اكتوبر 1831 م.) ، وشهد امير العصر وبنوه جنازته ، وتبركوا بحمل نعشه ، ودفن في تربة آله . وتقدم ابنه شيخنا ابو عبد الله محمد ، للقيام بخطته ، وتقدم حفيده للفتوى ، رحمهم الله تعلى بمنه وكرمه .

[189 ــ محمد سيالة]

ابو عبد الله محمد سياله ، ويدعى بالحكيم .

هذا الشيخ من البيت الشهير في صفاقس ، ونشأ في طلب العلم ، وأخذ عن أعلام وقته ، كالشيخ صالح الكواش ، والشيخ الشحمي ، والشيخ حمّودة بن عبد العزيز ، وفقيه العصر أبي عبد الله محمد ابن الشيخ قاسم المحجوب ، وهو الذي دعاه بالحكيم ، لـمّا رأى من وَلُوعه بالطب ، والطبيعيات .

وامتطى صهوة التحصيل في العلوم ، وتصدر للتدريس بالجامع الاعظم ، ثم سافر مع الوزير أبي عبد الله محمد خوجة الى لندرة وغيرها ، وهذبه السفر ، وحنكته التجربة . وكان يتحدث على بلدان الافرنج ، والعقلاء يعتبرون ، والاغبياء يكذبون .

واستقر حاله على مجالسة الباشا ابي عبد الله حسين باي يسامره ، ويستفيد من مسامرته ومحاضرته . وقدمه شيخا بمدرسة باردو ، وكان يسامر المشير الاول ابا العباس احمد باي ، ويستفيد منه .

كان رحمه الله عالما شاعرا ، خيرا فاضلا ، حلو المحاضرة ، حسن المعاشرة ، نزيه النفس ، بعيدا عن الفضول ، أصيل المروءة ، نقي العرض ، غاضّ الطرف عن عيوب الناس ، جاريا في ميادين الخير ، ممن سلم الناس من يده ولسانه .

ولم يزل على هذا الحال ، حتى دعته المنية للترحال ، في شعبان من سنة 1247 سبع واربعين ومائتين والف (جانفي 1832 م.) ، رحمه الله تعلى .

(1) اغفل المؤلف ذكر منظومة الشيخ بيرم في المفتين الحنفيين وشرحها له ، وقد نقل منها فقرات ، وكذلك منظومتيه في سلاطين آل عثمان وفي بايات تونس .

[190 ـ عمــــر داى]

ابــو حفص عمــر الــداى

اصله من جند الترك بطرابلس ، وأتى للحاضرة ، ورسم في ديوان جندها ، وترقى الى ان صار آغـة بالقصبة ، ثم دايـا .

وكان ذا وقـار وصمت ، واقفا عندمـا حُدّ له ، ليّن الجانب ، جاريا على سنن اهــل الخيــر .

ولم يزل مرضــي الحال ، مرموقا بعين اجلال ، الى ان توفي يوم الجمعة الحادي والعشرين (1) من شوال سنة 1247 سبــع واربعين ومائتين والف (23 مارس 1832 م.) ، ودفن بتربة أعدها لنفسه ، بمدينة تونس ، رحمه الله تعالى .

[191 ـ أحمــد التميمى]

ابو العبــاس احمد المدعو حميدة التميمى .

نشأ هذا الشيــخ في بيت عفاف ووجاهة ، قرأ العلم وحصل ملكـة ، وله في علـم التوثيق والفرائض يد طولى ، مع جمال الخط ، تمَهّر به أعيان من الموثقين ، كـحفيده عميد المذهب المالـكي ابي الفداء اسماعيل التميمــي ، سمعت ذلك منه ، وتقدم للشهادة على مصروف دار الباي بالقصبة .

وكان فاضلا عفيفا ، وقور المجلس ، محافظا على مروءته ، ذا همة ونزاهة ، معظما عند الناس ، الى ان توفي في ذي القعدة من سنة 1247 سبــع واربعين ومائتين والف (افريل 1832 م.) .

[192 ـ محمــد الطــويبى]

ابو عبد الله محمد ابن الشيخ القاضى ابى عبد الله محمد الطويبى.

نشأ في بيت عفة وصيانة ، وأخذ عن أبيه ، ثم أخذ في الجامع عن أعلامه ، كالشيـخ سيدي حسن الشريف ، والشيــخ الطاهــر ، والشيــخ ابراهيــم وغيــرهــم . وحصــل درجـة

---

(1) 20 حسب التقويم .

التحصيل ، ودرّس بالجامع ، وتصدر للتوثيق ، غير تارك للتدريس . وتقدم لشهادة الديوان ، وهـي يومئذ من أنبه الخطط .

وكان ذا درجـة في الفقه ، عالما فاضـلا ، خيرا عفيفـا ، حسن المحاضرة ، حميـد المعاشرة ، ذا همة ونزاهة ، معدودا في المتأهلين لخطة القضاء .

ولم يزل على حاله ، الى ان توفي في ذي الحجة من سنة 1247 سبع واربعين ومائتين والف (مـاي 1832 م.) .

[193 ـ شلبى بـن شلبى]

ابـو محمـد شلبى بن شلبى .

تقدم ذكـر أخيه ، وأنه من أحفاد المملوك الذي أنذر الباي حسين بن علي من فتك الداي ، وزوجه من بنته ، وهؤلاء من ذريتهما .

وكان نبيها حاذقا ، حسن اللقاء ، عالما بالموسيقى ، وجيها ، ليّن العريكـة ، متواضعا على احترامه ، صاهره ابو النخبة مصطفى باي على بنته لابنه ابـي العباس احمد بـاي ، ومـات عنهـا .

ولم يزل صاحب الترجمة في إجلال واحترام ، الى ان جاءه الحمام سنة 1247 سبع اربعيـن ومائتيـن والف (1831/32 م.) .

[194 ـ محمـد المنـاعى]

شيخنا ابو عبد الله محمد بن سليمان المناعى .

نشأ هذا الفاضل في ناجعة قومه ، أولاد منّاع من دريـد ، ورحـل الى طلب العلـم بالحاضرة ، فأخذ عن الشيخ صالح الكـواش ، والشيـخ سيدي حسن الشريف ، والشيـخ احمد بوخريص ، والشيـخ اسماعيل التميمـي ، والشيـخ ابراهيم الرياحـي ، ثم رحل في طلب الفقه الى حاضرة فاس ، فأخذ عن الشيـخ عبد السلام اليازامـي ، والشيـخ التاودي ، واجتمع بالشيـخ العارف بالله سيدي احمد بن سالم التيجانـي رضـي الله عنه ، واخذ عنه مباشرة . سمعت منه رحمه الله أنه كـان يأتـي زاوية هذا الولي بفاس ، كـل يوم جمعة ،

لاجل الطعام ، فيأتيه الشيخ بجيد الطعام ، ويقول له : « كُلْ يا تلميذي » ، فيقول له : « انا تلميذ الكسكسو ،لاجله أتيت » ، فيقول له : « انت تلميذي حقيقة » ، وبعد برهة من الزمان وجد في نفسه ما لا قدرة له على دفعه ، من الجاذب الروحاني الى الطريقة، فأتى الشيخ في غير يوم جمعة ، ولما رآه قادما اليه ، قال له : « ألم أقل لك انك تلميذي حقيقة » ، فأخذ عنه ، ودعا له .

ولما امتلأ بالعلم وقره ، وسبق الى هذه الحاضرة ذكره ، حن الى معهد شبابه ، فأتى الحاضرة ، ودرّس بالجامع الاعظم ، فسبق الاقران ، وأنسى ذكر الاعيان ، وهو على هذه الحالة يرتزق بخطة الشهادة والتوثيق ، وشمله من كرم الوزير ابي المحاسن يوسف صاحب الطابع ، ما داوى العلة ، وزاد على سد الخلة .

وتقدم للشهادة على أحوال الحفصية ، دار عمل المدافع وهي يومئذ من الخطط النبيهة ، تقدمه فيها ابو عبد الله سيدي محمد بن عبد الكبير الشريف ، وتولى الشهادة على جامع صاحب الطابع ، ثم قدمه ابو عبد الله حسين باي لخطة الكتابة عنه ، وسافر معه بمحالّه ، ونال منه الحظوة والعناية .

كان عالما متبحرا في الفقه وأصوله ، طويل الباع في غيره من الفنون ، ماضيَ القلم في التوثيق ، حسن المعرفة بصناعة الانشاء ، فاضلا وجيها كريما ، عالي الهمة عزيز النفس ، نازعا الى الاخلاق العربية ، بالنفس الابية .

لما مرّ به شلو الوزير ابي المحاسن يوسف صاحب الطابع تجره الاراذل ، دخل داره ، واخرج سيفه ، يعدو خلفهم ، لافتكاكه او يموت معه ، فرده جيرانه ، وافتكوا من يده السيف ، وألزموه داره غصبا . طويلَ اللسان ، ثابت الجنان ، بعيدا عن الملق والخضوع . يعارض الامير والمأمور ، ولا تحركه عظائم الامور ، آية في الوفاء ، والاعانة على نوائب الدهر بقدر الطاقة ، غير مكترث بما يعقب ذلك من الفاقة . مات وداره مرهونة في مال نَفّس به على صاحب له ، يقال له الحاج خضر من قبيلة ورتان ، حسنَ المحاضرة ، فارس المناظرة ، ما شئت من فكر سديد ، وباع في المعارف مديد ، واخلاق حسان ، تستهوي الانسان .

وله رسالة بديعة في الوفاء ألفها بطلب مخدومه الباشا حسين باي ، ومن طالعها علم مقداره .

ولم يزل في تعب من دهره ، يمزج حلو الزمان بمُرِّه ، ولم يؤثر ذلك في عظمة قدره ، الى ان توفي سنة 1247 سبع واربعين ومائتين والف(1831/32 م.) ، رحمه الله ، واعقب ابنا من أعيان ديوان الانشاء ، أربى في الصناعة الادبية على والده ، لو ساعده البخت ، رحمهما الله .

[195 ـ حسن الهدة]

الشيخ ابو محمد حسن بن محمد بن حسين بن عبد الرزاق الهدة .

نشأ هذا الفاضل بين يدي أبيه ، في ظل بيتهم النبيه ، ورحل من سوسة الى الحاضرة ، في طلب العلم ، وأخذ عن أعلام ، كالشيخ صالح الكواش ، وتصدر للتدريس بتونس ، فأفاد وأجاد ، ثم رجع الى بلده ، فتصدر للتدريس والفتوى ، وتدرج في الخطط العلمية ، الى الرئاسة الشرعية ، وقام بخطته وزانها ، وشيد معالمها وأركانها .

وله تآليف في شرح البسملة ، ورسالة في نازلة « عُمْرَى » ، وغيرهما .

وكان عالما فقيها ، طويل الباع ، قوي العارضة ، جيد الحفظ ، بارعا في تحقيق المناط ، وجيها مهيبا ، عالي الهمة ، طائر الصيت ، حاز من العلوم اوفر نصيب ، ورمى الى كل غرض بسهم مصيب ، ما شئت من حسب زاحم الثريا بمناكبه ، وتحقيق خفقت رايات العلم فوق مواكبه .

وكان شيخنا ابو الفداء اسماعيل التميمي يطيل الثناء عليه .

ولم يزل مركز الدائرة في بلده ، والرئاسة الشرعية طوع يده ، جميل الاثر ، طيب الخبر ، معظما عند الملوك والعامة ، على اختلاف الاعصار ، يفتخر به مصره على الامصار ، الى ان لبى داعي الله والى رحمته صار ، في الثالث عشر من ربيع الاول سنة 1248 ثمان واربعين ومائتين والف (الجمعة 10 اوت 1832 م.) ، عن سن عالية .

ولم يزل في بيتهم من يزين الرتب ، ولم يقتصر على مجد النسب ، كثر الله تعالى من أمثالهم .

[196 ـ حســـــن داى]

ابـو محمـد حسن داى .

هذا الرجل من جند طرابلس ، وانتظم في جند الحاضرة ، وترقّى الى ان صار آغـة باب باردو ، ثم امتحن بالنفـي مع من امتحن من اصحاب الوزير ابـي المحاسن يوسف صاحب الطابـع ، ثم شمله العفو عند وفاة الباشا ابـي الثناء محمود باي ، وتولى كاهية الآغة ببـاب القصبة ، ثم ترقـى وصار دايـا .

وكان وجيها ألْحَى ، خيرا عفيفا ، نازعا عن الفضول ، عارفا بمنازل الناس ، قريبا الى الخيـــر .

ولم يزل على مقامه واحترامـه ، الى ان توفي فجـأة ، يوم الاثنيـن ثامن (1) ربيـع الثانـي من سنة 1248 ثمان واربعين ومائتين والف (4 سبتمبر 1832 م.) .

---

(1) هو 7 حسب التقويم .



فهـــرس المـوضوعـــات

للمجـلد السابـع من كتـاب

«اتحاف أهل الزمان ، بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان»

قسـم التـراجـم

المتــرجم الصفحة

المترجم	الصفحة

تراجم ايمة جامع الزيتونة للشيخ اسماعيل التميمي :

المترجم | الصفحة

المترجم	الصفحة

المترجم	الصفحة

المترجم	الصفحة
154 ـ شاكير الملوك	140
155 ـ محمد شرف الدين	140
156 ـ محمود بن محمود	141
157 ـ محمد الاصرم	141
158 ـ احمد الوصيف	142
159 ـ احمد بن الخوجة	142
160 ـ بكار الجلولى	143
161 ـ محمد الباهى	144
162 ـ شلبى بن شلبى (الترجمان)	144
163 ـ الحاج صالح بوغدير	144
164 ـ احمد الوزير	145
165 ـ محمد الباشير	145
166 ـ حسن الوزير	147
167 ـ محمد الشرق	147
168 ـ احمد السنان	148
169 ـ عمر البداى	148
170 ـ على بلهوان	149
171 ـ محمد الاصرم	150
172 ـ يوسف بابوش	150
173 ـ احمد العوادى	151
174 ـ محمد المحجوب	151
175 ـ سليمان العروسى	152
176 ـ محمد الطيب بوعتور	153
177 ـ محمد الطيب التليلى	154
178 ـ محمد دحمان	154
179 ـ على الشاهد	155
180 ـ احمد خوجة	155
181 ـ محمد الشرق	155
182 ـ عمر بن المؤدب	156
183 ـ محمد الصفار	156
184 ـ على الستارى	157

المتـرجم	الصفحة





اتحاف أهل الزمان

باخبار ملوك تونس وعهد الأمان

المجلّد الرابع

الجزء الثامن



وزارة الثقافة

أحمد بن أبي الضياف

إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان

تحقيق لجنة من وزارة الشؤون الثقافية

تنفيذ:
الدار العربية للكتاب



الخاتمة الموعود بها

في ذكر أعيان من العلماء والوزراء وغيرهم

على ما ذكرناه في خطبة الكتاب

من تقديم من تقدم للدار الآخرة

من اي صنف كان



قسم التراجم

2



[197 ــ اسماعيــل التميمى]

الشيـخ ابو الفداء اسماعيل التميمـــي .

ولد هذا الفاضل بمنزل تميم ، وبيته من أشرافها ، فحفظ القرآن ، وأخذ عن الشيـخ الولي العارف بالله أبي العباس احمد بن سلمان . ثم أمره شيخه بالهجرة الى تونس ، فسكن بالمدرسة الحسينية الصغيرة ، وانقطع الى العلم ، واشرقت فيه أنوار شيخه الاول ، فحصّل العلوم في اسرع وقت ، حتى كان بعض الفضلاء يقول : « ان علم هذا الشيـخ أشبه بالعلم الوهبـي » .

وأخذ عن عالم العصر أبي الفلاح صالح الكواش ولازمه ، وعن الشيـخ الغنجاتـي ، والشيـخ الشحمـي ، والشيـخ ابي حفص عمر المحجوب وغيرهم .

ولم يلبث ان تصدر للتدريس بالجامع الاعظم ، فانتفع به أعيان ، وجلس للتوثيـق ، وهو الامام في تلك الصناعة .

ويـأتـي الوزير الـكـاتب ابو محمد حمودة بن عبـد العزيـز لمحـل توثيقـه ؛ ولـوعـا بمحـاضرتـه .

وله الخط الجميل ، والعبارات الفائقة .

ثم قدمه الباي أبو محمد حمودة باشا للشهادة على بناء داره بالقصبة ، التـي وكيلها الوزير أبو عبد الله محمد العربـي زروق ، ثم قدمه لخطة القضاء بالحاضرة في التاسع والعشرين من صفر سنة 1221 احدى وعشرين (السبت 18 ماي 1806 م.) ، فتلقى رايتهـا باليمين ، وجلّى في تلك الميادين ، بثقوب الفـكـر وسعة الاطلاع ، والشدة في الحق على نهـج المتقيـن .

ثم نقل لخطة الفتوى في ربيـع الثانـي سنة 1231 احدى وثلاثين (مارس 1816 م.) ، ثم اعيد لخطة القضاء في رجب من السنة (جوان 1816 م.) ، لما اصيب الشيـخ ابو العباس احمد بوخريص في بصره .

ثم امتحن يوم الاحد الحادي عشر من ذي القعدة سنة 1235 خمس وثلاثين (20 اوت 1820 م.) بالعزل والنفي لمَاطِر ، وسجن بعض أتباعه لنبأ فاسق قبل التبين ، بانه يترقب زوال الدولة ، ويخبر بشرح الجفر ، الى غير ذلك من وساوس الحسدة في الملك المطلـــق .

وبعد اربعة وثلاثين يوما تسرح من النفـي ، ومكـث بداره ، فهرعت اليه الشيوخ ، وطلبوا أن يقرئهم « شرح العضد لمختصر ابن الحـاجب » الاصـلي ، فاقـرأهم بـداره ، وانجذبت القلوب لمغاطيس علومه ، واقتطفوا من رياض منطوقه ومفهومه ، وقابله العـام والخاص باجلال وتعظيم ، لم يعهد ايام الولاية ، فكـان كما قال الاول :

ان الامير هو الذي يضحي اميرا بعد عزله
ان زال سلطـان الولايـ ـة فهو في سلطان فضله

ثم رجع لخطة الفتوى يوم الجمعة السادس والعشرين (1) من رجب سنة 1239 تسع وثلاثين (26 مارس 1824 م.) .

ولما توفي الشيـخ ابو عبد الله محمد ابن الشيـخ قاسم المحجوب في شعبان من سنة 1243 ثلاث واربعين (فيفري — مارس 1828 م.) صار رئيس الفتوى عوضه .

وكان هذا الفاضل من علماء هذه الامة المحمدية ، آية الله في الحفظ والثبات ، آخذا مأخذ المجتهدين في تعليل المسائل الفقهية ، بمدارك اصولها الشرعية ، ويصرّح بانه من اهل الترجيـح ، ولم ينـكـره احد عليه ، بل يعتمدون ترجيحه عند تسليم الدليـل . ويستفتى من حاضرة العلم فاس ، ومن قسنطينة والجزائر وطرابلس ، ويجيب بالـكـتابة .

وكان يعارض شيخ الفقه ، وكبير اهل الشورى ، أبا عبد الله محمد المحجوب ، فقال له يوما في المجلس ، وقد اختلفا في تشهير قول ، فقال له الشيـخ المحجوب انا أفتـي في دين الله ستين سنة ، وأعرف المسألة من حين روايتها عن مالك ، وكـلّ من تـكـلم فيها ، فقال له لا غرابة في اتصافك بذلك ، فانك حافظ المذهب ، لـكـنـي أعلم اعتماد كـل متـكـلم في المسألة على أي دليل . وكان الشيـخ المحجوب يرجع له .

(1) هو 25 حسب التقويم

[وكان] متبحرا في العلوم العقلية والنقلية ،لا يخلو مجلسه عن فائدة علمية ، واذا سئل عن شيء انهل ودق علمه بالجواب ودليله ، حتى يخيل للسامع انه مستعد للجواب عنها ، وسبحان الذي خص من شاء بما شاء .

وكان عالم الملة وهو ابو عبد الله محمد بيرم الثاني يعلم منزلته ، ويثني عليه ؛ ومهما أتاه يترك شغله ، ويقبل عليه ، ويهش لزيارته ، ويقول له : « لا تحرمنا من زيارتك، وان كنت تأتي اليّ لتتعبني بالمسائل ، فانا أيضا أستفيد من سؤالك » .

ومن عادة صاحب الترجمة الانصاف ، وكان يزوره شيخنا عالم الحنفية ابو عبد الله محمد ابن شيخنا العالم المفتي أبي العباس حميدة بن الخوجة ، فاذا رآه مقبلا ترك شغله ، وأقبل عليه يحادثه ، وكان لا يأتيه الا سائلا ، ولما ينصرف يتبعه نظره ، ويقول : « ما أعلمَ هذا الانسان » ، ويكررها ، محدّثا بها نفسه . سمعت ذلك منه مرارا .

وقد وقع بينه وبين شيخنا أبي عبد الله محمد البحري بن عبد الستار نزاع في نازلة أفضى الى وحشة ، فبعث اليه ، ورجع له ، وأطلعه على سبب رجوعه ، ودعا له ، وكان في مرض موته ، وهو ملقى على صدر الشيخ البحري ، يقول له : « كثر الله من امثالك في علماء المسلمين » . الى غير ذلك مما يدل على سلامة الصدر ، وحب الانصاف .

وكان رحمه الله مهيبا ،حسن الاخلاق ، عزيز النفس ، عالي الهمة ، حسن المحاضرة .

طلب منه الشيخ البحري ان يقرئه كتاب « الموافقات » لابي اسحاق الشاطبي ، فقال له : « انظرها وحدك ، واعرض علي ما تتوقف فيه ، فيكون حديثَ سمرنا » ، ففعل ، وانتفعنا بذلك .

وله باع طويل في فن التاريخ ، اذا تكلم في دولة ترى كأنه من رجالها .

وله محبة واعتقاد في الصالحين ، وميل الى اخلاق الزهد . والملوك يعظمونه .

ولم تزل درر علومه حاضرة منقودة ، ومفاخره على جيد الزمان منضودة ، والآمال الى طول حياته ممدودة ، الى ان استكمل أنفاسه المعدودة ، في الخامس عشر من جمادى الاولى سنة 1248 ثمان واربعين ومائتين والف (الاربعاء 10 اكتوبر 1832 م.) ، وله من العمر أربع وثمانون سنة .

وصلى عليه الامام ابو عبد الله محمد الشريف أمام باب البهور بالجامع الاعظم ، وحضر جنازته امير العصر وبنوه ، ورجال دولته ، وحملوا نعشه ، ورثاه تلميذه شيخنا ابو اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي وغيره من ادباء العصر .

وله تأليف نفيس رد فيه شبهات الوهابي ، ورسائل في الحبس والخلو ، وغير ذلك مما لو جمع كان جزءاً .

واعقب ابنا غيرّا يتمعش بقراءة القرآن ، ولم ينقطع عمله المبرور ، بما بثه في الصدور .

[198 ــ محمد المبزع]

ابو عبد الله محمد المبزع .

احد اعيان الحاضرة في عصره ، يحترف بالتجارة في الحرير وغيره .

وتقدم ناظرا على بنيان قشلة للجند .

وكان وجيها خيّرا ، ذا مروءة وعفة ، يحافظ على الصلوات في الجامع الاعظم ، وسماع الحديث النبوي .

ولم يزل على حاله ، الى ان حان اجل ترحاله ، اوائل جمادى الثانية سنة 1248 ثمان واربعين ومائتين والف (أواخر اكتوبر 1832 م.) ، رحمه الله تعالى .

[199 ــ سليمان بن الحاج]

ابو الربيع سليمان بن الحاج .

ولد هذا الرجل بغار الملح ، وانتمى الى كاهية بنزرت أبي النخبة الحاج مصطفى بن محمد خوجة . وترقى الى ان التزم رحاب الطعام بالحاضرة .

وكان ابو محمد حمودة باشا ينظره بعين نجابة ، ويتوخى في اعماله الاصابة .

ولم يزل يترقى في مناصب الاعمال ، الى ان صار من اعيان العمال .

وكان حازما نبيها ، ضابطا لامور خدمته ، شديدا فيها ، متقشفا في زيه ، خيرا بالنسبة لامثاله .

ولم يزل على حاله ، الى ان آن انتقاله ، خامس رمضان من سنة 1248 ثمان واربعين ومائتين والف (السبت 26 جانفي 1833 م.) ، وأعقب أولادا سيأتي لهم خبر ، ان شاء الله تعالى .

[200 ـ محمد الشتيوى]

ابو عبد الله الشيخ محمد الشتيوي .

نشأ هذا الشيخ في طلب العلم ، وحصل ملكة ، ودرّس بالجامع الاعظم موطأ الامام مالك ، وغيره من كتب الحديث . وتقلب في الخطط العلمية كالتوثيق ، وتقدم شيخا على القرّاء بجامع الزيتونة ، والشهادة على اوقافه .

وكان وجيها عفيفا ، خيرا امينا ، ثقة صلبا في دينه ، نقي العرض ضيق الصدر ، ذا مهابة وانقباض وصمت .

ولم يزل على حالته ، في بُرْد مهابته ، الى ان توفي في ذي القعدة من سنة 1248 ثمان واربعين ومائتين والف (مارس — افريل 1833 م.) .

[201 ـ محمد الجندوبى]

الكاتب ابو عبد الله محمد الجندوبي .

نشأ هذا الرجل في بيوت الخيام من عرش جندوبة ، وقرأ القرآن في بعض زوايا الكاف ، وأتى الحاضرة ، فسكن بمدرسة باردو ، وتعلق بسقيفة ابي الثناء محمود باي في حياة ابن عمه ، وكان يكتب له في ضروريات داره ، ويعلّم أتباعه القراءة .

وهو من رجال الثورة على أبي عمرو عثمان باي ، ومن الوالغين في دم الوزير أبي المحاسن يوسف صاحب الطابع ، بل هو أول من ضربه على عراقيبه ، فطاح ، كَمَنْ لذلك عند باب بيت الباشا .

وليس له من أدوات الكتابة سوى رسم الحروف على تحريف ورداءة في الشكل ، وكنا نجتمع به في علو الكتّاب ، ونقضي من حديثه العجب العجاب . تحدث يوما متبجحا بضرب الوزير المذكور ، وقال : « ما غاظني الا أنه لما طاح تشهد وقال يا أهل

بدر » ، فقلت له : « ايها الشيخ انت في مقام أبي ، يجب نصحك ، لا تَعُدْ لمثل هذه المقالة ، فربما يلزمك بها الكفر ، واذا كانت الشهادة لله بالوحدانية تغيظك لا يسرك حينئذ الا الشرك » ، فسكت ، ولما سمع بذلك والدي أجازني بسرج محلّى طالما كان يمنعني من مثله .

وكان جريئا مقداما ، غير مفكر في عواقب الامور ، اكثر بالادلاء (1) حتى دحض .

وتوفي سنة 1248 ثمان واربعين ومائتين والف (33 — 1832 م.) .

[202 — عبد الرحمان الكامل]

شيخنا ابو زيد عبد الرحمان الكامل .

أصله من اولاد سيدي حمّادة ، من زوايا أولاد عُون ، وانتقل جده من الخيام الى القيروان ، ونشأ هذا الشيخ بها ، وأخذ عن علمائها . ثم رحل الى الحاضرة فأخذ عن أعلامها كالشيخ الغنجاتي ، والشيخ صالح الكواش .

وتصدر للتدريس فانتفع به جمع . وانتخبه الباي ابو محمد حمودة باشا لقلم الانشاء، ولم يكن ذا براعة فيه ، وان كان شاعرا مفلقا ، وشعره معروف عند الادباء ، فانتظم في سلك الكتابة مدة قليلة على كره ، ثم استعفى ، وأقبل على ما ألِفه من التدريس بالجامع الاعظم ، ثم تقدم شيخا بمدرسة باردو ، وسكن به ، وانتفع به بعض سكانه .

واختص به المشير أبو العباس أحمد باي ، وأقرأ مماليكه ، ومنهم ابن تربيته أبو النخبة مصطفى خزنه دار .

وكان خيرا عفيفا ، فاضلا سالكا طريق القوم ، حسن المحاضرة فيه . كاد ان يحفظ « الاحياء » ، فقيها أديبا شاعرا ، ذا وقار وهمة ، ونفس بمعادها مهتمة ، فصيح اللسان ، عذب البيان .

ولم يزل على حالته المرضية ، الى ان لبى داعي المنية ، في السابع عشر من صفر سنة 1249 تسع واربعين ومائتين والف (السبت 6 جويلية 1833 م.) .

---

(1) كذا في كافة النسخ ، ويقصد الادلال

[203 ـ محمد عريف]

ابو عبد الله الشيخ محمد ابن الشيخ محمد عريف .

نشأ هذا الخيّر في بيت نبيه ، واقتفى أثر أبيه . وتقدم شيخا لربض باب السويقة ، فخافته الاشرار ، وأمنت بحزمه الاخيار ، وسار في خطته سيرة شكرت وتشكر ، وتحفظ آثارها وتذكر .

وكان خيرا وجيها ، متقنعا بعفة وحياء ، نقي العرض ، ليّن العريكة ، مثابرا على ابقاء الستر ما استطاع ، وبهذا الاسلوب ، أحبته القلوب . وحب الناس موصول بحب الله.

ولم يزل محمود الاثر ، طيب الذكر والخبر ، الى ان توفاه الله في غرة شوال سنة 1249 تسع واربعين ومائتين والف (الثلاثاء 11 فيفري 1834 م.) ؛ واعقب ولدا حسنت منه الاعمال ، وانخرط في سلك اهل الكمال .

[204 ـ محمد امين باش خوجة]

أبو عبد الله محمد أمين باش خوجة .

هذا الرجل من أشياخ الجند ، وترقى في قلم العسكر ، الى أن صار باش خوجة ، وهي يومئذ رتبة توازي خطة الداي . وشعارُ خطته الفروة مثلُ الداي ، وباش مفتي الحنفية ، والباشا ، ولا يلبسها غير هؤلاء الاربعة .

وتوجه سفيرا للدولة العلية بالهدية ، وأتى بفرمان الولاية للباشا ابي الثناء محمود .

وكان وجيها خيرا ، ممدوحا عند أهل صناعته بحسن الانشاء وبراعة القلم التركي ، عالي الهمة ، ظاهر النعمة ، نقي العرض مهيبا .

ولم يزل على حاله ، يجر رداء كماله ، الى ان توفي في شوال من سنة 1249 تسع واربعين ومائتين والف (فيفري — مارس 1834 م.) ، واعقب ابناء معدودين في الاعيان . وقام مقامه في الخطة نور الله خوجة .

[205 ـ يوسف بن فرحات]

أبو المحاسن يوسف بن فرحات الميموني .

نشأ هذا الرجل كأبيه في خدمة الدولة من فرسان المخازنية ، وترقى في مدارجها الى ان صار باش حانبة ، يسافر مع ابي النخبة مصطفى باي ، ولازمه في سائر أسفاره ، واختص بمزية تقريبه .

وكان وجيها ، فصيح اللسان ، حسن الفهم ، عارفا بعوائد العربان ، محنكا بالتجارب ، وقور المجلس ، كريم النفس ، طامحا الى قنن المعالي ، شديد المحافظة على ناموس خطته .

ولم يزل مرموقا بعين احترام ، الى ان وافاه رائد الحمام ، سنة 1249 تسع واربعين ومائتين والف (34 — 1833 م.) .

[206 ـ محمد بوكاف]

أبو عبد الله محمد بوكاف البوبكري .

هو من ذرية الولي ابي بكر المعروف ضريحه قرب الكريب ، ثبت في جند المخازنية على يد ابن عمه الكاتب ابي عبد الله محمد المسعودي ، وترقى في الخدمة ، وتقدم لولاية الاعمال في القبائل ، ثم اختص به الوزير شاكير صاحب الطابع ، واستعان به في خدمته مع العربان وعمالهم .

وكان وجيها متواضعا ، حسن اللقاء ، كريم النفس ، محافظا على السذاجة العربية ، ثابت الجنان .

ولم يزل في خدمته وحرمته ، الى ان توفي في رجب سنة 1249 تسع واربعين ومائتين والف (نوفمبر — ديسمبر 1833 م.) .

[207 ـ حسن برتقيز]

ابو محمد حسن ابن الفقيه الفاضل أبي عبد الله محمد برتقيز الحنفي .

اصله من بيت علم وفقه ، وقرأ على الاعيان ، وحصل الملكة في الفقه والتوثيق ، وتصدر للشهادة ، وله في فنونها باع .

وكان خيرا عفيفا ، وجيها فاضلا ، عزيز النفس ، نقـي العرض ، حافظا لمجد آله ، بحسن خلاله ، الى ان توفي فجأة في الخامس عشر من ربيع الاول سنة 1250 خمسين ومائتين والف (الثلاثاء 22 جويلية 1834 م.) .

[208 ـ محمد المشاط]

الشيخ ابو عبد الله محمد المَشّاط الاندلسي .

نشأ هذا الفاضل في بيت عفة وديانة ، مكفوف البصر ، حاد البصيرة ، نقي السريرة ، وحصل ملكة العلم ، لا سيما علم القراءات ، ودرس بالجامع الاعظم ، وبجامعه في حومة الاندلس ، الفقه والتفسير وغيرهما .

وكان راسخ القدم في علم التفسير ، وانتفع به جم غفير من الناس .

وكان رحمه الله صوفيا معتقدا ، معظما عند الناس متواضعا ، قانعا بالقليل ، عاكفا على ما يقرب الى الله زلفى ، حتى كادت أنفاسه لا تتردد الا بالتلاوة ، رقيق القلب ، حسن الظن بعبيد الله .

سرق نعله بالجامع الاعظم ، فدعا التلميذُ الذي يقوده على من سرقه ، فقال له : « استغفرِ اللهَ ، وما يدريك ان الضرورة ألجأته الى ما فعل ؟ سامحه الله » .

ولم يزل معظما محببا الى الناس ، الى آخر ما قدر له من الانفاس ، زوال يوم الجمعة من أواخر ربيع الثاني سنة 1250 خمسين ومائتين والف (اوت ـ سبتمبر 1834 م.) رضي الله تعالى عنه .

[209 ـ حسونة الوزير]

أبو عبد الله حسونة بن احمد الوزير الاندلسي .

نشأ هذا الوجيه في بيتهم الشهير بالنباهة ، وكان معدودا من الاعيان التجار ، وتقدم ركنا بمجلس الحكم المتجري ، وكان صحيح الفهم ، ثابت الفكر ، فصيح اللسان ، خيرا وجيها ، لين العريكة ، ذا سياسة ولطف ، سمح اللقاء ، حسن الاخلاق ، الى ان توفي غرة جمادى الثانية سنة 1250 خمسين ومائتين والف (الاحد 5 اكتوبر 1832 م.) ، وأعقب أولادا ساروا على نهجه ، بل تقدموه وزانوه .

[210 ـ محمد بوراس]

أبو عبد الله محمد ابن الحاج احمد بوراس الهذلي القيرواني .

نشأ في طلب العلم ، ناسجا على منوال آله ، في غالب أحواله . وأخذ عن الشيخ أبي بكر صدام ، وأبي محمد حمودة الوحيشي ، وأبي عبد الله محمد بن عبيد الغرياني ، وغيرهم من علماء القيروان . وحصل العلم ، وتصدر للتدريس ، واختار ما يبقى بعد الموت من الاعمال ، وهو بث العلم في صدور الرجال .

وكان عالما صالحا ، تقيا فقيها ، محدثا فاضلا وجيها .

وتوفي في رجب من سنة 1250 خمسين ومائتين والف (نوفمبر 1834 م.) .

[211 ـ محمد عزوز]

الشيخ ابو عبد الله محمد بن محمود بن قاسم بن حمودة عزوز .

نشأ هذا الفاضل في بيتهم الشهير بالفضل والصلاح ، واطعام الطعام للطلبة ، وابناء السبيل ، مستمدا من عناية جده صاحب الكرامات المأثورة في الاقطار . واقبل بقلبه على العلم الشريف ، فاخذ عن اعلام كالشيخ ابي محمد سيدي حسن الشريف ، والشيخ الطاهر وغيرهما .

وحصل الملكة العلمية ، وتقدم شيخا بزاوية جده العارف بالله سيدي علي عزوز المتوفي سنة 1122 ، فاعان على حفظ القرآن ، وأقام الشريعة بزغوان . ولم يزل يتردد بينها وبين الحاضرة .

وكان فقيها أديبا ، كاتبا بليغا ، خيرا فاضلا عفيفا وجيها ، ذا همة عالية ، وكرم في الطبع ، وتواضع على رفعة شأن ، ما شئت من حسن اخلاق ، وخلال نيّرة الاشراق .

ولم يزل معظما محببا الى الناس ، الى ان لحق بالرفيق الاعلى ، في الرابع عشر من رمضان سنة 1250 خمسين ومائتين والف (الاربعاء 14 جانفي 1835 م.) ، ودفن بخلوة جده في زاويته التونسية ، واعقب ابنا سار على قدم أبيه وسما ، ومن يشابه اباه فما.... ، يسميه الشيخ الامام الشريف ابو الثناء سيدي محمود محسن : « تايب الشباب » .

[212 ــ محمد شيخ روحه]

الشيخ أبو عبد الله محمد شيخ روحه الصفاقسي .

أخذ العلم عن الشيخ مقديش الاول ، وغيره من علماء صفاقس ، وتقدم لخطة القضاء ببلاده ، فحمدت سيرته ، وظهرت عفته . وكان فقيها نبيها وجيها ، حسن الاخلاق وتقدم خطيبا بالجامع الاعظم ببلده .

ولم يزل معظما محببا الى ان توفي سنة 1250 خمسين ومائتين والف (35 — 1834 م.).

[213 ــ حمودة الاصرم]

أبو محمد حمودة ويدعى عميرة بن أبي عبد الله محمد الاصرم .

نشأ هذا الوجيه في خدمة الدولة ، وسكن مع أبيه باردو ، ثم انتقل لسكنى تونس ، وولي خوجة زواوة ، عوض أبيه لما توفي ، وهي من الخطط الرفيعة يومئذ ، واستكفى به الباي ابو محمد حمودة باشا في عظائم الامور ، وقاد الجنود ، وخفقت عليه رايات البنود ، كما تقدم في الباب الاول ، وتوكّل — لامانته — على حفظ دخل القمرق ، وكان مستشارا لمخدومه ، واثقا بنصحه وأمانته ، معدودا من رجال دولته .

وكان كاتبا فصيح القلم بالنسبة لاخيه رئيس الكتاب ، فاضلا خيرا ثقة ، محافظا على عرضه ، حسن الاخلاق .

ولم يزل على حاله ، متجملا بما يحمد من خلاله ، الى آن انتقاله ، في العاشر من شوال سنة 1250 خمسين ومائتين والف (الاثنين 9 فيفري 1835 م.) ، واعقب اولادا معدودين في الاعيان .

[214 ــ محمد البنا]

الشيخ أبو عبد الله محمد البنّا .

أصل هذا العالم من بيت علم وشرف في القديم ، واقتفى ما استطاع سنن آله ، واستعان بعفته وحميد خلاله ، فأخذ العلم عن اعلام كالشيخ صالح الكواش وغيره .

ولما حصل ملكة العلم اضطره الضيق الى التكسب بصناعة التوثيق ، وكان فيها على قدم وثيق ، وتقدم لشهادة الغابة ، فحمد خبره ، وحسن أثره .

وكان فقيها مشاركا ، خيرا عفيفا ، وجيها حسن اللقاء ، نقي العرض .

ولم يزل على حاله الى ان توفي في رجب سنة احدى وخمسين ومائتين والف (اكتوبر — نوفمبر 1835 م.) ، واعقب ابنا زان الخطط الشرعية .

[215 ـ يوسف كاهية دار الباشا]

ابو المحاسن يوسف كاهية دار الباشا .

اصله من المماليك القرج ، ونشأ مع أخيه رشيد المتقدم ذكره في خدمة الباي أبي محمد حمودة باشا ، وترقى لصدقه وأمانته ، الى ان صار رئيس المماليك في الصرايا . وهو من الافراد الذين ألقوا بأنفسهم لافتكاك مخدومهم من فتكة بعض مماليكه ، المتقدم ذكرها في الباب الاول (1) ، وانجرح بسبب ذلك ، ثم صار آغة ، ثم صار كاهية بدار الباشا ، وصاهره الباشا أبو الثناء محمود باي على بنت الوزير اسماعيل كاهية .

وكان مغفلا جديا غرا ، قاصر الفكر ، شجاعا ، واقفا عند الامر ، سليم الصدر من الحقد ، صادق اللهجة ، تغلب عليه العجمة ، شديد المحافظة على مقامه الصوري ، لا يتجاوز في ذلك ، ولم يؤثر عنه في ولايته شر .

ولم يزل محافظا على رتبته الى حلول منيته ، ودفن بتربة الوزير ابي المحاسن يوسف صاحب الطابع . رحم الله الجميع .

[216 ـ نور الله خوجة]

ابو عبد الله محمد نور الله خوجة .

قدم هذا الرجل لتونس ، وخدم في صناعة الانشاء ، عند الباشاوات ، وترقى الى ان صار رئيس الخوجات بالمحكمة في القلم التركي ، ثم صار رئيس خوجات الديوان ، وهو مع ذلك يكتب ما تحتاجه الدولة من الانشاء باللغة التركية ، وله براعة في ذلك ، سمعت الثناء عليه باسلامبول من الوزير خسرف باشا ، على عهد السلطان محمود .

---

(1) انظر ص 20 ج 3

وكان أديبا ظريفا ، عفيف النفس نقـي العرض ، حسن الاخلاق .

سافر مع الوزير أبي محمد شاكير صاحب الطابع لما توجه لاسلامبول ، على عهد الباشا أبي النخبة مصطفى باي ، سنة 1251 احدى وخمسين ، ووقعت بينهما وحشة ، هذا يُدِلُّ بقلمه ، والآخر يدل بسعادته ، فترك صحبته وتوجه لمصر ، فتوفي بها على ما قيـل .

[217 — عبـد الرحمـان بـن عيـاد]

ابو زيـد عبد الرحمان بن محمد بن حميدة بن قاسم بن عياد .

نشأ هذا الوجيه في خدمة الدولة مع أبيه ، وتدرج في الاعمال والمناصب ، كـولاية جربة وسوسة والاعراض ، وسافر بمَحالّها على فخامة لا عهد بمثلها لمثله ، وأركبـه الباشا أبو عبد الله حسين باي على فرسه يوم سفره ، ونشر عليه من أردية التقريب والحـرمة ما أعانه على قضاء أوطاره ، والوزير يومئذ أبو محمد شاكير صاحب الطابع ، فبالغ في إعـانته .

وكـان جوادا كـريم النفس عـالي الهمة وجيهـا ، ينحو منحى عم ابيـه رجب بن عياد ، المتقدم ذكـره (1) ، محببا عند الباي ورجال دولته ، لين العريـكـة ، يقـي عـرضه بمالِه ، ويجنح الى ما يحمد من حاله ، مثابرا على مرضاة أبيه ، لا يرى لنفسه اختيارا معه .

ولم يزل بالغ الامنية ، وآثار السعادة واردة اليه من كـل ثنية ، الى ان صدمته مُغيرات المنية ، في سنة 1251 احدى وخمسين ومائتين والف (36 — 1835 م.) ، في حياة أبيه ، وأعقب أولادا هم من الاعيان ، واكبرهم فارس هذا الميدان ، وَجَدَّهُ جـدُّه لما كـبا جواده ، كما تقدم (2) .

[218 — ابـراهيم الخـراط]

ابو اسحاق ابراهيم الخراط الصفاقسي.

أخـذ عن علمـاء صفـاقس كـالشيـخ الطيب الشرفي ، والشيـخ محمـد الفوراتـي وغيرهما . وبرع في العلوم الادبية ، وشعره معروف في صفاقس .

---

(1) انظر ص 37 ج 7

(2) انظر ص 116 ج 4

وكان أديبا ذكيا حسن المحاضرة ، ذا سياسة تروض الصعاب ، وتبلغ الآراب .

ولم يزل على حاله ، في برود كماله ، الى ان توفي سنة 1251 احدى وخمسين ومائتين والف (36 — 1835 م.) ، بعد ان عمر مائة سنة . ويقال له تأليف في الادب سماه « زهر الربيع » .

[219 ـ محمود مقديش]

الشيخ أبو الثناء محمود مقديش الصفاقسي.

نشأ بين يدي أبيه المتقدم ذكره الجميل ، وباعه الطويل ، وأخذ العلم عنه ، وكان من خواص أصحاب الوزير أبي المحاسن يوسف صاحب الطابع ، يقوم لتلقيه ، على عادته مع العلماء .

ودرّس قليلا بصفاقس ، ثم أقبل على دنياه ومتاجره ، ثم تقدم وكيلا على عشر الزيت وشرائه للدولة ، ونالته بسبب ذلك المحنة على يد الوزير ابي محمد شاكير صاحب الطابع ، ففنى المال ، وبقيت الاعمال .

وارتحل الى الحج فتوفي بجدة ، رحمه الله ، في سنة احدى وخمسين ومائتين والف 1251 (36 — 1835 م.) .

[220 ـ احمد الشريف]

أبو العباس احمد ابن الشيخ الامام محمد ابن الشيخ الامام عبد الكبير الشريف .

نشأ هذا الذكي في شرف بيته الموروث والمكتسب ، وأخذ عن أبيه وعن غيره ، كالشيخ الطاهر ، وشيخنا أبي اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، وشيخنا أبي عبد الله محمد بيرم الثالث وغيرهم .

وروى « صحيح البخاري » عن الشيخ بيرم الثاني ، وحصل الملكة العلمية ، وأقرأ بالمدرسة في حوانيت عاشور ، يحل المشكل فهمه ، ويصيب الغرض سهمه ، غير بعيد عن درجة الأعلام من علماء الاسلام ، الا انه مَالَ الى الاذكار ، وسنن الاخيار .

وكان خيّرا عفيفا ، تقيا نقيا ، حسن المعاشرة ، كريم الاخلاق ، أقرب الى الزهد والجذب ، ما شئت من نفس زكية ، واخلاق هاشمية .

وفي أواخر سن الشباب ، اختطفته يد المنية من بين الاتراب ، وعظم به المصاب ، وذلك في سنة 1251 احدى وخمسين ومائتين والف (36 — 1835 م.) ، وأعقب ابنا اقتدى بأبيه ، وهو الآن من الايمة بالجامع الاعظم ، كثر الله تعالى من أمثاله في الوجود .

[221 ــ عبد الله البلش]

ابو محمد عبد الله بن عبد اللطيف البلش الصنهاجي القيرواني .

نشأ في طلب العلم ، وأخذ عن الشيخ ابي الفضل قاسم بو الاجفان ، والشيخ محمد بن عبيد الغرياني ، والشيخ حمودة الوحيشي ، وغيرهم من اعلام القيروان . ودرّس وافاد .

وكان عالما فاضلا ، مجوّدا للقرآن العظيم ، رقيق القلب ، جاري الدمعة ، عفيفا سالكا ، ينحو طريق الزهد .

ويقال له نظم سماه « ايقاظ الغافل في تاريخ الافاضل » ، جمعه من معالم الايمان .

ولم يزل محمود السيرة ، الى ان توفي في ذي الحجة سنة 1252 اثنتين وخمسين ومائتين والف (مارس — افريل 1837 م.) .

[222 ــ محمد العروسي]

ابو عبد الله محمد بن احمد العروسي الاندلسي .

نشأ هذا الوجيه في جلباب مروءة ووجاهة . وأصله من بيت نبيه في الاندلس ، أتى جده الاعلى الى هذه الحاضرة ، واستوطنها واحترف بالتجارة . ونشأ بنوه فيها ، ومنهم والد صاحب الترجمة ، تقدم أمينا على صناعة الشاشية ، وأعقب ابنه هذا ، فسار على سنن أبيه، وتقدم للخطط ، فصار امينا على صناعة الشاشية ، ورئيسا في مجلس الاحكام المتجرية ، وشيخ الاندلس ، ولهذه الخطط شأن في هذه الحاضرة .

وكان وجيها مهيبا ، وقور المجلس ، عالي الهمة ، راجح الفكر ، سديد السهم ، نازعا عن الطمع .

وله في الحاضرة وعند الملوك وجاهة ، وله أخبار مأثورة ، ومآثر في خططه مذكورة .

وامتحن ايام الباشا ابي عبد الله حسين باي ، وسجن اياما ، وصودر بمال على يد الوزير ابي محمد شاكير صاحب الطابع ، ثم اعيد لمنصبه على يد الوزير المذكور .

وبقي على جلالته وهيبته ، الى آخر ساعته ، في ذي القعدة سنة 1252 اثنتين وخمسين ومائتين والف (فيفري — مارس 1837 م.) ، وخلف عقبا يجري على سنن اسلافه.

[223 ـ احمد حافظ خوجة]

ابو العباس احمد حافظ خوجة .

أصله من أزمير ، أتى الحاضرة متطوعا للخدمة في الجند بصناعة القلم ، وسافر في محلة قسنطينة خوجة ، ورجع فيمن رجع ، وترقى الى ان صار كاهية باش خوجة ، وله عند جند الترك وجاهة وقول مسموع . يقال ان نسج ثورة الترك بتونس (1) سنة 1231 احدى وثلاثين (1816 م.) من غزله ، وإن لم يحضر الا بالرأي ، واغضى له الباي ابو عبد الله حسين باشا عن ذلك ، كما تقدم في الباب الثالث خبرها .

وكان وجيها خيّرا ، حسن الفكر سديد الفهم ، له مشاركة في التاريخ والادب ، عزيز النفس حسن الزي ، محبا لاهل الحاضرة ، لاسيما الجند ، حسن الاخلاق ، ما شئت من ظرف وادب ووقار ، يُلمز بالتشيع . لقيته يوما في جنازة ، وانا صغير ، فجرى ذكر علي رضي الله عنه ، فتكلم بما لا ينكر ، فقلت له : « سبحان الله الناس ينسبونك الى التشيع » ، فقال : « نعم أحب عليا ، ولا أفضله على من تقدمه » ، ثم قال لي : « أتحفظ شعر الشافعي » ، فقلت : « لا » ، فأملى علي قوله :

قف بالمحصب والمنازل من منى ... واهتف بساكن اهلها والناهض
ان كان رفضا حب آل محمد ... فليشهد الثقلان أني رافضي

ولم يزل على تعظيمه واجلاله ، متجملا بكماله ، الى حين انتقاله ، في سنة 1252 اثنتين وخمسين ومائتين والف (1836/37 م.) ، رحمه الله ، بعد عجز اقعده بداره مدة .

(1) انظر ص 115 ج 3

[224 ـ احمد المنستيرى]

أبو العباس احمد المنستيرى .

تقدم ذكر أخيه ، وهو ربيب الباي أبي الثناء محمود باشا ، وصهر ابنه .

تولى الخطط على قصور في سياسته ، وساعده البخت ، لا يدلي الا بقرابة المصاهرة ، وازدرى برجال الدولة ، فازدروا به ، وآخر أمره بقي بداره ، ومع ذلك فقد كان سليم الصدر ، نَدِيّ الكف ، حسن اللقاء ، اقرب الى خلال الخير من أمثاله .

ولم يزل على حاله الى ان توفي في التاسع عشر من ربيع الاول سنة 1253 ثلاث وخمسين ومائتين والف (الجمعة 23 جوان 1837 م.) ، واعقب ابنا معدودا من الأعيان في النجباء .

[225 ـ محمود الاصرم]

الوزير أبو الثناء محمود بن محمد الاصرم .

نشأ هذا الخيّر في بيته النبيه شأنه ، الكثير أعيانه ، وقرأ بالجامع الاعظم على أبي محمد الشيخ سيدي حسن الشريف وغيره ، وحصل ملكة المشاركة في العلم .

قدمه الباي أبو محمد حمودة باشا للكتابة في ديوان الانشاء مرؤوسا بأخيه الاكبر ، وبعد وفاته قدمه الباشا ابو عبد الله حسين باي لرئاسة الكتاب ، وكان مليح الخط ، اقرب الى صناعة الانشاء والمشاركة العلمية من أخيه ، أديبا له معرفة بعلم التاريخ ، وجيها فصيحا خيرا منصفا ، لين العريكة كريم النفس ، حسن الاخلاق حافظا للمروءة ، نقي العرض نازعا عن الفضول ، لم ينقل عنه سوء ، ولم تحفظ له مظلمة ، متواضعا جانحا الى العافية والتسليم ، قانعا بمحبة الباي ، مسالما للوزير ابي محمد شاكير صاحب الطابع ، حسن اللقاء ، مليح المحاضرة ، ظريف المجالسة ، محببا الى الناس ، يعرف الفضل لذويه .

ولم يزل طيب الخبر ، قانعا من الخطة بما بقي من الاثر ، بالغ الامنية ، الى أن جاءته المنية ، في ربيع الثاني من سنة 1253 ثلاث وخمسين ومائتين والف (جويلية 1837 م.) ، وتقدم لخطته كاهيته وابن اخيه ، وأعقب أولادا أعيانا .

[226 ـ شاكير صاحب الطابع]

الوزير ابو محمد شاكير صاحب الطابع .

اصل هذا الرجل من الجراكسة ، مولىً لابي عبد الله الباشا حسين باي : تقدم وتقرب بحسن خدمته ، وولي خدمة الطابع ، وبها تميز ، وصاهره سيده على بنته ، وزوجه بها في داره امام بيته .

ولم يزل يترقى الى ان امتطى صهوة الوزارة على حين احتياج له ، لما طلب التجار ثمن الزيت المبيع لهم من الدولة ، أو عينه كما تقدم (1) ، واشترط أن يمضي رأيه فيما يتعلق بالدخل والخرج ، وان لا يفتات عليه احد في شأن المال ، فقبل سيده شروطه ، وشمر للخدمة عن الساعد ، وساعده القدر المساعد ، واقتصد في سائر المصاريف حتى اوقفها على القدر الضروري ، وأرخى للعمال العنان ، لانه انتفع بعاجلهم في هذا الشان ، ثم انتبه فضرب على أيديهم وساعدته السعادة ، وملكته المقادة ، فأصلح بنفسه فاسده ، وأرغم حاسده ، واعترف بالغلط ، ومن الذي ما أساء قط ، وأذكى العيون على الاعمال والعمال ، واقتنى للدولة المال ، وحض الناس على الاعمال ، وباشر الامور بنفسه ، وتولى أمر الساحل والاعراض ، وغالب ما في الجهة القبلية من العروش ، واعتنى بالرعية ، يسلفهم من ماله ، ويُنْظِر مُعْسِرَهم حتى بدت فيهم ثروة . ومن سعادة الجد ان الله سبحانه رحمهم بالخصب والزيتون ، حتى ان أهل الساحل يؤرخون بتلك الصابة ، ويسمونها صابة شاكير ، حتى تشكت منه التجار الافرنج ، وظنوا انه يتّجر بمال الدولة ، وينسب ذلك لنفسه ، حتى بَانَ ان الرجل مقصده ثروة تلك الجهة على صورة التجارة ، بحيث لا يذهب رأس ماله ، ولا تضطر الرعيّة لدفع الربا الفادح ، وفسخ الديون في الديون ، ولذلك كان يلازم السفر للجهة القبلية ، حتى كادت ان تكون مدة سفره اكثر من مدة اقامته ، ويكتفي في مغيبه بمملوكه وابن تربيته ابي عبد الله محمد ، وبهذه الخدمة تلقب بخزنه دار ، وهو الآن من أعيان الوزراء ، فقام بخدمة الخطة لسيده احسن قيام ، واقفا عند نهيه وأمره ، في سره وجهره ، وقام لسيده بحفظ الغيبة ، وان قوبل منه بالخيبة ، واخذ معه سبيل الحذر والادب ، حتى برع ونجب ،

(1) انظر ص 170 و 171 ج 3

وتقدم بنفسه ، في بني جنسه ، فوقع في قلب الوزير منه شيء ، مع عقارب السعايات من حساده ، وسماسرة الفتن من أضداده ، وخشي أن هذه النجابة ، ربما تقدمه الى الخطط والقرابة (1). وذلك ان هذا الوزير ومن عاصره من المماليك يومئذ ، في أدمغتهم خيال بلادليل، وهو ان التقدم انما هو للمماليك القرج والجراكسة ، وما والاهما ونسوا نسبة الوزير ابي المحاسن يوسف صاحب الطابع ، ولا يرون للمماليك من الروم أهلية تقتضي شيئا ، مثل ابناء البلاد ، وما دروا ان التقدم انما هو بالنفس ، لا بالنسب والجنس .

وما ينفع النسب الهاشمي اذا كانت النفس في باهلة

فتنكر لمملوكه هذا ، وأخذ في حطه ، وهو يتجاهل ، والوزير يرتاد في المماليك ، وهو يخشى غوائل اهل طبقته من الاكْفَاء ، وكان والدي يعارضه في هذا العزم ، ويقول له : « ان افسدت على نفسك هذا المملوك لا تجد غيره » ، وان كان رأيه كرأي القوم في القرج وما عطف عليهم ، وطالما باحثته في ذلك فتمسك بالعادة .

ثم بدا له أن يكلفه الاعمال الثقيلة حتى يظهر للعيان عجزه ، فأنابه عنه في سفر محلة الاعراض على صغر سنه ، وقدر له مالا معينا يخلصه اكثر مما كان يخلصه بنفسه ، فسافر وخلصه ، وهو غاضٌ الطرف عن إعانته ، ناظر الى أسباب اهانته .

ولما قدم بالمحلة أتى المحمدية اولا بأعلامه ، وكنت يومئذ بها ، ولما دخل البيت التفت الوزير ينظر الى الحيل معرضا عنه ، وهو واقف ينتظر التفاته ، والناس خلفه واقفون ، ثم التفت اليه وناوله يده فقبلها ، ثم أمره بالتوجه الى باردو على العادة .

ثم ظهر للوزير انتخاب مملوكه اسماعيل ، وهو من الجراكسة ؛ وقال انه من قرابته ، وبقي مملوكه محَمد موصولا بخدمة سيده في الظاهر ، وهو معرض عنه . ثم تسنى للوزير السفر بمحلة لعصيان وقع بجبل ماطر ، فعزم مملوكه محَمد على السفر معه كآحاد الاتباع ، فقلت له : « سيدك أمرك بالسفر معه » ، فقال لي : « نسافر أمرني أو لم يأمرني ، وانا من اتباعه على كل حال » ، فقلت له : « ما كنت فيه من الرتبة لا يقتضي ان تسافر الآن كآحاد الاتباع » ، فأقسم لي أن سفره ليموت ، « وذلك ان ما لقيته من الاهانة ، ربما يلجئني للهروب الى دار القنصل ، وهذه الوصمة أشدّ علي من

(1) انظر تعليقا خاصا بهذا الموضوع اثبته الشيخ محمد القروي في نسخته جعلناه ملحقا في آخر الكتاب .

الموت » ، وسافر ، وألقى بنفسه ، فأصيب برصاصة بقي به اثرها في مشيه ، وجيء به على نعش ، ويقال والله اعلم بحقيقة الحال ، ان محمد شولاق القرجي هو الذي ضربه ، وهو ممن يبغض المماليك من الروم .

وكان فقد الوزير لهذا الرجل من مقدمات نكبته ، وعلى كل حال فله في الدولة جليل خدمة ، اقتضت ما ناله من التقدم والحرمة ، الا انه كدرها على نفسه بالادلال والمن ، وتفنن فيه بكل فن ، والقدر يحجب البصيرة ، حتى خيل اليه انه اذا سلّم في خطته لا يوجد من يقوم بها ، فكان يتعلق باسباب واهية ينبني عليها تَغَيُّره ، ويتوجه الى المحمدية ، فيغضي له سيده ويلاطفه ، ويتجاهل له ، لا سيما في آخر دولة سيده .

اتفق انه تسبب بشيء لا أثر له فركب الى سانية الفدّان ، وبات بها ليالي ، ولم يتحقق الباي سبب تجنبه (1) ، فبعث له مملوكه محمد القائم باعباء خطته في الحضر ، ولما وصل لم يعلمه بانه رسول ، فقال له : « لاي سبب أتيت ؟ » ، فقال له : « لمغيبك عنا »، فذكر له سبب غضبه ، فقال : « هذا لا يغضبك ، ولِمَ لا تقدر بأنك اذا تجنبت ، يقدّمُ سيدك للخطة غيرك ؟ » ، فقال له : « لا يتقدم لذلك أحد » ، فقال له محمد : « أرى نفسي اقرب الناس اليك مثل ابنك ، وأنت الذي أظهرتني للوجود ، فلو يأمرني سيدك بأمر فيك ما توقفت في تنفيذه ، فأحرى غيري » ، فعند ذلك تنبه من سِنَة غروره ، واخذ في أهبة الرجوع الى باردو ، فبعد ذلك قال له محمد : « اني أتيتك رسولا من سيدنا لتقدم » ، وأخذ في نصحه . ومن الغد اصبح في موضع خدمته .

وكان سيده يلاقي من هذا الحال ما يضيق عنه نطاق التجلد ، وكان والدي وهو من أصدقائه كثيرا ما يعذله عن هذا الخلق ، ويقول له : « انك تسعى الى جلب الضرورة (2) لنفسك بنفسك مع انك تعلم ان رجال الدولة وأعيانها يحسدونك ، وكل يدعي انك أسأت اليه ، حتى باي المحالّ شقيق سيدك وقريبه في النسب ، فاذا غض سيدك طرفه عنك تفوّقَتْ اليك سهام الاعادي ، فرأس مالك والحالة هذه هو سيدك ، فاحتفظ برضاه ، ولا تعتمد البخت وحده ، وفي اقرانك من يرى نفسه مقدّما عليك » ، الى غير ذلك من النصيحة ، لو صادفت اذنا واعية ، واذا اراد الله انفاذ قضائه وقدره ،

(1) في خ و ع : مجيئه.
(2) الضرورة : الضرر (عامية تونسية) .

سلب ذوي العقول عقولهم ، حتى ينّفذ فيهم حكمه ، حتى كنا نظن ان سيده اذا أبل من مرضه الذي مات به هو الذي يقتله .

ولما توفي سيده ، رام ان يسير مع اخيه كما كان ، وقد زال المقتضي ووجد المانع ، ولكل مقام مقال ، ولكل زمان رجال ، فنقل أهله للمحمدية وسكنها .

وكان هذا الوزير آية الله في جمع المال ، وطرق حصوله بالاسباب النافقة في ذلك العصر ، من غير اجحاف ولا ضرر بالرعية ، مقتصدا في صرفه ، مقتصرا على الضروري، يرى ان ذلك هو القطب الذي تدور عليه الوزارة والمملكة ، وصدق فالمال المصون أقوى الحصون ، ومن قل ماله قلت آماله ، وتهاونت بيمينه شماله ، وساء معتاد عيشه ، وصغر في عين جيشه ، وفيا بعهده ، حافظا لكلمته ، سويّ الظاهر والباطن ، يرى الرفق بالرعية ، والشدة على العمال ، شاهدت ذلك منه مرارا لما كنت مختصا بكتابة ما يصدر من كتبه في بيت وزارته . أتاه بعض مشائخ نفطة يشكوه عسف العامل وهو يومئذ رستم (1) احد المماليك بالصرايا ، ولما سمع العامل بانه في بيت الوزير ، استشاط غضبا ، ودخل البيت بلا استئذان ، وقال له : « لا تسمع كلام هذا ، واسمع كلامي ، فاني مملوك الباي ، وسيفي من ذهب » ، فقال له برفق : « هوّن على نفسك ، فان فائدة سيدنا في رعيته لا فينا ، وأنت وهذا الذي احتقرته بين يدي سيدنا سواء » ، فخرج مغاضبا ، وهرب لدار القنصل ، ثم خرج وحده .

وكذلك فعل مع أبي عبد الله محمد شولاق في ولايته على عرش الطرابلسية ، لم يسعفه في غرض من أغراضه ، فهرب لدار القنصل ، وخرج وحده أيضا .

[وكان] سريعَ الغضب ، جريءَ القول ، عبوس اللقاء ، شديد الحزم ، ماضي العزم ، بعيدا عن منازع السياسة ، يراها مداهنة ، لا يبالي حتى مع سيده وبنيه ، وأقاربه وذويه ، والحال أنه وزير في دولة إطلاق ، فارسا راميا ، ثابتَ الجنان في المخاوف ، متجلدا على الاسفار وركوب الخيل ، صادق اللهجة في أقواله ، مسعودا في أعماله ، الى أن كبا جواده ، وفارقه إسعاده ، فقتل مخنوقا يوم الاثنين الحادي عشر (2) من جمادى الثانية سنة 1253 ثلاث وخمسين ومائتين والف (11 سبتمبر 1837 م.) . كما تقدم في خبر

(1) كذا في خ وفي ع و ق : رستام .

(2) هو 10 حسب التقويم.

مقتله بالباب الخامس من هذا الموضوع (1) ، قابله الله بعفوه ، وأعقب ابنا صغيرا هو الآن من الاعيان تلوح عليه سيماء النجابة ، غير معتمد على القرابة .

[227 ـ سليـــم أميـــر ألاى]

أبـو النجـاة سليـم أميـر آلاي .

هذا الرجل من المماليك ، نشأ في الخدمة بالصرايا ، وترقى الى ان صار امير آلاي عسكر النظام في ابتداء ترتيبه (2).

وكان خيرا وجيها ، ذا همة ومروءة وحزم ، متوسط الادراك ، معتمدا على جنسيته .

وتوفي يوم الاثنين الثامن عشر من جمادى الثانية سنة 1253 ثلاث وخمسين ومائتين والف (18 سبتمبر 1837 م.) ، ودفن بجبل الجلاز ، وحضر جنازته ابو العباس احمد باي .

وقام مقامه في خطته سميه ابو النجاة سليم ، وهو الآن رئيس الضبطية بالحاضرة .

[228 ـ سليمـان الموسكـو]

ابو الربيع سليمان آغة ، ويعرف بالموسكو .

هذا الرجل من مماليك الباي أبي محمد حمودة باشا . نشأ في خدمته الى ان صار باش آغـة .

وكان خيرا وجيها ، حازما واقفا عند الإذن ، طلق الوجه ، حسن اللقاء ، شجاعا صبورا . استأذن لاداء فريضة الحج فأذنه المشير أبو العباس أحمد باي ، وجهزه ، وسافر في رابع شعبان من سنة 1253 ثلاث وخمسين ومائتين والف (الجمعة 3 نوفمبر 1837 م.) ، وتوفي في الحجاز بعد أداء الفريضة .

---

(1) انظر ص 218 ج 3 .

(2) كذا في خ ، وفي ع و ق : تربيته .

[229 ـ محمد بن حمودة صدام]

الشيخ ابو عبد الله محمد بن حمودة صدام اليمني القيرواني .

نشأ في بيتهم الشهير بالقيروان ، وأخذ العلم عن ابن عمه الشيخ بكار صدام ، وابنه الشيخ محمد ، وأبي محمد حمودة الوحيشي ، وغيرهم من علماء القيروان . وحصل الملكة العلمية ، وتصدر للتوثيق ، وتقدم لخطة الفتوى .

وكان وجيها فاضلا ، خيرا نقي العرض ، عزيز النفس .

ولم يزل على حاله ، وحميد خلاله ، الى ان توفي في السادس والعشرين من شوال سنة 1253 ثلاث وخمسين ومائتين والف (الثلاثاء 23 جانفي 1838 م.) .

[230 ـ محمد شولاق]

ابو عبد الله محمد شولاق .

هو من الموالي ، وأصله من بلاد القرج ، ونشأ بالصرايا في خدمة الدولة ، وترقى في خططها الى ان صار آغة . وكان فارسا راميا ، مقداما جريئا ، متوسط الادراك ، بعيدا عن منازع السياسة ، يرى استحقاق الرتب السنية بالنسبة القرجية .

ولما ولّي عمل الطرابلسية طلب ان يضم اليهم عرش فرجان ، وقد كانوا خارجين عنهم ، يسوسهم شيخهم ، فلم يوافقه الوزير ، فهرب الى دار القنصل ، ولما صدر له الجواب بالسفر ندم ، وشمله حلم مخدومه الباشا ابي عبد الله حسين باي ، وأعاده الى الخدمة كما كان ، وصفا الجو بينه وبين الوزير . ثم اتهم بمداخلة الوزير شاكير صاحب الطابع في سبب قتله ، فنفاه الباشا ابو النخبة مصطفى باي ، وتورع عن إراقة دمه ، وخرج بسائر كسبه ، وذلك في سنة 1253 ثلاث وخمسين ومائتين والف (1837/38 م.) ، وتقلب في البلدان ، ثم طلب الرجوع فمنع ، وتوفي فجأة بطرابلس ، وأنف المشير أبو العباس أحمد باي من إرثه بالولاء ، فوهب ذلك لزوجه بطرابلس .

[231 ـ اسماعيل الباهي]

ابو الفداء اسماعيل ابن الشيخ علي
ابن الشيخ اسماعيل ابن الولي ابي العباس سيدي احمد الباهي .

نشأ هذا الماجد بين يدي أبيه في بيت مجدهم ، وقرأ على عمه أبي عبد الله محمد الباهي ، وعلى شيخنا أبي عبد الله محمد البحري بن عبد الستار ، والشيخ الطاهر . وكانت قراءته بغصب من أبيه ، فحصل ملكة المشاركة ، وما كاد ، وتقدم شيخا بزاوية جدهم ، بعد وفاة عمهم ، على مقتضى نص الحبس من أن النظر للاكبر في الذرية ، ولو مع وجود الاصلح .

وكان خيرا عفيفا ، ذا همة ووقار ، يغلب عليه الحياء ، مشتغلا بخويصّة نفسه ، مرموقا بعين اجلال .

ولم يزل على هذا الحال الى ان توفي سنة 1253 ثلاث وخمسين ومائتين والف (38 — 1837 م.) رحمه الله تعالى .

[232 ـ يوسف بن ذا النون]

ابو المحاسن يوسف بن ذا النون الزوابي (1) .

هذا السيد من أشراف باجة ، وبيتهم معروف بها ، وهاجر في طلب العلم الى تونس ، وأخذ عن أعلام كشيخ الشيوخ أبي محمد سيدي حسن الشريف ، وأبي عبد الله محمد الطاهر ، وابي اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، وابي عبد الله محمد الفاسي وامتطى ذروة التحصيل ، مع مجده الأصيل ، وقصر نفسه على التلاوة والعبادة ، والنظر في كتب القوم ، ملازما دوس شيخنا ابي العباس احمد الابّي لرواية « صحيح البخاري » كل يوم ، ويفيد السائلين .

انقطع الى الله في بيت بصحن جامع الوزير أبي المحاسن يوسف صاحب الطابع ، وكان شيخنا الرياحي يعظمه ، ويعرف له حقه ، ويقول له اذا حضر درسه : « أنت بحمد الله غني عن درسي » ، فيطأطيء رأسه ، ويقول له : « لا غنى لمسلم عنك » .

---

(1) انظر ص 146 ج 3 .

وكان ذا تقوى وعفاف ، قانعا بما دون الكفاف ، عالما ذكيا ، فقيها محدثا ، شاعرا ناثرا ، صوفيا اله في طريق القوم ذوق ، والى ما عند الله شوق ، ونزاهة لازمته ملازمة الطوق ، مهيبا معظما مقصودا للدعاء .

ولم يزل في عبادته ، وطرق سعادته ، الى ان مرض في بيته بصحن الجامع ، فحاوله والدي على ان يتحول الى دارنا فأبى ، وطلب منه عوض ذلك ان يهب له قبره بقبة الولي سيدي مصطفى في سقيفة الجامع ، وان يصرف على تجهيزه مما يجده من مخلفه ، فأجابه لذلك ، وبقي والدي في معاناته ، وربما استعان بي الى آخر ساعاته ، فجهزه من مخلفه كما اوصى ، ودفنه في قبره ، وما فضل من مخلفه دفعه لورثته .

وكانت وفاته سنة 1253 ثلاث وخمسين ومائتين والف (38 — 1837 م.) ، ثم ندم أبي على هبة قبره ، وببركته تيسر له قبر في القبة المذكورة ، رحمهما الله .

[233 ـ احمد بن عمار]

أبو العباس الحاج احمد بن عمار .

نشأ هذا الرجل في الخدمة بين يدي الباي أبي محمد حمودة باشا ، وله سلف فيها ، وتقدم باش حانبة بعد وفاة أخيه أبي الفلاح صالح بن عمار ، الا أنه زاد على اخيه باللسان التركي واللسان الطلياني .

وكان محببا لمخدومه ، نبيه المنزلة عنده ، فصيح اللسان ، ماهرا في خدمته ، مفرطا في المحافظة على ناموسه ، متوسط الفكر ، وجيها مهيبا .

توفي يوم الجمعة السادس عشر من ربيع الثاني سنة 1253 ثلاث وخمسين ومائتين والف (20 جويلية 1837 م.) ، وله عقب ، وتولى ابنه الاوسط خطته بين يدي أبي النخبة مصطفى باي ، فسار على سنن أبيه ، وتوفي في دولة المشير أبي العباس أحمد باشا باي .

[234 ـ محمد البحري بن عبد الستار]

العلامة شيخنا ابو عبد الله محمد البحري بن عبد الستار.

نشأ هذا النحرير بين يدي أبيه ، وأخذ عنه ، وعن الشيخ احمد البكاي مبادىء العلوم .

ولما حصل الملكة دخل الجامع الاعظم ، وأخذ عن أعلامه كالشيخ ابي محمد سيدي حسن الشريف ، والشيخ الطاهر ، والشيخ سيدي ابراهيم ، ولازم شيخ الشيوخ سيدي حسن الشريف .

ولما امتلأ بالعلم حوضه ، وأثمر روضه ، تصدر للتدريس بجامع قرب داره ، لبعدها عن الجامع الاعظم ، وهرعت الى دروسه الطلبة ، فأفاد وأجاد ، واتى بما يستجاد ، وتلقى راية العلوم المعقولة والمنقولة باليمين ، وهو على هذه الرتبة لم يفارق درسه على شيخه أبي اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي .

وتقدم لخطة القضاء بالمحلة ، فظهرت براعته . وتقدم للخطبة بجامع أبي محمد الحفصي . وتقدم لخطة القضاء بالحاضرة ، فحل المشكلات ، وفصل النوازل الموقوفة ، وصدع بالحق ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، ويرجع في توقفه لشيخ الفتوى أبي الفداء اسماعيل التميمي ، وربما يعارضه ، فيرجع الشيخ لفهمه ، ويدعو له . وكان أيضا يراجع شيخه ابا اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، ويعارضه معارضة افضت الى وحشة بينهما ، نسأل الله ان يجمعهما في صعيد واحد ، ويغفر لهما ، كما ورد .

وكان رحمه الله متبحرا في العلوم الفقهية وغيرها ، ذكي العقل ، ثابت النقل ، معدودا من حفاظ المذهب ، تقيا عفيفا ، عالي الهمة ، نقي العرض ، معظما عند الملوك والعامة ، حسن المحاضرة ، يحاضر تلاميذه محاضرة الاكفاء ، ويباحثهم تدريبا لهم ؛ حضرته يوما بداره ؛ وقد شكته أمة من سيدها ، بانه ضربها ضربا مبرحا ، ومثّل بها ، والمثلة بادية ببدنها ، فأحضر سيدها ، فلم ينكر ، وعنفه ، وحكم بعتقها عليه ، وأمرني بكتابة الحكم فكتبته بين يديه ، فأمضاه وناوله الأمة ، واحسن اليها ، احسن الله اليه ، وكأنه استحسن كتابة الحكم فدعا لي .

ولم يزل في برود اجلاله ، متجملا بكماله ، وحسن خلاله ، جاريا على الحق في أقواله وأعماله ، الى آن منيته وانتقاله ، ليلة الاربعاء الحادي والعشرين (1) من ربيع الاول سنة 1254 اربع وخمسين ومائتين والف (13 جوان 1838 م.) ، ودفن بزاوية سيدى أبي عصيدة ، قرب دار أبيه ، واعقب ابناء هم الآن من الاعيان ، رحمه الله تعالى .

---

(1) هو 20 حسب التقويم .

[235 ـ الحاج بالضياف]

الحاج بالضياف بن عمر بن أحمد بن نصر بن محمد ابن المجذوب
سيدي احمد الباهي العوني ، نفعنا الله بـه

هذا الرجل ، هو والد العبد الفقير ، واصله من بيت ينسب الى صلاح في قومه ، كزوايا العربان ، وجده كان سائحا مجذوبا ، مات في سياحته قرب وادي الزرقاء ، على طريق باجة ، ودفن حيث مات وبنى على قبره الباي حمودة باشا المرادي قبة معروفة به الى الآن ، لانه كان يعتقده ، وحبس على زاويته بسليانة هنشيرا هو الآن بيد ذريته ، مع ما بأيديهم من صكوك الامراء المتقدمين المنسوخ معناها ، الباقي لفظها .

وولد صاحب الترجمة في ناجعة قومه ، ومات أبوه في الطاعون الجارف ، فكفله جده احمد ، واتخذ له معلما في البادية ، ثم أتى به للحاضرة ، فحفظ القرآن بالزاوية الباهية . وكان يخصه شيخه الولي العارف بالله سيدي احمد الباهي بشيء من عنايته ، ثم انتقل في طلب العلم الى مدرسة حوانيت عاشور ، وقرأ بالجامع على الشيخ أبي عبد الله محمد الغرياني ، والشيخ الغنجاتي ، والشيخ سالم اليعقوبي ، وحصل شيئا يقربه الى جهة المشاركة مع الطلبة ، ومات جده الذي كان ينفق عليه ، وصعب عليه الرجوع الى البادية ، بعد نعيم الحاضرة ، فطلب التكسب ، وآثره على العلم ، واستكتبه القائد عثمان المملوك ، عامل قفصة ، وامتزج به ، وكان ينوبه في عمله ، فأتى بحساب صاحبه الى رئيس الكتبة يومئذ ابي عبد الله محمد الدرناوي ، وتوقف معه في أمر اقتضى نشر النازلة بين يدي الباي ، وكأنه استحسن مناضلته على صاحبه ، فبعث له ليوليه كاتبا في بيت خزنه دار ، فقال له : « ان مملوكك عثمان خالطته وربحت منه ، ولم أر منه ما يسوءني ، على أنني في كل حال على خدمتك ، سواء كانت في بيت خزنه دار ، أو مع القائد » ، فلم يغصبه ، الى ان توفي القائد عثمان ، فبعث له وأحضره ، وأولاه كاتبا في بيت خزنه دار ، وضمه لوزيره أبي المحاسن يوسف صاحب الطابع في مبادىء ترقيه ، وقال له : « انما اخترته لك لوفائه لصاحبه عثمان » ، فامتزج به ، وصار صاحب سره ومشورته ، وترقى الى ان صار رئيس الكتبة في بيت خزنه دار ، ولصاحب هذه الرئاسة ما لكتاب المحكمة يومئذ . استكفى في هذه الرئاسة بصاحبه وكاهيته أبي عبد الله محمد المسعودي ، لشغله بكتابة الوزير ، ويكتب للباي أسراره عند مغيب الرئيس ، ويحضر في نادي مشورته .

وسافر مع الوزير الى اسلامبول ، وصاحَبَه في المحالّ ، الى ان توفي الوزير أبو المحاسن يوسف صاحب الطابع ، وامتحن أتباعه ، وهو منهم ، ودافع عنه الاجل ، فسجن مثقلا في الحديد ، وهو آخر من تسرح من أصحاب الوزير ، وخرج من ماله الذي آثره على العلم ، كيوم ولدته أمه . ويوم تسريحه بعث له أبو عبد الله حسين باي بمائة محبوب ، زق بها أفراخه ، المنقولين من عشهم الى بيت جدهم للأم ، وأعانه الوزير ابو عبد الله محمد العربي زروق بما سد رمقه من دراهم وقمح وكسوة ، ثم بقي يلاقي البؤس والضنك ، مرتادا لاسباب المعيشة الى ان اجتباه الباي ابو عبد الله حسين باشا ، واستكتبه على يد الوزير ابي عبد الله حسين خوجة ، (احد مماليك الوزير أبي المحاسن يوسف صاحب الطابع ، ورد عليه ما بقي من ربعه وعقاره ، بما في رسومه من الثمن ، ثم أسقطه عنه ، وبقي في خدمته مكرما في صحبة الوزير أبي عبد الله حسين خوجة) (1) ثم في صحبة الوزير أبي محمد شاكير صاحب الطابع ، الى ان قيده عجز السن ، فبقي في محله على ماعهده من إكرام ، مُوَفّى الجراية ، يستحضر في المشاور .

ولم يكن في العلم ذا بضاعة ، سوى أنه حسن الخط ، يحب العمران بطبعه ، مقتصدا في حاله ، يميل الى الخمول والسجية العربية ، يحب الصالحين ، ويعظم العلماء ، ولا يطلب منهم الا الدعاء للعبد الفقير ، ولا أزكيه وأنا ابنه ، ولاهل الحاضرة عمرها الله تعلى محبة فيه ، رأيت أثرها بعد محنته ، وأنا صبي ، ولم نسمع عنه الا ما يقتضي شكر الله ، وأرجو ان أكون من عمله الباقي بالدعاء له ، ولجميع المسلمين .

ولما حضرته الوفاة أحضرني ، وقال لي : « أنا ميت في هذا المرض ، فلا تفارقني ، وذكرني الله ، ورحمته الواسعة ؛ فما أعددتك الا لهذا الوقت » ، وجعل يوصي كالمسافر ومنها ان يدفن في قبة الولي سيدي مصطفى ، بجامع صاحب الطابع ، ويسر الله ذلك ، ومدة مرضه ثلاثة ايام ، صلى فيها العشاء بالايماء ، ولم يزل يقرأ سورة الاخلاص الى آخر انفاسه المعدودة ، في جمادى الثانية سنة 1254 اربع وخمسين ومائتين والف (اوت — سبتمبر 1838 م.) ، رحمه الله ، ورحم جميع المسلمين .

---

(1) ما بين القوسين ساقط من خ ، مثبت في ع و ق .

[236 ـ سالم المحجوب]

أبو النجاة الشيخ سالم المحجوب .

هذا الشيخ من بيت شرف وفضل ، أخذ العلم بالجامع الاعظم ، وأخذ عن ابن عمه شيخ المالكية ورئيس الفتوى ابي عبد الله محمد المحجوب ، وحصل ملكة فقهية وشيئا من غيرها ، وتقدم لخطة القضاء في بنزرت ، ثم نقل الى خطة القضاء بباردو ، ثم الى خطة القضاء بالحاضرة ، فظهر قصوره ، وكان لا يرجع الى ارشاد المفتين اذا غلط ، فكتب اهل المجلس الشرعي بذلك للباي ، فصرفه عن خطة القضاء ، في ذي القعدة من سنة 1241 احدى واربعين (جوان — جويلية 1826 م.) ، وابقى ما كان بيده من الخطط العلميــة .

وكان فقيها يحسن الفرائض وشيئا من التوثيق ، ليّن الجانب ، متواضعا ، بعيدا عن التصنع .

ولم يزل على حاله الى ان توفي سابع شعبان من سنة 1254 اربع وخمسين ومائتين والف (الجمعة 26 اكتوبر 1838 م.) ، رحمه الله .

[237 ـ سليمان كاهية]

الوزير الشهير ابو الربيع سليمان كاهية

اصل هذا الشهم من بلاد القرج ، ونشأ في خدمة الباي أبي محمد حمودة باشا ، ولازمه ملازمة الظل ، وهو من الناس الذين ألقوا بانفسهم الى افتكاكه من فتكة بعض مماليكه ، ووقاه الله من الجرح ، وتدرج في الخدمة الى ان صار آغة وجق باجة ، واستكفى به في المهمات ، وتطويع العصاة ، ثم قدمه كاهية للسفر بالمحالّ صيفا وشتاء ، في ذي الحجة من سنة 1221 احدى وعشرين (فيفري — مارس 1807 م.) فأمن الطرقات ، وضرب على ايدي اهل الحرابة من البغاة ، وحمد في ذلك أثره ، وبقي خبره .

وصاهره الباشا ابو الثناء محمود باي على بنته ليلة ولايته ، وبنى بها في دولته .

وله أثر جميل ، في ثورة الترك على هذا الباي ، وذلك أن ابنه كان يتنزه في المرناقية ،

فركب له ليلا في عقد من الفرسان ، وأتى به على طريق المرناقية ، خشية أن يتعرض له الترك ، وقد فعلوا ، ففاتهم (1) .

وكان محبيا عند العربان ، مطاع الرأي فيهم . ولما عصت قبيلة عمدون من الجبل ، واعصوصبوا على شيخهم بوترعة ، أتى الباي وقال له : « أتؤمّن هؤلاء الناس ، ويأتيك بوترعة طائعا منقادا تائبا ، وذلك خير من سفك الدماء » ؟ ، فقال له الباي : « هم في أمان ، ولا غرض لي في سفك الدماء » ، فكاتبه ، فأتى طائعا خاضعا نادما ، فكساه الباي ، وبعد زمان رده الى جبله .

وكان معظما مكرما ، محبوبا عند الصغير والكبير ، من البيت الحسيني ، وفيا بالعهد ، يرقب صحبة ساعة . لما توفي أبي ، وهو بسانيته بالمرسى ، بلغني انه يريد القدوم الي بتونس معزيا ، فأكبرته ، وهو شيخ مسن ، وأتيته بسانيته ، ولما رآني بكى ، وقال : « لا لذة في الحياة بعد موت الاصحاب » .

ومن طبعه الرفق بالرعية ، كان بيده عمل اولاد بوسالم ، ويقع بينهم ما يقع بين العربان من التحاسد والتشاجر ، فكان اعظم زاجر لهم ان يقول لهم : « غداً أسلّم في ولايتكم » . أدركت بعض أعيانهم أتوا الى والدي مستشفعين به من تصميمه على التسليم في ولايتهم ، وبذلك استقام حالهم ، وحسن مآلهم ، فأثاروا الارض وعمروها .

وكان رحمه الله خيرا وجيها ، عفيفا نقي العرض ، له الى الله وجهة حسنة ، مؤثرا للخير ، لم تحفظ له مضرة لاحد ، واسع الصدر ، رزين العقل ، عظيم الصبر ، قليل الخوف ، ثابت القدم في الازمات ، شهما شجاعا ، حسن الخلق ، يصفح عن الزلة ، ويتغافل تغافل المؤمن الغر الكريم ، عزيز النفس ، وقور المجلس ، شديد المعارضة في النصيحة ، لا سيما في الرفق بالضعفاء ، شديد النكير على العمال ، محبوبا عند العربان ، معظما في الدولة ، ادركنا عظماءها يجلونه ويعاملونه معاملة الابناء للآباء .

ولم يزل معظما مكرما ، لا ينعقد اجماع بدونه ، ويستشار في المهمات ، الى ان توفاه الله على أحسن الحالات ، في دولة المشير ابي العباس احمد باي ، ليلة الثلاثاء الخامس عشر (2) من رمضان سنة 1254 اربع وخمسين ومائتين والف (4 ديسمبر 1838 م.) ، ودفن بصحن التربة الحسينية ، رحمه الله تعالى ، وله عقب من الاعيان الآن .

(1) انظر ج 3 ص 116 .

(2) هو 17 حسب التقويم .

[238 ــ علي النفاتي]

الشيـــخ أبـــو الحسن عـلي النفـاتـي .

نشأ هذا الشيخ في بيت رفيع العماد ، كثير الافراد ، وقرأ وحصل ملكة العلم ، وتصدر للشهادة فكان من رجالها المعدودين ، وتولى شهادة الديوان ، وصرف عنها لخصومة بينه وبين احد العظماء في الدولة ، في حد هنشير يملكه من أجداده خلفا عن سلف ، والحوز بيده ، وحمله الجور على الاستطالة بالقول .

وكان وجيها خيرا ، عفيفا نقي العرض ، أبيّ الضيم .

وفي آخر عمره اعتراه حال يشبه الجذب .

ولم يزل يتضرع الى الله في انصافه ممن مسّ عرضه ، وغصب أرضه ، الى ان توفي في سنة 1254 اربع وخمسين ومائتين والف (39 — 1838 م.) ، وعند الله تجتمع الخصوم .

[239 ــ محمد السنوسي الكافي]

الشيـــخ أبـو عبد الله محمـد السنـوسـي الـكـافي .

نشأ هذا الفاضل في طلب العلم ، وجدّ في تحصيله ، وأخذ عن أعيان كالشيخ الشحمي ، والشيخ الغرياني ، ولازم الشيخ صالح الكواش ، فانتفع به .

وتقدم للتدريس والخطط العلمية ، وتقدم لخطة القضاء في بنزرت ، ثم الى الخطة بباردو ، وانتقل منها لقضاء الحضرة ، فسار في الخطة سيرة أهل الفضل ، من قضاة العدل.

وله رجز في الاحكام ، أطول من نظم ابن عاصم .

وكان عالما فقيها ، حافظا ثبتا ، واسع الاطلاع ، عفيفا تقيا ، شديد المراقبة لربه ، قريبا من الزهاد ، نقي العرض ، حسن الاخلاق ، جميل الصبر ، جميل المحاضرة ، أديبا ناظما ، متواضعا محببا الى الناس .

ولم يزل على حالاته المرضية ، وأخلاقه الزكية ، الى ان لبى داعي المنية ، أواخر شعبان سنة 1255 خمس وخمسين ومائتين والف (أوائل نوفمبر 1839 م.) .

[240 ـ محمود الجلولي]

أبو الثناء محمود بن بكار الجلولي .

هذا الرجل من بيت أصيل ، عَريق في الخطط السياسية ، خلفا عن سلف ، مع وجاهة وذكر جميل .

ونشأ صاحب الترجمة على سنن أسلافه ، وتنقل في الخطط والاعمال ، مع حظوة واختصاص تقريب ، ورتبة نبيهة عند مخدومه الباي ابي محمد حمودة باشا ؛ وهو من رجال مشورته ، وله في الخدمة آثار مذكورة .

توجه سفيرا لمالطة سنة خمس وعشرين (11 — 1810 م.) ، وبقي بها ما يقرب من ثلاث سنين لانشاء سفن حربية وآلات حرب ، واحسن السفارة ، وقضى الوطر ، وجعل ضيافة لحاكم مالطة يومئذ ، فجاءه لمحله ، وتفنن في إكرامه ، وعلا كعبه في التجارة والغنائم .

وكان وجيها فاضلا ، ماضي الفكر ، بصيرا بالعواقب ، عزيز النفس ، عالي الهمة ، جميل السيرة في اعماله ، صبورا حسن الاخلاق ، مع وقار .

وله كتب ينتفع بها طلبة العلم بصفاقس ، وله كتب بداره في الحاضرة لا يمنع من يريد الانتفاع بها ، وهي التي انتفعت بها في قراءتي ، أجزل الله له ثوابه .

وله في النحو والفقه ملكة المشاركة ، وله معرفة تامة بالتاريخ .

ولما طعن في السن ، شقت عليه مطالعة الكتب ، فاتخذ من يحسن القراءة ، يأتيه كل يوم لقراءة ما يريد مطالعته .

ولم يزل معظما مقربا عند مخدومه ، ومَن بعدَه من الملوك ، الى ان توفي طاعنا في السن ، ليلة الثاني والعشرين من رمضان سنة 1255 خمس وخمسين ومائتين والف (الجمعة 29 نوفمبر 1839 م.) .

[241 ـ حسين بن عبد الستار]

أبو عبد الله حسين بن الحاج عبد الستار المانسي .

نشأ هذا الشيخ بين يدي أبيه كاتب الوزير الحاج علي بن عبد العزيز ، وحضر معه الحروب ، وله ذكر جميل في « التاريخ الباشي » ، وكان رئيس الكتاب ببيت

خزنه دار ، مقربا عند الباشا ابي الحسن علي باي ، فاعتنى بابنه هذا ، وقصره على استفادة العلم ، فأخذ عن أعلام منهم الشيخ صالح الكواش ، والشيخ الغرياني ، ولازم ذكي العصر أبا عبد الله محمد بن سعيد ، المتقدم ذكره ، وحصل ملكة حسنة ، ودرّس بجامع سيدي أبي عصيدة قرب داره ، وتدرب به ابنه المتقدم ذكره ، ثم اشتغل بخويصة نفسه ، مدبرا لمعاشه ، غير غافل عن معاده .

وكان فقيها مشاركا ، ذا عفة ، وقور المجلس ، حسن المحاضرة ، نقي العرض ، يميل الى الانفراد .

وامتحن بموت اكبر بنيه قاضي العصر شيخنا البحري .

ولم يزل على حاله . الى ان توفي في غرة ذي الحجة سنة 1255 خمس وخمسين ومائتين والف (الاربعاء 5 فيفري 1840 م.) رحمه الله تعالى .

[242 ـ محمد التومي]

أبو عبد الله محمد التومي .

من أعيان بيوت الاندلس ، نشأ في وجاهة وثروة ، وكان خيرا فاضلا ، كريم النفس حسن الاخلاق ، من اعضاء مجلس المتجر ، يقدم من ماله الزاد ، ليوم المعاد .

وتقدم أمينا على صناعة الشاشية ، فحمدت سيرته .

ولم يزل على حاله ، في جمال كماله ، الى أن توفي في الخامس والعشرين من ذي الحجة سنة 1255 خمس وخمسين ومائتين والف (السبت 29 فيفري 1840 م.) رحمه الله تعالى .

[243 ـ احمد بن عاشور]

أبو العباس احمد بن محمد الشاذلي
ابن عبد القادر بن محمد بن عاشور .

نشأ هذا الشيخ مع آل بيته في عفة وصيانة ، وهو من بيت شرف أصيل ، وصلاح اثيل بالاندلس ، خرج جدهم منها فارّا بدينه الى سلا من بلدان المغرب ، ومنها انتقل لحاضرة تونس ، واستقر بها ، جامعا بين شرفي النسب والاكتساب ، ملازما للعبادة ، زاهدا في الدنيا .

ولهذا البيت خبر طويل ، وذكر جميل ، في تاريخ الوزير ، وتاريخ حسين خوجة

واقبل صاحب الترجمة على العلم ، فأخذ عن أعيان منهم الشيخ العيوني ، والشيخ المشاط ، والشيخ سيدي حسن الشريف وغيرهم .

وحصل ملكة العلم ، ودرّس في الجامع الاعظم النحو والفقه ، يرتزق بصناعة التوثيق .

وكان خيرا عفيفا ، وجيها عزيز النفس ، حسن الاخلاق ، معدودا في الاخيار .

ولم يزل على حاله ، سالكا نهج الفضلاء آله ، الى ساعة انتقاله ، سنة 1255 خمس وخمسين ومائتين والف (40 — 1839 م.) ، ودفن بزاوية جدهم المعروفة باسم تلميذه سيدي علي الزواوي ، المنسوب اليه الباب (1) .

[244 ـ عبد الملك العوني]

الشيخ عبد الملك بن أحمد الحمّادي العوني .

نشأ هذا الشيخ في بيت صلاح واعتقاد ، وزاوية سيدي حمّادة من أشهر زوايا هذه القبيلة ، وحفظ القرآن ، ورحل من ناجعته لقراءة العلم بالحاضرة ، فسكن المدرسة الحسينية ، وأخذ عن أعلام منهم الشيخ صالح الكواش ، والشيخ سيدي حسن الشريف ، والشيخ الطاهر وغيرهم ، مع فكر حديد ، وباع مديد ، فحصل العلم ، وله في الادب راية خافقة ، وعقود متناسقة .

وضمه الباي أبو محمد حمودة باشا للكتابة في بيت خزنه دار ، فأقام على ذلك نحو الجمعة (2) ، ثم طار به جناح الجذب الى ناجعته ، وطلق الدنيا ، وخطب المرتبة العليا ، ووفل في الحلل من حالات الاولياء .

وسافر مع الوزير أبي المحاسن يوسف صاحب الطابع في محلة سرّاط ، وجلّى في ميادين الحروب ، ولما رجعت المحلة منصورة ، طلب له الوزير ارضا من هنشير سليانة ، فقال له الباي : « لاي سبب ؟ » ، فقال له الوزير : « انه رجل صالح » ، فقال له :

---

(1) هو الباب المعروف بباب سيدي عبد الله .

(2) نحو الجمعة : نحو اسبوع .

« وأي كرامة له ؟ » ، وكان الوزير سليمان كاهية حاضرا ، فقال له : « لا كرامة له ، ولا ولاية ، يستحق هذه الارض لثباته وشجاعته : شاهدته بعيني يهجم على صف الجند ويُنْكي ، غير مكترث بموت » ، فقال له : « نعم » ، وأعطاه الارض ، وهو غير مكترث بها .

وله كرامات مذكورة لوقتنا هذا .

وكان عالما ذكيا ، أديبا ناظما ناثرا ، فصيح اللسان ، بليغ البيان ، ثابت الجنان ، حسن المحاضرة .

ولم يزل معتقدا معظما ، مقصودا محبيا ، الى ان دعته المنية فلبى في محرم من سنة 1256 ست وخمسين ومائتين والف (مارس 1840 م.) ، وأعقب أولادا سلكوا هذه المسالك ما بين مجذوب وسالك ، أصغرهم أبو العباس احمد ، سعى في الخير ، ولم تزل مساعيه تحمد .

[245 ـ دلوار المملوك]

هو من مماليك الباي أبي محمد حمودة باشا ، نشأ في خدمته صغيرا واختص به الباشا أبو عبد الله حسين باي ، وجعله خزنه دار عنده ، ورام ان يصاهره ، وهو غير مكترث بالخدمة ، جارٍ في ميادين الصبا واللهو ، غير مفكر في عاقبة ، وآل امره الى النفي بجربة ، وكف بها بصره ، ومات بها في اواسط هذا القرن الثالث عشر ، وكان جريئا ، متجاهرا بما يستحى منه ، بعيدا عن السياسة ، الا انه حسن النغمة بتلاوة القرآن ، قرأ مع الخوجات في المحفل ، يوم اقامة الصلاة بجامع الوزير أبي المحاسن يوسف صاحب الطابع ، ولم تخرجه صناعة الالحان عن آداب تلاوة القرآن ، وقابلته الاسماع بالاستحسان . وكان راميا فارسا ، رحمه الله تعالى .

[246 ـ محمد بن عامر]

أبو عبد الله محمد بن عامر العوني .

هو من بيوت قبيلة اولاد عون ، ومن المشائخ الذين يرمقهم أبو محمد حمودة باشا بعين النجابة ، وينتظر منهم الاصابة ، وسئم من عناء الخيام ، فأتى الحاضرة ، وثبت في الشواش ، وانتخبه الوزير شاكير صاحب الطابع للخدمة معه ، ثم صار كاهية بالوجق التونسي ، وتقلب في أعمال القبائل كماجر .

ولما توفي الوزير شاكير صاحب الطابع استقر بالقيروان ، كواحد من أهلها ، متفيئا وارف ظلها ، ينفق من ماله ، على قدر حاله .

وكان وجيها ، كثير الصمت ، ليس فيه من السجايا العربية الا الحياء وركوب الخيل .

ولم يزل على حاله ، مسرورا باعتزاله ، الى ان توفي سنة 1256 ست وخمسين ومائتين والف (41 — 1840 م.) بالقيروان .

[247 ــ على المازغنى]

الشيخ أبو الحسن علي المازغني .

أصله من زاوية المازغني الشهيرة بعمل طرابلس ، وقدم أبوه لعمل تونس ، وسكن ببيت الخيام تارة عند جلاص ، واخرى عند اولاد عون ، والقبائل يُجِلُّونه احتراما لجده.

وقدم ابنه صاحب الترجمة مع أخيه للحاضرة ، فقرأ القرآن بالزاوية الباهية ، وأخذ عن صاحبها الولي العارف بالله سيدي احمد الباهي مباشرة ، ثم رجع لخيامه . وكان ممتزجا بأبي عبد الله محمد بن السبوعي عماد قبيلة جلاص ، فأنهى ذكره للوزير أبي المحاسن يوسف صاحب الطابع ، وجمعه به ، فتعلق به الوزير ، وصار من أهل سمره ، ويبيت عنده ، وتعلق به الباي أبو محمد حمودة باشا ، فصار من أهل نجواه ، فيما يتعلق بأحوال العربان ، وشاع له ذكر .

وكان ينزل بدارنا لصحبة بينه وبين أبي في المكتب ، ايام الصغر ، ونمت بنموهما .

وكان خيرا عفيفا ، حسن الوجهة الى الله ، عليه سيماء الخير ، آية الله في الوفاء .

تسلف من والدي ثلاثة آلاف ريال ، وكتبها والدي في زمامه ، ولما وقعت به المحنة ، وخرج من ماله كيوم ولدته أمه ، ومن جملته ديونه التي بزمامه ، والتي بالرسوم ، بعث له الوزير يتقاضى الثلاثة آلاف ريال ، فأتى لابي في محبسه ، وقال له : « لِمَ لم تضرب على الثلاثة آلاف ريال ، والحال أني دفعتها لك ؟ » ، فقال له الوالد : « هكذا قدر الله » ، ثم اتى الوزير ابا عبد الله محمد العربي زروق وقال له : « ان الدراهم دفعتها لرب الدين قبيل محنته » ، فصدقه الوزير ، وطلب منه ان يشطب على اسمه في

الزمام ففعل . ولما فرج الله كـرب السجن عن أبي ، أتاه بالثلاثة آلاف ريال ذهبا ، فدفع له أبـي نصفها ، فأنف لذلك ، وردها على أبـي أسوأ ردّ ، وقال له : « انـي وان كـنت فقيرا من الدنيا ، فان نفسـي بحمد الله غنية ، ولا أرضى لنفسـي أن ترانـي متحيلا لهذا الغرض ، وأنت من أقرب أصدقائـي » ، فخجل أبـي ، ثم قال له مسليا : « سنأخذ منك ضعفها اذا أبدل الله العسر باليسر » .

وكان فصيـح اللسان ، حسن المحاضرة ، بديهـي الجواب . أتى دارنا ، وكان أبـي قبيل المغرب مشغولا بدفع ما لزمه دفعه لاربابه ، فسلم عليه سلام مستعجل ، وأمرنـي أن أدخله وأكـون في خدمته ، وبعد صلاة المغرب ، أتى وقال له : « يا سيدي علي شغلتنـا الدنيا الفانية عن أصحابنا » ، فقال له : « تعلمها فانية ، وشغلتك ، فـكـيف لو رأيتهـا باقية ؟ » ، فضحكـا .

وأصيب قبل موته ببصره ، وكان يقول لنا : « ناشدتـكم الله ، اذا عَمِـيَ بصري أن تسامحونـي من الجدال فانـي اصير كالحية ، سمها في لسانها » .

وكان مشغوفا بحب الشريف سيدي محمود محسن ، يـكـرر زيارته مهما أتى لتونس ، فقال لي يوما : « قُدْنـي الى دار سيدي محمود » ، فقدته قود صحيـح ، فقال لي : « ساعدنـي يا بنـي ، فاننـي أعمى جديد » .

وتنقل عنه الـكـرامات ، ملونة بالمقامات . أراد السفر لبيته فمنعه أبـي حتى يحضر لعرس الوزير أبـي المحاسن يوسف صاحب الطابع ، فبـكـى وقال : « رأيته في المنام ، رقَى نخلةَ ومدّ يده لتناول عُرجون منها ، فسقط فانقطع ظهره » ، وبات تلك الليلة في أسف ، وحـزن .

واجتاز سوق العطارين فرآنـي بحانوت جدي ، وانا صغير ، وأبـي في محنـة السجن ، فأتانـي وقال لي : « بشّر أمك فان والدك تسرح » ، وتسرح اثر ذلك بايام .

وكان يدعو الله ان لا يريه مصرع حفيده قظوم ، ولا مصرع خليله محمد بن السبوعـي .

ولو تتبعنا حديث كـراماته ، ولذيذ جواباته ، حرجنا الى التطويل .

ولم يزل مرموقا بعين اجلال ، متجملا بما فيه من الخلال ، ومحاضرته جارية مجـرى الامثال ، منسوجة على غير مثال ، الى ان لحق برحمة الرب المتعال سنة 1256 ست وخمسين ومائتيـن والف (41 — 1840 م.) .

[248 ـ علي العنابي]

أبو الحسن علي العنابي .

من أعيان التجار الاخيار بهذه الحاضرة ، أحد أركان مجلس الحكم المتجري .

وكان خيرا ، عفيفا وجيها ، ذا صدقات سرية ، ليّن الجانب ، بعيدا عن الفضول ، وفيّ العهد ، معدودا في الاعيان ، ذا وقار وسكينة .

توفي في صفر سنة 1257 سبع وخمسين ومائتين والف (مارس — افريل 1841 م.) .

[249 ـ محمد القسطلي]

السيد محمد بن محمد القسطلي .

هذا السيد من أشراف الاندلس ، وأعيان بيوتها . نشأ في صيانة ووجاهة ، ولسلفه في الدولة الحسينية خدمة وقرب ووثوق .

وأبو صاحب الترجمة هو الذي بعثه الباشا علي باي الى الجزائر ليأتي له بعياله وأمهات أولاده ، فأتى بهم في البحر .

ولهذا البيت ولاية دار السكة ، والامانة على سبك النقدين وعيارهما . وكان هذا السيد شديد التحري في ذلك ، يعلم مقدار ما على خطته من الثقل ، وله خبرة وبصارة ، في غير النقدين من الاحجار الثمينة .

وكان وجيها فاضلا ، نقي العرض ، عزّز شرف النسب ، بشرف مكتسب ، ذا همة ووقار ، وشيء من تغفل الاخيار .

وتوفي اواخر شعبان من سنة 1257 (سبع وخمسين ومائتين والف (اواسط اكتوبر 1841 م.) واعقب ولدا سميّه ، جرى على قدم سلفه ، وحافظ في الخطة على معالم شرفه ، وتوفي سنة ست وستين (50 — 1849 م.) ، فاعقب ابنا صغيرا ، كفله في خدمة الخطة صاحب أبيه أبو عبد الله محمد بن عاشور ، حتى بلغ الاشد . وكان المشير أبو العباس أحمد باي يثني على هذا الوفاء ، ويتعجب من هذا الصفاء ، ولا عجب من هذه الاوصاف ، اذا كانت قائمة بالاشراف .

[250 ـ محمد السقاط]

الشيخ أبو عبد الله محمد السقاط .

والد هذا الشيخ هو الذي قدم من حاضرة فاس ، واختار المقام بهذه الحاضرة ، محترفا بالتجارة في العطارين ، ونشأ أولاده في ظل تربيته ، وصون وجاهته ، فأقبل صاحب الترجمة على العلم ، وأخذ عن أعلام كشيخ الشيوخ سيدي حسن الشريف ، والشيخ الطاهر ، والشيخ سيدي ابراهيم وغيرهم .

وحصل ملكة العلم ، فتصدر للاقراء بجامع الزيتونة ، ونفع الطالبين ، وتقدم للخطط العلمية ، وجلّى في التوثيق .

وكان عالما فقيها ، محصلا موثقا ، خيرا عفيفا وجيها ، زكي النفس ، جميل العرض ، محافظا على مروءته .

ولم يزل على حاله ، متجملا بحسن خلاله ، الى ان توفي ليلة الجمعة منتصف (1) رمضان سنة 1257 سبع وخمسين ومائتين والف (29 اكتوبر 1841 م.) ، وأعقب ابنا هو الآن قاضي الفريضة ، وشاهد بيت المال ، معدود في الاعيان .

[251 ـ محمد شلبي]

أبو عبد الله محمد شلبي .

من اعيان بيوت الاندلس الوافدين على الحاضرة .

وكان وجيها خيرا ، ذا وقار ، عزيز النفس ، فاضلا ، من اركان مجلس الحكم المتجري .

وتقدم شيخا على الاندلس ، يرتزق بالتجارة .

ولم يزل على حاله المحمود ، من اقتفاء اثر الآباء والجدود ، الى ان حل به الاجل المعدود في الحادي والعشرين من ذي الحجة سنة 1257 سبع وخمسين ومائتين والف (الخميس 3 فيفري 1842 م.) ، وله الآن عقب يحيي ذكره .

---

(1) هو 13 حسب التقويم .

[252 ـ محمد بن حمودة الاصرم]

أبو عبد الله محمد بن حمودة بن محمد الاصرم .

نشأ هذا الوجيه ، بين يدي ابيه ، في خدمة الدولة ، وتقدم كاهية لعسكر زواوة ، وسافر بالمحال لجبل الرقبة ، وسافر مرة بمحلة الاعراض ، فاحسن السياسة ، وزان الرئاسة ، وخلص الجباية ، وأحسن الرعاية . ثم ولي وكالة الحرمين الشريفين .

وكان خيرا وجيها ، جاريا على سنن أسلافه ، نقي العرض ، واسع الصدر ، ثقة امينا ، كريم النفس ، ذا همة وعفة .

ولم يزل على حالاته المرضية ، الى إن وافاه رائد المنية سنة 1257 سبع وخمسين ومائتين والف (42 ـ 1841 م.) ، واعقب ابنا جرى على قدم أبيه .

[253 ـ محمد الشافعي التليلي]

أبو عبد الله محمد الشافعي التليلي .

نشأ هذا الفقيه في بيت مجده ، وقرأ في زاوية جده ، سيدي احمد التليلي بفريانة المشهورة ، وحصل الملكة العلمية ، وله في الفقه المالكي يد طولى ، وباع في الحفظ ، حتى كاد ان يحفظ كتاب « الجواهر » لابن شاس . وكان شيخنا أبو الفداء اسماعيل التميمي يثني على حفظه ويباهينا به ، فكنا نلقي عليه غرائب المسائل ، فيجيب كأنه كان مستعدا للجواب ، وينقل النص بلفظه في الغالب .

وكان خيرا عفيفا ، وجيها فاضلا ، شديد الحياء ، لا يفارق اللثام ، ذا همة عالية ونفس زكية .

أتى الحاضرة في غرض ، فأتاه حمامه بعد مرض ، واعتنى به المشير أبو العباس سيدي احمد باشا باي ، وجهزه ودفنه بزاوية سيدي علي الزيدي ، قرب باردو ، وذلك سنة 1257 سبع وخمسين ومائتين والف (42 ـ 1841 م.) .

[254 ـ مصطفى الداى]

أبو النخبة مصطفى الداي .

هذا الرجل من جند طرابلس ، وانتظم في ديوان الجند بتونس . وترقى الى أن صار وكيلا على عقار الدولة بالحاضرة ، ثم صار كاهية لآغة القصبة ، ثم صار دايا .

وكان وجيها نبيها ، فصيحا ذا سياسة .

وفي آخر أمره أبدل لينه بالشدة ، وذلك أن الفقيه أبا المحاسن يوسف ابن العالم أبي يعلى حمزة الجباس لزمه السجن لدين على محبسه (كذا) ، ووقع بينه وبين أحد المسجونين تشاجر لا يقتضي تعزيراً ، فأخرجه من السجن ، وضربه ضرب ذوي الجرائم ، فاهتز لذلك المشير أبو العباس سيدي أحمد باشا باي ، وعزله في جمادى الثانية من سنة 1258 ثمان وخمسين (جويلية — اوت 1842 م.) ، وبعد عزله بايام توفي .

[255 ـ حسن بوكاف]

الكاتب أبو محمد حسن بوكاف من أولاد بوبكر :

هذا الرجل من أولاد الشيخ بوبكر الشهير الزاوية بجهة تبرسق .

نشأ في حجر أبيه ، وكان من أعيان المخازنية ، وتقلب في الاعمال ، واختص بخدمة الوزير شاكير صاحب الطابع ، فوجه ابنه تلقاء مدّيّن العلم جامع الزيتونة ، وحصل ملكة تحسن بها المشاركة ، ثم انخرط في سلك ديوان الانشاء على قصور في الصناعة ، الا أنه استأنف بالخدمة استفادة ، حتى صار أحسن من المتوسط في كتابة ما يكثر دورانه .

وكان كريم النفس ، حسن الاخلاق ، طيب المعاشرة ، وفيا متواضعا ، ذكيا ذا مرؤة وهمة . وكان المشير ابو العباس احمد باي يستنجبه .

ولم يزل على حالاته المرضية ، الى أن أجاب داعي المنية ، في أوائل ذي القعدة سنة 1258 ثمان وخمسين ومائتين والف (اوائل ديسمبر 1842 م.) .

[256 ـ محمد شيخ روحو]

ابو عبد الله الحاج محمد

ابن الشيخ المفتي شيخ روحه الصفاقسي .

نشأ في طلب العلم ، وأخذ عن أبيه وغيره من علماء صفاقس ، وحصل ملكة الفقه ، وتقدم لخطة القضاء ، بعد وفاة أبيه ، ثم سلم ، ثم تقدم للفتوى .

وكان فقيها خيرا ، نقي العرض ، ذا مروءة ودين . وتوفي سنة 1258 ثمان وخمسين (43 — 1842 م.) .

[257 ـ احمد مزيو]

أبو العباس احمد مزيو الصفاقسي .

نشأ هذا الكاتب بصفاقس ، وقرأ بها ، ثم أتى الحاضرة ، فقرأ بالجامع الاعظم ، واستكتبه أبو عبد الله محمد اللوز الصفاقسي مدير تجارات الوزير أبي المحاسن يوسف صاحب الطابع . ثم استكتبه الوزير أبو عبد الله محمد العربي زروق في ديوان الحسبان ، فجلى في ذلك الميدان ، وجرى في صناعته طلق العنان ، الى ان صار رئيس كتبة البيت . وله في الانشاء قلم يؤدي المراد ، على حسب ما يراد .

وكان خيرا عفيفا ، أديبا فقيها ، عزيز النفس ، ضيق الصدر ، كتب يوما عن الوزير المذكور فاعترضه الوزير ، فأجاب عن الاعتراض فقال له الوزير : « اكتب كما أحب انا ، لانك كاتب لي » ، فقال له : « أكتب كما تحب الا الخطأ الذي يعاب به الكاتب » ، وقام من المجلس نافضاً يده من الخدمة ، وارتزق بالتجارة في سوق القماش ، بعداً من صناعة القلم ، فبعث له الوزير يسترضيه ، فأبى ، فصلى الوزير العصر بجامع الزيتونة ، وخرج من باب سوق القماش ، فمرّ بدكانه وجلس عنده ، وقال له : « اكثرت » ، فقال له : « يا سيدي لا يصلح للخدمة الا واسع الصدر ، وأنا لا أتحمل » ، وتوسل اليه بآله المطهرين في استعفائه ، فأعفاه ، وآل الامر الى ان رجع للكتابة مكرما معروف المنزلة ، الى أن توفي سنة 1258 ثمان وخمسين ومائتين والف (43 — 1842 م.) .

[258 ـ مصطفى التركي]

أبو النخبة الحاج مصطفى التركي .

هذا الرجل من أعيان الجند وخيارهم ، انتخبه الوزير أبو عبد الله محمد العربي زروق وصاهره على كريمته ، وأسكنه بداره بتونس ، وتقلب في الخطط النبيهة ، كباش حانبه ، وآغة بيت المال .

وسافر لاسلامبول في الاغراض المهمة مرارا ، وهو الذي أتى بكثير من المماليك الموجودين الآن للباشا أبي عبد الله حسين باي ، وامتحن بالنفي بعد قتل صهره الوزير المذكور ، ثم تسرح .

وكان خيرا وجيها ، عفيفا عزيز النفس ، عالي الهمة ، حسن الادب ، كثير الصمت ، يميل الى الخير .

ولم يزل على صفاته الى آخر حياته في محرم سنة 1259 تسع وخمسين ومائتين والف (فيفري 1843 م.) .

[259 ـ محمد بن السبوعي]

أبو عبد الله الحاج محمد بن السبوعي الجلاصي .

هو من أعيان بيوت جلاص ، وأفراد قومه أولاد سنداسن ، معدود في النجباء الذين كان ينتخبهم الباي أبو محمد حمودة باشا ، وله بالوزير أبي المحاسن يوسف صاحب الطابع مزيد قرب وحظوة ، يستكفى به في بابه .

وكان كريما وفيا ، صادقا شجاعا ، عزيز النفس أبيّ الضيم ، خيمته مأوى الضيوف ، ومناخ البائس الملهوف ، فصيحا عاقلا ، ذا همة .

حج الفريضة في البر على عتاق خيله ، ولما مر بطرابلس في رجوعه ، بعث له أبو المحاسن يوسف باشا قرمانلي ، لانه استحسن فرسا من جياده ، وبذل فيها اضعاف قيمتها ، فقادها اليه هدية ، وحلف أن لا يأخذ شيئا عوضها ، وقال له : « كفاني أنك استحسنت شيئا عندي » ، وعظم موقع ذلك عند الباشا ، وكاتب الباي ابا عبد الله حسين باشا بتشكره.

ولم يزل في سجاياه العربية ، ونفسه الزكية ، وعماد بيته مقصود من كل ثنيَّة ، الى ان زاره رائد المنية ، سنة 1259 تسع وخمسين ومائتين والف (44 — 1843 م.) ، ودفن بمقام السيد الصاحب رضي الله تعالى عنه بالقيروان ، وأعقب أولادا زانوه في حياته ، وأحيوا ذكره بعد مماته .

[260 ـ محمد بيرم الثالث]

شيخنا أبو عبد الله محمد ابن شيخ الاسلام أبي عبد الله محمد ابن شيخ الاسلام أبي عبد الله محمد بيرم .

مولد هذا الفاضل في السابع والعشرين من ربيع الاول ، أول سني هذا القرن .

وكان من نعم الله على أبيه ، وعلى أهل العلم . وبالغ أبوه في الاعتناء به ، وأكثرُ قراءته عليه وعلى العلامة شيخ الشيوخ أبي محمد سيدي حسن الشريف .

وحصل العلوم واحرز قصب السبق في المعقول والمنقول ، وله في علمي البيان والمنطق اليد الطولى .

وتصدر للتدريس نائبا عن أبيه في المدرسة الباشية ، وفي الجامع الاعظم ، وبالمدرسة العنقية ، وبها أخذنا عنه .

وتقدم للخطبة بجامع الوزير أبي المحاسن يوسف صاحب الطابع في شبابه ، وتقدم بالاستحقاق على أترابه .

وتقدم للفتيا ، وحاز المرتبة العليا ، وقام مقام والده في رئاسة المجلس الشرعي بعد وفاته ، فزان صدره ، ونشر فخره ، بدين متين ، وعلم واضح مبين ، زكت ثماره ، وسطعت أنواره ، وبقي في صدور الرجال آثاره .

وله وَلوع بالتدريس ، وبث النفيس ، ويقول : « اني في حال التدريس أخاطب قوما يفهمون مقاصدي ، وأستفيد من أذكيائهم في البحث ما لا أستفيده من الخصوم » ، وله كيفية في القاء الدرس ، تسهل ما صعب من المرام ، وتبعث في النفوس الغرام .

وعنايته بابناء درسه ، أشد من عناية الغارس بغرسه . دخل يوماً للمدرسة العنقية ، فوجدني في بيت ابنه بها ، ومعنا صاحبنا الفقيه البارع أبو عبد الله محمد بن سلامة ،

وبأيدينا « روض الآداب » ، والاصوات عالية في نقد بيت من الشعر ، فكتبنا ، وجلس معنا ، وشاركنا ، ثم أخذ الكتاب من يد ابنه ، وقال لي : « ناولني الدواة » ، فكتب ارتجالا بخطه على ظاهره :

ان الزمان الذي تفنيه في الادب   يراه أهل النُّهَى من جملة اللعب
فاصرفه في شرف ترجى عواقبه   تأتيك آثاره تنهلُّ كالسحب
وذا مقالي عن نصح أفوه به   وليس يرجى لنصح المرء غيرُ أب

ثم وضع الكتاب وقام ، وقال : « الخطاب لكل واحد منكم ، لانني أرى أبناء الافادة كأبناء الولادة » .

وكان رحمه الله بحر معارف لا يغيض ، وصاحب فنون يأخذ منها ويفيض ، ويرمي الشوارد بالسهم المصيب ، فيأخذ أوفر نصيب : فاضلا تقيا عزيز النفس ، عالي الهمة محبيا الى الناس ، طلق المحيّا حسن اللقاء ، سليم الصدر مطبوعا على ما يحمد من السياسة واخلاق الرئاسة ، ما شئت من كرم طباع ، وبداهة تدل على طول باع ، وسبق في مضمار الانظار ، وبلاغة تزري بالنضار ، ولذيذ محاضرة تسبي الاحلام ، وتقود الاعلام .

ولم تزل الدنيا بمآثره تتحلى ، الى أن انتقل الى الرفيق الاعلى .

وتفننت الشعراء في مراثيه ، وتسابقوا في ذكر ما اودع الله فيه ، فكتب ابنه على قبره ارضاء لجميع الشعراء ما نصه : « بسم الله الرحمان الرحيم . كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام ، هذا مشهد الفقير الى ربه محمد بيرم الثالث أفتى على مذهب أبي حنيفة بالقطر الافريقي ثلاثين سنة ثم لحق بربه راجيا غفرانه ليلة الاربعاء السابع والعشرين من ربيع الانور من عام 1259 تسعة وخمسين ومائتين والف فرحم الله امرءا دعا له بالمغفرة ، غفر الله لنا وله ولجميع المسلمين ، آمين .

[261 ـ رمضان باش مملوك]

أصل هذا الرجل من الافرنج ، وأسلم صغيرا في دولة أبي محمد حمودة باشا ، ثم اختص به أبو النخبة مصطفى باشا ، ووثق به في حراسة ابنه في صغره ، ثم صاهره على بنته .

وكان غرا حسن الاخلاق ، عفيفا خيّرا ، يميل الى المسالمة والصمت ، بعيدا عن الفضول .

ولم يزل على حاله ، الى ان توفي في رمضان من سنة 1259 تسع وخمسين ومائتين والف (سبتمبر — اكتوبر 1843 م.) ، ودفن بتربة السيدة بركة .

[262 ـ مصطفى خوجة]

أبو النخبة الحاج مصطفى خوجة .

نشأ هذا الرجل في الخدمة ، وأبوه صاحب الوزير أبي النخبة مصطفى خوجة ، وتولى كاهية في ثغر بنزرت ، ثم صرف عنها لصلابته وحدته .

وكان وجيها مغفلا ، وتوفي على سن عالية في ذي الحجة من سنة 1259 تسع وخمسين ومائتين والف (ديسمبر — جانفي 1844 م.) .

[263 ـ مصطفى غربال]

أبو النخبة مصطفى غربال .

من بلْدية تونس ، وتكسب كأبيه بصناعة الشاشية ، وله فيها اسم ، وساعده البخت في المتجر . وكان من العشرة أعضاء مجلس الحكم ، مقبلا على شأنه ، جديا نقي العرض ، حسن الاخلاق .

ثم توفي في الرابع والعشرين من شوال سنة 1260 ستين ومائتين والف (الاربعاء 6 نوفمبر 1844 م.) ، وأعقب أولادا ساروا على قدمه ، لو ساعدهم البخت ، والله مقدر الامور.

[264 ـ أحمد المحجوب]

أبو العباس أحمد ابن الشيخ المفتي محمد
ابن العالم المفتي محمد صدر المالكية
ابن شيخ المسلمين أبي الفضل قاسم المحجوب .

نشأ هذا الوجيه في بيت علم وشرف ، واشتغل بقراءة العلم ، وحصل ملكة المشاركة ، وانتظم في كتابة الانشاء ، وكان متوسطا في الصناعة ، عالي الهمة ، عزيز

النفس ، خيرا عفيفا ، نقي العرض ، ينحو منحى آله ، الى ان توفي في منتصف ذي القعدة من سنة 1260 ستين ومائتين والف (الثلاثاء 26 نوفمبر 1844 م.) ، واعقب ابنا منظوما في سلك الكتابة ، تلوح عليه النجابة .

[265 ـ علي السقا]

الشيخ أبو الحسن علي ابن الشيخ العالم
أبي عبد الله محمد السقّا السوسي .

نشأ هذا الفاضل في بيتهم المشهور بالتقوى والعلم ، وأخذ عن أعيان بيلده سوسة ، كوالده ، والعالم أبي محمد حسن الهدة ، والشيخ الغنوشي .

وارتحل الى الحاضرة : فأخذ عن أعيانها كالشيخ أبي محمد سيدي حسن الشريف ، والشيخ الطاهر ، والشيخ سيدي ابراهيم ، والشيخ بيرم الثالث وغيرهم .

ولما امتلأ حوضه ، وأثمر روضه ، حن الى الاوطان ، وحب الوطن من الايمان ، وقدم لخطة الفتوى بسوسة ، فقبلها على كره ، ثم ألزم خطة القضاء بسوسة في شعبان من سنة 35 خمس وثلاثين (ماي — جوان 1820 م.) ، فصدع بالحق ، واشتد على ما فيه من اللين ، وظهر ما أودع فيه من قوة الدين ، لا تأخذه في الله لومة لائم .

كان رحمه الله خيرا عفيفا ، تقيا نقيا نزيه النفس ، عالي الهمة ، مقبلا على زاده ليوم معاده ، سالكا نهج المهتدين ، معدودا في العلماء العاملين ، والقضاة الصالحين .

ولم يزل معظما محببا ، ذا وقار وجاه ، الى أن أجاب داعي الله في ذي الحجة من سنة 1260 ستين ومائتين والف (ديسمبر 1844 — جانفي 1845 م.) ، رحمه الله تعالى وعفا عنه ، آمين .

[266 ـ سلطان الحسني]

ابو مصطفى سلطان بن محمد الحسني .

اصل هذا البيت من احفاد القايد حسن، مملوك مراد باي صاحب التربة المعروفة بربض باب الجزيرة . قدمه مراد باي لولاية دريد ، ونزل بناجعتهم كواحد منهم نازعا عن أخلاق الحضارة الى سذاجة البداوة ، وتزوج من عقيلات الخيام ، وأولدهن

الاولاد ، وكثروا ، والملوك تخصهم بالاعمال في قبائل الخيام ، واشتهرت في ذلك نجابتهم .

ومن وصايات القايد حسن لاولاده ما معناه : « اننا لسنا في منعة يعضدها النسب مع هؤلاء الناس ، فعلى العاقل منكم ان يجعل بنفسه لنفسه منعة تشبه لحمة النسب ، باصطناع الرجال ومؤاخاتهم ، والتحبب اليهم بالاحسان ، والتغافل عن العيوب ، واقالة العثرة » ، وبحفظهم وصاية ابيهم حسّنوا اعمالهم ، وبلغوا من ثمرات الخدمة آمالهم .

ونشأ صاحب الترجمة في الولايات ، وتسنم ذراها ، واوثق عراها ، وكان الباي أبو محمد حمودة باشا يجله ويقربه ، ويسمع رأيه فيما يتعلق بعمود الخيام ، ويحتمل هفوته ، واقتدى به مَن بعده في ذلك .

فكان يجلس بين يدي الباشا أبي عبد الله حسين باي مع رجال الدولة معظما مكرما .

وكان من أفراد الرجال ، كريما يَقري الضيف ، ويكسب المُعْدِم ، ويعين على نوائب الدهر ، عالي الهمة ، عزيز النفس ، أبي الضيم ، ثابت الجنان ، جريئا في الخطاب ، متعمقا في تيه العرب وخيلائها .

دخل المحكمة يجر احرامه (1) فقال له باش حانبه الحاج احمد بن عمار : « ارفع حُوليك » ، فقال له : « أتراني أجره في بيتك ؟ » ، فضحك حمودة باشا ، وقال للحاضرين : « دعوا سلطانا وعربيته » .

وكان مهيبا ذا صمت ووقار ، ثم تراجع أمره لما شاخ ، وآنس من راحلة عمره المناخ ، فبقي بناجعته ، محافظا على وقاره وسمعته ، الى ان استنزله الاجل المحتوم من رفعته ، وأخرجه من خيام منعته ، رحمه الله ، في خلال سنة 1260 ستين ومائتين والف (45 — 1844 م.) عن سن عالية ، وأعقب ابنا هو صاحب كنيته ، جرى على سنن أبيه ، لو ساعده البخت . وله ابناء يحاولون الجري في مضمار جدهم ، متشوفين الى مجدهم .

---

(1) الاحرام : رداء طويل يلتحف به اعيان العربان في المغرب ، وينلفظ به بدون همزة مع ترقيق الراء ، جمعه حرامات ، وانظر دوزي (قاموس اللباس ص 136) .

[267 ـ محمد بن الامين]

ابـو عبد الله الحاج محمد بن الامين .

من بيت نبيه في الحاضرة ، معروف بالوجاهة والمروءة ، وله سلف ومجد .

وكان وجيها ، خيرا عفيفا ، نقي العرض ، ممـن سلم الناس من يده ولسانه .

قدمه الباي أبو محمد حمودة باشا على بناء قشلة للجند .

يرتزق بالتجارة في الشاشية وغيرها ، متحريا في متجره ، ملازما صلاة الظهرين بالجـامع الاعظـم .

ولم يزل على حاله ، متجملا بحميد خلاله ، الى أن توفي في الرابـع عشر من شوال سنة 1261 احدى وستين ومائتين والف (الخميس 16 اكتوبر 1845 م.) ، وأعقب ولدا اقتـدى بـأبيه ، معـدودا في الاعيـان .

[268 ـ قـاسم عظـوم]

أبـو الفضل قاسم ابن الشيـخ المفتـي ابي عبد الله محمد
ابن العالم المفتي عبد الله بن عبد اللطيف عظوم .

نشأ هذا الفاضل في بيت مجده وكماله ، سالـكـا سنن آله .

اخذ العلم عن اعيان العلماء بالقيروان ، كالشيـخ أبي عبد الله محمد الطوير ، والشيـخ حمودة الوحيشي ، والشيـخ الحاج محمد الخنقي وغيرهم .

وحصل ملـكـة علمية ، وتقدم لخطة القضاء ثم الفتوى بالقيروان ، وباشر الخطة بصلابة ، وكان فقيها صعب المقادة ، عزيز النفس ، وقور المجلس ، متثبتا في قضائه ، وربما يعتمد النسب العظومي ، ويشير لذلك ويومي ، وان كان نقي العرض خيّـرا يتـزيـن نسبه .

ولم يزل على حاله ، الى ان توفي ودفن مع آله في شوال سنة 1261 احدى وستين ومائتين والف (اكـتوبر 1845 م.) . رحمه الله تعالى وعفا عنه .

[269 ـ محمد خوجة]

الوزير ابو عبد الله محمد بن محمد خوجة .

نشأ هذا الفاضل بين يدي أبيه ، وتعلم القرآن وما يلزمه من العلم ، وحصل ملكة المشاركة ، وله معرفة بعلم التاريخ ، ثم تقدم على صغر سنه كاهية في ثغر بنزرت ، في حياة أبيه ، أيام الباشا علي باي ، ولم يزل يتدرج الى ان صار امين الترسخانة بحلق الوادي ، ايام اعتناء الباي ابي محمد حمودة باشا ببنائه وقُوّته ، فجلّى في ميادين الكفاية والحزم والنصح ، وقربه مخدومه فصار من رجال مشورته ، ومشورة من بعده من الملوك ، يعتمدون رأيه .

وتردد في أغراض السفارة للدول كبريطانية وفرانسا وغيرهما ، واستحسنت سفاراته ، ونجحت اشاراته ، وامتحن في ثورة الترك سنة ست وعشرين (سبتمبر 1811 م.) ، ونهبوا محله بحلق الوادي ودافع عنه الاجل بالاختفاء .

وكان فاضلا كريما ، بصيرا بالعواقب ، عارفا بالسياسة ، متخلقا بأوصاف الرئاسة ، حنكته التجارب ، في غالب المآرب ، ذا عفة ووقار وهمة عالية ، ما دنّس وجوه خططه بطمع ، ولا حفظ عنه شر ، باديَ النعمة ، محافظا على عباداته وأوراده ، متزودا ليوم معاده .

ولم يزل معظما محمود المساعي ، الى ان لبى الداعي في الرابع والعشرين من صفر الخير سنة 1262 اثنتين وستين ومائتين والف (السبت 21 فيفري 1846 م.) ، وحضر جنازته المشير ابو العباس احمد باي رحمه الله تعالى ووزراؤه ، ومشى خلف نعشه راجلا ، ودفن بالجلاز ، وأعقب أولادا زانوا الخطط السياسية .

[270 ـ محمد بن أبي بكر صدام]

أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن محمد بن محمد ابن الحاج محمد
بن ابي بكر بن الطيب صدام اليمني القيرواني.

هذا البيت من اعيان بيوت العلم والفضل في مدينة القيروان ، حاز بنوه قصب السبق في مضمار النجابة ، وتناولوا الخطط العلمية من قضاء وفتوى وخطابة ، وتباروا في ميادين الاصابة .

ونشأ هذا الفاضل في طلب العلم ، فأخذ عن أبيه عالم عصره ، وعن عمه ، وعن الشيخ أبي حفص عمر بوحديبة ، وأبي محمد حمودة الوحيشي ، وعن خاله أبي عبد الله محمد الطوير ، وغيرهم من علماء القيروان .

ولما اقتعد أريكة التحصيل ، وقوي به مجده الاصيل ، ورمى أغراض العلم البعيدة ، بسهام أفكاره السديدة ، تصدر لبث العلم في صدور الرجال ، وروّى الظمآن من ذلك الزلال ، ثم تقدم لخطة الفتوى فكان من رجالها وابن رجالها ، وحاز قصب السبق في مضمار مجالها ، وخطب على منبر الجامع الاعظم ، وصلى في محراب الصحابة ، فأثر الخشوع والدموع والانابة ، وتقدم لرئاسة الفتوى ، فأصبح شمس ضحاها ، وقطب رحاها .

وكان رحمه الله عالما محدثا ، فقيها نحويا مفسرا ، اديبا شاعرا ، وشعره معروف ، تقيا عفيفا خيّرا ، من أعلام الدين ، سالكا نهج المهتدين ، متقدما في الميادين ، لين العريكة ، سليم الصدر ، متواضعا على رفعة ، محببا الى الناس ، معظما عند الملوك ، والخاص والعام ، حسن المحاضرة ، ما شئت من بشر يتألق ، وآداب تتعطر بها النسمات وتتخلق ، وإدراك ماضية نُصُولُه ، عزيزة فروعه وأصوله .

ولم يزل في الدنيا على هذا الصراط السوي ، الى ان لبى داعي الله يوم المولد النبوي ، من سنة 1262 اثنتين وستين ومائتين والف (الثلاثاء 10 مارس 1846 م.) ، رحمه الله . واخوه الآن هو قطب دائرة العلم والتقوى والفتوى بالقيروان .

[271 ـ حمدان سيضه]

أبو العباس الحاج حمدان سيضَه (1) .

من اعيان بيوت الاندلس ، نشأ في مروءة ووجاهة ، يرتزق بالتجارة في الشاشية وغيرها ، وتقدم لرئاسة مجلس الحكم في التجارة .

وكان وجيها فاضلا ، حسن اللقاء ، كريم النفس ، ذكي الفكر ، متجملا بحسن الاخلاق .

توفي في الرابع والعشرين من رجب سنة 1262 اثنتين وستين ومائتين والف (السبت 18 جويلية 1846 م.) .

(1) لعل اصله سيده ، بإبدال الدال ضادا على طريقة بعض الجهات الاسبانية .

[272 ـ علي الدرويش الحنفي]

الشيخ ابو الحسن علي بن يوسف الدرويش الحنفي .

نشأ هذا الوجيه في طلب العلم ، بجد واجتهاد ، فحصل المراد ، وأخذ عن أعلام كشيخ الشيوخ ابي محمد سيدي حسن الشريف ، والعلامة المفتي ابي العباس حميدة ابن الخوجة ، والعلامة ابي عبد الله محمد الطاهر بن مسعود ، وغيرهم من أعلام الحاضرة . وقدمه الباشا أبو الثناء محمود باي إمامة بمسجد بيت الباشا ، ولرواية الحديث به ، ثم تقدم لخطة القضاء بالمذهب الحنفي ، فباشر الاحكام بتثبت ودين قوي ، وسار على الصراط السوي ، محتاطا في نوازل المعاوضات للاحباس ، معدودا من قضاة الجنة ، والنفوس به مطمئنة ، وانتفع بشيخنا ابي عبد الله محمد بيرم الثالث ، يأتيه كل يوم اثر خروجه من دار الحكم ليستعين بمشورته ، شان قضاة العدل .

وكان عفيفا خيرا ، تقيا نقيا ، فاضلا فقيها ، حافظا لعرضه ، نزيه النفس ، ذا سكينة ووقار ، يتأنس بالانفراد . وانتقل لخطة الفتوى ، فزانها بالعلم والتقوى .

ولم يزل رافلا في حلل الديانة ، والعفة والامانة ، الى أن اجاب داعي الله يوم الاحد الخامس من ذي القعدة سنة 1262 اثنتين وستين ومائتين والف (25 اكتوبر 1846 م.) ، وله عقب يقتفي أثره ، رحمه الله تعالى .

[273 ـ محمد الشاذلي المؤدب]

الشيخ ابو عبد الله محمد الشاذلي ابن الامام ابي حفص الحاج عمر المؤدب .

نشأ هذا الفاضل في طلب العلم ، وقرأ على أبيه ، ثم دخل الجامع ، واخذ عن أعلام كشيخ الشيوخ ابي محمد حسن الشريف ، والشيخ الطاهر وغيرهما ، وحاز درجة التحصيل ، وتصدر للتدريس بالجامع الاعظم ، فروّى الاكباد ، ونفع العباد ، وكان ممتزجا بامام الفقه جاره أبي الفداء اسماعيل التميمي يسامره ، وانتفع من مسامرته بالفقه وأصوله وتخاريجه ، ثم أدى فريضة الحج ، ولقي اعلام الازهر وغيرهم، واستفاد من محاضرتهم ، ثم أكره على خطة القضا ، فقابل قضاء الله بالرضى ، وباشر الخطة بلين ، ودين متين ، وسلك سنن المتقين ، من مشاورته العلماء المفتين ، ويعظ

الخصوم ويحذرهم عقاب الله ، فتنقاد النفوس الزكية الى الاقرار ، وأعانه على ذلك ما في قلوب الناس من محبته وتعظيمه ، لا سيما اهل الطريقة الشاذلية ، وهم كثيرون في الحاضرة ، وهو شيخها وابن شيخها وحفيد شيخها .

ثم انتقل لخطة الفتوى ، وهو امام ثالث بالجامع الاعظم ، وكادت ان تقع وحشة بينه وبين الامام الثاني الشريف ابي الثناء محمود محسن ، سببها الاختلاف في التقدم والتأخر ، وأرسى الامر على تقدم الامام الثاني اعتبارا للعادة ، ولا أثر لخطة الفتوى في ذلك ، وأرسى الحال على انجلاء تلك الوحشة ، شأن الافاضل .

وكان رحمه الله خيرا عفيفا ، تقيا فاضلا ، نقي العرض حسن الاخلاق ، فقيها عالما ، فصيحا حديد الفكر ، ذا وقار وسكينة ، وتواضع على رفعة مكينة ، ما شئت من محاضرة عزيزة الاسلوب ، تأخذ بمجامع القلوب .

ولم يزل رافلا في حلل الكمال على اختلاف أجناسه ، الى آخر ما قدر من أنفاسه ، أوائل صفر الخير من سنة 1263 ثلاث وستين ومائتين والف (أواسط جانفي 1847 م.) ، وحضر جنازته صاحب الدولة المشير ابو العباس احمد باي ، وحمل جثته بنفسه ، ومشى خلف نعشه راجلا باعتبار أنه من أبناء الطريقة الشاذلية ، ودفن قرب المغارة ، وله عقب من ذوي الالباب ، وفرسان المنبر والمحراب ، نسج على منواله ، واقتدى بصالح اعماله .

[274 ـ محمد بن محمد المحجوب]

ابو عبد الله محمد ابن العلامة المفتي ابي عبد الله محمد
ابن شيخ المذهب ابي الفضل قاسم المحجوب .

نشأ هذا الماجد بين يدي أبيه ، وأخذ عنه وعن غيره ، وحصل ملكة في الفقه ، وتصدر للتوثيق ، وتولى الخطط العلمية ، بعد وفاة أبيه ، وتقدم لخطة الفتوى في حياته ، عوض عالم الملة ابي الفداء اسماعيل التميمي ، لما امتحن ، ووقف في الخطة عند حده ، وحافظ على بناء أبيه وجده ، قانعا بالاسم ، شديد المحافظة على ما للخطة من الرسم ، متثبتا فيها ، لم يحفظ عنه خطأ ينافيها .

وكان وجيها مشاركا ، ماجدا من بيت علم وشرف ، كريم النفس ، عالي الهمة ، مهيبـــا .

ولم يزل على حاله ، مقتديا بـآ له ، الى حين انتقاله ، أواخر ذي القعدة من سنة 1263 ثلاث وستين ومائتين والف (اوائل نوفمبر 1847 م.) ، رحمه الله تعالى ، آمين .

[275 ـ محمد المسعودى]

الكاتب ابو عبد الله محمد بن محمد المسعودي البوبكري .

أصل هذا الوجيه ، من أحفاد الشيخ الصالح سيدي بوبكر صاحب القبة في تراب تبرسق .

ولد بناجعة قومه ، وقرأ القرآن ، وقدم للحاضرة ، فقرأ على الشيخ صالح وغيره ، وحصلت له مشاركة ، وله في فن التاريخ ورواية الشعر ملكة حسنة ، ثم انتخبه الكاهية رجب بونمرة ، لصحبة بينه وبين أبيه ، وتسبب له في خدمة الدولة ، فاستعمله الباي أبو محمد حمودة باشا في قلم الحسبان ببيت خزنه دار ، وضمه الى سليمان كاهية الاول ، واستكفى به في أسفاره ، وفي محلة قسنطينة المتقدم ذكرها . وعند رجوعه في المنهزمين لم يعاتبه الباي ولا أهمله بل أدناه ورفع منزلته ، يسميه كما يسمي كتابه في قلم الانشاء ، ويراه بعين نجابة ، ويكتب له أسراره ، وهو اقرب الى صناعة الانشاء من غالب كتابه ، واستقل برئاسة قلم الحسبان لما امتحن صاحبه والدي الحاج بالضياف ، وانفصل منها في دولة أبي الثناء محمود باي ، فتصدر للتوثيق ، ثم اعيد لرئاسته .

وكان اديبا لوذعيا ، حسن المحاضرة ، فصيح القلم واللسان ، وفيا كريم النفس ، واسع الصدر ، جميل الاخلاق ، مفرطا في التواضع ، حسن القرى ، يميل الى السذاجة العربية ، وجيها خيرا ، محبا للعلماء ، معظما لهم . وانتفع بدعوات الشيخ صالح الكواش لما نزل بداره ريثما بنيت دار سكناه ، فانه قابله بما يستحق به الدعاء ، وجميل الثناء ، وبدعوات شيخنا ابي اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، ثم اقعده الكبر ، وذهب بصره ، وعوفي ، وبقي على ما يعهده من العناية ، موفى الجراية ، الى ان توفي يوم الجمعة رابع (1) ذي الحجة من سنة 1263 ثلاث وستين ومائتين والف (12 نوفمبر 1847 م.) ، عن سن عالية ، واعقب اولادا هم الآن في خدمة الدولة ، أكبرهم من أعيان بلغاء الكتاب ، وفرسان ميادين الآداب ، صاحب « الخلاصة النقية في أمراء افريقية » ، كثر الله من امثاله .

(1) هو 3 حسب التقويم .

[276 ـ حمدة الشبـــاب]

ابو عبد الله محمد ويدعى حمدة بن علي الشبـــاب .

هذا الرجل من أبناء الحاضرة ، وأبوه أمين صناعة الشَّعَر (1) بها ، ولمثله من الامناء وجاهة على مقتضى حالته ، وله خلطة مع الدولة في أشغالها من صناعته ، وتعلق بخدمة أبـي العباس احمد باي في دولة عمه ، ولم يزل معه الى ان دالت له الدولة ، فرفع منزلته وقربه ، شأن ما تخلق به من الوفاء ، وأولاه الخطط النبيهة كالقمرق وغيره ، وكان يحبه حتى انه يبيت عنده بصرايته كل ليلة .

وكان كريم النفس ، حسن الاخلاق ، سمح اللقاء ، متواضعا ، لم يحفظ عنه شر ، يقول الخير أو يصمت ، يميل الى الجد ، غير مضطلع بأموره ، مغفلا ، قانعا من الدنيا بمحبة سيده .

ولم يزل على حاله الى ان توفي سنة 1263 ثلاث وستين ومائتين والف (47 — 1846 م.) ، وحزن مخدومه لموته ، ووزعت تركته في الديون ، رحمه الله تعالى .

[277 ـ محمد التميمـــي]

ابو عبد الله الحاج محمد بن يونس التميمي .

هذا الفقيه من منزل تميم ، وأتى الحاضرة في طلب العلم ، وأخذ عن أعـلام كأبـي العباس أحمد بوخريص ، وأبـي اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، وأبـي عبد الله محمد الطاهر ، ولازم ركن العلم أبا الفداء اسماعيل التميمـي ، وحاز من العلوم أوفر نصيب ، ورمى الاغراض بالسهم المصيب ، ودرّس بالجامع ، وتصدر للشهادة ، فبرع في الوثيقة وإحكامها ، وتنزيل فصولها على مقتضى أحكامها ، وسبق الاقران في هذا الشان ، لو تقدم لخطة القضاء ما تأخر عن الاعيان . وامتحن بالنفي ثم تسرح في محنة الشيخ اسماعيل.

وكان فقيها فَرَضِيا ، اديبا كاتبا ، وجيها حسن الاخلاق ، حلو المحادثة ، لطيف الذوق ، قليل التصنع ، مغفلا في احوال الدنيا ، يشبه الزهاد .

ولم يـزل هـذا حالـه الى أن تـوفي في سنـة 1263 ثـلاث وستين ومـائتين والف (47 ـ 1846 م.) ، رحمـه الله .

(1) كنسيج الخيام (ببوت الشعر) والمخالي والحبـال وغيرها من مصنوعات الشعر .

[278 ـ محمد الشاذلي بوخريص]

ابو عبد الله محمد الشاذلي ابن الشيخ العالم أبي العباس احمد بوخريص .

نشأ في طلب العلم ، فأخذ عن أبيه ، وعن اخوته ، وعن شيخنا أبي عبد الله سيدي محمد بن ملوكة . وحصل ملكة علمية ، وتقدم لخطة الكتابة في ديوان الانشاء ، وكان من أواسط رجالها في الوقت ، حسن المشاركة ، فقيها حَيِيّا ، عفيفا مجيدا لتلاوة القرآن ، عزيز النفس ، حسن المروءة .

ولم يزل على حاله الى ان توفي في ذي القعدة من سنة 1263 ثلاث وستين ومائتين والف (اكتوبر ـ نوفمبر 1847 م.) ، رحمه الله تعالى .

[279 ـ حسونة المورالي]

ابو محمد حسن ويدعى حسونة بن يوسف المورالي .

نشأ هذا الرجل في حجر الوزير أبي عبد الله محمد خوجة ، أمين الترسخانة ، لمصاهرة بينهما ، واحسن تربيته الى أن شب ، فزوجه معه في داره ، وكانت عنايته متعلقة بالاسفار ، والجولان في الاقطار ، ومعاناة الاخطار ، وخلصته المحن خلوص النضار ، وأضافه الوزير أبو المحاسن يوسف صاحب الطابع الى خدمته ، وتأثل من كرمه .

وله معرفة تامة باللغة التركية والايطالية والرومية والفرانساوية والانقليزية .

وسافر مع أسطول دولة الانقليز في حربه للفرانسيس بمصر ، وحمدت في الخدمة أمانته ، فأعطاه الانقليز مرتبا ما دام حيا ، خدم أو لم يخدم ، وباعه كما يباع الربع والعقار .

وكان اخذه شقف من الانقليز لم يعرف منه الا الصنجق ، واسم الشقف المكتوب خلفه ، فتوجه الى لندرة ، واقام بها تسع سنين يخاصم ، والدولة أذنت وكيلها ان يناضل عليه في مجلس الحكم ، حتى ظهر اسم الشقف ، وفي اي مرسى وقع انشاؤه ، وبذلك علموا من أخذه ، واستوفوا ذلك من مخلفه ، مع ما صرفه في مدة الخصام ، بمقتضى ضمان التسبب ، وتأثم من أخذ فائدة المال . وأتوه يوم الحكم بمصحف ليحلف عليه على صدق دعواه فيما ضاع له ، وكان على سفر المصحف قوله تعالى : « لا يمسه الا

المطهرون » ، فقال لهم : « لا أحلف اليوم » ، فاسترابوه ، فقال لهم : « مكتوب على سفر هذا المصحف (لا يمسه الا المطهرون) ، واني غير طاهر الآن » ، ثم تطهر ، وأتى وحلف . واتى للحاضرة ، كما تقدم ذلك في الباب الاول (1) .

ثم سافر في غرض التجارة ، فاخذه اسطول الجزيريين ايام حربهم مع تونس ، وبعثوا بشقفه للجزائر ، وبقي مأسورا في شقف من أخذه ، ومعه صندوقه ، سَهْمَ الرئيس من الغنيمة ، فنفد ما عندهم من الماء ، وانعكس عليهم الريح ، فاتاح الله له شقفا من المَرِكان ، فأشاروا اليه ، ولما وصلوه قال لهم : « اني أعلم لغة الانقليز » ، فأنزلوه في قارب مع من يحرسه ، فقال لهم : « اني أسيرٌ في هذا الشقف ، وأتيت إليكم مستجيرا بذلك الصنجق ، وهؤلاء يطلبون منكم الماء لنفاده » ، فطلّعوه لشقفهم ، وخلصوا له صندوقه وتابعه ، وبعد ذلك أعطوهم الماء ، وقال له المَرِكان : « أين بلادك ؟ » ، فقال له : « ضعني فيما يقرب منك من بلاد المسلمين » ، فقال له : « لا بد أن نوصلك لبلادك » ، فأتى به لغار الملح مكرما ، ولما أنزله في البر سافر لحينه خشية أن يهاديه . وكان رحمه الله يقول : « غاية ما أتمنى في الدنيا أن ألقى هذا الرجل » .

ولما سافرنا مع المشير أبي العباس أحمد باي الى باريس ، وكان سلطان الفرانسيس يومئذ لويز فيليب ، فكلمه بلغة الانقليز ، فقال له : « نطقك بنطق الانقليز نطق المولود بالانقلاتيرة » ، فقال له : « اقمت فيها تسع سنين » ، فقال له : « أكنت أسيرا بها ؟ » ، فقال له : « ايها السلطان ، إن رجلا من رعية تلك الدولة التي هي دولة الحق ظلمني ، وأخذ سفينتي ، فرفعت لها شكايتي ، وأذنت وكيلها أن يناضل على حقي حتى ظهر ، وقبضته مستوفى » ، فقال له سلطان الفرانسيس : « لا غرابة في صدور الحق من تلك الدولة المنصفة » ، وكان ذلك بمحضر الباي ، ومحضرنا بعد الطعام .

وأخبار هذا الرجل فيما لاقاه في أسفاره كثيرة ، ثم ترقى بألسنته (2) في دولة الباي أبي عبد الله حسين باشا الى أن صار من خواصه ، ورجال دولته ، وله ذكر في هذا الموضوع . وهو الذي كان يخبرنا باحوال اروبا ، وكنا نتهمه بالمبالغة والاغراب ، حتى ظهر مصداق قوله للعيان .

---

(1) انظر ص 79 ج 3 .

(2) كذا في ف ، وفي خ و ع : بالنسبة .

وكان وجيها كريم النفس ، عالي الهمة ، صادق اللهجة ، عارفا بالوقائع والتواريخ الغريبة ، سليم الصدر صبورا ، يميل الى التمدن ويستحسنه ، ويبغض الظلم بطبعه ، وله مراقبة لله تعالى .

ولم يزل مكرما ، الى أن توفي عن سن عالية ، آخر كلامه الشهادة وذلك في جمادى الثانية من سنة 1264 اربع وستين ومائتين والف (ماي 1848 م.)

[280 — مصطفى ماضور]

ابو النخبة الشيخ مصطفى ماضور.

نشأ هذا الرجل في بيت عفة ودين ، من أعيان الاندلس بسليمان ، وقرأ وحصّل ملكة تصدر بها للتوثيق ، وتقدم لخطة القضاء بسليمان ، وخطبة جامعها الكبير .

وكان وجيها خيرا ، محافظا على مروءته ، ذا عفة ، جاريا على سنن سلفه .

ولم يزل على حاله الى ان توفي في ذي القعدة من سنة 1264 اربع وستين ومائتين والف (اكتوبر 1848 م.) ، ولبيتهم عقب معدودون في الاخيار والاعيان .

[281 — عثمان المرابط]

ابو عمرو عثمان ابن الحاج عمر المرابط القيرواني .

اصل هذا الرجل من بني تميم ، احدى قبائل الفتح بالقيروان ، وتغرب أبوه في خدمة أولاد الباي أبي عبد الله حسين بن علي ، وجاء مع ركابهما ، فوفوا له بحق الخدمة ، وتقدم في الخطط النبيهة كسوسة والقيروان ، ونشأ ابنه هذا في خدمة الدولة على صغر سنه ، وتقدم لولاية القيروان ، وهي ما هي في ذلك العصر ، وجمع بين قيادة القيروان ورئاسة جند الصبايحية بها ، ولاعيان القيروان محبة فيه ، ووقعت محنة القيروان المتقدم ذكرها في الباب الرابع ايام ولايته (1) .

---

(2) انظر ص 186 ج 3 .

وكان غرا كريما ، متواضعا بعيدا عن التصنع ، قاصر الباع في السياسة ، والعا بالخيل والقنص ، غاضّ الطرف عن مساوىء الناس ، وجيها خيرا ، يقي عرضه بماله ، جاريا على الجادة في الكثير من أعماله ، وأصيب في آخر عمره بمرض الفالج ، ولم يزل به الى ان توفي سنة 1264 اربع وستين ومائتين والف (48 — 1847 م.) ، واعقب أولادا ضربوا في النجابة بسهم ، لو ساعدهم البخت والوقت .

[282 — أحمد الجويني]

ابو العباس احمد ويدعى المذكور بن بلقاسم الزهاني الجويني .

هذا الوجيه من سراة قومه أولاد جوين من دريد وأعيانهم ، مثل أبيه وجده وعمه ، اذ كان من خواص الباشا علي باي الحسيني ورجال مشورته .

وكان أبو صاحب الترجمة يعسوف قومه في دولة الباي أبي محمد حمودة باشا ، فامتحن بالتغريب عنهم ، المعبر عنه بالرهن . ولمكان وجاهته في القبائل غرب بتونس داخل القصبة ، وضرب بها خيامه على أهله وبنيه ، وأكبرهم صاحب الترجمة ، فقرأ بها القرآن ، ودخل الجامع لتعلم العلم ، فاستفاد ملكة ، وحصل ما لا بد منه ، وولد أخوه بالقصبة فسماه والده عثمان الفياشي ، على اسم كبير الموقتين بها .

وطال مقامه بالقصبة الى ان عجز فتسرح .

وأقبل ابنه هذا على الخدمة ، فشاخ (1) على قومه ، وطالت مدته ، ثم تسنم ذرى الاعمال كولاية الفراشيش وغيرهم ، وقربه الوزير شاكير صاحب الطابع .

وكان فقيها نبيها ، فصيح اللسان ، ذكي الفهم ، حازما يقظا ، يتقن النخوة الدريدية ، ذا نفس أبية ودهاء ، حسن الوجهة الى الله ، آية الله في المحاضرة ، بتاريخ الوقائع ، وفي أخبار البلاد .

ولم يزل في تقديم وتأخير الى ان لبى داعي المنية والى الله المصير في سنة 1264 اربع وستين ومائتين والف (48 — 1847 م.) .

---

(1) شاخ : ولي وظيفة شيخ القبيلة .

[283 ــ محمد بن عــاشور]

ابو عبد الله محمد بن محمد بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن عاشور الاندلسي .

نشأ هذا العالم في بيت شرفه ، وقصر نفسه على العلم مذ برز من صدفه ، فأخذ عن أعلام كالشيخ الصالح أبي عبد الله محمد المشاط ، وأبي اسحاق سيدي ابـراهيم الرياحي ، وأبي عبد الله سيدي محمد بن ملوكة ، وأبي عبد الله سيدي محمد بن الخوجة وغيرهم ، وفي أقرب وقت رقي ذروة التحصيل ، بماله من طبع الذكاء الاصيل ، وتصدر للافادة بالجامع الاعظم ، وأجرى به سيل الافادة ، وبدأ الفضل وأعاده ، وسعد به افق العلم أيّ سعادة ، وانتفع به اعلام ، من فرسان الآداب والاقلام .

وانتخبه المشير ابو العباس احمد باي لخطة القضاء بالمحلة ، وعظم عليه الانتقال من رياض العلوم ، والسبح في تيار المفهوم ، الى مزاولة الخصوم ، فاستجار بالوزير أبي النخبة مصطفى خزنه دار ، وتعلل بضعف بدنه عن معاناة الاسفار ، وان الغصب لا ينتج الا الفرار ، ومفارقة الأوكار ، ولما رأى الوزير عزمه ، وعده وكلم الباي في هذا الشان ، بان خروج مثل هذا الرجل نقصان ، فقبل اعتذاره وأقاله ، فرجع الى أنسه ، بفرائد درسه ، واذكياء بني جنسه .

وكان خيّرا عفيفا ، تقيا نزيه النفس ، عالي الهمة ، متضلعا بالعلوم العقلية والفقهية، ثاقب الفكر ، مقبلا على شانه ، متقدما على أقرانه .

ولم يزل عاكفا على العلم وأسبابه ، معدودا من أبوابه ، الى ان اقتطفت المنية نور شبابه ، في السادس والعشرين من صفر الخير سنة 1265 خمس وستين ومائتين والف (الاحد 21 جانفي 1849 م.) ودفن بزاوية جده .

[284 ــ خــالد الــزهــاني]

ابـو البقـاء خـالد بن محمـد الزهـاني .

نشأ هذا الرجل في خدمة الدولة من لدن الباي أبي محمد حمودة باشا ، وخـدم كاتبا في أوجاق الصبايحية ، وحصل وجاهة ونباهـة شان ، وله تعلـق بـالوزيـر أبي المحاسن يوسف صاحب الطابع ، وسافر معه في حروبه ، واستكتبه المشير أبو العبـاس احمد باي في قلم الانشاء ، لما له من سالف الخدمة ، وهي أوكد حُرمة .

وكان رحمه الله وجيها ، فصيح اللسان ، حاذقا نبيها ، عارفا بمقتضيات الاحوال وقتئذ ، خفيف الروح ، حسن اللقاء ، لم يفارق السجايا العربية .

ولم يزل على حاله ، الى ان توفي في صفر سنة 1265 خمس وستين ومائتين والف (جانفي 1849 م.) ، وله ابن في مبادىء خدمة أبيه .

[285 ــ على الشريـف الاندلسى]

الشيـخ ابو الحسن علي بن قاسم بن عثمان بن مصطفى ابـن الحـاج ابراهيـم الشريف .

جد هذا السيد من أعيان أشراف الاندلس الوافدين على هذه الحاضـرة فـرارا بدينهم ، ونشأ هذا السيد في منبت شرف ومجد ، ودعم مجده الموروث بمجد مكتسب ، فقرأ بالجامع على أعلام كالشيـخ صالح الكواش ، والشيـخ حسن الشريف ، وحصل ملـكـة قوية ، وتصدر للتوثيق ، ثم تقدم شيخا لطريقة الولي العارف بالله سيدي محمد بن عيسى الباقية كرامته الى الآن بعد موته ، فزان صدرها ، ونشر فخرها ، ونور طريقها ، وأدار على المحبين رحيقها ، وله في علوم السِّيَر والتاريخ والادب يد طولى .

وكان فقيها فاضلا ، خيرا عفيفا ، تقيا نقيا ، كريم النفس ، هاشمي الهمة ، سليم الصدر ، حسن اللقاء ، ما شئت من محاضرة تملأ الحياض ، وتفوق ازهار الرياض ، باسمة عن حسن أخلاق ، دالة على كرم أعراق ، متحليا بالوقار والسكينة ، حالاً من الملوك وأهل الحاضرة بالمكانة المكينة .

ولم يزل على رفعته ، وطيب سمعته ، وإطباق الناس على محبته ، والوُرودِ من منهل طريقته ، الى آخر ساعته ، في الثاني عشر من رجب سنة 1265 خمس وستيـن ومائتين والف (السبت 3 جوان 1849 م.) ، رحمه الله تعالى بمنه .

[286 ــ محمد الجلولى]

ابـو عبـد الله محمد بن محمود بن بكار الجلـولي .

مولد هذا القايد سنة 1195 خمس وتسعين ومائة والف (81 — 1780 م.) ، ونشأ في خدمة الدولة ، وتنقل في أعمال ولاياتها ، وقام مقام أبيه لما بعثه الباي أبو محمد حمودة باشا لانشاء سفن حربية بمالطة .

وكان وجيها خيّرا ، جديا ، مُوثرا للخير ، غير متكالب على المال ، كريم النفس ، شديد الحياء ، محببا لاهل عمله ، بل ولغيرهم ، يغلب عليه الخير ، المطبوع عليه اهل صفاقس .

وتوفي في الرابع والعشرين من ذي القعدة سنة 1265 خمس وستين ومائتين والف (الخميس 11 اكتوبر 1849 م.) ، وأخوه الآن بصفاقس هو ضوء صباحها ، ومشكاة مصباحها .

[287 ـ احمد الجزيرى]

ابو العباس احمد الجزيري .

هو من مماليك أبي الحسن علي الجزيري ، قرجيٌّ الاصل ، وتبناه اذ لم يكن له ذكر ، وزوّجه من بنته ، وحبس عليها سائر كسبه ، وأدخله في خدمة الدولة ، وباشر الاعمال النبيهة ، وترقى الى رتبة باش آغة ، وقربه الباي أبو محمد حمودة باشا ، ووثق بأمانته في المهمات .

وكان خيرا ثقة ، نصوحا وجيها ، مهيبا معظما ، متوسط الادراك ، سجية عصره .

وتوفيت زوجته عن ذكر ، فتسرى بجارية أولدها ابنا هو سبب نكبته ، وذلك أنه تداين من بعض الافرنج حتى استغرق الدين ذمته ، وكسب أبيه ، وحملته الشفقة على حمالة دين ابنه ، فاستغرق الدين ذمة المدين والحميل ، واستصفى الغرماء كسبه ، وسجن لاجل ذلك ، فطلب الغرماء سجن المدين بالكراكة لاحتياله على أموالهم ، شبه السارق ، فأحضره الباي أبو عبد الله حسين باي بين يديه ، وقال له : « ان الناس سمّوك سارقا »، فقال له : « أعطني أبي في يدي ، وأنا أستخرج منه المال » ، فقال له : « أتضر به ؟ »، قال : « نعم » ، فأمر بسجنه في الكراكة ، ثم تسرح بعد زمن طويل ، وتوفي في هذه المدة .

وأما أبوه فانه تسرح وطرح ، وعاش بعد المحنة ، وقام به حفدته ، الى أن توفي في ذي الحجة من سنة 1265 خمس وستين (اكتوبر — نوفمبر 1849 م.) ، وحفيده الآن من الاعيان ، جزاه الله أحسن جزاء على البرور بجده .

[288 ـ حسين الباهي]

أبو عبد الله الشيخ حسين ابن الشيخ علي ابن الشيخ
اسماعيل ابن الشيخ سيدي احمد الباهي

نشأ هذا الفاضل في بيت علم وصلاح ، وأقبل على العلم ، فأخذ أولا على عمه في زاويتهم ، ثم دخل الجامع فأخذ عن أعلام كشيخ الشيوخ ابي محمد سيدي حسن الشريف ، والشيخ سيدي الطاهر ، والشيخ سيدي ابراهيم الرياحي ، وصهره أبي عبد الله الشيخ محمد البحري بن عبد الستار . وحصل الملكة العلمية ، خصوصا الفقه ، لو زاد في قوتها بالتدريس ، وتقدم شيخا بزاوية جده .

وكان عالما فقيها ، حافظا صحيح الفهم ، نير الادراك ، تقيا عفيفا ، كريم النفس، ما شئت من مجد صميم ، وخلق كريم ، وقلب سليم .

ولم يزل على حاله ، متجملا بكماله ، الى أن كانت التلبية الى دار الآخرة ختام أعماله ، في سنة 1265 خمس وستين ومائتين والف (49 — 1848 م.) ، واعقب ابنا قام مقامه ، وتوفي ، رحمهما الله تعالى .

[289 ـ محمد البارودي]

ابو عبد الله الشيخ محمد ابن الشيخ المفتي ابي النخبة مصطفى
ابن الشيخ المفتي ابي عبد الله محمد ابن الشيخ المفتي الحاج حسين البارودي

نشأ هذا الخير في بيت مجده ، وتوجه للعلم ، فأخذ عن أعلام كشيخنا ابي اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، وشيخنا ابي العباس سيدي احمد الأُبّي ، وشيخنا أبي عبد الله سيدي محمد بيرم الثالث وغيرهم ، وحصل واستفاد ، ونال المراد ، وتقدم للخطط العلمية ، وعلا ذروة المنابر ، وأحيا نغمات آله وهم من سكان المقابر . ولما احيا الباشا ابو النخبة مصطفى باي جامع الطرّاز (1) الذي بممر دريبة الداي ، جعله إماما به ، وروى به « صحيح البخاري » ، وكتب على الباب الاخير منه كتابة حسنة ، وحضره الباي يوم الختم .

(1) انظر تاريخ معالم التوحيد ص 152

وكان فاضلا عفيفا ، نقي العرض ، محافظا على مروءته فقيها ، عالما ، حسن الاخلاق

ولم يزل على حاله ، مقتديا بسآله ، الى ان ارتحل الى دار البقاء متزودا بصالح أعماله ، في سنة 1266 ست وستين ومائتين والف (50 ـ 1849 م.) ، واعقب ابنا يجري على قدم أبيه ، كثر الله من أمثاله .

[290 ـ محمد الشريف]

ابو عبد الله محمد ابن الامام محمد ابن الامام عبد الكبير الشريف

نشأ هذا السيد في بيت شرفه ، جاريا على نهج سلفه ، وأخذ عن والده وغيره ، وحصل ملكة المشاركة في العلم ، ثم تقدم لشهادة الديوان .

وكان حميد الاوصاف ، متجملا بهمة وعفاف ، سالكا نهج السادة الاشراف حسن الاخلاق ، محمود المعاشرة ، كريم النفس ، متواضعا على رفعة شانه ، محببا للقلوب.

ولم يزل في برود كماله ، الى أن كانت الشهادة آخر اعماله ، يوم الاربعاء الثالث والعشرين من اشرف الربيعين سنة 1266 ست وستين ومائتين والف (6 فيفري 1850 م.) ، بالمرض الوبائي ، المعروف بالكوليرة ، واعقب اولادا معدودين في الاعيان ، أصغرهم يتدرج في سلم المعارف والعرفان ، جاريا في مضمار اهل الشان .

[291 ـ احمد امير لـواء الخيالة]

ابـو العبـاس احمـد اميـر لواء الخيـالـة

اصله من المماليك الروم ، جاء ومعه أخوه الوزير الآن ابو النخبة مصطفى خزنه دار ، المتقدم ذكره ، وكانا في خدمة الباشا أبـي النخبة مصطفى باي ، فتربى صاحب الترجمة مع أترابه في الصرايا ، واخوه لصغر سنه تبناه المشير أبو العباس أحمد بـاي ، وجعله في حضانة أمه ، فعانته معاناة الحفيد ، الى أن شب ، وأخوه على خدمته بالصرايا يترقى ، وجعله المشير أمير لواء الخيالة ، واستكفى به في خدمته .

وكان فارسا راميا ، شجاعا ثابت الجنان ، فصيح اللسان ، نقي العرض ، سخيا كريما ، مطبوعا على الاخلاق العسكرية ، آية الله في الوفاء والصدق والتواضع ، محببا الى الناس ، حسن الاخلاق ، كريم السجايا .

ولم يزل على حاله ، الى أن بعثه مخدومه بعسكر الى الجهة الغربية ، يمنع الواردين ايام شدة المرض ، فأصيب ، وجيء به الى بستانه [بمنوبة] (1) ، ودفن بسيدي عبد الوهاب في أوائل سنة 1266 ست وستين ومائتين والف (اواخر 1849 م.) .

[292 ـ محمد الطيب الرياحي]

العالم ابو عبد الله محمد الطيب

ابن شيخ المسلمين ابي اسحاق ابراهيم الرياحي

نشأ هذا الفاضل بين يدي أبيه ، وحفظ القرآن ، واعتنى به أبوه ، وأخذ عن العلامة المحقق أبي العباس الشيخ احمد بن حسين القمار الكافي ، باذن من الشيخ والده.

ولما حاز درجة التحصيل ، أذن له شيخنا والده بالتدريس ، فدرّس بالجامع الاعظم وحلّق ، وسطع منه نور التحقيق وتألق ، فأفاد وأجاد ، واتى بما يستجاد ، وجلى في هذا المضمار ، وسبق النظار ، وعزت مباحثه عن الانتقاد ، وسلمها اللسان والاعتقاد ، وألقت البلاغة اليه المقاد ، وانفسح في مجال العلم ميدانه ، فعظم شانه ، وحل المشكلات ببيانه .

وتقدم خطيبا بجامع أبي محمد الحفصي ، وقراءة صحيح البخاري ، وحضره امير العصر ، وحضر والده ، فشنف الاسماع ، وظهر ما فيه من الباع ، وسأله ذلك الامير عن الميت بالمرض الوبائي ، المعروف بالكوليرة ، هل هو شهيد ، فأجاب بانه من الشهداء . وكتب في ذلك عقدا نفيسا ، لولا الاطالة جلبناه .

وتقدم في الباب السادس من شعره ، ما جعله الزمان قلادة نحره ، ووشاح فخره .

وكان رحمه الله عالما فقيها ، متضلعا بالعلوم العقلية والنقلية ، ذكيا تقيا ، صحيح النقل ، ناظما ناثرا ، عالي الهمة ، طامحا الى قنن المعالي ، أبي الضيم ، زكي النفس .

وبينما هو جادّ في هذه الثنية ، إذ اقتطفته يد المنية ، في الثالث والعشرين من ربيع الانور سنة 1266 ست وستين ومائتين والف (الاربعاء 6 فيفري 1850 م.) ، بالمرض الوبائي المسمى بالكوليرة ، قبيل (كذا) جوابه بان ميته شهيد ، وانقطع عن البلاد وابله

---

(1) الزيادة عن ف

ومُزْنُه ، وعمها حزنه ، وتخوف المشير ابو العباس أحمد باي على أبيه ، وكاتبه وعزاه ، وكان ما خاف ان يكون ، فانا لله وانا اليه راجعون ، وتوفي الشيخ بعده ، كما تقدم ذكر ترجمته ، استطرادا مع ايمة الجامع الاعظم .

[293 ـ محمد برتقيز]

الفقيه ابو عبد الله محمد برتقيز

من بيت مجد وعلم ، كان خيرا وجيها ، عفيفا نقي العرض ، محمود السيرة ، مقبلا على شانه ، بعيداً عن الفضول ، حافظا لوجاهة بيته ، من المعدودين في اعيان العدول ، وتوفي في اشرف الربيعين من سنة 1266 ست وستين (جانفي — فيفري 1850 م.)

[294 ـ حسونة بن الحاج]

ابو محمد حسونه بن أبي الربيع سليمان بن الحاج

نشأ هذا الوجيه في خدمة الدولة مع اخوته ، وهو أنجبهم ، وتدرج في الخطط والاعمال ، كالقمرق ودار الجلد وغيرهما . وحصّل اقبالا مع الوزير شاكير صاحب الطابع ، كاد أن يزاحم به آل بن عياد ، ثم خشي ضرر الملك المطلق ، فنجا بنفسه وبنيه الى مالطة ، وتقدم اخوه محمد الى خططه ، فعمل فيها على ذمة أخيه ، بتقديم من الباي ، واتبعه الباي الكاتب الفقيه صاحبنا ابا الحسن علي الحداد ، وإيزاكُو ز يزّانه ومنعاه من السفر بمقتضى الحكم ، كما تقدم في الباب السادس (1) ، ثم بدا له ان ركب احدى سفن الدولة ، وأتى المشير أحمد باي على حين غفلة ، ملقيا الله القياد ، طالبا منه الفضل ، فعفا عنه عفو الكرام ، ورجّعه لخدمته ، وابتدأ في التراجع .

وكان حازما حاد الفكر ، محجاجا ذا مروءة وسياسة .

ولم يزل في اضمحلال ، وللامور آجال ، الى أن توفي في التاسع عشر من رجب سنة 1266 ست وستين ومائتين والف (الجمعة 31 ماي 1870 م.) ، وأعقب أولادا تلوح عليهم سيماء النجابة ، لو ساعدهم الاقبال .

---

(1) انظر ج 4 ص 81

[295 ــ اسكندر آغة]

ابو محمد اسكندر آغة

هو من الموالي ، وأصله من الابازا (1) وترقى في خدمة الباشا ابي عبد الله حسين باي وصار آغة لعسكر زواوة ، ورام إلحاقهم بآداب عسكر الترك ، وترقى في مدارج الخطط ، واكتفى به المشير ابو العباس احمد باي في المهمات ، فجلى في الاخطار ، وقضى بسياسته الاوطار ، وحسنت منه الآثار .

وكان فاضلا نبيها ، وجيها حسن الاخلاق ، طلق الوجه ، متخلقا بما تقتضيه الرئاسة ، يذكر بالجميل ، فارسا راميا ، صبورا كريم النفس ، نقي العرض .

ولم يزل على حاله الى ان توفي في الرابع من شعبان سنة 1266 ست وستين ومائتين والف (السبت 15 جوان 1850 م.) .

[296 ــ محمد بن سلامة]

الشيخ ابو عبد الله محمد ابن الفقيه العدل ابي عبد الله محمد الطيب
ابن الشيخ ابي العباس احمد ابن الشيخ الفاضل ابي الحسن علي بن سلامة

نشأ هذا الفاضل في بيته النبيه بين يدي جده ، واعتنى بتمرينه وتدريبه ، وتعليمه وتهذيبه ، ثم قرأ على الشيخ العالم ابي عبد الله محمد الشاذلي بن المؤدب ، ولازمه ، وعلى شيخنا العلامة ابي اسحاق ابراهيم الرياحي ، وأجازه ، وعلى شيخنا أبي عبد الله محمد بن ملوكة ، وشيخنا أبي العباس احمد الابي ، وشيخنا الكاتب ابي عبد الله محمد المناعي ، وشيخنا أبي عبد الله محمد بيرم الثالث ، وله سند في « صحيح البخاري» عن شيخ الاسلام ابي عبد الله محمد بيرم الثاني .

ولما بلغ رتبة التحصيل ، لمساعدة ذكائه الاصيل ، تصدر للتدريس قليلا ، ثم لازم شيخنا القاضي ابا عبد الله محمد البحري بن عبد الستار ، وأخذ عنه فقه الاحكام والوثائق ، وهو الذي دربه لخطة القضاء ، وتقدم قاضيا بالمحلة ، ثم بباردو ، ثم الى خطة القضاء

(1) اسم لاحد شعوب القوقاز (انظر Abazes في لاروس الكبير)

بالحاضرة ، ثم الى الفتوى ، وتقدم على المفتين ، فكـان كاهية شيخنا الرئيس ، وغيرهما من الخطط العلمية ، كالخطبة في جامع سبحان الله ، وَخَطَب من انشائه ، وغيرها .

وله مع المشير أبـي العباس احمد باي صحبة وتقريب ، من ايام سفره معه بالمحلة .

وكان عالما فقيها ، أديبا ذكيا حافظا ، راش سهام الاحكام وبراها ، وأجرى القواعد الشرعية مجراها ، حتى تَقَدَّمَ تَقَدُّمَ البازل ، لحمل أحكام النوازل ، وأجال في كل فن قداحا ، وأورى زند الذكاء اقتداحا ، ما شئت من حفظ واطلاع ، وامتداد باع ، وعلو همة ، وكـرم نفس .

وله حاشية على شرح الشيـخ التاودي للتحفة ، لم تزل في مسودتها ، وتاريـخ لدولة المشير نحا فيها منحى التاريـخ الباشي ، لم يخرج عن مسودته ايضا ، ثم آنس أقرانه منه الترفع ، فأنفوا لذلك ، وذلك انه لما اقرأ « الشفاء » بالجامع الاعظم ، لم يستدع يوم الختم الا شيخنا ابا عبد الله محمد بن الخوجة ، وصاحبنا ابا عبد الله محمد بيرم ، وشيخنا ابا اسحاق ابراهيم الرياحي ، واجابه بعدم تيسر الحضور ، ولم يستدع بقية أهل المجلس ، ظنا منه انهم يعرفون اليوم والوقت ، وجاذب الصحبة يقودهم ، ولم يحضر يوم الختم غير شيخي الحنفية ، وحضر الباي ورجال دولته ، فتغير من عدم حضورهم ، وتغير من الباي حيث لم يعاتبهم ، ورام التسليم في الخطة ، لولا رجال من أصحابه منعـوه .

ولما وقع المرض الوبائي سنة ست وستين ، اجتمع اهل المجلس ،في مأتم الشيـخ الطيب ابن الشيـخ سيدي ابراهيم الرياحي ، فقال لهم بمحضر الشيـخ : « يا اخواننـا نحن منتسبون للعلم الشريف ، وأخوته مدعمة لاخوة الاسلام ، ويجمل بمن هذه نسبته أن يعفو ويصفح ، وأشهدكم أني سامحت كل واحد منـكم » ، وطلب منهم المسامحة ، وتسامح جميعهم ، غفر الله لهم ، وعُدّت من حسناتـه الدالـة على سلامـة صـدره ، وتحدث الناس بها ، وتصافحوا والشيـخ معهم ، ومن عفا واصلح فأجره على الله .

ولم يزل رحمه الله على رفعته في ارتقاء ، الى ان لبي الى دار البقاء ، والآخـرة خير وابقى ، يوم الخميس الحادي عشر (1) من شعبان سنة 1266 ست وستين ومـائتين

---

(1) هو 9 حسب التقويم

والف (20 جوان 1850 م.) ، وهو بجبل سيدي أبي سعيد ، وأوصى ان يدفن في جوار الولي العارف بالله سيدي عبد العزيز ، نفعه الله بما اختاره من الجوار ، وحشره مع الابرار.

[297 ـ حسين البارودي الثاني]

ابو عبد الله الشيخ حسين ابن المفتي ابي عبد الله محمد
ابن المفتي ابي عبد الله الحاج حسين البارودي

نشأ هذا الشيخ في بيت مجده ، وأخذ العلم عن عمه ، وعن الشيخ أبي عبد الله محمد الفاسي ، ولازمه وانتفع به ، كآل بيته ، وحصل في الفقه الحنفي ملكة ، وله باع في علوم القرآن .

وتقدم لخطة الفتوى ، فباشرها بدين ، ومراقبة لله ، وانقياد الى الحق .

حضرته يوما بالمجلس الشرعي بباردو ، وقد حكم بين خصمين في تونس ، وراجعه بعض الفقهاء فبين مستنده ، ووجه غلطه ، وأشهد المجلس انه رجع .

وكان فاضلا وجيها ، ماجدا خيرا ، عفيفا متواضعا ، ذا حسب توارثه الكابر عن الكابر ، ووجاهة تأصلت من بطون المحارب وظهور المنابر .

ولم يزل على حاله الى ان توفي خامس رمضان من سنة 1266 ست وستين ومائتين والف (الاثنين 15 جويلية 1850 م.) ، واعقب ابنا هو الآن في الخطط العلمية ، من تدريس وامامة ، ثم تقدم لخطة القضاء بالمذهب الحنفي ، كثر الله تعالى من أمثاله .

[298 ـ علي التميمي]

الشيخ ابو الحسن علي بن محمد التميمي

هذا الرجل من بيت نبيه ، مشهور في خدمة الدولة ، ايام الباشا علي باي بن محمد ، نال جدهم الحظوة والتقديم ، وقاد الجنود الى الكاف ، وتقدم له ذكر في هذا الموضوع ، وحفيده صاحب الترجمة نشأ في طلب العلم ، وأخذ عن شيخ الشيوخ ابي محمد سيدي حسن الشريف وغيره ، وحصل ملكة حسنة ، لا سيما في الفرائض والتوثيق ، وتصدر للشهادة معدودا من أعيان العدول ، ودرس بالجامع الاعظم مشهورا بقوة العارضة ، وحدة الفكر والتحصيل ، وناب الخطة الشرعية بجبل المنار .

وكان فاضلا وجيها ، خيرا عفيفا ، نقي العرض .

ولم يزل على احترامه الى ان توفي سنة 1266 ست وستين ومائتين والف (50 — 1849 م.) ، واعقب ابنا اقتفى سنن أبيه ، وهو الآن من اعيان العدول .

[299 ـ مصطفى البلهـوان]

أبو النخبة مصطفى البلهـوان التركي

هذا الرجل من أفراد الجند بالحاضرة ، وانتمى للوزير ابي الربيع سليمان كاهية الثاني ، وترقى بنجابته ، الى أن صار باش حانبه ، ثم صار آغة بيت المال ، وهي من الخطط التي يترقى منها الى منصب الداي في بعض الاحوال ، وسافر لاسلامبول في بعض الأغراض ، واصطُحِبت معه في سفرة من اسفاره لها ، وتقدم له ذكر في هذا المجمـوع .

وكان محمود السيرة ، طيب السريرة ، وجيها خيرا عفيفا ، ذا همة ، كريم النفس ، ذا صدقات سرية ، ظهرت بعد موته ، لين العريكة ، متواضعا حسن الخلق ، شجاعا ذا عبادة واوراد ، وله آثار بجبل المنار كالسبيل ، والبئر وغيرهما .

ولم يزل طيب الاثر ، حميد الخبر الى ان توفي سنة 1266 ست وستين ومائتين والف (50 — 1849 م.) رحمه الله تعالى ، آميـن .

[300 ـ محمـود باكيـر]

الامام ابو الثناء محمود ابن الامام الشيـخ حمودة بـاكيـر

نشأ هذا الشيخ بين يدي أبيه ، وقرأ عليه وعلى أعلام منهم شيـخ الاسلام ابو عبد الله محَمد بيرم الثاني وغيره ، وحصل وتفقه ، ودرس بالجامع الاعظم ، واختصه الباي أبو محمد حمودة باشا اماما يصلي به الخمس ، بمسجد بيت الباشا ، وكان مقربا أثيرا عنده ، وعند اخيه ، ثم صرف عن هذه الامامة ، وبقي يدرس بالجامع ، إماما بجامع القصر ، ثم ألزم لخطة القضاء ، فكان من قضاة العدل .

وكان عالما فقيها ، متفننا حافظا ، فصيحا شاعرا ، عزيز النفس ، أبـي الضيـم ، كريم الاخلاق ، حسن البداهة ، حاضر الجواب ، عزيز المحاضرة .

ولم يزل على وجاهته ونباهته ، الى آخر ساعته ، في أوائل ربيـع الاول سنة 1267 سبـع وستين ومائتين والف (اوائل جانفي 1851 م.) .

[301 ـ محمد الخضار]

الشيـخ ابو عبد الله محمد بن محمد الخضار

نشأ هذا السيد في طلب العلم ، فأخذ عن شيخنا أبـي عبد الله محمد بن ملوكـة ، ثم أخـذ عن شيـخ الشيـوخ أبـي محمد حسن الشريف ، والشيـخ أبـي عبد الله محمد الطاهر بن مسعود ، والشيـخ أبـي اسحاق ابراهيم الرياحي وغيرهم .

وحصّل في زمن قليل ، وتصدر للتدريس بالجامع الاعظم ، فأفاد وأجاد ، ثم تقدم لخطة القضاء بالمحلة ، ونقله المشير أبو العباس أحمد باي منها الى الفتوى بالحاضرة ، فقام بأعبائها ، وكان من نجوم سمائها ، متثبتا فيها ، بعيدا عما ينافيها . وتولى غيرهـا من الخطط العلميـة .

وكان عالما فقيها ، ذكيا خيرا عفيفا ، كريم النفس ، غرّا كريما ، شاعرا بليغا ، وله في الرثاء المنازع الغريبة ، خطيبا من انشائه ، فصيحا جهوري الصوت ، وله في إلقاء المواعظ أسلوب ، تخشع به القلـوب ، بعيـدا عـن التصنـع ، شبيهـا بالزهـاد ، حسن المحاضرة ، حلو الدعابة ، ما نقصه ذلك ولا عابه ، ما شئت من ايناس يسري في الارواح مسرى الراح ، ومذاكرة أشهى من العذب القراح .

ولـم يزل محمود السيرة ، طيب السريرة ، الى ان توفاه الله في السابـع والعشرين من ذي القعدة سنة 1267 سبـع وستين ومائتين والف (الاربعاء 23 سبتمبر 1851 م.) .

[302 ـ سليمان المحجوب]

الشيـخ ابو الربيـع سليمان ابن الشيـخ القاضي ابي حفص عمر
ابن العلامة ابي الفضل قاسم المحجوب

نشأ هذا الشريف بين يدي أبيه ، واعتنى به ، واخذ عنه جلّ الفنون ، وأخذ عن عمه شيـخ الفتوى ابي عبد الله محمد المحجوب ، وعن شيـخ الشيوخ أبـي محمد حسن الشريف وغيرهم .

وحصل الملكة العلمية ، وتصدر للتوثيق ، ونحا فيه منحى والده ، ثم استكتبه ابو النخبة مصطفى باي ، وسافر معه في المحال ، ثم انتقل لديوان الانشاء ، وله فيه تقدم وباع ، أخذ ذلك عن والده ، اذ كان هو المشار اليه في ذلك العصر ، وله عند مخدومه مكانة ، وصار كاهية رئيس الكتبة .

أرهقه دين في آخره ، سجن لاجله في بيت الضياف بباردو ، ثم انفصل من قلم الانشاء ، وبقي حليف داره ، متجملا على إعساره ، ثم تقدم لخطة الفتوى منخرطا في سلك المفتين .

وكان فقيها كاتبا ، ناثرا خيرا ، عفيفا وجيها ، ماجدا ذا وقار ، الى ان توفي سنة 1267 سبع وستين ومائتين والف (51 — 1850 م.) .

[303 ـ حميدة عزيز]

ابو العباس احمد ويدعى حميدة عزيز الصفاقسي

اصله من صفاقس ، وهو ممن تقدم بنفسه في بني جنسه ، وانتمى الى القايد أبي الثناء محمود الجلولي ، وكان ثقته ، ثم أقبل على الفلاحة والتجارة ، وسكن بلد سليمان ، وداره بها ملعومة ، ثم سكن تونس ، وتقرب في خدمة الدولة ، موثوقا بأمانته ، في كل ما يرجع للامانة .

وكان فطنا ذكيا ، نقي العرض ، محافظا على مروءته .

وقربه المشير أبو العباس أحمد باي ، واستكفى بأمانه في المهمات ، اذ كان خيرا يوثر عنه الجميل ، ثم لبى الى فريضة الحج ، وعند سفره لما اتى مودعا للمشير بكى ، وقال له : « ها أنا قادم الى الله ، ولم اترك في الدنيا غير ابني محمود ، وهو مكفول نظرك » ، فقال له المشير : « ادع لنا ، ومحمود الآن ابني » ، وسافر مع صهره العلامة أبي عبد الله محمد النيفر ، وتوفاه الله في عبادة ، وَعَدَّ أمثاله فيها بأن يوكِّل مَلَكًا يحج عنه في كل سنة ، كما ورد ، رحمه الله .

وكانت وفاته في ذي القعدة سنة 1267 سبع وستين ومائتين والف (أوت — سبتمبر 1851 م.) ، واعقب ابنا اقتفى نهج أبيه وزاد ، وهو الآن في الخطط والاعمال من الافراد ، محمود السيرة ، الدالة على طيب السريرة .

[304 ـ علي الريـاحي]

أبو الحسن علي ابن شيخنا العلامة ابي اسحاق ابراهيم الرياحي

هذا الفاضل نشأ في طلب العلم ،وأخذ عن أبيه وأخيه وغيرهما ، واعتنى به الشيخ والده اعظم اعتناء ، ورآه بعين بصيرته من نجباء الابناء ، فكـان كما راى ، والله عند ظن عبده به ، وطوّع صعاب المسائل بقريحته الوقادة ، فاتته طائعة منقادة ، وحصل الفنون ، وأحرز جوهرها المكنون ، وتقدم بعقله ونقله لافادة الطالبين ، واخذ الراية باليمين ، وزان على صغر سنه سلك المدرسين .

وكان خيرا تقيا ، عفيفا نقيا ، فقيها عالما ، نحريرا اديبا شاعرا ، حسن الاخلاق ، عزيز النفس ، عالي الهمة ، نقي العرض ، حسن المحاضرة ، ما شئت من آداب تسحر الالباب ، وفكـر يحل الصعاب .

ولم يزل على حاله ، يتدرج في مرقاة كماله ، الى ان اقتطفت المنية نَوْره من غصن شبابه ، وعظمت الرزية بمصابه ، في محرم سنة 1268 ثمان وستين ومائتين والف (اكتوبر — نوفمبر 1851) ، ودفن بزاوية أبيه ، واعقب ابنا هو الآن من أعيان الكـتاب ، واهـل الآداب .

[305 ـ علي الحـداد]

ابـو الحسن علي بن احمـد بن حسونـة الحـــداد

هذا الماجد من أعيـان بيـوت الاندلس ، وتقـدم ذكر أبيـه ، ولد سنة 1209 تسع ومائتين والف (95 — 1794 م.) ، وتربى في بيت مجده ، في عز أبيه وجده ، وأقبل على قراءة العلم ، فأخذ عن الشيـخ الطاهر ، والشيـخ ابراهيم ، والشيـخ ابـي العباس احمد الأُبّي ، وأعيان من العلماء ، وحصل ملكـة علمية تحسن بها المشاركـة ، ثم انفصل عن القراءة ، ثم ضمه الباشا ابو عبد الله حسين باي الى الكـتابة في قلم الانشاء ، على كـلال في قريحته ، ونسيان لما حصله في شبيبته ، ومع ذلك كان متوسطا في الصناعة .

وسافر مع أبي عبد الله محمد باي في المحال .

وكان كريم النفس ، عالي الهمة ، فصيح اللسان ، نير العقل ، حسن البداهة ، غريب المنازع ، اديبا نقي العرض ، حسن المحاضرة ، ما شئت من محادثة ألطف من نسيم الفجر ، وألذّ من الوصل بعد الهجر ، وله وجاهة عند المشير ابي العباس احمد باي

ولم يزل وجيها مكرما ، الى ان توفي يوم الجمعة سادس محرم (1) من سنة 1268 ثمان وستين ومائتين والف (31 اكتوبر 1851 م.) .

[306 ـ احمد آغة]

ابو العباس احمد آغة التركي

اصله من جند طرابلس ، ورسم في الجند التونسي وترقى بالنصح والوفاء الى ان صار باش حانبة . وهو الذي حل ثورة الجند على الباشا ابي الثناء محمود باي ، وحقن بفعله دماء من المسلمين ، باعانة الحاج حميدة الغماد ، شيخ المدينة كما تقدم في الباب الثالث ، وبذلك وغيره صار محببا لاهل الحاضرة .

وسَفَرَ الى الدولة العلية العثمانية غير مرة ، وقدمه المشير أبو العباس أحمد باي دايا ، فاعطى الخطة حقها ، وضبط البلاد ، وخافه اهل الشر والفساد ، وتأنس به اهل الخير والعافية .

وكان خيرا وجيها ، نزيها شجاعا ، حسن المروءة ، كريم النفس ، ذا وقار ، عالما بمنازل الناس ، ينذب ا صحاب المروءات الى الصلح .

ولم يزل معظما محببا الى ان توفي عن سبع وتسعين سنة في 25 الخامس والعشرين من رجب سنة 1268 ثمان وستين ومائتين والف (السبت 15 ماي 1852 م.) ، ودفن بمقبرة الاشراف ببطحاء القصبة ، التي جدد بناءها المشير أحمد باي ، كأنما بناها له ، وله عقب يحيي الاسم ، ويضرب في النجابة بسهم .

[307 ـ حميدة بن دالية الرزقي]

ابو العباس حميدة بن علي بن عزوز بن عمارة بن دالية الرزقي

هذا السري من سراة بني رزق ، في صميم دريد ، وجده عمارة بن دالية ، كان من خواص الباي حسين بن علي ، معروف المنزلة ، شهد معه الحروب ، ومات في بعض

---

(1) هو 5 حسب التقويم .

حروبـه ، كما تقدم في العقد الثاني من هذا الـكـتاب ، وحزن مخدومه لموتـه ، ولـه ذكـر في « التاريـخ الباشي » .

ولم تزل رئاسة بني رزق في بنيه ، وحفيده هذا نشأ في ظل الدولة واحسانها ، مغذى بلبانها ، وحملته الهمة العربية ، والنفس الابية ، على تعاطي المجد المكـتسب ، ولم يقف عند مجد النسب ، فأقبل على العلم ، وقرأ بزاوية الشيـخ سيدي احمد التليلي بفريانة شيئاً من النحو والعقائد ، وحصل في الفقه ملـكـة تحسن بها المحاضرة ، وتمكن بها المناظرة ، يحسن بها ان يـكـون قاضيا في غير الحواضر ، ينقل من « مختصر » ابن الحاجب ، وشرحه لابن راشد القفصي ، ثابت النقل ، مستحضراً ، وأقرأ بناجعة قومه ، فحصل رفعة زادته سمعة ، ثم تولى رئاستهم ، فأحسن سياستهم ، ثم رقّاه المشير ابو العباس احمد باي في مدارج الاعمال ، الى ولاية نواجـع دريد بتمامهم ، وجعل أخاه ابا الفضل عباس بن علي في رئاسة بنـي رزق ، وقربه المشير ، وجالسه واشركه في بعض الامور مع رجال دولته في الرأي ، وله رأي سديد ، وباع في الفـكر مديد .

ولم يزل يرقيه الى ان صار في رتبة امير آلاي من الخطط العسكرية ، ويصغي لرأيه في أحوال القبائل من العربان .

وكان رحمه الله نزيه النفس ، عالي الهمة ، واسع الصدر ، أصيل الرأي ، سريـع الفهم ، فصيـح اللسان ، بليـغ البيـان ، زان سؤدده بحمـل الـكَلّ ، وكسب المعدم ، والاعانة على نوائب الدهر ، متثبتـا في الامور ، لم يتزحزح برياح القـرب عن جـادة الاستقامة ، لا يستعمل السجية الدريدية الا في موضعها ، وعند لزومها في عاداتهم ، صادق اللهجة ، نصوحا عارفا بمقتضى الحال ، ممـتع المحاضرة بفن التاريـخ ، آية الله في الوفاء ، ما شئت من أخلاق العرب ، وظرف اهل الادب .

ولم يزل على حاله ، يجر رداء كماله ، الى ان مرض المشير أبو العباس احمد باي بالمحمدية ، وهو معنا ، فبـكى وقال : « اللهم لا تُحْيِـني بعده » ، واشتد اسفـه وحزنه ، فتغير مزاجه ، واصيب بدمل من غليان الدم ، والباي في مرضه يسأل عنه ، ويبعث له العُوّاد ، وتقبل الله دعاءه ، فتوفي ، ومخدومه في فراش مرضه ، سنة 1268 ثمان وستين ومائتين والف (52 — 1851 م.) ، وامر الوزير ابو النخبة مصطفى خزنه دار بـكـتمان موته عن الباي ، خشية ان يتغير مزاجه ، وما علم بموته الا بعد ايام ، ودفـن

بزاوية شيخ العصر وبركة هذا المصر ابي اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، وكان من تلاميذه في الطريقة التجانية ، وصرف مبلغا من ماله على بناء هذه الزاوية ، واعقب ابناء اقتفوا أثر أبيهم ، وكان يستنجب ابن اخيه ، ويوصي به اصحابه ، وهو ابو اسحاق ابراهيم الملقب بالرياحي ، وقام مقامه في ولاية دريد .

[308 ـ محمد ثابت]

ابو عبد الله محمد ثابت

نشأ هذا الوجيه في بيته النبيه ، وحفظ القرآن ، وكان كسبه من التجارة في الشاشية، وتقدم لخطة يازجي المتجر ، وهي كتابة مجلس الحكم المتجري ، وصاحبها من العشرة الحكام ، ولها اعتبار يومئذ في الحاضرة ، ثم قدمه الباي شيخا بربض باب المنارة ، وقدم اكبر بنيه أبا حفص عمر لكتابة المتجر ، وثقل على صاحب الترجمة حمل اعباء هذه المشيخة ، لكن الله أعانه ، فاعطى حق الرئاسة ، بما اودع الله فيه من السياسة ، ثم سلم فيها لابنه ابي عبد الله محمد ، فنسج على منوال ابيه ، وثقته ومربيه ، وكان لهذا الفاضل محبة في طريقة الولي العارف بالله سيدي عبد القادر الجيلي رضي الله عنه ، وجلى في ميدان هذه الطريقة ، وشرب من أسرارها رحيقه ، والاعمال بالنيات ، وظهرت بركتها للعيان فيه ، وفي اعقابه وبنيه ، وذلك انه انقطع الى الله بمراجعة القرآن ، فصار يتلوه عن ظهر قلب ، شاهدته يتلو في جامع الزيتونة ، وقسم أوقاته بين ظل المسجد وركن الدار ، عاكفا على التلاوة والاذكار ، سالكا نهج الاتقياء الابرار ، متزودا الى تلك الدار ، وربك يخلق ما يشاء ويختار ، ثم حن لأداء فريضة الحج ، فتوفي في تلك العبادة ، ولحق بالرفيق الاعلى ، وجاء خبره لتونس سنة 1268 ثمان وستين ومائتين والف (52 — 1851 م.) .

وكان وجيها فاضلا ، خيرا ، حييا ، نقي العرض حسن الاخلاق ، طيب الاعراق طلق المحيا ، فقيه النفس ، عالي الهمة ، محببا الى الناس ، وحبهم موصول بحب الله ، فتزود التقوى ، وحن الى المأوى ، رحمه الله .

واكبر بنيه الآن على قدمه ، في جميع ما تقدم ، والولد نسخة من ابيه ، وحفيده معدود في الاعيان من أهل الادب والشان ، اكثر الله تعالى في الامة من أمثالهم .

[309 ـ محمد عبـاس]

ابو عبد الله الشيـخ محمد بن محمد بن محمـد عبـــاس

نشأ هذا الفاضل الماجد في صون وعفاف ، وتخلق بحميد الاوصاف ، على سنن آل بيته ، وولى وجهه شطر مسجد العلم ، وأخذ عن أعلام كشيخنا ابي العباس احمد الابّي ، وشيخ الجماعة ابي محمد سيدي حسن الشريف ، وشيخنا ابي عبد الله محمد ابن ملوكـة ، وشيخنا ابي العباس أحمد بن الخوجه ، وشيخنا ابي اسحاق ابراهيم الرياحي وغيرهم ، فاستفاد وحصل ، وأنفـق مما تحصـل ، وعـد من أعيـان المذهب الحنفي ، وتقدم اماما بجامع القصبة ، وتجرد للخلوة والعبادة ، واختارها على الاكـثار من الافـادة .

يقال انه يتصرف في الجان ، وقصده الناس للتبرك به في اغراضهم ، ومداواة امراضهم ، والاعمال بالنيـة .

ثم قدمه المشير ابو العباس احمـد باي الى خطـة الفتـوى ، فزانهـا بعلمـه ودينـه وتواضعه ، متثبتا في نقل الفقه من مواضعه ، وأقرأ وهو في الخطة جانبا من « تفسيـر القـاضي البيضاوي » .

وكان عالما فقيها خيراً عفيفاً ، تقيا نقيا ، مراقبا لله مراقبة الابرار ، متواضعا حييا ، مقبلا على شانه ، نزيه النفس عن الفضول ، سليم الصدر ، يعفو ويصفح ، محببا الى الناس .

ولم يزل على حاله ، متجملا بحسن خلاله ، الى حين انتقاله ، في جمادى الثانية من سنة 1269 تسع وستين ومائتين والف (مارس — افريل 1853 م.) واعقب ابنا جرى على سنن أبيه وزانه ، وهو الآن امام بجامع القصبة .

[310 ـ عبد الوهاب الشارني]

ابـو محمد عبد الوهـاب بن يوسف الشـارنـــي

من بيوت قبيلة شارن ، ونشأ في جند الفرسان من المخازنية ، وتدرج في خططها ، بما فيه من النجابة والسياسة .

وكان الباي أبو محمد حموده باشا يميزه من بين أقرانه ، ويستكفي به في البعوث ، ويقدمه بين يديه ان غاب باش حانبه . وبعثه مع الميرة والمال الى سليمان كاهية الاول بمحلة قسنطينة .

وله اختصاص بالباشا ابي عبد الله حسين باي ، من ايام الشباب ، ولما آلت الدولة الى ابي النور عثمان باي ، واستبد به الحاج احمد بن عمار في تلك الايام القليلة ، وكان يغار من نجابته ، تسبب في عزله ، ومنعوه من الدخول الى باردو ، وكان يأتي الى الباي حسين تحت جناح الاختفاء .

ولما كانت الثورة على الباي عثمان تقلد سلاحه ، وأتى باردو ، وقال للباي حسين « اغتنم الفرصة باللحاق الى حلق الوادي » ، وركب أمامه ، وكان ما كان مما هو مقرر في الباب الثاني .

وقدم معه من حلق الوادي بخطة باش حانبة ، ونال معه تقريبا وحظوة ، لم تؤثر فيها صولة الوزير شاكير صاحب الطابع ، وسالم كل منهما صاحبه .

وكان فصيحا فيما يقصد منه ، حسن البداهة ، متضلعا بأحوال القبائل والعربان ، لين الجانب ، متواضعا متوددا الى الناس ، واسع الخلق ، يعرف للناس أقدارهم .

ولم يزل معظما عند الملوك ورجال الدولة ، وأصيب في آخر عمره بذهاب بصره ، ومع ذلك يتجلد للخدمة ، الى ان توفي في آخر جمادى الثانية سنة 1269 تسع وستين ومائتين والف (أوائل افريل 1853 م.) .

[311 ــ حسن عامل المنستير]

ابو محمد حسن عامل المنستير

هو من مماليك أبي النخبة مصطفى باي ، من اعيان ساقس ، أتى لاجله شقف حربي انقليز ، لانه بلغ أهله أنه أكره على الاسلام ، ولما أتى رئيس الشقف مع القنصل، وطلبوا الخلوة به ، أجابهم بانه رغب في الاسلام وأسلم طوعا ، وقالا له : « هل لك في الرجوع الى بلدك ، لان اهلك في انتظارك ، ولا تخش شيئا » ، فامتنع كل الامتناع ، وبقي بالصرايا ، فقرأ ما تيسر من القرآن ، وقدمه المشير ابو العباس الى الخطط النبيهة ،

كالمنستير وصفاقس ، ورحل الى محل أعماله ، وساس الناس برفق ولين ، واحتفاظ في الجبـاية ، مع عـدل في خلاصها .

وابتنى علوا بدريبة الصغير حمودة ، يسكـنه اذا أتي الحاضرة ، وتزوج وظهرت منه مروءة مع جيرانه ، دلت على حسن اخلاق ، يهاديهم بثمار عمله ، وينظف الحومة على دوابه ، ويحمل منهم الـكَلّ ، ويعين على النوائب . رايت كثيـرا منهم يبـكي يـوم مـوتـه .

وكان خيرا وجيها ، ذا مروءة ، عزيز النفس مهيبا ، وقور المجلس مع تواضع ، ناقص الفصاحة ، واسع الصدر ، نقي العرض ، كريم النفس ، متوسط الفـكر ، ندي الـكـف ، يميل بطبعه الى الخير .

ولم يزل على حاله الى ان مرض بصفاقس ، وأتي به ، فتوفي قرب هرقلة في أواخر سنة 1269 تسع وستين ومائتين والف (ذو الحجة — سبتمبر 1853 م.) ، ودفن بالجـلاز رحمـه الله تعـالى .

[312 ـ محمد بن حميـدة بن عيـاد]

ابو عبد الله محمد بن حميدة بن قاسم بن عيـاد

نشأ هذا الوجيه في خدمة الدولة ، متفيئا ظلالها ، وبيتهم في خدمة الدولة معروف ، وقرأ في صغره شيئا من مبادىء النحو والتاريـخ ، بقي فيه أثره ، وتدرج في الخطط كجربة ، وفيها ولد أولاده ، وسوسة ، والاعراض ، وغيرها .

وتوجه لباريس سفيرا عن الباشا أبـي عبد الله حسين باي ، بعد أخذ الجزائر . وتوجه لها ايضا سفيرا عن المشير أبـي العباس احمد باي ، وكان يستوثق به في كـل مجـال ، اذ هو من أفراد الرجال .

واستـكـفى به الوزير شاكير صاحب الطابـع ، واعتمد رأيه في أموره ، وبرأيـه تقدم ، وهو مع ذلك يعظم الوزير ، ويقف بين يديه موقف الخضوع ، ويعجب من حسن تصرفه . حضرت الوزير يوما في بيت خدمته ، وقد اتاه قنصل الفرانسيس ، الـكـولير دي لسبس ، وكان يحسن النطق بالعربية ، في نازلة بالساحل ، فنادى محمد

ابن عياد ، وسأله فأجابه بان« ذلك كان قبل ان يمن الله علينا بوزارتك ، حتى عمرت بلادنا » . وانفصلت النازلة على غير شهوة القنصل ، فودع الوزير ، وخرج وانتظرني في صحن البرج . ولما خرجت أخذ بيدي وقال لي : « انتم المسلمين تبالغون في الانكار علينا في شأن الصليب ، وتقولون ينجرون خشبة بأيديهم ثم يعبدونها ، وان كان الامر بخلاف ذلك ، فاننا لا نعبد الا الله ، وتلك الخشبة مثال نتذكر به ، ولكن انتم مثلنا » ، فسألته عن وجه الشبه ، فقال : « وزيركم هذا اشترى كالسائمة من جباية أموالكم ، وربيتموه ، وعلمتموه لغتكم وعاداتكم ، حتى وصل محمد بن عياد ، وهو من رجال دولتكم ، وأعيان بلادكم ، أن يقول له : « منّ الله علينا بك ، فعمرت بلادنا ، واني على يقين بأن الوزير لا يتكلم الا بلسان ابن عياد ، لكن له العذر حيث لم يظهر شيْئَنَ بلاده ، بانه ليس فيها من ترجى منه مصلحتها » ، ولما أردت الجواب ، قال لي : « لا أسمع جوابك ، لانك ان قلتَ الحق تخشى على نفسك ، وان قلت غيره لا أقبله منك » . وودعني وانصرف .

ثم ان هذا الوزير تنكر لابن عياد ، فلاذ منه بجوار الباشا ابي عبد الله حسين باي. [واحكم معه وصلة سرية ، وثق بها ولم يُظهر للوزير انه فهم منه التنكر ، ومرض الباي] (1) واشتغل الناس بمرضه .

وكان هذا الرجل من أفراد الدنيا ، وكل فرد على حسب مكانه وزمانه ، آية الله في ثقوب الفكر واتساع دائرة العقل والدهاء ، طمح الى الغايات فنالها ، وسابق رجالها ، فصيح اللسان ، محجاجا بقوة البرهان ، كريم النفس ، ندي الكف ، حسن اللقاء ، غيورا على أهل جربة ، يرى صغيرهم ابنا وكبيرهم أخا ، يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم ، معوانا لهم على نوائب الدهر ، صعب المقادة حتى مع بنيه ، لجوجا ولو في ضرره ، يعين أغراضه بماله ، وهو اول من زاد في التزام دار الجلد ، من ثلاثمائة الف الى سبعمائة الف ، ليكيد دار ابن الحاج ، ومع ذلك يغلب خيره على شره ، وامتحن بموت اكبر بنيه ، وأبرّهم به ، وهو أبو زيد عبد الرحمان ، وبمفارقة ابنه أبي الثناء محمود ، بعد وحشة وخصام ، تقدم تفصيل ذلك في الباب السادس ، ولم يجد معينا لهرمه وشيبته ، الا حفيده الاكبر ابا العباس أحمد ابن ابنه الابر المتقدم، وأنزله في

---

(1) الزيادة عن ق .

وصيته منزلة أبيه في الارث ، لانه عانى معه مشقة هروبه لدار الانقليز ، ودفع عليه الديون ، وبذل ماله المصون ، وغنم منه الدعاء له ولبنيه ، والله القريب يجيب دعوة الداعي ، ولا تضيع عنده المساعي ، وظهر مصداق ذلك في الوجود .

ثم طلق الدنيا بتاتا ، وتحقق غرورها ، وتقلبها بالعيان ، ولكل شيء اذا تم نقصان ، فلازم كِسر بَيته على صورة الحكماء والزهاد ، واستوحش حتى من الاهل والاولاد ، ونفض يده من الدنيا أبلغ نفض ، وقابلها بالاحتقار والرفض ، بعد ان شغل ميادينها بالركض ، في الابرام والنقض ، الى ان صار الى عفو الله ورحمته ، بمرض الكِبَر ، وهو ثابت العقل ينطق بالشهادة ، ويقرأ سورة الاخلاص ، سمعت ذلك من الفقيه الكاتب ابي محمد عبد القادر بن غشام ، وقد طلبه ليشهد احتضاره ، ويلقنه ، وكان ذلك سنة 1269 تسع وستين ومائتين والف (53 — 1852 م.) ، وأعقب احفادا من الاعيان .

[313 ــ محمد الفراتي]

ابو عبد الله محمد الفراتي الصفاقسي

نشأ هذا الشيخ في بيت مجده ، وأخذ العلم عن أعيان بلده ، كالشيخ الشرفي ، والشيخ خليف ، وغيرهما .

وله براعة في علوم القراءات ، وأكثر دروسه في التفسير والحديث ، وتقدم خطيبا ، وتقدم لخطة القضاء ، وصرف عنها ، واعتزل الناس ، واقبل على كتب القوم .

وكان فقيها خيرا ، حسن الاخلاق . توفي أواسط ربيع الثاني سنة 1269 تسع وستين ومائتين والف (أواخر جانفي 1853 م.) ، رحمه الله تعالى .

[314 ــ محمد الريغي]

الشيخ ابو عبد الله محمد ابن الشيخ العالم
محمد ابن العالم الفاضل ابي عبد الله محمد الريغي

هذا الفاضل من بيت علم ومجد ، من أعيان بيوت سوسة ، نشأ بين يدي أبيه ، واستفاد منه ومن غيره من علماء سوسة ، كالشيخ الفاضل أبي الحسن علي السقا .

وتدرج في المناصب العلمية ببلده ، من تدريس وتوثيق وقضاء وفتوى ، ثم صرف عن القضاء برهة من الزمن ، لمنافسة علمية وقعت بينه وبين عالم البلد ومفتيها الشيخ ابي محمد حسن الهدة ، كادت أن تتعطل بها الاحكام الشرعية ، فأمر امير العصر وهو يومئذ ابو الثناء محمود باشا المجلسَ الشرعي ان يكتب لهما رسالة في اصلاح البين ، فصدرت لهما من انشاء عالم العصر القاضي أبي الفداء الشيخ سيدي اسماعيل التميمي، نصها : « وبعد ، فان المنافسة التي وقعت بينكم قد تفاقم أمرها ، وعظم على الناس ضررها ، وعم اهلَ عملكم شررها ، فتعطل بينكم الانصاف ، وكثر بسبب ذلك الاعتساف ، وصار من يطلب حقه متطلبا لما هو أعز من الابلق العقوق ، وامنع من بيض الانوق . ولقد كنا عالجناها من قبل هذا بصلح ، فلم ينجع ، فأمهلناكم عسى ان تراجعوا انفسكم فلم ينفع ، وما ذاك الا لصغوكم لسماسرة الفتن ، وأهل الوشاية ، وعدم احتراسكم من عقارب السعاية ، حتى ابقوكم خبالا ، وضرب الناس بكم أمثالا ، بينما نحن ندبر في حسم ذلك ، واغلاق أبواب تلك المسالك ، باقامة ثالث يكون ناصرا للشريعة ، اذ فجأنا امر هذه الواقعة الاخيرة الشنيعة ، فتبين لولي النعم ، ومنصف المظلوم ممن ظلم ، سدد الله احواله ، وبلغه من نصر دعوة الاسلام آماله ، بعد ان تحقق امرها، وعرف عجرَها وبجرها ، ان الخرق اتسع ، وان السكوت عن ذلك لا يسع ، اذ قد انقسمتم طائفتين ، وتفرقت عدولكم شعبتين ، وجاوز الحزام الطبيين ، وصارت الخطتان في المعنى شاغرتين ، وتعسر تمييز الحق من ضده لعدم قبول كل وطائفته ، على صاحبه وشيعته ، فاتبع (1) الطريق الاقوم ، وحاد عما يفضي الى التحكم ، وتوجهت همته الزكية ، وفكرته القدسية ، الى حسم هذه القضية ، باقامة غيركم للاحكام الشرعية ، اداء بما يجب عليه من اقامة المراسم الدينية ، قائلا : « ان من لا ينقاد اليها ، كيف يؤَمَّن عليها ؟ أم كيف يتيسر له إجراؤها في مجاريها ؟ » ودبر — أيده الله — في ذلك فأصاب ، لولا ان الله تعالى تدارككم بمفاوضة مع جماعتنا وقعت ، وشفاعات منهم بعد التي واللتيا قبلت ، فانثنى عما همّ به عزمه ، وغلبه — والحمد لله — حلمه ، فاختار ايسر الطريقين ، لعل الله يصلح بين الفريقين ، فتقدم لكم بالانذار ، مبالغة في الاعذار ، فأمركم على لساننا أوامر يساعدها الشرع ، ويوافقها الطبع ، منها ان تلتزموا ان لا تعودوا

(1) اي الامير

لما نهيتم عنه ، وان يقوم كل بخطته ، ويعرف ما ولّي عليه ، فلا يتجاوز ذلك ، ولا ينتزي احدكم على ما في ولاية الآخر ، وان تجتنبوا الخلاف المذموم ، الذي لا سبب له الا اتباع الهوى ، فاذا اختلفتم في شيء فردوه الى الله ورسوله عليه الصلاة والسلام ، بمراجعة موادّ الاحكام ، فان اهتديتم في ذلك والا فاعرضوه علينا ، عساكم ان تجدوا جوابه بنعمة الله لدينا ، وان تلتزموا حضور مجلس يوم الخميس على الوجه القويم ، ولتعطوا المجلس ما يستحقه من التعظيم ، فلا يباشرْ أحدكم صاحبه ، الا بما يقتضيه مقامه ويلائم منصبه ، وأن تصرفوا الوشاة عن أبوابكم ، وتحترسوا من عقارب السعاية حوزة اعتابكم ، الى غير ذلك من الصفات المناسبة لمقامكم ، فالله الله في أنفسكم بادِرُوا علاجَها ، وأصلحوا مزاجها ، بتقوى الله واصلاح ذات البين ، ومقابلة تلك الاوامر المطاعة ، بالسمع لها والطاعة ، فان رجعتم الى الحقيقة ، واستقمتم على الطريقة ، فلكم ما لنا ، وعليكم ما علينا ، والا فربما يسبق السيف العذَل ، ويقع على الوجه الشنيع البشيع العزل ، فلا شفاعة شافع ، ولا يصغي اليه سامع ، ويعود الامر الى ما كان ، وما شاء الله كان ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وكُتب في ربيع الانور سنة 1233 (جانفي — فيفري 1818 م.) .

ولما لم تنفع تلك الرسالة ، صرف عن القضاء ، ثم ولّي الفتوى سنة 1238 ثمان وثلاثين (23 — 1822 م.) ، ثم صار رئيس المجلس الشرعي في بلده ، سنة 1249 تسع واربعين (34 — 1833 م.) .

وكان فاضلا فقيها ، حديد الفكر ، عالما بتطبيق النوازل ، واسرار التوثيق ، عالي الهمة ، صعب المقادة ، عزيز النفس ، شديد الاحتراس والاحتفاظ على عرضه ، موقرا معظما ، الى ان توفي عن سن عالية أواخر ربيع الاول من سنة 1270 سبعين ومائتين والف (اواخر ديسمبر 1853 م.) ، وله عقب يحيي اسمه ، ويحفظ رسمه .

[315 — احمد العثماني بو عتور]

ابو العباس احمد العثماني ابن الشيخ الاكتب
ابي عبد الله محمد الطيب بوعتور

نشأ هذا الوجيه ، في بيت مجده بين يدي أبيه ، واشتغل بالعلم برهة من الزمان ، فحصل ما تميز به عن العامة ، واستُكتب في ديوان الانشاء ، وكان بيده دفتر ديوان

المخازنية ، ودفتر ديوان زواوة ، فأتقن خدمته ، وان كان قاصرا في الانشاء ، معترفا بقصوره ، لا يأنف من السؤال .

وكان كريم النفس ، حسن الاخلاق ، ذا همة ومروءة ، وفيّا بالعهد ، جاريا في خلاله على سنن آلـه .

ولم يزل على الصراط السوي ، حافظا مجد بيته الاموي ، الى ان توفي أواخر ربيع الثاني سنة 1270 سبعين ومائتين والف (أواخر جانفي 1854 م.) ، وله عقب منظوم في سلك الكتاب .

[316 ـ فرحات الجلولي]

أبو المسرة فرحات بن أبي الثناء محمود بن بكار الجلولي .

ولد في ربيع الأول سنة 1213 (أوت — سبتمبر 1798 م.) ، ونشأ في خدمة الدولة على حداثة سنه ، مرؤوسا بأبيه ، وتقلب في الخطط والاعمال ، ونال الآمال ، وجبى الاموال .

وتخوف من سطوة ابن عياد ففر مع اخيه أبي عبد الله حسونة لمالطة ، واستقرا بها في أرغد عيش ، على بساط أمن ، ثم رجعا بواسطة قنصل الفرنسيس الى مسقط الرّاس ، ومعهد الايناس .

وكان وجيها غرا كريما ، سامي الهمة ، جميل الظاهر ، عربي السجية ، أعجوبة في الفروسية والرماية ، يغلب عليه الخير .

ولم يزل مرضي الخلال ، بين غنى وإقلال ، لم يتدنس عرضه على كل حال ، الى أن توفي في التاسع عشر من جمادى الاولى سنة 1270 سبعين ومائتين والف (الجمعة 17 فيفري 1854 م.) ، وخلف اولادا نجباء ، في كفالة عمهم ، الذي هو الآن عماد بيتهم ، وكافل حيهم ومحيي ذكر ميتهم ، كثر الله من أمثاله .

[317 ـ علالة قايجي]

ابو الحسن علي ويدعى علالة بن محمد بن قايجي محمد التركي .

جد هذا الرجل من أعيان الجند ، وترقى الى ان صار باش حانبه ، وحفيده هذا ربيب الباشا أبي عبد الله حسين باي ، تربى في حجره مثل ابناء صلبه ، لمكانة أمه

عنده ، وزوّجه من بنته ، وأسكنه بداره معه في باردو ، واعتنى بعرسه ، كما يعتني الاب بابناء صلبه ، وأجرى عليه الجراية كآله ، وملّكه الربع والعقار ، وكانت امه لما ولدت من الباي ، قدمت ابنها هذا على إخوته ، اعتبارا لسنه ، وأغضى لها الباي عن ذلك ، لمكانتها عنده .

ولما توفيت امه بقي ذلك التقدم في نفسه ، ولم ينتبه الى ان علاقة الوصلة انقطعت ، ولم يطلب عملا ، ولا خطة في الخدمة ، اعتبارا لما دار في فكره من عدم التمييز بينه وبين اخوته ، مع ما حصل له من التقدم في السن ، ونسي أن النسب لولد الصلب ، وكتب في ختمه علي باي ، وانكر الباي عليه ذلك في نفسه ، وظهر في وجهه إعراضُه عنه ، فأساء القول فيه ، متجاهرا غير محاشٍ ، وبلغ الباي ذلك ، فزاد في الاعراض عنه ، فصار ينقم على احوال الوزير شاكير ، وجاهره الوزير بالفرق بين الابن والرّبيب .

ولما توفي الباي ، وتقدم شقيقه ابو النخبة مصطفى باشا ، والاه باكرام ومبرة ووصلة ، ولما قدم ابن اخيه للسفر بالمحالّ راى في وجهه الانكار ، وتغافل عنه .

ولما تقدم المشير ابو العباس احمد باي امره بالتأخر عن اخوته في المواكب ، فاحتملها على مضض ، وزال ما دار في نفسه ، وهب من نومته ، وتنبه من غفلته ، ولازم السكنى ببستانه ، مقبلا على شانه ، مشتغلا بخويصّة نفسه ، منخرطا في سلك بني جنسه ، راجعا على ما انقدح في حدسه .

وكان خيرا عفيفا ، ذا وقار وسكينة ، ممن سلم الناس من لسانه ويده .

ولم يزل على حاله ، في برود اجلاله ، الى ان توفي يوم الاربعاء الرابع والعشرين (1) من صفر سنة 1271 احدى وسبعين ومائتين والف (15 نوفمبر 1854 م.) ، ببستانه في المرسى ، ودفن من الغد بمقبرة الاشراف ، حذو ضريح سيدي عبد العزيز ، وأعقب أولادا من جارية تزوجها بعد وفاة بنت الباي ، تلوح عليهم سيماء النجابة ، في ظل هذه القرابة .

---

(1) هو 23 حسب التقويم

[318 ـ محمد الحداد]

ابو عبد الله محمد الحداد .

نشأ في مروءة وعفة ، وأخذ العلم عن أعيان كالشيخ سيدي حسن الشريف ، والشيخ الطاهر وغيرهما . وحصل ملكة علمية مع ما في فطرته من الذكاء ، وتصدر للتوثيق ، وعد من مشاهير الموثقين ، ثم تقدم لخطة الشهادة على الغابة .

وكان وجيها فقيها ، حسن الاخلاق ، محمود السيرة ، ثاقب الفكر ، فصيح اللسان ، حسن المحاضرة ، لا سيما في أخبار هذه الحاضرة ، ومعرفة بيوتها وعاداتها ، محببا الى الناس ، لطيف الشمائل .

ولم يزل على حاله ، متجملا بخلاله ، الى ان توفي في الرابع عشر من ذي القعدة سنة 1271 احدى وسبعين ومائتين والف (الاحد 29 جويلية 1855 م.) ، وأعقب ابناء زانوا قبره ، وأحيوا ذكره ، أكبرهم الآن في خطة ابيه ، كثر الله من امثالهم .

[319 ـ صالح الزكراوي]

ابو الفلاح صالح بن بلقاسم الزكراوي العوني .

أصل هذا الرجل من أعيان قبيلته ، وزاويتهم في أولاد عون معروفة ، خدم والده في فرسان الصبايحية وصار من الشواش ، ولما علا سنه بقيت له جراية أمثاله العاجزين ، وابنه هذا ترقى في الخدمة الى ان صار كاهية الوجق التونسي في دولة أبي محمد حمودة باشا ، ثم صار باش حانبة أواخر شوال سنة 1249 تسع واربعين (أوائل مارس 1834 م.)

وكان كريما ذا وَلوع بالفلاحة ، مكثرا منها ، اتخذها عونا لقبيلته في المساغب ، يسلفها لهم عند الغلاء ، ويقبلها منهم عند الرخاء ، وحاك على منواله في هذا الصنع رجل من أعيان هذه القبيلة ، وهو بلقاسم بن طاع الله ، وبذلك اكتسبا مزيد المحبة من قبيلتهما .

وكان جديا ، سليم الصدر ، وجيها ، ملازما لاخلاق السذاجة العربية ، لم تؤثر الحضارة في أخلاقه ، حسن اللقاء ، وفي العهد ، قريبا الى الخير ، سليم العرض ، الى ان توفي في ذي القعدة من سنة 1271 احدى وسبعين ومائتين والف (جويلية — اوت 1855)م. وأعقب ابنا جرى نحو ابيه فأعقب ابنا مغفلا ضيع تراث أبيه وجده . رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

[320 ـ عبد الله الهـــدة]

أبو محمد عبد الله ابن الشيـخ احمد ابن الشيـخ محمد الهدة السوسي .

نشأ هذا الرجل في بيت مجده ، وقرأ شيئا من العلم ، وتصدر للتوثيق بسوسة ، ثم تولى خطة الفتوى بها ، واستعان فيها بعمّه العلامة أبي محمد حسن الهدة ، وتولى غيرها من الخطط العلميـة .

وكان فقيها مشاركا موثقا ، كريم المحتد ، ذا وقار ، محافظا على ناموس الخطة ، توفي في ذي الحجة من سنة 1271 احدى وسبعين ومائتين والف (أوت — سبتمبر 1855 م.) واعقب ابنا جرى على سنن الاعلام ، من علماء الاسلام .

[321 ـ خلـف المحـــرزى]

أبـو البـركـات خلـف المحـرزي .

نشأ هذا الخيِّر في بيت مجده ، واقتفى سنن أبيه وجده ، وقرأ العلم فحصل على ملكـة المشاركة ، وله معرفة بالتوثيق ، وتولى قضاء الفريضة ببيت المال ، وتقدم شيخا بزاوية جده سيدي محرز بن خلف .

وكان خيرا عفيفا ، فاضلا تقيا ، نقي العرض ، غِرّا والمؤمن غر كريم ، ذا مهـابـة ومـروءة .

ولم يزل على اخلاقه ، المستفادة من طيب أعراقه الى ان توفي سنة 1271 احدى وسبعين ومائتين والف (55 — 1854 م.) ، واعقب ابنا جرى على قدمه ، وتولى خطـة الشهادة في البحيرة ، وتوفي فأعقب ابنا جرى على سنن آله ، متجملا بحسن خلاله ، كـثر الله تعـالى من امثـاله .

[322 ـ محمد القبـــائـلى]

الشيـخ ابو عبد الله محمد بن محمد القبـائـلي .

نشأ هذا الوجيه في طلب العلم ، وأخذ عن أعلام كالشيـخ حسن الشريف ، والشيخ احمد بوخريص والشيـخ الطاهر ، والشيـخ ابراهيم ، والشيـخ بن ملوكـة وغيرهم .

وله قوة عارضة في الفهم ، وحصل العلوم ، ودرس ، ثم احترف بالتجارة لمعاشه ، ولم يترك العلم ولا نبذه .

وقدمه المشير أبو العباس احمد باي لخطة الفتوى ، فاحسن القيام بها في التثبت .

وكان تقيا خيرا ، عفيفا حسن المحاضرة ، ألمعيّا جيّد المباحثة ، حسن الاخلاق ، منصفا من نفسه ، نقي العرض ، فقيها غير متصنع .

ولم يزل محببا في الناس ، الى آخر ما قدر له من الانفاس ، في ذي الحجة من سنة 1271 احدى وسبعين ومائتين والف (اوت — سبتمبر 1855 م.) ، رحمه الله تعالى .

[323 — خير الدين كاهية]

ابو محمد خير الدين كاهية .

أصل هذا الخيّر من بلاد القرج ، قدم صغيرا مع الوزير أبي المحاسن يوسف صاحب الطابع ، حين رجع من سفارته للدولة العلية ، وأهداه الوزير لسيده ، فنشأ في خدمته ومحبته .

وكان عند مخدومه في محل الثقة والامانة ، فحسده مملوك اسمه دلوار ، ووشى به لسيده ، بانه يترصد الفتك به على غفلة ، حين يقف وراءه ، فاعتقله زمنا طويلا بالزندالة، ثم سرحه قبيل وفاته ، وبقي في خدمته .

ولما جاءت دولة عثمان باي ، أعتقه مع من أعتق من مماليك أخيه ، وبقي عند الوزير أبي المحاسن .

ولما جاءت دولة ابي الثناء الباشا محمود باي قرّبه ، وصار آغة وجق من اوجاق الصبائحية ، وصاهره على بنت الوزير أبي الفداء اسماعيل كاهية ، وماتت في عصمته .

ولم يزل يتدرج في الخطط الى ان صار كاهية بدار الباشا .

وكان خيرا فاضلا ، عفيفا نقيا تقيا ، صادق اللهجة ، متواضعا نقي العرض ، سليم الصدر .

سألته ليلة ، ونحن في سفين سفرنا الى اسلامبول ، عن سبب محنته ، فبكى وأخبرني بها ، وقال لي : « اشهد علي بين يدي الله اني سامحت من تسبب لي ، وسامحت من سجنني ، وله العذر ، ويا ليتني مت فداءه » .

وكان شجاعا ثبتا في الحروب ، قوي الجنان . لما ثار جند الترك على سيده ، سنة ست وعشرين ، وبعث الوزير ابا المحاسن يوسف صاحب الطابع الى تونس في الليل ، وبقي في قلق انتظار ، وخير الدين من جملة مَن بين يديه ، بكى فقال له سيده : « لِم تبكي ؟ » ، فقال له : « أي حاجة لك بأمثالنا غير هذه الحاجة ، دعني ألحق الوزير الى تونس » ، فسرحه ، وظهر منه عدم الاكتراث برمي الرصاص من القصبة .

وكان يكتب بالقلم المشرقي ، صاحب أذكار وأوراد ، آخذا سبيل الجد والاقتصاد ، قانعا بالكفاف ، متأخرا في الفصاحة مع حبسة في نطقه ، يميل الى الخير والجد ، وله في اهل المملكة محبة قوية ، لا سيما العلماء .

ولم يزل بهذا الحال ، محمود الخلال ، مشكور الخصال ، مرضي المقال والفعال، مومرقا بعين المحبة والاجلال ، الى أن صار الى رحمة الرحيم المتعال ، يوم الثلاثاء من ربيع الثاني من سنة 1272 اثنتين وسبعين ومائتين والف (ديسمبر 1855 — جانفي1856 م.) ، ودفن بصحن التربة الحسينية ، وشهد أمير العصر جنازته ، وأعقب أولادا هم الآن في الخدمة . وأما صاحبه دلوار الذي تسبب له في المحنة ، فقد مات بجربة ، منفيا فاقد الصبر ، على أسوأ حال ، والله يجزي الذين أساؤوا بما عملوا ، ويجزي الذين احسنوا بالحسنى .

[324 ــ احمد الكيــــلاني]

الشيخ ابو العباس احمد بن محمد الكيلاني .

نشأ هذا العالم بين يدي ابيه ، في صون مروءة ، وقرأ عليه مبادىء العلوم ، ثم أخذ بالجامع الاعظم عن أعلام ، كالشيخ صالح الكواش وغيره ، وتضلع بالفنون العقلية والادبية ، ولازم التدريس بالجامع الاعظم ، وأكثر دروسه في النحو والبيان ، وانتفع به جم عظيم من الطلبة ، مع الانتصاب للتوثيق . وله في الفقه درجة . وله قدم راسخ في الآداب .

وتولى من الخطط العلمية الشهادة على دار البارود بالقصبة .

وكان عالما ذكيا فصيحا بليغا أديبا خيرا عزيز النفس ، عالي الهمة ، حسن اللقاء ، وجيها نقي العرض ، آية الله في المحاضرة بالتاريخ والفنون الادبية ، أشعاره تسع مجلدا ، معظما عند الخاصة والعامة .

ولم يزل على فضله واشتهاره ، وسكينته ووقاره ، الى ان توفي في سن التعمير ، والى الله المصير ، في السادس والعشرين من جمادى الثانية من سنة 1272 اثنتين وسبعين ومائتين والف (الثلاثاء 4 مارس 1856 م.) ، واعقب ابنا قام مقامه ، وحفيدا كاتبا شاعرا ، كثر الله من أمثاله .

[325 ـ محمد العصفوري]

ابو عبد الله محمد ابن الشيخ حمودة العصفوري .

نشأ هذا الوجيه بين يدي أبيه في بيته المشهور ، وناهيك برئيس النبلاء ابن عصفور، وتربى في عفاف ، وجميل أوصاف ، ثم اجتباه المشير ابو العباس احمد باي ، وأقامه شيخ المدينة ، على عادة اعتنائه باعيان البيوت ، وقال لوالده : « انت رجل كبير ، فدرّب ابنك على نظرك » ، فتقدم للخطة وزانها ، وستر البلاد وأعيانها ، وأمن لياليها .

وكان ذكيا فصيحا ، محجاجا ، نقي العرض ، عالي الهمة ، كريم النفس ، حسن السياسة ، مطبوعا على اخلاق الرئاسة .

ثم صرف عن الولاية بعد وفاة المشير ، وبقي عزيزا بعد عزله ، متجملا بعرضه ونبله ، الى ان اقتطفته يد المنية ، من بين اترابه ، على نظارة شبابه ، وأجمل والده الصبر على مصابه ، في منتصف ذي الحجة من 1272 اثنتين وسبعين ومائتين والف (الاحد 17 أوت 1856 م.) ، واعقب أولادا يتعللون باسم بيتهم ، وذكر ميتهم .

[326 ـ محمد الوزير]

ابو عبد الله محمد بن حسونة الوزير .

نشأ هذا الرجل في بيت نباهته ووجاهته ، جارياً على سنن أسلافه ، متجملا بأوصافه يحترف بالتجارة في الشاشية ، ثم ولي رئاسة مجلس التجارة والشواشية ، لما سلم فيها الفاضل الوجيه ابو محمد حسونة الحداد .

وكان وجيها خيرا ، معدودا من الاعيان وأهل الشان ، جدّي الطبع ، عالي الهمة ، عزيز النفس ، حسن اللقاء ، لطيف السجية ، يميل الى الحق ، جاريا على سنن آله ، الا ان الدهر ، وان اسعفه بكرم الخلال ، لم يسعفه في نمو المال ، ومع ضيقه لم تزل مروءته على حالها ، واخلاقه على كمالها ، وتأخر في آخر مدته عن الخطة ، وَوَلِّيَهَا اخوه ابو العباس احمد الوزير ، وبقي هو في معاناة مرضه ، الى أن توفي في محرم سنة 1273 ثلاث وسبعين ومائتين والف (سبتمبر 1856 م.) .

[327 ـ احمد البـارودى]

ابو العباس احمد ابن الشيـخ الامام المفتي ابـي عبد الله محمد
أبن الشيـخ الامام المفتي ابـي عبد الله الحاج حسين البارودي .

نشا هذا الخير بين يدي أبيه ، وأخذ عنه وعن عمه ، وعن الشيـخ أبـي العبـاس احمد بوعبده ، وعن العلامة المحقق أبـي عبد الله محمد الفاسي ، وحصلت له مشاركـة في الفقه ، لا سيما في العبادات ، والنحو ، وتقدم اماما بمسجد بيت الباشا ، وخطيبـا بالجامع الحسيني المعروف بالجامع الجديد ، وتوابعه .

وكان فاضلا خيرا ، عفيفا سليم الصدر ، حسن اللقاء ، مطبوعا على الجد ، حافظا لمروءة الخطة وزيِّها ، حسن الصوت بتلاوة القرآن ، ولخطبه تاثير في الآذان ، يوقظ القلب الوسنان ، ما شئت من حسب توارثه الـكـابر عن الـكـابر ، ومجد تأصلت أدواحه بين بطون المحارب وظهور المنابر .

ولم يزل على حاله ، متجملا بخلاله ، يرفل في برود كماله ، الى ان لبـى إلى دار البقاء ، والآخرة خير وأبقى ، يوم الخميس السابع والعشرين (1) من ربيـع الانـور سنـة 1273 ثـلاث وسبعيـن ومائتيـن والف (27 نوفمبـر 1856 م.) ، واعقب أولادا ، أكبرهم من زَيَّن محرابَه ومنبره ، وأحيا خبره ، كثر الله من أمثاله .

---

(1) هو 29 حسب التقويم

[328 ـ محمود خـــوجـة]

الوزير ابو الثناء محمود كاهية ابن الوزير أبـي عبـــد الله
محمد خوجـة أميـن الترسخانة ابن محمد خـوجة .

نشأ هذا الفاضل بين يدي ابيه ، في ظل الدولة ، مغذّى بلبانها ، سابحا في بحـار إحسانها ، وقرأ القرآن ، وشيئا من العبادات والعربية ، مع حسن الـكـتابة ، وناب والده في حلق الوادي ، مدة حياته ، وسابق في ميادين السياسة فجلّى ، ما كبا جواده ولا تولّى ، وتوجه سفيرا الى السلطنة الفرانساوية عن الباشا ابـي عبد الله حسين باي ليشهد لبس السلطان يومئذ للتاج ، وقوبل بحسن القبول ، وله معرفة باللغة الاطاليانية .

ولما توفي والده في الدولة الاحمدية ، أقامه المشير أبو العباس احمد باي مقام أبيه ، ثم سماه وزير البحـر .

ولما سافر الى فرانسا فوّض له امر حلق الوادي ، وهو باب الحاضرة ، لانه كان يعتمد امانته ، ويعرف رتبته ، ويدني منزلته ، حتى ان والدة هذا الباي اذا لزمها تبديـل الهواء لمرضها ، تنزل بداره في حلق الوادي ، مع آل بيته ، مُنَزّلة منهم منزلة الام في الـــدار .

وكان فاضلا عفيفا ، نقي العرض ، سليم الصدر ، عالي الهمة ، نزيه النفس ، متين الديانة ، فريدة سلك بيته ، وفخر حيه وميته ، وقور المجلس ، فصيـح اللسان ، اصيل الراي ، صحيـح الفهم ، بعيدا عن الفضول ، يميل الى الصمت ، حتى لمزه من لم يعرفه بالـكـبر ، مقتصرا على خطته وخويصة نفسه ، يميل الى جهة الخير ، وله في السياسة حسن سلوك ، يقول الحق ولو لم يوافق اغراض الملوك ، كثير الحياء ، صادق اللهجة ، استحق بنفسه مزية التقديم ، غير ملتفت لما في بيته من مجد الخدمة في القديم ، صبورا لا يتبدل حاله في الملمات ، كثير التجمل على ضعف جرايته ، ملازما لجـادة الخير ، سائرا في طريق الاستقـامة أحسن سير ، ما شئت من خلـق تدل على الـكمـال مخائله ، ومجد كرمت أواخره وأوائله .

ولم يزل رفيـع المقام ، في سلك اهل الحل والابرام ، الى ان حل به خاطف الحمام ، في الرابـع والعشرين من جمادى الثانية سنة 1273 ثلاث وسبعين وماتتين والف

(الخميس 19 فيفري 1857 م.) ، وحضر جنازته أمير العصر ابو عبد الله محَمد باي وآله ، وجميع الاعيان ، ودفن بتربة آله بالجلاز ، وله ابن في الخدمة ينظر الى خلال ابيه ، وتقدم عوضه لهذه الوزارة ابو محمد خير الدين .

[329 ـ محمد بن محمد المناعي]

أبو عبد الله محمد بن محمد بن سليمان المناعي .

نشأ هذا الكاتب بين يدي أبيه ، واحسن تربيته ، وسلك به طريق العلم ، فحفظ من المتون والشروح عددا مستكثرا ، وقرأ على أبيه ، وعلى أعيان من المدرسين ، وحصل ملكة علمية ، واستكتبه الباي في حياة أبيه بديوان الانشاء ، فأبدع فيه ما شاء ، مع جمال في الخط .

وكان اديبا شاعرا ، كاتبا مفلقا ، يستوقف الاسماع ، ببدائع اليراع ، ذا فهم حديد ، وباع في الآداب مديد ، حاز من المفاخر أوفر نصيب ، ورمى الاغراض بالسهم المصيب ، وأضافه شاكير صاحب الطابع الى الخدمة معه ، ثم سافر مع أبي عبد الله محَمد باي في المحالّ ، ما من وجهة قام فيها الا زانها ، واعلى شانها ، ما شئت من فصاحة وأدب وظرف ، وفهم يسبق رد الطرف ، ومحاضرة تسحر الافكار ، وتستوقف الانظار ، وتزري بالعقار ، ومع هذه الصفات الواضحة وضوح النهار ، لم تساعده في دنياه الاقدار ، وعاش حليف إقلال وإعسار ، وانفصل من الكتابة في آخره ، لعدم مواظبته الخدمة ، والرزق بالتقدير لا بالتدبير .

ولم يزل على حاله الى ان توفي رحمه الله وسامحه ، وغفر له وقابله بما هو اهله من المغفرة ، في شعبان من سنة 1273 ثلاث وسبعين ومائتين والف (مارس — افريل 1857 م.)

[330 ـ محمد الامين الكيلاني]

ابو عبد الله محمد الامين ابن الفقيه الاديب
ابي العباس احمد ابن الفقيه ابي عبد الله محمد الكيلاني .

نشأ هذا الفاضل في بيته النبيه ، واخذ العلم عن ابيه ، وعن غيره كالشيخ ابي اسحاق ابراهيم الرياحي والشيخ ابي العباس احمد الابي ، والشيخ ابي عبد الله محمد المناعي ، وحصل واستفاد ، ودرس واقبل على صناعة التوثيق .

وكان فقيها ذكيا ، خيّرا وجيها ، نقي العرض ، كريم النفس ، عالي الهمة ، حسن الخلق ، طيب المعاشرة ، ممتع المحاضرة .

ولم يزل على حاله ، متجملا بخلاله ، الى ان توفي في الثامن من جمادى الاولى سنة 1274 اربع وسبعين ومائتين والف (الجمعة 25 ديسمبر 1857 م.) ، واعقب ابنا امتطى ذروة الادب والنجابة ، وانتظم في فرائد سلك الكتابة .

[331 ــ احمد الابى الحنفى]

شيخنا ابو العباس احمد ابن الشيخ الفقيه ابي الثناء محمود الابي الحنفي

مولده ليلة الاثنين الثاني عشر من رجب سنة 1180 ثمانين ومائة والف (الاحد 12 رجب — 14 ديسمبر 1766 م.) ، ونشأ في حجر أبيه ، وأخذ عنه مبادىء العلوم ، ثم أقبل بقلبه وقالبه على العلم ، فأخذ عن الشيخ صالح الكواش ولازمه ، وأخذ عن شيخ الاسلام ابي عبد الله محمد بيرم الثاني ، وغيرهما من الاعلام .

ولما اخذ راية التحصيل باليمين ، ألزمه شيخه ابو الفلاح صالح الكواش للتدريس على شبابه ، فامتنع ، ورأى نفسه قاصرا عن رتبة الافادة ، فقال له شيخه : « أنا اعلم بحالك منك » ، فتصدّر بالجامع الاعظم ، وأفاد ، وعد من الافراد ، وروّى منهله الوُرّاد ، وكان لا يحسن النطق بالراء ، ولم يشن ذلك فصاحته ، وعمر الجامع بحلق التدريس ، يبث الجوهر النفيس ، ثم انتخبه الوزير ابو المحاسن يوسف صاحب الطابع الى امامة جامعه والتدريس به ، وغمره في بحر كرمه ، فدرس بالجامع النحو والفقه وغيرهما ، واستفاد منه جم غفير ، ويروي بعد العصر « صحيح البخاري » ، على كيفية لم يسبق اليها ، وذلك لانه لا يتعبّد بلفظ الحديث ، بل يفسر ألفاظه ، واجمال ما يستفاد منه ، ويسرد الظاهر الذي لا يحتاج الى التفسير ، وأمرني أن الازم درس الحديث ، واعطاني نسخة من الحبس .

وكان رحمه الله عزيز النفس ، أبي الضيم ، عالي الهمة ، ذا قدم راسخ في تحقيق العلوم ، لا سيما الفقه والنحو والبيان والاصول ، ثابت الجنان في قول الحق ، يرى الحق اكبر من كل كبير ، آية الله في الوفاء .

لما طولب بنقل دروسه للجامع الاعظم ، اجاب بانه امام الخمس بجامع صاحب الطابع ، وان ثياب صاحب الجامع باقية عنده على جدّتها ، فكيف ينسى عهده ، ومن جملتها طيلسان من الكشمير أبيض ، كان يقول : « أرجو الله ان اغطى به على نعشي » .

ولم يزل في بث العلم ، الى ان قيده السن ، وقدمه المشير ابو العباس احمد باي مفتيا ، فجلس حذو الرئيس ، ولم يتصدر للفتوى ، وامتحن على سنه بموت اكبر بنيه ، فاستقبل محن الدنيا الدنية ، الى ان طرقه رائد المنية ، يوم السبت الخامس والعشرين (1) من رمضان سنة 1274 اربع وسبعين ومائتين والف (8 ماي 1858 م.) ، وغطي على نعشه بذلك الطيلسان ، وصلى عليه الشريف العالم ابو الثناء محمود محسن ، أمام باب البهور من الجامع الاعظم ، ودفن بتربة آله في الجلاز ، قرب الامام ابن عرفة ، وأعقب ابنا هو الآن من المدرسين ، كثر الله من امثاله .

[332 ـ حسين خوجة]

الوزير ابو عبد الله حسين خوجة .

اصل هذا الوزير من عمل مدينة نابلي ، ونشأ في تربية الوزير أبي المحاسن يوسف صاحب الطابع ، وسافر معه الى القسطنطينية ، طفلا صغيرا دون الاثغار ، وأسلم في مرسى ساقس ، من غير دعوة ، وكان الوزير كشك حسين قبودان باشا في المرسى ، بالاسطول السلطاني ، فطلب ان يسمى باسمه ، فسمّاه سيده بذلك ، ونسبه الى ساقس ، وتبناه الوزير ابو المحاسن يوسف صاحب الطابع ، وأدخله المكتب ، فنال ما تيسر من القرآن ، وشيئا من الكتابة ، واجهد نفسه في مطالعة الكتب ، لا سيما التاريخ ، ولازم الوزير ملازمة ظله ، وصاحبه في أسفاره ، وهو الذي قدم بشيرا بخبر النصر في محلة سرّاط ، وانقطع الى الباشا أبي عبد الله حسين باي ، بعد مقتل سيده ، فنال منه حظوة التقريب ، وصاهره على بنته ، وبنى له داره المعروفة بباردو ، وسمي باش مملوك ، ومنه ظهر لهذه الخطة اسم .

---

(1) هو 24 حسب التقويم .

ولم يزل يترقى بما يُسَمّى نجابة في ذلك الوقت ، وزاحم الوزير ابا عبد الله محمد العربي زروق حتى غص منه بالريق ، وخلا له جو الوزارة بعد قتله ، برهة من الزمن ، وعيون الحوادث نائمة ، واعلام السعود قائمة ، فجرى في أغراض سيده ، ملء العنان ، من غير توقف ولا اعمال فكر في شان ، شأن الوزراء للملوك الاطلاق ، وتأنق في اقتناء الظرف ، وسار في ميادين السرف ، وأعانه على ذلك اختصاص الدولة يومئذ بزيوت الساحل ، ثم زوحم بالوزير شاكير صاحب الطابع ، لما توقفت الدولة بسبب السرف في الترف ، وعُدّ ذلك من سوء تدبيره ، وهو عبد مأمور ، حسبه تنفيذ الامور ، شان الوزراء للملوك الاطلاق ، فاستمال الوزير شاكير الرجال ، وفسح لهم في الامل المجال ، وبقي صاحب الترجمة على حاله ، وظاهر إجلاله ، وسائر ما له من المصوغ المرهون ، أفنته فائدة الديون ، ثم استدان مالا لا يفي به كسبه ، وظن ان الدولة تدفعه ، وهو في الحقيقة مصرعه .

ولما طلب ارباب الديون اموالهم عند توقف فائدتها بيع فيه كسبه ، وسجن في بقيتها بالصرايا ، ايام المشير أبي العباس احمد باي ، ثم تسرح لطول سجنه .

ومن كسبه كتبه ، اشتراها المشير ، ودفع الثمن للغرماء ، واوقفها بالجامع الاعظم، كما تقدم في الباب السادس .

وكان كريما لين العريكة ، حسن اللقاء ، فصيح اللسان ، مطواعا لسيده ، غير مفكر فيما ينشأ له من ذلك ، وفيّ العهد ، صبورا محببا لاهل الحاضرة ، يتبع ما استطاع آثار سيده الاول ومربيه في اصطناع المعروف ، واغاثة الملهوف ، وقد وقته مصارع السوء .

ولم يزل على هذا الحال ، غير متأسف على ضياع ما له من المال ، صابرا على الاقلال ، شاكرا ربه على اللطف في المآل ، الى ان توفاه الله تعالى في سنة 1274 اربع وسبعين ومائتين والف (1857/58 م.) ، وترك ابنين هما الآن من الاعيان ، لو ساعدهما الوقت .

[333 ـ محمد المعيلـــل]

أبـو عبد الله محمد ابـن الحاج محمد المعيلـل التميمـي القيـروانـي .

من أعيان قبائل الفتح بالقيروان ، نشأ في طلب العلم ، وأخذ عن أعيان العلمـاء بالقيروان ، كالفقيه الحـاج قاسم بـو الاجفـان ، والشيـخ القـاضي أبـي عبد الله محمد بوراس وغيرهمـا .

وتصدر للتدريس والتوثيق ، ثم ولي القضاء ببلاده ، ثم انتقل للفتوى .

وكان خيرا ، فقيها عفيفا ، موثقـا .

ولم يزل على حاله ، متجملا بخلاله ، الى ان توفي سنة 1275 خمسين وسبعيـن ومائتيـن والف (1858/59 م.) .

[334 ـ محمد الفـــراتي]

الشيـخ ابو عبد الله محمد ابن الشيـخ المفتي
عبد العزيز الفراتي الصفـاقسي .

أخذ من علماء بلاده ، كالشيـخ مقديش الـكبير ، والشيـخ الشرفي ، والشيـخ علي خليف ، ورحل في طلب العلم لتونس ، فأخذ عن بعض أعلام الجامع ، ثم رجـع لبلده ، ودرس وتصدر للتوثيق ، ثم لخطة الفتوى ، وانفصل عنها .

وكان عالما فقيها ، ذا عفة وصيانـة ، الى ان توفي طاعنـا في السن غـرة رجـب من سنة 1275 خمس وسبعين ومائتين والف (الجمعة 4 فيفري 1859 م.) .

[335 ـ احمــد الاصـــرم]

ابو العباس احمد بن ابـي عبد الله محمد الاصرم .

نشأ هذا الخير مع أبيه وأخويه ، في خدمة الدولة ، وتدرج الى ان صار وكيلا على رابطة الحبوب ، وهـي من الخطط النبيهة ، عوض أبـي النخبة مصطفى الارناووط .

وكان ثقة أمينا ، خيرا عفيفا ، غراً كريما . وامتحن بموت ابنه ، ثم تخلى عن الخدمة ، ولزم كسر بيته ، وطعن في السن ، وأصيب في آخر عمره بسرقة داره ، وتلونت في شأنها الاخبار .

وتوفي طاعنا في السن ، في اشرف الربيعين سنة 1275 خمس وسبعين ومائتين والف (اكتوبر — نوفمبر 1858 م.)

[336 ـ حمودة الطرابلسي]

أبو محمد حمودة بن احمد الطرابلسي

ولد هذا الرجل بتستور ، وحفظ بها القرآن العظيم ، ورحل في طلب العلم بتونس ، وسكن بمدرسة حوانيت عاشور ، وقرأ على شيخ الشيوخ أبي محمد حسن الشريف ، وعلى الشيخ أبي اسحاق ابراهيم الرياحي وغيرهما . وحصلت له ملكة المشاركة ، وله معرفة بالسير وعلم التاريخ ، حسن الكتابة ، واضطره الحال الى الارتزاق بقلمه ، فكتب في أشغال الدولة كالعلفة والكوشة والغابة وغيرها . وأرسى حاله عند القائد الشهير ابي الربيع سليمان بن الحاج ، فاستكفى به في مهماته ، واشركه في أمره ، موثوقا بأمانته ، حتى انه اودع ختمه عنده ، لما توجه الى الساحل ، خشية تعطيل دفع الاعشار ، ولم يأتمن عليه ابنه ، وانتفع كل منهما بصاحبه .

ولما اشتاقت زوجة هذا القائد لاداء فريضة الحج ، وجهها مع ابنه منها ، وخاطب كاتبه هذا ان يحج ناظرا على ابنه .

ثم جذبه الوزير شاكير صاحب الطابع الى الكتابة عنده ، ثم انتظم في ديوان الانشاء ، يسافر مع الوزير للساحل وغيره .

ولما توفي الوزير بقي في سلك الكتاب ، وكان المشير ابو العباس احمد باي يستنجبه ، ووجهه مع الوزير ابي النخبة مصطفى خزنه دار لفرانسة .

وكان حسن المحاضرة ، مشاركا اديبا ، صحيح الفكر ، مصيب البداهة ، كريم النفس ، عربي السجية ، يميل الى السذاجة ، بصيرا بعواقب الامور ، حنكته التجارب ، عارفا بجهات المملكة كاد ان يعرف سائر سكانها ، أعجوبة في ذلك .

ولم يزل حسن الحال ، نبيه الخلال ، الى ان توفي في الحادي عشر من شعبان الاكرم سنة 1276 ست وسبعين ومائتين والف عن سن عالية (السبت 3 مارس 1860 م.) .

[337 ـ محمد بن ملوكة]

شيخنا ابو عبد الله محمد ابن الولي ابي الفلاح صالح بن ملوكة

نشأ هذا الفاضل في بركة أبيه ، المزار بزاويته المعروفة خارج باب القرجاني ، وحفظ القرآن ، واشتغل بتحصيل العلوم ، فأخذ عن العلامة أحمد بوخريص ولازمه ، وعن شيخ الشيوخ وعمدة أهل الرسوخ ابي محمد سيدي حسن الشريف ، وعن العلامة ابي عبد الله سيدي محمد الطاهر بن مسعود ، وعن امام المحققين ابي اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، وعلا درجة التحصيل ، ولم يلبث ان اقتحم على العويصات أغيالها ، وطمح الى الغايات فنالها ، وأثمر روضه ، وفاض بالعلوم حوضه ، مع الفكر الحديد ، والفهم السديد .

ثم تصدر للتدريس ، ونثر الدر الفاخر ، من البحر الزاخر ، وأرى الناس مصداق قولهم : كم ترك الاول للاخر ، حتّى قيل ان علمه وهبي لاكسبي .

ولما برز في ميادين المعارف وجلّى ، واشتهر اشتهار النهار اذا تجلّى ، اقبل على نفع الناس ، واختار تعليم القرآن على اسلوب لم يسبق اليه ، فكان التلميذ يخرج من زاويته حافظا للقرآن ، عارفا بالرسم ، عالما بضروريات دينه ، وتقويم لسانه بالعربية ، حافظا لمتون علمية . ويروّض أبدانهم خشية السآمة بالمصارعة والرماية ، وتلقف الكرة ، ونحو ذلك مما يحسن بالرجال ، ويدرب على اقتحام الاوجال ، وهو مع ذلك لا ينفك عن التدريس تارة بجامع الزيتونة ، واخرى بغيره من المساجد القريبة من زاويته ، واخرى بالزاوية نفسها ، على حسب النفحات (1) .

وانتفع به غالب من يشار اليه في هذه المملكة . اذا استفتح الدرس ترى البحر العجاج ، والوابل الثجاج ، يوضح الغامض ، بفكر يسبق البرق الوامض ، وله قدم راسخ في الفرائض والعلوم العقلية ، كالحساب والهندسة ، وله في معارف التصوف ذوق واطلاع ، ورسوخ قدم وطول باع ، تقف دونه الاطماع .

---

(1) النفحة : ميل الساعة (لهجة تونسية)

وخوطب في القضاء والفتوى ، فأعانه الله على الامتناع ، وخوطب لامامة الجامع فامتنع بظرف ، وهو أن لا يغير زي لبسه الى زي الايمة ، لانه كان يلتحف بالحرام . ويلبس الخشن ، ولا يعتم بعمامة الفقهاء .

وزاوية منتزه العلماء والاتقياء ، ومرتع الادباء والاذكياء ، وهو مع ذلك يجالس تلاميذه مجالسة الاقران ، ويجاريهم في ميادين العرفان ، وربما باشر معهم الرماية ، وكان فيها آية ، وهو على فضله وجلالته ، يباشر ما يلزمه ، ويخدم ضيفه ، ويناوله الطعام بنفسه ، ويحلب شاته ، الى غير ذلك من اخلاق الصالحين ، وسجايا الزاهدين .

وكان رحمه الله صالحا معتَقَدا ، عالما فصيحا ، تقيا نقيا ، ذكيا نزيه النفس ، محتقرا للدنيا ، صبورا سليم الصدر ، يعفو ويصفح .

بلغه أن العلامة القاضي اسماعيل التميمي ذكره في مجلسه ، بما ينقص مقامه ، فأتاه الى داره ، وقال له : « بلغني ما ذكرتني به ، واني أقبح مما ذكرت ، واتيتك لتعلم أني سامحتك في الدنيا والآخرة ، فقل ما شئت ، وانت في حل مني ، لانك من الاشراف ، ولا احب ان الله يعاتب شريفا من اجلي » ، فخجل الشيخ ، وتسامحا ، غفر الله لهما ، وصار الشيخ اسماعيل بعد ذلك يعبر عليه بالولي في لسان الشرع .

وكنت من تلاميذه الساكنين بزاويته ، وشاهدت من حسن أخلاقه وعبادته ، ما يستوقف القلم .

فكان يصلي بنا العشاء ، ثم يدخل داره ، ويخرج في جوف الليل الى جهة القرجاني ، في زي اختفاء ، ليصلي ، ويأتي قبل الفجر ليوقظنا للصلاة بقوله رافعا صوته : « وقرآن الفجر ، ان قرآن الفجر كان مشهودا » .

وكان متواضعا على تلك الرفعة ، جميل الظن بالناس ، وله صدقات سرية وجهرية على فقراء يأتون الزاوية للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، حسن اللقاء ، ممتع المحاضرة في غير الشعر ، ما شئت من ظرف وعلم ودين ، وتقدم في مستحسن الميادين ، وعلو نفوس الزاهدين ، ووقار المهتدين ، وانقطاع العابدين ، وثقوب فكر المجتهدين .

ولم يزل معظما عند الملوك ، محببا للعامة ، يقصدونه في استشفاء مرضاهم ، والتيمن باسبابه في كشف بلواهم ، الى ان ارتحل من دنياهم ، ولحق بالرفيق الاعلى ، وترك

الاخبار الجميلة تتلى ، وذلك في منتصف نهار الجمعة الثامن والعشرين (1) من شوال سنة 1276 ست وسبعين ومائتين والف (18 ماي 1860 م.) ، ودفن بزاويته قرب والده ، وحضر جنازته صاحب القانون المشير ابو عبد الله محمد الصادق باشا باي ، في آل بيته ورجال دولته ، وباشر بنفسه حمله من بيته الى نعشه ، وصلي عليه بالجامع الاعظم امام باب البهور ، ولم يعقب ولدا ذكرا ، لانه امتحن بموته ، وانما اعقب شرحا نفيسا على « الدرة » في الفرائض ، لم ينقطع به عمله ولا اسمه ، مع ما بثّه من العلم في صدور الرجال ، قابله الله بالرضوان والاجلال ، ورحمه ورضي عنه ، آمين .

[338 ـ صالح الغنوشي]

الشيخ أبو الفلاح صالح الغنوشي السوسي .

نشأ هذا الفاضل بسوسة ، وأخذ عن الاعلام من مشيخة الاسلام ، وكان شيخنا أبو الفداء اسماعيل التميمي يطيل الثناء على علمه ، ودقة فهمه ، وتولى الخطط العلمية كالتوثيق والفتوى والخطبة بالجامع الاكبر في بلده ، وصار رئيسا بالمجلس الشرعي في بلده ، بعد ان درس فافاد ، ونفع العباد ، وتضلع من منهله الوارد ، وعد في المملكة من الافراد ، والحفاظ النقاد .

وكان موثقا ، متبحرا في الفقه ، عالما في غيره ، مطلعا جيد الحفظ ، بارع التطبيق ، كريم النفس ، عالي الهمة ، ذا مهابة ووقار ، مع حسن اخلاق واستبشار .

ولم يزل مقصودا للافادة ، معروفا بالحفظ والاجادة ، الى أن ألقى بيد المنية المقادة ، في شوال سنة 1276 ست وسبعين ومائتين والف (افريل — ماي 1860 م.) ، رحمه الله .

[339 ـ محمد النيفر]

ابو عبد الله الشيخ محمد بن احمد النيفر .

نشأ هذا الفاضل بين يدي أبيه ، على عفاف وصيانة ، وهو من بيت شرف أصله من صفاقس ، فحفظ القرآن العظيم ، وشمر في طلب العلم عن ساقه ، واستخراج ثماره

(1) هو 27 حسب التقويم .

من أوراقه ، فقرأ على شيخنا ابي اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، وشيخنا أبي العباس سيدي احمد الابي ، وشيخنا أبي عبد الله سيدي محمد بيرم الثالث ، وشيخنا ابي عبد الله سيدي محمد بن ملوكة ، وشيخنا ابي عبد الله سيدي محمد المناعي ، وشيخنا أبي عبد الله سيدي محمد بن الخوجة وغيرهم .

وانقطع الى العلم انقطاعا كليا ، ونبذ ما سواه ظهريا ، فلم يلبث ان سبق الاقران ، وفاق من تقدمه بأزمان ، والعبد الفقير ممن تقدمه ، ويقر له بفضيلة التقدم ، والمتشبع بما ليس عنده كلابس ثَوْبَيْ زور ، فحصل واستفاد ، واقتنى من كنوز انقطاعه ما لا يُخاف عليه النفاد ، بفكر وقاد ، يومىء به الى الشوارد فتنقاد ، ملقية للمقاد .

ثم تصدر للتدريس ، فانهل ودق العلم وانثال ، ونسج على غير مثال ، ما سرى مسرى الامثال ، بفصاحة سحبانية ، وبلاغة حسانية ، وابدع في القاء العلوم ما شاء ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

درّس « تفسير القاضي البيضاوي » بالجامع الاعظم ، فجلّى في مضمار الانظار ، وأتى بما يزري بالنضار ، فكان يتلو الآية من حفظه ، ويأتي بجميع ما يمكن ان يقال في تفسيرها من حفظه ، ولا كتاب معه ، يظن سامعه انه يؤلف في حاشية على التفسير ، ويقول في الدرس ما كتبه ، جلوسُه في الدرس بخشوع ووقار وسكينة ، لا يستعين في تقريره باشارة يد . وكان شيخنا أبو عبد الله محمد بن الخوجة اذا رآه على تلك الحالة ، يقول لنا : « هذا معنى راحة العلم ، لان مسائل الدرس صارت في نظره كالضرورية » .

وتقدم لخطة القضاء بالمحلة ، وكاد ان لا يقبلها ، لولا الزام شيخه ابي عبد الله محمد بيرم ، وهو الذي أشار بولايته ، وكتب للباي في ذلك بخطه ، فسافر قاضيا ، وهو على السذاجة العلمية الدينية ، يرى الحق أعظم من كل عظيم ، فرفعت اليه مظلمة من الكاهية صالح بن محمد في أمر سياسي فأقر ، لما يرى انه غير مؤاخذ باقراره ، فحكم عليه برد الحق او السجن ، فبعث اليه باي المحلة ، وهو يومئذ ابو عبد الله محمد باي ، كاتبه البارع الاديب صاحبنا أبا عبد الله محمد الباجي المسعودي يلاطفه ، بما محصله : « ان هذا الرجل ، والحالة هذه ، أمير جيش في خدمة ، وانا لا أقدر على سجنه ، الا باذن خاص » ، فقال له : « انا قلت ما لزمني ، وله النظر في السجن وعدمه » . ولما

رجعت المحلة قدم الباي المشير أبو العباس احمد غيره للخطة ، فاستراح ، وأقبل على دروسه ، ومجالسة كتبه وطروسه ، والتلذذ بمألوفه ومأنوسه ، وفرح بنجاته من مزالق الاقدام ، وحبائل الخصوم ، الى رياض الجنة وثمرات الفهوم . وترقب الباي ، لـمّا فعل فعلته ، متزلفا او مداهنا يحسّنها ، او يَشِينُ الرجل ، بعدم السياسة ، فلم يسمع الا السكوت ، فندم ولات حين ندم .

وكان مهما تذكرها ، يقول : « فعل ما يجب عليه ، وابقى لنفسه فخرا » . ثم داوى استعجاله ، وكان من السياسة بالمكـان المكين ، فقدمه لخطة القضاء بالحاضرة ، وكانت ولايته يوم ولاية شبيهه ابـي عبد الله محمد البَنّا للفتوى ، واحضر يوم ولايتهما رئيس المفتين ، وبركـة المصر شيخنا ابا اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، فقال له بمحضر الملأ من الديوان : » أصبت في انتخابك ، لا زلت تصيب ، هما خير أقرانهما علما ودينا » ، وناهيك بهذه الشهادة ، من ذلك العدل ، في ذلك المشهد ، فقبل الولاية بعد لأي وما كاد ، وقام ما استطاع لحق الله وحق العباد ، بدين متين ، وشدة مكسوة بلين ، أعانها الانصاف ، والقناعة بالكـفاف .

ثم انتقل لخطة الفتوى ، فزانها بالتقوى ، واعتماد القول الاقوى ، مع غيرها من الخطط العلميـة .

وكان رحمه الله تقيا عفيفا ، نقي العرض ، موثرا لحق الله ، سالكـا نهج الصالحين، متضلعا بالعلوم ، واسع الصدر ، يعفو عمن ظلمه ، بعيدا عن الفضول ، محببا الى الناس ، وحبهم موصول بحب الله ، ذا وقـار وسكينـة ، وتواضع على تلك الرفعـة المكـينـة ، منشورة عليه بركات مكة والمدينة ، ما شئت من كرم اخلاق ، وطيب اعراق ، وعلـو همة ، ونفس بمعادها مهتمة ، وادراك ماضية نصوله ، وتحقيق علت فروعه وطابت اصوله ، ومحاضرة كالروض لما اعتدلت فصوله .

حج الفريضة وتطوع بثانية ، وثالثة ، وحمل أمانة الحرمين الشريفين في سفين الدولة ، اعتناء بشأنه ، وثبطته في الحجة الثالثة ، وقلت له : « درس التفسير المتعدى نفعه خير من التطوع بحجة مقتصر ثوابها عليك » ، ولما أكثرت عليه من الالحاح ، لـما رأيت من قوة عزمه ، قال لي : « أريد ان أدفن في البقيـع » ، أو « لا تحرمني من مدفن البقيـع » ، نسيت اللفظ ، وهو يدور على هذا المركز ، وحقق الله رجاءه ، فانتقل الى

ما عند الله ، وهو خير وابقى ، يوم الاحد الثاني عشر (1) من محرم فاتح سنة 1277 سبع وسبعين ومائتين والف (29 جويلية 1860 م.) ، وصلي عليه بالمسجد الحرام النبوي ، ودفن بالبقيع ، بمقربة من قبة الخليفة ذي النورين عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، وأعقب أولادا تخلقوا بخلقه النفيس ، زانوا المجالس ، وحلق التدريس ، وعضدوا مجد النسب ، بمجدهم المكتسب ، كثر الله من أمثالهم .

واخوته سلكوا نهجه في العلم والقضاء والفتوى ، كثر الله من أمثالهم .

[940 ــ كشك محمد الداي]

أبو عبد الله كشك محمد الداي .

أصل هذا الرجل من الارناووط ، قدم لهذه الحاضرة ببضاعة يتجر فيها ، وهو صغير ، وكان خاله من عسكر البحر في حلق الوادي ، فاستقل بضاعته ، وقال له : « انت في قوة شبابك ، لم لا تثبت نفسك في ديوان الجند » ، فامتنع ، فنسبه الى الجبن ، وقال له : « اين اخلاق التجار ، من اخلاق الصبر والثبات في المخاوف ؟ » ، فانف من ذلك ، وثبت في الجند ، وسافر اثر ثبوته في شقف حربي للغزو ، فحمدت شجاعته .

ولم يزل يترقى الى ان صار قبطان البحر ، وهو رئيس الرؤساء في البحر ، وخرج أميرا في الاسطول الذي حرق باورين (2) .

وسافر الى الدولة العلية العثمانية مرارا ، وقضى أوطارا . وكان المشير أبو العباس احمد باي يعرف درجته ويستكفي به ، الى ان اولاه خطة الداي ، وقال له يوم الولاية : « أمتثل أمرك في كل خدمة ، وأعرف ما لهذه الخطة من العادات والظروف الفارغة ، التي منها أن تقدم اليّ ، ولا آتيك الا باذن ، وهو اشدها علي ، وان يكون الترجمان هو الرسول بيني وبينك ، وان لا اتوجه لموضع الا باذن خاص كالمسجون ، الى غير

(1) هو 10 حسب التقويم

(2) يريد نافرين او ناورين ، وهو خليج في اليونان وقعت به معركة بحرية في 1827 ،1243 هـ) انتهت بانتصار اساطيل بريطانيا وفرنسا وروسيا على الاساطيل العثمانية قال الشيخ بيرم في الصفوة (ص 136 ج 1) : « وفي سنة 1243 (1827 م) ارسل حسين باشا سبع سفن اردفها باثنتين لاعانة الدولة على حرب اليونان ، واحترق مع جملة سفن الدولة ومصر والجزائر بعمل اساطيل الدول ..»
ولم يتعرض ابن ابي الضياف لهذه الواقعة في قسم التاريخ .

ذلك ، فان أعفيتني من هذه الامور ، بان نقدم اليك متى اردت ، وأقبل يدك كسائر وزرائك ، وأقوم معهم بين يديك ، واتوجه حيث شئت ، فاني خادمك ، تضعني فيما تراه ، والا فاني في خدمتي بحلق الوادي ، شاكرا لله ، محسوبا من الاعيان » ، فقبل منه المشير ذلك بسرور ، واذن له في التوجه حيث يشاء ، بشرط ان لا يبيت خارج الحاضرة ، لان حراستها في عهدته ، فقبل الولاية بالمحمدية ، واطلقت عليه المدافع لما خرج ، وقلت للمشير : « ان هذا اشترط ان لا يكون مثل الدايات في عاداتهم ، ومن عاداتهم ان لا يزورهم احد منا الا باذن خاص ، فلا استأذنك حينئذ في زيارته » لان لي معه صحبة ، أحكم ربطها السفر في البحر » ، فضحك وقال لي : « لك ولغيرك الاذن في ذلك مهما أردتم » .

وكان خيّرا وجيها ، عفيفا ذا همة عالية ، وشجاعة وصبر ، صادق اللهجة ، سويّ الظاهر والباطن ، عزيز النفس ، آية الله في الوفاء والنصح ، وآداب المعاشرة .

ولم يزل معظما مكرما ، مشكور الخدمة ، موفّى الحرمة ، الى ان توفي يوم الجمعة الحادي والعشرين (1) من صفر سنة 1277 سبع وسبعين ومائتين والف (7 سبتمبر 1860م) ودفن من الغد بزاوية سيدي احمد بن نفيس من السلسلة (2) ، ولم يتخلف عن جنازته أحد من الاعيان .

[341 ـ محمد بن محمد الاصرم]

الوزير ابو عبد الله محمد ابن الوزير ابي عبد الله محمد بن أبي عبد الله محمد الاصرم .

نشأ هذا الوجيه في بيت مجادته ، ونجم في أفق سعادته ، راضعا من الدولة ثدي نعمائها ، مستنيرا بضيائها ، ولسلفه في خدمتها اختصاص قديم ، ومزايا اقتضت التقديم، فأقبل على العلم في شبابه ، واتى المجد المكتسب من بابه ، فأخذ عن شيخ الشيوخ أبي محمد حسن الشريف ، وشيخنا ابي اسحاق ابراهيم الرياحي وغيرهما . وحصل ملكة في النحو والبيان ، والحساب والعلوم الرياضية كالفلك ، وشيء من الفقه .

(1) هو 20 حسب التقويم

(2) هي مقابر قديمة كانت متسلسلة داخل سور المدينة ابتداء من ضريح سيدي علي بن زياد الى ما يسمى الآن بـاب الجديد .

وولـع بقرض الشعر، وحاك منه ما يستحسن ، ويضرب في صناعة الانشاء بسهم .

استكتبه الباي أبو محمد حمودة باشا في صغره ، فرغب عن ذلك ، واختار الاقبال على شأنه ، واجتناء ثمر العلم من أغصانه .

ولما توفي والده قدمه الباشا ابو عبد الله حسين باي كاهية لعمه أبي الثناء محمود ، وتخطى أعناق من تقدمه كشيخنا أبي عبد الله محمد المناعي ، وأبي الربيع سليمان المحجوب ، وهما من فرسان الانشاء يومئذ ، ثم تقدم لرئاسة القلم بعد وفاته (1) ، فكانت الرئاسة له ، والقلم بيد غيره ، ولا أقول عن قصور ، الا انه يكتب كما يريد ، قياسا على حوك الشعر ، لا كما يراد منه ، وهو سر قلم الانشاء .

ونال في دولة المشير أبي العباس احمد باي جاها واقبالا ، وأفاض عليه من صنوف الانعام سجالا ، وبلغ من الحظوة والاجلال آمالا ، واختص بوزير الدولة يومئذ أبي النخبة مصطفى خزنه دار ، ثم نافره ، ونبذ الخدمة ، مُدَلاً بتوقف الامر عليه ، ولا سبب يقتضي استرضاءه أو اقصاءه ، فأقبل الوزير يسوس أحوال الدولة بمن يستكفى به ، وللشيخ اسم الخطة ، فانتخب كتابا للحسبان ، وآخرين للانشاء ، فجرت احوال الدولة على منهاجها ، وصدقت مقدمات انتاجها ، فأنف الشيخ لذلك وارتمض ، وهكذا كل من يرى توقف شيء عليه ، وانحجز في داره ، مستوحشا حتى من جواره ، وساءت ظنونه ، وتوقع المكروه ، وحفيده بين يديه طوع امره ونهيه ، وابنه خارج عنه ، حتى انه لم يأت مخدومه عند سفره لفرانسه ، ولا يوم قدومه ، ولا عزاه في موت أمه ، فأثر ذلك فيه ، وغلبه ما جبل عليه من الاحتمال ، والتجاوز عن زلات الرجال ، ولما مرض أتاه الى المحمدية ، فلم يجتمع به .

ثم جاءت دولة المشير أبي عبد الله محمد باي فجاءه للبيعة ، وتعرض للخدمة ، واستأنف لها عمرا جديدا ، يقال لحاجة في نفسه على الوزير أبي النخبة مصطفى خزنه دار ، ولما ايس منها ، ترك الخدمة واعرض عنها ، ولازم ظل جداره ، وانقبض في كَنّ داره ، على جراية خطته من الدولة ، مرموقا بعين اجلال واحترام ، على ما للخطة من المقـام .

(1) اي بعد وفاة عمه

وكان فقيها مشاركا ، أديبا عالي الهمة ، منصفا عزيز النفس حتى أفرط ، أبيّ الضيم ، صعب القادة ، حتى نسب للشدة في غير محلها ، مشغولا بخويصّة نفسه ، حتى عن آله وبني جنسه ، ضيق الصدر ، حافظا لحطام دنياه ، الا انه يعين على نوائب الدهر بالقرض ، غير غافل عما يجب من إنظار المعسر ، مقتصدا في معيشته . يقال ان والده قال فيه ، مع شدة حبه له ، اذ هو اكبر بنيه ، واحقهم بالحب : « ان ابني سيدي محمد أمة برأسها » . وقال فيه ابنه : « ان أبـي نافر أباه واخوته ومخدومه ، فانا معهم » . ومع ذلك فلم ينقل عنه شر ، ولا تسبب لاحد في ضرر ، وله ان يفعل في نفسه بما يراه ملائما ، وان خالف عقول الناس ، اذ رضاهم غاية لا تدرك ، وله وجهة الى الله ، يقـول الخيـر أو يصمت .

ولم يزل على حاله ، في احترامه واجلاله ، متجملا بخلاله ، الى ان توفي رحمه الله يوم الجمعة العشرين (1) من شوال سنة 1277 سبـع وسبعين ومائتين والف (3 مـاي 1861 م.) ، ودفن بمقبرة ابيه من الجلاز ، وحضر جنازته امير العصر المشير أبو عبد الله محمد الصادق باي ، ومعه أخوته ورجال الدولة ، واعقب ابنا سعى في هدم المبنى من مجده ، وحفيدا اقتفى أثر جده ، وهو الآن من الاعيان ، وكل من عليها فان .

[342 ـ مصطفى صاحب الطابع]

الوزيـر أبـو النخبة مصطفى صاحب الطابـع.

أصل هذا الفاضل من القرجستان ، أهداه القائد ابو الثناء محمود الجلولي الى الباي أبـي محمد حمودة باشا ، وهو صغير السن ، كبير العقل ، فنشأ في الخدمة بين يدي سيده في الصرايا ، وكان يستنجبه ، ويثق به على حداثة سنه .

ولما توفي سيده عتق مع سائر من عتق من المماليك ، واراد الخروج من الصرايـا مـع ابـي النجاة سليم ، المتقـدم ذكـره ، فمنعه الوزير أبو المحاسن يوسف صـاحب الطابـع ، ضنا به ، لانه رأى فيه مخائل الصدق والنجابة ، وضمه اليه في علوه بباردو ،

(1) هو 22 حسب التقويم

ثم ضمه الى ابن الباي عثمان أبي الفلاح صالح باي ، فقربه في تلك المدة القصيرة ، وأبلى ليلة الثورة البلاء الحسن ، سمعت ذلك ممن حضرها .

ولما جاءت دولة الباشا ابي الثناء محمود باي ضمه الى ابنه مصطفى باي ، ولقبه بصاحب الطابع ، ولازمه في سائر أسفاره بالمحالّ ، واستكفى به في أموره ، وقربه نجيا ، وفتح أذنه لرأيه ، وجعل لنظره تربية ابنه أبي العباس احمد باي ، فكان يجالسه مجالسة الصاحب ، ويفيده في صورة محادثة ومؤانسة ، وهو الذي حضه على معرفة التاريخ ، وأخبار الناس ، ويقول له : « الجهل في نفسه قبيح ، وهو في عظماء الناس أقبح » ، سمعت ذلك مرارا من المقول له .

وله عند الباشا حسين باي منزلة نبيهة ، يُحْضِره في مجالس مشورته ، ويعتبر رأيه ، ويبني على اساس تدبيره ، فَوَزَانه في هذه الدولة وزَان الوزير الشهير ابي النخبة مصطفى خوجة (1) في دولة الباي أبي محمد حمودة باشا ، يقتدي به الكبير والصغير ، ولا يقطعون أمرا دونه ، تيمنا برأيه ، وهمُّهُ صلاح ذات البين بين الاخوين ، وسائر اهل هذا البيت ، حتى ان شيخنا العلامة ابا عبد الله محمد بيرم الثالث يسميه بقية السلف الصالح .

وصاهره الباي مصطفى باشا على بنته ، وبنى بها في داره ، قبيل وفاته ، وأوصاه على بنيه وبناته ، في مرض موته ، فكان فوق الظن ، حنا عليهم حنوّ الام على الفطيم ، حتى زوّجهم ، وقال لما تزوجت الاخيرة ، بالوزير الخطير أبي النخبة مصطفى خزنه دار : « الآن ملكت أمر نفسي » .

وبالجملة ، فعل مع اولاد سيده أكثر مما يفعله الاب البر والام الشفيقة .

وله فراسة في الرجال تكاد لا تخطىء ، والمؤمن ينظر بنور الله ، كان يتوسم في أبي عبد الله محمد خزنه دار ، وفي أبي محمد خير الدين ، ما رأيناه منهما الآن ، وكان يجلسهما بين يديه ، ويحادثهما ، ويسألهما كالمسترشد ، ويفتح أذنه لجوابهما ، وهما في اول سن الشباب ، وشأوه لا يلحق في السياسة ، وغوره فيها بعيد ، لم يتجه عليه انكار ولا اعتراض ، في سائر ما باشره على اختلاف الاغراض .

(1) في خ و ع : خزندار ، وهو خطأ (انظر ج 3 ص 12)

وسافر في غرض سياسي الى الجزائر اثر أخذها ، ومعه الاكتب البارع ابو الربيع سليمان المحجوب .

ملأ حب الوطن قلبه ، وخامر لبه ، يوثر عادات البلد ، في النفس والولد ، يقدم المصلحة على نفع ذاته ، وسائر لذاته .

لما جلس ابن تربيته المشير ابو العباس احمد باي على أريكة المملكة ، رأى (1) ان يوثر بوزارته ابا النخبة مصطفى خزنه دار ، لاسباب قررها لمحبيه ، منها ان سيده يحبه ، والانسان ينقاد بالطبع الى رأي من يحبه ، ومنها أنه رأى في هذا الرجل مخائل النجابة ، واسباب التقدم ، فأراد أن يضم له عقل الممارسة والتجريب . ولما امتنع من القبول كلّمه ، وأغلظ له في القول ، فأبى ان يتقدم ، فاستأذن في التوجه لتفقد احوال الساحل ، وقال له : « ها أنا مسافر ، فان تقدمت لخدمة سيدك الذي رباك في حجر أمه ، فعلت بعض ما يجب عليك ، والا فالْبَس جُبَّةَ العقوق » ، فتقدم عن كره خوفا من وصمة العقوق » .

وتقدم لهذا الفاضل ذكر في الباب الخامس والسادس ، والآثار تغني عن الاخبار.

وكان خيرا فاضلا ، سليم الصدر ، صبورا ، غاض الطرف عن المعائب ، كريم النفس ، عالي الهمة ، حسن الخلق ، نديّ الكف ، قلّ ان تجد واحدا ممن عاصره ليس له فضل عليه ، ولذلك لم يتمول كأمثاله ، شجاعا ثبتا ، جيد الفهم ، ثاقب الفكر ، لو أوتـيَ فصاحة على قدر فكره ما جرى لاحق في مضماره ، يحب التأني والرفق ، متخلقا باوصاف الكمال والخير ، لم يحفظ عنه انه تسبب في ضر ، بل يحتمل المضرة ، ويصفح .

اشتكى به القايد محمد بن سليمان بن الحاج في نازلة بالمحكمة ، لو سمعها أنصفه قبل الشكاية ، وأساء الادب معه ، ونال منه ، كأنه مُغْرًى به ، فاحتملها ، وتجاوز له ، ولما عضه الدهر رق له وأعانه ، وذكر لامير الوقت سلفه في الخدمة ، واستعطفه الى مؤاساته وجبره . ولامه بعض خواصه في ذلك ، فقال : « سبحان الله ، المؤمن لا يُصِرُّ على حقد » . الى غير ذلك من أخلاق الاخيار .

---

(1) اي صاحب الطابع

يحب العلماء ويعظمهم ، ويعرف معنى العلم وثمرته ، وان لم يكن من اهله ، يقول الحق ولو على نفسه . استشار المشير رحمه الله رجال دولته في أمر ، وكان هو وَجهَ الجماعة ، فقال للمشير : « أي شيء تشتهي [سيادتكم ؟ » ، فبين له مراده ، وانفضّ الجمع على غير رأي . ولما خرجنا انكرت عليه قوله : « أي شيء تشتهي سيادتكم ؟] وقلت له : « لو أراد شهوته لفعلها بدون مشورة » ، فقال لي : « اذا غالطنا أنفسنا ، لا نغالط ربنا ، وهو أعلم بنا منّا ، ناشدتك الله ، أترى خدمتنا مقصورة على المصلحة ، وما يقتضيه العقل والتجربة ، من غير اعتبار لشهوة الملوك ؟ أترى نفسك في فرانسا ايها الشيخ ، ودليل ذلك عدم نتيجة هذا الجمع » ، فلم اجد جوابا .

يُحب المساواة في الحكم ، كانت له غنم ببستانه المعروف بسبالة الكاهية ، فأكلت غلة الزيتون المجاور له ، فرفعت الشكاية للمشير ، فقال له : « ما افعل يا أبي ؟ » ، فقال له : « الواجب عليك ان تفعل ما تفعله مع اقل الناس » ، فقال له : « نعم نطبع الغنم ، ونطعمها للعسكر على العادة » ، ففرح ، وبالّغ الاذن في طبعها بنفسه ، سرورا بلذة التساوي .

ولما وقع عهد الامان والقانون ، قال : « هذا ما كنت اهتف به مذ عرفتكم » ، يشير الى ان ملك الاطلاق لا يكون الا لله ، وان القانون لا محيص عنه ولو بعد حين ، « واری انه تجدد ملك لاولاد حسين بن علي بهذا القانون في هذا القطر » .

وكان ذا ولوع بمقدمة ابن خلدون ، حتى كاد يحفظ محل الحاجة منها ، وصار رئيس المجلس الاكبر ، وهو مجلس الشورى .

وكان لا يستحسن صرف العناية في التحسين والتقليد ، ويقول لنا : « بقدر العناية بهذه الزوائد تضعف العناية بالاصل ، والتحسين جاء لاهله شيئا بعد شيء » ، وهذا شانه في التصبحة .

وكان لين العريكة ، طلق الوجه ، يغلب عليه الصمت ، لقصور فصاحته ، متوددا الى الناس . أتاه ابن صلبه ليقبل يده ، ونحن معه ، في انتظار خروج الباي صباحا ، وقد صدر امر بتحجير تقبيل يد غير الباي ، فانتهره وقال له : « ألم يبلغك الامر ؟ » ، فأجابه الابن بان التحجير في غير الآباء ، فقال له : « انت الآن في محل خدمة ، وأنا وأنت كسائر رجالها ، كل على حسبه ، فاذا صرنا الى دارنا تمحضت الابوة والبنوة ،

وهؤلاء الناس كل واحد منهم يراني كأبيه ، وأراه كابني ، ولا أوثرك من بينهم ، وفيهم من يعزّ عليّ مثلك ، واكثر منك ، باعتبار ما فيه من النفع لهذه البلاد » ، الى غير ذلك من اسباب المودات ، ولو من الحسّاد العداة .

وكان آية الله في الوفاء ، فعل مع دار الجلولي من الاعانة على نوائب الدهر ، ما بعد العهد بمثله في أخبار الوفاء ، يعرف ما للبيوت النبيهة من المنازل ، سواء في ذلك الحواضر والعربان .

ركبه دين في أواخر امره ، اضطر فيه الى بيع الربع والعقار ، وذلك في دولة أبي عبد الله محمد باي ، فأخذ الله بيده ، والله يأخذ بيد الكريم ، وأتاح له من غيرة الوزير أبي النخبة مصطفى خزنه دار ما فرج كربه ، وأدى أكثره من ماله ، وان فعل معه في أوائل هذه الدولة ما لا يقتضي ذلك ، مما لا يعد الا على مثله من الافاضل ، ومن الذي ما ساء قط ، ومن له الحسنى فقط .

ثم لم يزل بالغ الامنية ، رافلا في أوصافه السنية ، واعماله الدالة على خلوص النية ، والسياسات على رأيه مبنية ، والاجلال يرد عليه من كل ثنية ، الى ان وافاه رائد المنية ، عشية يوم الجمعة سلخ شوال سنة 1277 سبع وسبعين ومائتين والف (10 ماي 1861 م.) ، وحضر جنازته أمير العصر المشير أبو عبد الله محمد الصادق باي وآل بيته ، ودفن بالتربة الحسينية ، وهو الذي قبل عزاءه ، وتولى رئاسة المجلس الاكبر عوضه الوزير أبو محمد خير الدين ، الذي كان يستنجبه ، وهو كاهيته .

[343 ـ محمد علي آغة]

أبو عبد الله محمد علي آغة

أصل هذا المملوك من جنوة ، وأسلم صغيرا ، وتربى في الخدمة في الصرايا عند الباشا أبي عبد الله حسين باي ، وأجراه خلف ابنه حتى كبر ، وسافر معه في المحلة من جملة المماليك ، وقدمه الباشا أبو النخبة مصطفى باي آغة وجق ، عوض أبي عبد الله محمد شولاق ، لما قتل الوزير شاكير صاحب الطابع .

وتدرج في الخدمة وساعده البخت ، وتولى الاعمال كوطن رياح ، والوطن القبلي ، واشتدت وطأته على أهل عمله ، وعاش في أقارب شيخنا بركة العصر سيدى

ابراهيم الرياحي، ولم يرع فيهم إلاّ ولا ذمة . وسبب ذلك انه طلبه رجل بحق شرعي عند الشيخ ، فبعث له الشيخ يعلمه ليجيب ، فأنف من ذلك ، وصدرت منه مقالات ، انتقدها عليه اهل العقل والكمال ، من بني جنسه ، وسقط من أعينهم . ثم ان الشيخ لم يرفع به شكاية ، وانتصف بالله القوي المتين ، وذلك ايام مرض المشير أبي العباس احمد باي .

ولما دالت الدولة لابي عبد الله محمد باي ، وهو عامل بالوطن ، اشتد على رجل من اهل الوطن ، وضربه ضربا مبرحا ، حتى اشرف على القتل ، فشكاه أهله ، فكتب اليه برفع يده ، وحلف اذا مات المضروب ليقتلنه به ، وقدم منكرا لفعل الباي فمرض .

وكان عسوفا جريئا ، متهورا على الاحكام الشرعية ، ضيق الصدر ، فارسا راميا ، وأصيب ببصره في مرضه الطويل ، الى أن تمنى له أحبابه الموت .

ويقال ان الرجل الذي ضربه مات ، فصالح صهره الاولياء على مال ، وعند الله تجتمع الخصوم .

وتوفي ببستانه بمنوبة سنة 1277 سبع وسبعين ومائتين والف (61 — 1860 م.) ، ودفن بزاوية سيدي عبد الوهاب ، سامحه الله وغفر له .

[344 ـ احمد حافظ خوجة]

أبو العباس احمد حافظ خوجة

أصل هذا الرجل من قبرص ، وحفظ القرآن ببلده ، وسمي حافظا على عادة الترك ، ثم قدم الى اسلامبول لقراءة العلم ، وسكن بعض المدارس ، ورام زيارة بلده ، في بعض ايام البطالة من الدروس ، فصار يأتي الى المرسى باسلامبول ليجد مركبا متوجها لبلده ، وفيها سفن لتونس لجمع العسكر ، على العادة السابقة ، فقابله الرايس علي العشي ، وقال له : « انا أحملك الى بلدك في سفينتي بلا كراء ، لان مروري عليها » ، فحمله ، ولما خرج به من البوغاز ، قال له : « انا متوجه الى تونس » ، فجاء به ، ورسم في دفتر الجند ، على عهد الباي أبي محمد حمودة باشا على كره ، وخدم في صناعة القلم خوجة ، وبعد عام أتى الباي يطلب التسريح لبلده ، فقال له الباي : « اني متوجه في العام المستقبل

الى اسلامبول ، واحملك معي بلا كراء ، كما قدمت » ، فرجع الى القشلة مسرورا ، وأخبر رفقاءه من الجند بهذا الوعد ، فضحكوا من جده ، وأعلموه بغلطه ، فصبر .

وترقى الى ان صار باش خوجة في المحكمة ، ثم باش خوجة الديوان ، وانحصر فيه ، على قصوره ، القلم التركي .

وسافر للقسطنطينية مع الوجيه محمد امين باش خوجة .

وسفر لمصر عن الباشا أبي عبد الله حسين باي ، بهدية لعزيز مصر ، الطائر الصيت محمد علي .

وكان خيرا وجيها ، عفيفا غرا كريما ، حسن الاخلاق ، جميل المعاشرة ، بعيدا عن منازع الفضول ، لين العريكة ، وفيا بالعهد .

واعتراه مرض قبل وفاته اقعده عن الخروج من محله ، الى ان توفي يوم الخميس الثالث عشر (1) من ذي الحجة سنة 1277 سبع وسبعين ومائتين والف (20 جوان 1861 م.) ، واعقب اولادا تخلقوا بخلق أبيهم ، من أماثل اهل الحاضرة .

[345 ـ سليمان الحسني]

أبو الربيع سليمان بن خالد الحسني

هذا القائد من نبهاء بيوت القائد حسن ، مملوك مراد باي ، نشأ في خدمة الدولة على عادة آله ، وتسنم ذرى الاعمال النبيهة في العروش كدريد وغيرهم . وله عند مخدومه الباشا ابي عبد الله حسين باي مكانة وقربى ، يجالسه ويسامره .

وكان وجيها كريم النفس ، ندي الكف ، حسن اللقاء ، فطنا لبيبا ، فصيح اللسان ، حلو المحادثة ، جامعا بين سذاجة العرب وحذق الحضارة .

ثم تراجع به الاقبال ، ورمته الليالي بالنبال ، وافضى حاله الى الاضمحلال ، والدنيا لا تدوم على حال ، وتوفي بحال اقلال سنة 1277 سبع وسبعين ومائتين والف (61 — 1860 م.) .

---

(1) هو 11 حسب التقويم .

[346 ــ محمد بن احمد بوخريص]

الكاتب ابو عبد الله محمد ابن العلامة أبي العباس أحمد بوخريص

نشأ هذا الشيخ بين يدي أبيه ، وهو أكبر النجباء بنيه ، فأخذ عنه ، وعن العلامة ابي عبد الله محمد الطاهر بن مسعود ، وأبي عبد الله محمد بن صالح بن ملوكة وغيرهما. وحصل درجة التحصيل ، الا انه لم يدرس بالجامع الاعظم ، وتصدر للتوثيق ، ثم استكتبه ابو النخبة مصطفى باي ، وسافر معه في المحالّ ، ثم تقدم لخطة الانشاء ، ويسافر مع الباي . وصار كاهية الرئيس في ديوان الانشاء .

وكان فقيها محصلا ، موثقا ، كاتبا ، جميل الخط ، خيرا وجيها ، عفيفا نقي العرض ، ذا همة عالية ، ونفس ابية ، حسن المحاضرة ، كريم النفس . وله الى الله وجهة حسنة .

ولم يزل على حاله ، متجملا بخلاله ، الى ان توفي في ربيع الثاني من سنة 1278 ثمان وسبعين ومائتين والف (اكتوبر 1861 م.) .

[347 ــ محمد بيرم الرابع]

شيخ الاسلام أبو عبد الله محمد ابن شيخ الاسلام ابي عبد الله محمد ابن شيخ الاسلام ابي عبد الله محمد ابن شيخ الاسلام ابي عبد الله محمد بن حسين بيرم .

ولد هذا الفاضل ليلة الاثنين آخر جمادى الاولى سنة 1220 عشرين ومائتين والف (26 أوت 1805 م.) . ونشأ بين يدي أبيه ، واستأثر به جده . وأخذ عنهما الفقه الحنفي ، وأصوله ، وأخذ عن شيخنا ابي اسحاق ابراهيم الرياحي ، في جامع صاحب الطابع ، وشيخنا ابي العباس احمد الابي ، وشيخنا ابي عبد الله محمد بن ملوكة ، وشيخنا ابي زيد عبد الرحمان الكامل . وجنى ثمار التحصيل ، بغير استناد لاصله الاصيل .

ودرّس بالجامع الاعظم ، والمدرسة العنقية والباشية ، وتقدم لخطة الفتوى ، عند وفاة جده ، مرؤوسا بأبيه ، فأخذ رايتها باليمين ، وسابق في ميدانها السابقين ، وعُدّ فيها من الراسخين ، وعارض أباه في مجالس الحكم بما أوتي من حدة الفهم .

وتقدم للخطبة بجامع الوزير أبي المحاسن يوسف صاحب الطابع ، فجلّى في ميادين الخطباء ، كما جلّى في ميادين الادباء .

ثم انتقل لخطبة الجامع اليوسفي ، وكان المشير أبو العباس احمد باي يستشيره ويدينه ، ويسرع الى بلوغ أمانيه ، ويصله بما يغنيه ، وبكل إجلال يعنيه .

وامتحن في آخر أمره ، بما امتحن به جده ، وهو انتخاب عدد معين من الشهود ، فسخطه كثير من اهل البلاد ، وسلقته الالسن الحداد ، وأنّى للمخلوق وارضاء العباد .

وذلك ان ابا عبد الله محمد باي كان ينكر كثرة الشهود ، ويراها مفسدة ، ولما دالت الدولة له ، تكلم مع الشيخ في ذلك ، وقال له : « ان الحاضرة لا يكون فيها أكثر من مائتي شاهد ، وبلدانها على حسب اتساعها » ، وامره بانتخاب المائتين في الحاضرة ، فثقل عليه ذلك ، وقال له : « الاوْلى ان يتقيد سائر من في الحاضرة من الشهود ، وتعطى نسخة من ذلك التقييد لكل واحد من اهل المجلس الشرعي ، ينتخب منها مائتين بمقتضى ما يدين الله به ، ثم تجمع تلك النسخ ، فمن وقع عليه الاتفاق من سائر المجلس في الانتخاب لا كلام فيه ، وما وقع عليه اتفاق الاكثر يُبْقَى الى تمام المائتين » .

وكان في الحاضرة يومئذ أكثر من ستمائة شاهد ، ولما تم الانتخاب ، ظهر للباي ان يثبت ما انتخبه الشيخ وحده ، ظنا منه ان ذلك من تعظيم الشيخ ، فكتب له في جريدة انتخابه ، وأمره ان يكتب في أمر كل واحد ممن انتخبهم خطّه ، كما فعل جده ، فامتثل الشيخ هذا الامر ، من غير مراجعة ولا توقف ، حتى يظهر للعيان أنه مأمور بتنفيذه ، وأنف أهل المجلس الشرعي من ذلك ، ورأوها ازدراء بهم وحطة ، وتجرعوا مرارتها ، وعاداه كل من لم ينتخبه ، واطلق لسانه في مصون عرضه ، وجاهر بالدعاء عليه وبغضه ، وصدق مَنْ هَدْيُه لا يترك ، « رضى الناس غاية لا تدرك » ، قال الله تعالى لرسوله : « وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ » ، وعند الله تجتمع الخصوم ، وهو من أشد الناس خوفا على عرضه ، ومن المقدور لا يغني الحذر .

وكان رحمه الله تعالى من أفراد الدنيا ، حالاً من الكمال بالمرتبة العليا ، رجل الفتوى وابنَ رجالها ، وفارسَ مجالها ، ان نطق استمال القلوب ، أو كتب فاز بكل مطلوب ، بذهن يكشف الغوامض ، ويسبق البرق الوامض .

وله في الفقه باع ، وتبحر واطلاع ، وفي غيره من العلوم أوفر نصيب ، يرمي فيها بالسهم المصيب .

وله في الادب سهام راشقة ، وعقود متناسقة ، ما شئت من همة علية ، ونفس عصامية ، ومحاضرة تفعم الحياض ، واخلاق كازهار الرياض ، وسياسة ودين ، وتقدم في الميادين ، التي منها الاجتماع الشرعي بالديوان ، والامرُ المعلّقُ به من انشائه ، ليومنا هذا .

ولم يزل متقدما بنفسه ، على ابناء جنسه ، الى يوم رمسه .

توفي رحمه الله ليلة الثلاثاء الرابع (1) من جمادى الاولى سنة 1278 ثمان وسبعين ومائتين والف (5 نوفمبر 1861 م.) ، وحضر جنازته المشير ابو عبد الله محمد الصادق باي ، في آل بيته ووزرائه ، وحمله بنفسه ، ودفن بالجلاز حذو ابيه ، وبكته الاشعار بمراثيها .

وله رسالة في الشفعة ، وموضوع في تراجم خطباء الحنفية ، لم يخرج من مسودته. وكتاب في شعر المتأخرين سماه « الجواهر السّنية » ، ورسالة شرح بها قواعد عهد الامان .

[348 ـ علي الحليوي]

أبو الحسن علي ابن الحاج قاسم الحليوي العراقي القيرواني

نشأ هذا الرجل بالقيروان ، وحفظ بها القرآن العظيم ، ثم جد في طلب العلم ، ورحل اليه من بلده على نقص في رحله ، وهو فاقد البصر ، حاد البصيرة ، فأخذ عن أعيان الحاضرة ، كشيخنا ابي اسحاق ابراهيم الرياحي ، وشيخنا ابي العباس احمد الابي ، وشيخنا ابي عبد الله محمد البحري بن عبد الستار وغيرهم .

---

(1) هو 2 حسب التقويم .

ولما حصل ملء حوضه ، رجع الى مسقط رأسه ومنبت روضه ، فأخذ يبث العلم في الصدور ، ويزين الصدور .

وكان خيرا عفيفا ، جيد الحفظ ، فصيح اللفظ ، يصيب الاغراض بسهمه ، على قوس فهمه ، حسن الخلق ، طيب المعاشرة ، زكي النفس ، لطيف المحاضرة .

ولم يزل في هذه الثنية ، الى ان وافته المنية ، في العشرين من شعبان سنة 1278 ثمان وسبعين ومائتين والف (الخميس 20 فيفري 1862 م.) .

[349 ـ حسونة القسنطيني]

أبو محمد حسونة ابن الحاج احمد القسنطيني

نشأ هذا الرجل بين يدي أبيه ، واقبل على التجارة ، ولما توفي والده قام مقامه في وكالة الجامع الاعظم ، ثم انضم الى الوزير أبي عبد الله حسين خوجة ، وامل الانتظام في سلك رجال الدولة ، وطلب من الباشا أبي عبد الله حسين باي ان يزور بستانه في في مرناق ، فاحتفل لذلك ، وأتاه الباي ، وتغدّى عنده ، وترفع في أحواله عن سيرة ابيه ، فضيع الموجود ، ولم يحصل المقصود ، واخذ القهقرى وأرهقه الدين والربا ، وطار كسبه كالهبا ، وتوفي سنة 1278 ثمان وسبعين ومائتين والف (62 — 1861 م.) ، وكان يتمنى الموت في آخره ، وشر من الموت ما يُتَمَنَّى به الموت ، رحمه الله تعالى وغفر له .

[350 ـ محمد بن حميدة بن الخوجة]

شيخ الاسلام أبو عبد الله محمد

ابن العلامة شيخنا ابي العباس حميدة بن الخوجة.

نشأ هذا العلامة بين يدي أبيه ، واخذ عنه ، وعن غيره كالشيخ ابي محمد سيدي حسن الشريف ، وشيخ الاسلام ابي عبد الله سيدي محَمد بيرم الثاني ، والشيخ بيرم الثالث ، وغيرهم .

وشمر في طلب العلم عن الساق ، حتى سبق اهل السباق ، ثم تصدر للتدريس ، ونثر الدر النفيس ، بتقرير يدل على امتداد الباع ، وسعة الاطلاع ، تقف دونه الاطماع ،

فاستمدت من شمس علومه البدور ، وانتفعت به العامة والصدور ، وعلق أياديه في النحور ولم ينقطع عمله بعد موته ، كما في الحديث المأثور .

ثم زيّن خطة القضاء بالمذهب الحنفي ، فأجرى الحق واوضح ما خفي ، وبرع في تطبيق الاحكام على النوازل ، مسوّيا بين الخصوم وان اختلفوا في المنازل ، بعدلٍ ميزانُه قائم ، وجزالةٍ لا تنثني عن الحق بلائم .

وكان شديدا في معاوضة الاحباس . ظهر للباشا أبي النخبة مصطفى باي ان يعطي هنشيرا يعرف بهشام ، لوزيره وصهره أبي النخبة مصطفى صاحب الطابع ، لقربه من بستانه المعروف بسبالة الكاهية ، وكان الهنشير من احباس جد الباي ، وهو احد المستحقين ، فأمرني بخطاب هذا القاضي ، فامتنع ، فلاطفته ، فلجّ في الامتناع ، فقلت له : « سبحان الله ، من مذهبكم جواز معاوضة الحبس ، بما هو أعود نفعا ، واطيب صنعا » ، فقال لي : « ذلك موكول الى قاضي الجنة ، الذي النفس به مطمئنة » ، ثم استأذنت الباي أن اكلمه في المجلس بمحضر الجماعة ، فقال لي : « تكلم بالنيابة عني » ، فجلست مجلس الخصوم ، وأعدت المطلب ، فقال لي في ذلك المشهد : « يا ابني ، ان بدني لا يطيق النار » ، ثم التفت الى الباي ، وقال له : « انا نائب عنك ، ولم تظهر لي مصلحة في هذا العوض ، فان ظهرت لك المصلحة فافعل ، وكاتبك هذا يحسن الكتابة ، وانت تحسن النظر » ، فرجع الباي ، على عادته في الوقوف مع الاحكام الشرعية ، والادب معها ، رحمه الله .

ثم انتقل الى خطة الفتوى ، فأخذ رايتها باليمين ، وتزينت بالعالم المحقق الامين ، وتقدم لخطة القضاء أكبر بنيه ، فابتدأ من حيث انتهى أبوه ، وزانها بالعلم والتقوى ، كثر الله من امثاله في العلماء .

ثم انتقل الشيخ من الفتوى الى رئاستها ، فبلغت به الى غايتها .

وكان هذا المحقق تقيا نقيا ، ورعا معدودا في درجة المجتهدين ، خاتمة المحدثين ، كاد ان يحفظ « صحيح البخاري » ، لانه اتخذ قراءته كل يوم وِردا ، ذا فكرة يدعوها فلا تتوقف ، ويلقي عصاها فتتلقف ، رفع للعلم راية خافقة ، واقام لـه سوقا نافقة ، وجرى في ميادينه طلق الاعنّة ، ماضي الظُّبا والاسنّة ، متبلغا بما دون الكفاف ، متجملا بالعفاف ، ما شئت من كرم أخلاق ، وأيادٍ في الاعناق ، ألزَمَ من الاطواق ،

ونفس لطيفة الشمائل والشيم ، ومحاضرة يفوق نفعها الدِّيَم ، مع بركة تظهر عليه سيماها وديانة لا تعرف الشبهات حماها ، ولا غيَّرَ الدهرُ اسمها ولا مسماها .

ولم يزل ركن استلام ، الى ان فجع بنعيه الاسلام ، في يوم عاشوراء من سنة 1279 تسع وسبعين ومائتين والف (الثلاثاء 8 جويلية 1862 م.) بجبل المنار ، وأتي به الى داره بتونس ، وقدم لجنازته صاحب الدولة المشير أبو عبد الله محمد الصادق باي من حلق الوادي ، في يوم شديد الحر . وطلب بعض الاعيان ان يصلّى عليه بصحن جامعه ، فقال الباي : «العادة ان يُصَلّى على مثله ببطحاء القصبة ، وربما يظن ابنه اننا عدلنا به عن أمثاله » ، ولما استؤذن في ذلك ، قال : « لا اختيار لي ولا نظر ، والنظر لمن له النظر ، غير أني أعرف ان والدي يحب الرفق مطلقا » ، فصلّي عليه بجامعه ، ودفن حذو والده بزاوية سيدي عطية قرب داره ، وجدد الباي هذه الزاوية .

وأعقب ابناء تسابقوا في ميادين الكمال والنجابة ، من قضاء وفتوى وتدريس وكتابة .

واتفق ان كان تاريخه لفظ « عاشوراء » ، رحمه الله .

[351 ــ فرحات المملوك]

أبو المسرة فرحات المملوك

هو من الجراكسة ، ومن مماليك الباي أبي محمد حمودة باشا . نشأ في الخدمة في الصرايا ، ثم خرج في دولة الباشا ابي عبد الله حسين باي ، وتزوج بتونس ، وقربه المشير أبو العباس احمد باي ، وسفر عنه الى الدولة العلية العثمانية غير مرّة ، ثم قدمه امير آلاي عسكر زواوة .

وكان تركي السجية ، فصيحا بالتركية والعربية ، فارسا راميا ، حسن النغمة بتلاوة القرآن . قرأ بالمحفل (1) يوم اقيمت الصلاة بجامع الوزير أبي المحاسن يوسف صاحب الطابع ، فشنف الاسماع ، وظهر منه في الاداء باع .

(1) المحفل : منصة تجاه المحراب يصعد اليها بسلم في جوامع الحنفية ، جعلت للقراءة والدعاء

وكان حسن الاخلاق ، عالي الهمة ، نزيه النفس ، نقي العرض ، حسن المحادثة ، يكتب بالقلم التركي ، ورتبته في ديوان الجند خوجة .

ولم يزل على حاله ، متجملا بخلاله ، الى ان صار الى مآله ، في ذي القعدة من سنة 1279 تسع وسبعين ومائتين والف (افريل — ماي 1863 م.) .

[352 — عبد القادر بن غشام]

الكاتب ابو محمد عبد القادر بن غشام

نشأ في بيت شرف وعفاف ، وأصل جده من سلا ، قدم الحاضرة ، وتنقل في الخطط العلمية ، من عدالة وامامة ، وتولى خطة القضاء في بنزرت ، وخطه معروف في الكتب ، وله تأليف في الادب سماه « الكوكب الثاقب في الاخبار والمناقب » ، ونسج بنوه وحفدته على منواله ، وتسابقوا للاتصاف بخلاله .

وكان هذا الخير منهم ، فحفظ القرآن ، واقبل على العلم ، فأخذ عن عالم العصر شيخنا ابي اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، وشيخنا ابي العباس احمد الابي وغيرهما .

واستفاد وحصل الملكة ، ثم تصدر للتوثيق ، فكان من رجاله ، وفرسان مجاله ، ثم استكتبه ابو الثناء محمود بن عياد في بعض أشغال عمله ، وتعلق به ليستفيد منه ، وأنزله منزلة شيخ ، وقرأ عليه كتبا عديدة ، من تواريخ الاسلام .

وسافر معه لفرنسا على كره ، بالزام من المشير أبي العباس احمد باي . ولما طالت مدة الاقامة ، رجع الى مسقط رأسه ، ومعهد إيناسه ، صفر اليدين ، مثقلا بالدين ، ونفض يده من هذه الطريقة ، وارتزق من رشح قلم الوثيقة .

ثم ان المشير استكتبه في قلم الإنشاء ، فقام بخطته ، ثم توجه لاداء فريضة الحج ، فحج وزار ، وغسل الاوزار ، وقفل راجعا للوطن والمصر ، فوافاه رائد المنية بمصر ، في سنة 1279 تسع وسبعين ومائتين والف (63 — 1862 م.) .

وكان فقيها مشاركا ، فرضيا ، كريم المحتد ، حسن الاخلاق ، طيب المعاشرة ، خيرا وجيها ، محافظا على عبادته ، وهي من أسباب سعادته ، رحمه الله .

[353 ـ مصطفى بــوغــازلي]

أبـو النخبـة مصطفى بوغازلي الحنفي

نشأ هذا الرجل في طلب العلم ، وأخذ عن أعلام كشيخ الشيوخ ابي محمد سيدي حسن الشريف ، وشيخنا أبي العباس سيدي أحمد الابي وغيرهما .

ودرّس بالجامع الاعظم ، وغالب دروسه الفقه الحنفي ، وتولى شيخا في مدرسة باردو ، واضافه المشير ابو العباس احمد باي الى ابن تربيته الوزير الشهير الطائر الصيت أبي النخبة مصطفى خزنه دار ، فقرأ عليه الفقه ، وانتفع به .

كان فقيها خيرا وجيها ، عفيفا نقي العرض ، ممن سلم الناس من يده ولسانه .

ولم يزل على حاله ، متجملا بخلاله ، الى ان توفي عن سن عالية ، اواسط محرم من سنة 1279 تسع وسبعين ومائتين والف (اواسط جويلية 1862) .

[354 ـ محمد بـابـوش]

الكـاتب ابو عبد الله محمد ابن الكـاتب ابي المحاسن يوسف بابوش

نشأ هذا الرجل في طلب العلم ، وأخذ عن أعيان كشيخنا ابي العباس احمد الابي ، وشيخنا ابي عبد الله محمد ابن الخوجة ، وشيخنا ابي عبد الله محمد بيـرم الثالث ، وعالم العصر شيخنا ابي اسحاق ابراهيم الرياحي وغيرهم .

واستفاد وحصل ملكـة المشاركة ، وتقدم خطيبا بجامع القصبة ، وكتابة دار الباشا ، بعد أبيه ، ثم انفصل عنها بلا ذنب ، ثم أعيد لها ، الى ان انقرض الديوان بدار الباشا ،

وكان فقيها خيرا وجيها ، مشتغلا بنفسه ، رافضا للفضول ، يغلب عليه الحياء ، ذا مروءة وعـزة نفس .

ولم يزل على أدبه ، الى ان اجاب داعي ربه في منتصف رجب سنة 1279 تسع وسبعين ومائتين والف (اوائل جانفي 1863 م.) .

[355 ــ مصطفى بيــــرم]

ابو النخبة مصطفى ابن شيخنا شيخ الاسلام ابي عبد الله محمد
ابن شيخ الاسلام أبي عبد الله محمد ابن شيخ الاسلام ابي عبد الله محمد بن حسين بيرم

نشأ هذا الرجل في شرف بيته ، ومجد حيه وميته ، فقرأ ما تيسر ، وعلم ما يجب لدينه ، واقبل على أحوال معاشه ، ونمو كسبه ورياشه ، وصرح لابيه بانه اختار هذا المسلك فأسعفه .

ثم قدمه صهره المشير ابو عبد الله محمد باي لخطة الحسبة على الاحباس ونحوها ، فرام ان يسلك بها سبيل السلف الصالح ، ولم يسعفه طبع آخر الزمان الكالح ، وصار بين قادح ومادح ، شأن من يلي الاحكام . ثم دفع ما استخلصه من فواضل الاحباس ، وآثر امانة الدولة على أمانته ، ورآه من ديانته .

وكان ثقة أمينا ، وجيها ماجدا ، خيرا عزيز النفس ، حسن المعاشرة ، جاريا على سنن آله ، في غالب احواله ، وعافاه الله من ثقل الحسبة .

توفي في جمادى الاولى من سنة 1280 ثمانين ومائتين والف (اكتوبر — نوفمبر 1863 م.) ، واعقب ابنا هو الآن في سلك المدرسين .

[وهلاله في نمو ، كثر الله من امثاله] (1) .

[356 ــ محمد العربي الشريــف]

أبـو عبـد الله محمـد العـربـي الشريف

نشأ في طلب العلم ، وأخذ عن أعلام كالشيـخ حسن ، والشيـخ الطاهر ، والشيـخ الرياحي ، والشيـخ بن ملوكة . فحصل واستفاد ، ودرس فافاد ، ونفع العباد .

وكان فقيها فرضيا ، ذكيا فصيحا ، خيرا عفيفا ، حسن الاخلاق ، عالي الهمة ، نقـي العـرض .

ولم يزل على حاله ، متجملا بدروسه وخلاله ، الى ان توفي اواخر جمادى الاولى من سنة ثمانين ومائتين والف (أوائل نوفمبر 1863 م.) .

---

(1) ما بين القوسين ساقط من خ مثبت في ع و ق .

[357 ـ فرحات المملوك]

أبو المسرة فرحات المملوك

أصله من ابناء الروم ، رباه المشير ابو العباس احمد باي ، وقرأ القرآن ، وحفظ ما تيسر منه ، وجوّده على الشيخ ابي عبد الله محمد المكني ، مع غيره من مماليكه ، على عادة اعتنائه بتهذيبهم ، قبل استعمالهم وتقريبهم ، ثم استعمله وعلّمه الصناعة العسكرية ، وبرع فيها ، ثم أمَّره على عسة صرايته من العسكر ، فقام بواجبها ، وبعثه سفيرا عنه لطرابلس ، فرجع ناجح السعي .

ولما هرب أبو الثناء محمود بن عياد استكفى به سيده في ضبط خططه ، واهمها يومئذ الرابطة ، بعد ان عرضها على قرينه أبي محمد خير الدين ، فامتنع واعتذر ، وأمره ان يقتفي سيرة بن عياد ، ففعل وحصل للدولة ما كان يستأثر به ابن عياد ، كما ذلك محرر في دفاتر حسابه ، ونجم في هذه الخِدَم ، وبرع على حسب ما اريد منه ، وما أمر به ، وان لم يسلم من اعتراض ، على حسب الاغراض ، وقام بخدمة سيده في مرضه على حسب غرضه . ولما توفي اقره الباشا المشير ابو عبد الله محَمد باي في امارة العسة ، وبعض ما بيده من الخطط ، وسافر في المحلة مع ابي عبد الله محمد الصادق باي . ولما رجع نقم عليه صاحب الدولة أمورا عزله بسببها ، لاجل التربية ، وبعد أيام رضي عنه ، وأعاده الى منزلته ، وسافر عنه في غرض التهنئة لِرَيّ نَابُلِي ، فاحسن السفارة .

ولما آلت الدولة لصاحبها الآن المشير ابي عبد الله محمد الصادق باي ، قربه ورفع منزلته ، وصيره من رجال مشورته في مجلسه ، وأولاه آغة بالكاف ، واعمال عروش ونيفة ، وسافر لها وجبى الستة والثلاثين ، مغلول اليد بالقانون وبطبعه .

ثم اقتضى نظر الباي ورأي من وافقه ، وقليل ما هم ، تضعيفَ الاعانة ، فظهرت نار فتنة الاثنين والسبعين ، وجاءت الاخبار باتفاق كلمة العربان ، بل والبلدان ، على الامتناع ، وسهَّلَ الاتفاقَ اتحادُ السبب .

وكان رحمه الله ، قال للباي في مجلسه بمحضرنا : « ان عرباننا لا تطيق ذلك ، وانهم في شدة من الستة والثلاثين ، وفي العام الماضي بعت خيام كثير منهم ، وتركتهم مع صغار بنيهم تحت أديم السماء » ، فلم تستحسن مقالته ، ثم صدر له الامر في التوجه

لعمله ، لخلاص الاثنين والسبعين ، ويكتب اوجق الكاف يتعرض له ، فتخوف من وصمة الجبن ، وهو في موضعه خير من الشجاعة ، فوصم بالتهور ، واجتمعت به قبل سفره بيوم ، فقال لي ، يندب نفسه : « فرحات يسافر ويموت قتيلا ، ويبقى ابنه الشاذلي يتيما » ، فقلت له : « سبحان الله ، اى سبب في هذا التصميم ؟ » ، فاخرج لي مكتوبا من نائبه العربي القياس ، يحذره من القدوم ، وان لا يعتمد على المخازنية ، فانهم ان لم يكونوا عليه ، لا ينفعه احد منهم بشيء ، لاتفاق عامة الناس ، وما تصنع المخازنية مع اتفاق العامة ، الى غير ذلك من التحذير . وسافر مستسلما لقضاء الله وقدره ، فبعث له قايد دريد بمكانه من تبرسق ،يحذره ويخبره باتفاق العامة ، ويستضيفه ليتفق معه على رأي ، فبعث له : « اني واعدت الوجق ، وعينت لهم المكان واليوم ، فلا يمكن تخلفي » . وسار واجتمع بالوجق ، فكلمه نائبه والشواش ، بان « العامة اضعاف الوجق ، بحيث نموت جميعا بلا فائدة » ، فصمّ الاجلُ أذنَه .

ولما وصلوا قرب الكاف ، رأوا جما غفيرا على بعد ، فقال له نائبه والشواش : « هؤلاء يقصدونك ، فالاوْلى ان ننحرف عن الطريق ، حتى ندخل للكاف » ، فقال : « هذا هروب » ، فأقبلوا عليه هاجمين ، فضربوا فرسه ، فسقطت ، ووقف تحت زيتونة ، وله مكاحل ذات جعاب متعددة ، وهو من أفراد الرماة ، واهل الثبات ، فدفع على نفسه دفاع المستميت ، وخدّامه يعمرون له في مكاحله ، ورصاص القوم يتناثر نحوه فضرب من يعمر له بعد أن قَتَل من هؤلاء عددا ، ثم رموه على يد واحدة ، فسقط ميتا بعد ان جرح في جلد جبينه ، وهو يمسح الدم ، ويقاتل . هذا ، وسائر الوجق ، من الشواش والمخازنية ، ينظرون اليه ، خوفا من استئصال شافتهم ، لكثرة القوم ، واذا سبق التقدير ، بطل التدبير .

ثم حمله خليفته الى الكاف ، وغسله وحنطه ، وبعث به الى بستانه المعروف بقبة النحاس ، بل بقبة النحس ، ودفن جوار سيدي عبد الوهاب بمنوبة ، وحضر الباي وآل بيته جنازته ، وترك ابنه يتيما ، كما قال (1) .

وكان رحمه الله فصيح اللسان ، سليم الجنان ، معدودا من اهل الفضل والاحسان ، زينةَ امثاله من الاعيان ، آية الله في الترنم بتلاوة القرآن ، حاذقا ظريفا ، حسن

---

(1) انظر ص 138 ج 5 .

الاخلاق ، محمود المعاشرة ، وفيّا عالي الهمة ، نجيبا في أعماله ، جسورا في إقدامه ، الى ان كان سببَ حمامه .

وقتل رحمه الله شهيدا مظلوما ، وسبحان من يقول : « وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوما فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّه سُلْطَانا » ، في ذي القعدة من سنة 1280 ثمانين ومائتين والف (اوائل ذي القعدة — اواسط افريل 1864 م.) .

[358 ـ اسماعيل كاهية]

ابو الفداء اسماعيل كاهية

اصل هذا الخيّر من القرج ، ونشأ في خدمة الباي أبي محمد حمودة باشا . وخرج مع من خرج من مماليكه ، ثم رجع للخدمة في دولة الباشا محمود باي ، وصار آغة وجق باجة ، وصاهره الباشا ابو عبد الله حسين باي على بنته ، وتدرج في الخطط ، وسافر في المحالّ ، وزاول الاعمال ، وقاد الفرسان الى ميادين القتال ،وصار كاهية باي المحالّ .

وكان آية الله في الحياء والصدق ، والعفاف وكرم النفس ، والايثار وعلو الهمة ، سليم الصدر ، أبعد الناس عن الفضول ، وأقربهم الى الخمول ، نقي العرض ، متواضعا ، ما اغتر برفعة ، حليما صبورا ، محببا الى العباد ، يغلب عليه الجد في أحواله ، يقال في شانه ، سلم الناس من يده ولسانه . وامتحن بموت ولده ، واعقب ابنا تلوح على صغره مخايل النجابة .

ولم يزل في صفاته الفاخرة ، الى ان لبى الى الدار الآخرة ، في ذي الحجة سنة 1280 ثمانين ومائتين والف (ماي — جوان 1864 م.) ، ودفن في التربة الحسينية ، وحفيده الآن هو الذي يعمر داره .

[359 ـ حميدة بيرم]

ابو العباس حميدة بن ابي عبد الله محمد بن ابي العباس حميده ابن شيخ الاسلام ابي عبد الله محمد بن حسين بيرم .

نشأ هذا الالمعي في بيت مجده وشرفه ، وأقبل على طلب العلم كغالب آله وسلفه ، فأخذ عن عم ابيه العلامة الفاضل المفتي أبي النخبة مصطفى ابن شيخ الاسلام ابي عبد الله محمد بن حسين بيرم ، وعلى ابن عمه الشيخ بيرم الرابع وغيرهما .

واعانه على تحصيل المراد ، ما له من الفكر الوقاد ، لكن عاقته الامراض ، عن غالب الاغراض ، وكان فقيها ذكيا ، خيرا عفيفا ، ذا وقار وسكينة ، نزيه النفس ، عالي الهمة ، محمود السيرة ، ممن اختير لمجلس الشورى .

ولم يزل رافلا في حالاته المرضية ، الى ان اجاب داعي المنية ، أواخر ذي الحجة من سنة 1280 ثمانين ومائتين والف (أوائل جوان 1864 م.) .

[360 ـ محمود الباجي]

أبو الثناء محمود ابن الوجيه محمد الباجي .

نشأ هذا الشاب في ظل أبيه ، وأحسن تربيته ، وصار من أعيان التجار ، وانتخب للمجلس الاكبر على صغر سنه .

حاله : نقي العرض ، حسن التجمل ، حَيِيٌّ .

ولم يزل على حاله ، في برود كماله ، الى آن ارتحاله ، اواخر ذي الحجة سنة 1280 ثمانين ومائتين والف (اوائل جوان 1864 م.) ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة .

[361 ـ حسن الخيري]

الشيخ الفاضل ابو محمد حسن الخيري المنستيري .

نشأ هذا الفاضل في طلب العلم ورحل اليه ، فأخذ عن أعلام كشيخ الشيوخ ابي محمد حسن الشريف ، والمحقق ابي عبد الله محمد الفاسي ، والمحقق أبي عبد الله محمد الطاهر بن مسعود ، وشيخنا ابي اسحاق ابراهيم الرياحي وغيرهم .

وبلغ درجة التحصيل ، مع فرط الذكاء الاصيل ، ودرّس بالجامع الاعظم فأجاد وأفاد ، وانفق مما لا يخاف عليه النفاد ، فشحذ الافكار بتحقيق فهمه ، وملأ الحياض بوابل علمه .

ثم تقدم لخطة الفتوى ببلده المنستير وامامة جامعها الاعظم . ثم تقدم لخطة القضاء بها ، فقام للعدل بواجبه ، وأجرى الحق على أعدل مذاهبه . ثم تقدم لرئاسة المجلس الشرعي بها ، فزان الرئاسة ، بالعلم والسياسة .

وكان عالما فقيها ، ثاقب الفكر ، تقيا خيرا عفيفا ، نقي العرض ، حسن المحاضرة جميل الاخلاق ، ما شئت من علوم جمة ، ونفس بمعادها مهتمة ، وفضل وانصاف ، وحميد أوصاف .

ولم يزل محببا الى الناس ، الى آخر ما قدر له من الانفاس ، سنة 1280 ثمانين ومائتين والف (64 — 1863 م.) رحمه الله تعالى .

[362 ــ محمد بن عبد الستار]

ابو عبد الله محمد بن ابي عبد الله حسين ابن الحاج عبد الستار .

نشأ هذا الرجل بين يدي أبيه ، وقرأ ما تيسر ، وأقبل على شأنه ، ولم يسلك سبيل أخيه وأبيه ، وسلك ما يسره الله اليه من التكسب بالفلاحة ، وآثرها على البطالة والراحة ، وانخرط في سلك المجلس البلدي على كره .

وكان وجيها خيرا عفيفا ، حسن الاخلاق ، وفي العهد ، كريم النفس ، حييّا عالي الهمة ، ممن سلم الناس من لسانه ويده .

ولم يزل بحاله ، متجملا بخلاله ، مقتديا بآله ، الى ان توفي في صفر الخير من سنة 1281 احدى وثمانين ومائتين والف (جويلية 1864 م.) ، رحمه الله تعالى .

[363 ــ محمد العابد الشفي]

ابو عبد الله محمد العابد ابن ابي الحسن الحاج علي الشفي .

نشأ هذا الوجيه في بيت شرفه ومجده ، مقتديا بأبيه وجده ، يرتزق من تراث آله ، وتجارات أعماله .

وكان وجيها خيرا ، عالي الهمة ، نزيه النفس . تقدم أمينا على العطارين ، فزان ولايته بجميل السيرة .

ولم يزل معدودا في الاعيان ، الى أن أجاب داعي الرحمان ، في أشرف الربيعين من سنة 1281 احدى وثمانين ومائتين والف (اوت 1864 م.) ، وقام ابنه في الخطة مقامه.

[364 ـ محمد بن سليمان بن الحاج]

القائد ابو عبد الله محمد ابن القائد أبـي الربيـع سليمان ابن الحاج .

شب هذا الرجل في خدمة الدولة ، بين يدي أبيه ، ثم تولى الاعمال النبيهة كصفاقس ودار الجلد ، وغير ذلك من الولايات المشار اليها . وساعده البخت في أعماله ، وحصل غالب آماله ، والدهر لا يدوم على حاله ، فتراجع حاله بعد الثروة والسعادة الى الاقلال، عادة الله في امثـال هؤلاء العُمـَّال .

ولم يزل نازلا في درجات الاضمحلال ، الى ان سترته يد المنية ، في شعبان من سنة 1281 احدى وثمانين ومائتين والف (جانفي 1865 م.) ، وجهزه الوزير الخيّر ابو النخبة مصطفى خزنه دار ، الى لحده ، وأعقب أولادا اثبتهم المشير ابو عبد الله محمـد الصادق باشا باي شوّاشا في وجق المخازنية .

[365 ـ صالـح شيبـوب]

أبـو الفـلاح صالح بن عثمان شيبوب الجربـي .

والده من أواسط أهل جربة ، يتجر في سوق البركة ، في نسج جربة ، وثبت ابنه هذا على صغر سنه في الموسيقا العسكرية ، في دولة الباشا أبـي عبد الله حسين باي ، ومكث مع غيره بسانية الفدان ، يتعلم صناعة الموسيقا ، ثم سافر مع اسماعيل مملـوك الوزير شاكير صاحب الطابـع ، لما سافر مع أبـي عبد الله مَحمد باي في المحلة ، وبقـي مختصّا به مدة ، ولما نُفـِي بعد قتل الوزير ، بقي مع طائفة الموسيقا بباردو ، ثم استخدمه المشير أبو العباس احمد باي ، وحمد نجابته وخفة نفسه ، فأولاه بنباشي .

ولم يزل يتدرج بالبخت ، الى ان صيّـره أمير لواء على العسكر الذي يخـرج من الخدمة بالعوض ، وبني له قشلة بغار الملح ، وَمَسَاكِنَ تقارب أبنية المحمدية ، وصرفت في ذلك أموال لها بال ، لا داعي لها ، الا ان تـكون لهذا الرجل إمرة على عسكر ، وبعثه سفيرا بنيشان الى ملك سردانيا ، وحـرّكه في الخدم المهمة ، وزوجـه من بنت الوزير أبـي الثناء محمود ابن الوزير أبـي عبد الله محمد خوجة ، ووافق ابوها غير ملتفت لـكفاءة ، أمتثالا لغرض الباي ، وبنى بها في حلق الوادي ، قرب دار أبيها ، في علو بناه له . وابتنى قرب غار الملح قصرا في سانية ، ضاهى بها قصور الملوك .

ثم نقم عليه سيده أمورا ، سببها الغلط والتيه ، وبعثه من حمام الانف مسجونا في بيته من قصر باردو . فحمله امير لواء العسة فرحات ، المتقدم ذكره ، وأركبه معه في كرّوسته ، وأوصله الى بيته بالصرايا ، واوصى المأمور بالمطبخة أن يجري له طعامه مثل عادته ، اعتبارا لصحبة الخدمة .

ثم سرحه ، وأعاده الى رتبته .

ولما آلت الدولة لابي عبد الله محمد باي . أخذ سائر كسبه ، ونفاه لجربة .

وكان حاذقا نبيها ، خفيف النفس ، حسن اللقاء ، منطويا على شر ، والمرء مجزي بعمله ، مولعا بالسعاية ، لو وجد لها من سيده اذنا واعية ، لم يحنكه الدهر بتجريب ، ولا اقتدى بأريب ، ندِيّ الكف الا انه من مال جمعه في اقرب مدة ، من غير تعب ولا شدة .

لما تسرح من سجنه ، وأتى الصالحية ، والمشير مريض بها ، قال لي بمحضر جمع : « بلغني ان سائر الناس فرحوا بسجني وبُعدي ، ولم يقل احد منهم يا لطيف ، فها انا خرجت لهم ، فوالله لا ألعب مع أحد الا بالدم » ، فقلت له : « اطلب اللطف يا ابني ، واعرف قول العامة : كل احد يلبس من صندوقه » .

وطلق زوجه بعد تسريحه ، وبعد أيام قال للمشير : « في ظنك أنك سجنتني لتعذبني ، فوالله ان عيشي بالسجن في بيتي ، خير من عيشك ، بوصاية أمير لواء عستك ، أنت تشدّد ، وهم يخفّفون » ، فأعرض عنه ، وعلم من قبح سريرته الكنه ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره .

ولما أتى جربة قابله أعيانها بالاجلال ، وأجروا له طعام الضيف ، فرآه ضريبة عليهم ، وشدد في اقتضائها ، فقطعوا ذلك عنه . ولولا ان تداركه الله بجراية من المشير أبي عبد الله محمد الصادق باي سدّ بها رمقه ، مات جوعا .

وتزوج بجربة ، ووُلد له ، فتخاصم يوما مع امرأته فاغضبته ، فأخذ قارورة من الروم المقطر ، وجلس بها تحت شجرة يسلي الهموم ، فطرقه الاجل المحتوم ، في أوائل سنة 1282 اثنين وثمانين ومائتين والف (1865 م.) ، ودفن بها ، سامحه الله ، وغفر له .

[366 ـ محمد العـذاري]

الشريف أبو عبد الله محمد العـذاري بمساكـن .

نشأ بمساكن في طلب العلم والخير ، ودرّس وعلا ذروة منبرها ، فذكر القلـوب الناسية ، وألان الصخور القاسية ، وله في طريق القوم ذوق ، والى ما عند الله شوق ، واسرار لأزمته ملازمة الطوق .

وكان ، نفعنا الله به ، تقيا نقيا ، صوّاما قوّاما ، مراقبا لله في حركاته وسكـناتـه ، محاسبا نفسه في سائر لحظاته ، لا يرى في الوجود ، غير الواحد الموجود ، نبذ الدنيا ظهريا ، وترك حظوظها نسيا منسيا ، طالما بـكى ووعظ في الفتنة اهل بلاده ، وجرى امر الله على خلاف مراده ، وسبحان من اقام العباد ، فيما اراد ، وله المراد ، فيما يريد .

ولم يزل معظما محببا معتقدا ، وأخبار زهده وكراماته تتلى ، الى ان التحق بالرفيق الاعلى ، سنة 1282 اثنتين وثمانين ومائتين والف (66 — 1865 م.) .

[367 ـ حمـودة العصفـوري]

الشيـخ ابو محمد حمودة بن محمد العصفـوري .

أصل هذا الوجيه من بيت مجد ورفعة ، وعلم وسُمعة ، قدم جدهم الاعلى من اشبيلية ، وخدم في دولة بني أبـي حفص ، وتابعه آل بيته في الخطط النبيهة ، كالوزارة لبنـي أبـي حفص ، والكـتابة والقضاء والفتوى وامامة الجامع الاعظم ، وغير ذلك من الخطط العلمية والقلمية ، الى جد صاحب الترجمة ، فكـان من شعراء دولة الباشا ابـي الحسن علي باي بن محمد ، وله تعليق على خطبة مقامات الحريري ، يدل على امتداد بـاعـه في الادب .

ونشأ صاحب الترجمة في أطلال بيته ، قانعا بما سلف من ميته ، وعاش في ربعه وعقاره ، مرموقا بعيـن احترام .

ولما تقدم شيخا بمدينة تونس ، تعجب الناس من قبوله ، اذ لم تـكن من خطط آله ، ولا مناسبة بينها وبين أعماله ، ومع ذلك فقد جلى في ميدانها ، وما قصر في شانها ، ودانت له الحاضرة بأعيانها ، وله عند الملوك وجاهة .

ثم قدم المشير ابو العباس احمد باي ابنه للولاية على عادة اعتنائه باهل البيوت ، ففرح بالراحة ، وصار تاجرا لله في الفلاحة ، وامتحن بموت ابنه ، ففاز بأجر الصبر .

ثم ان أحد أبنائه تاقت نفسه الامّارة ، الى ما رآه من ثروة التجارة ، وحملته على التداين بالربا من الافرنج ، ولما حل اجل الدين ضمنه ابوه ، بمقتضى الشفقة الطبيعية ، وبهذه التقلبات ذهب الطارف والتالد ، وطار كسب الولد والوالد ، فلزم كسر البيت ، حيًّا كَمَيْت .

وكان خيرا وجيها ، يميل الى الخير ، من رجال حزب الامام الشاذلي رضي الله عنه ، عزيز النفس ، وفيا نصوحا ، شانه الستر .

ولم يزل في هم دين ورقٍ إعسار ، الى ان انتقل الى تلك الدار ، في جمادى الثانية من سنة 1282 اثنتين وثمانين ومائتين والف (اكتوبر — نوفمبر 1865 م.) .

[368 ـ محمد الشرقي]

الكاتب ابو عبد الله الحاج محمد الشرقي المغربي .

وفد على هذه الحاضرة من المغرب ، واتخذها دارا ، واستكتبه الوزير أبو عبد الله محمد خوجة بحلق الوادي ، وعرف كل منهما مزية صاحبه ، وامتزجا كما امتزجا في عالم الارواح ، وعلم أولاده الكتابة ، وحثهم على التخلق بالنجابة ، ثم طلبه الوزير ابو عبد الله محمد العربي زروق خزنه دار لرئاسة الكتبة في بيت الحسبان ، فرأى ذلك أشد من فراق الاوطان ، وحثه صاحبه على القبول ، فتقدم على كره ، ثم تعلل بمرض ، يقعد عن هذا العرض ، فقال له الوزير : « آثرت الكتابة عند صاحبك ، على كتابة سيدنا » ، فقال له : « اني في بيت خزنه دار كاتب سيدنا على يدك ، واني في حلق الوادي كاتب سيدنا على يد خديمه » ، ورجع لصاحبه وإلْفه ، وترافقا في الحاضرة كالفرقدين .

ولما توفي صاحبه بقي بداره ، ثم صار وكيل المغاربة بتونس ، واستولى عليه الهرم في بدنه وماله ، فاجرى عليه المشير ابو العباس أحمد باي جراية شهرية ، من جباية فندق الغلة ، اعتبارا لسالف خدمته بحلق الوادي ، ستر بها وجه تجمله .

وكان وجيها ، خيرا عفيفا ، ذا مرؤة ، كريم النفس ، حسن الاخلاق ، مليح المحاضرة ، ذا مشاركة ، آية الله في الوفاء .

ولم تزل نفسه مع الاقلال غنية ، الى ان وافاه رائد المنية ، في رمضان سنة 1282 (جانفي — فيفري 1866 م.) عن سن عالية ، واعقب أولادا ، لم ينقطع بدعائهم عمله .

[369 ـ محمد المساكني]

ابو عبد الله الشيخ محمد المساكني .

شب في طلب العلم ، وأخذ عن خاله العالم الامام ابي عبد الله محمد الشاذلي بن المؤدب ، وعن الشيخ الطاهر ، والشيخ ابراهيم الرياحي وغيرهم .

وحصل ملكة علمية ، وتصدر للتوثيق ، وناب خاله في حزب الشاذلي بالمغارة ، وخطبة جامع باب الجزيرة . وكان مؤثرا في إلقاء الخطبة ، جهوري الصوت ، يملأ الجامع .

وكان خيرا وجيها ، عفيفا فقيها ، حسن الأخلاق والمحاضرة ، كريم السجية ، عزيز النفس ، فصيح اللسان ، متوددا إلى الناس ، يذكر بالجميل ، محافظا على مروءته . ووقع إنتخابه بمجلس الشورى .

ولم يزل بحاله متجملا بخلاله إلى أن توفي في شوال سنة 1282 (فيفري — مارس 1866) إثنتين وثمانين ومائتين والف .

[370 ـ مصطفى بن عزوز]

العالم الولي العارف بالله أبو النخبة سيدي مصطفى بن عزوز .

هو من بيت فضل وعلم وصلاح ، وزاويتهم بصحراء الزاب من عمل بسكرة ، ومحل زاويتهم ببلدة صغيرة تسمى بالبرج . ولآل بيته شهرة بتلك النواحي ، كما له بهذا القطر الإفريقي . ودخل هذا الولي للقطر التونسي وبث الطريقة الرحمانية في العروش ، وجدد لهذه الأمة أمر دينهم ، وطريقته لا تشديد فيها إلا لمن أراد التوغل في السلوك والخلوة ، يأمر الناس بأداء فريضة الصلاة وذكر « لا إله إلا الله » بقدر الإمكان .

وطار صيته وظهرت كراماته في العربان ، لا سيما في الجهة الغربية . وأنشأ زاوية بنفطة للصادر والوارد . وكان المشير أبو العباس أحمد باي يعظم شأنه ويجله ، واجتمع به غيـر مـرة .

وسافر لأداء فريضة الحج ورجع لتونس .

ومنّ الله به على هذا القطـر فأطفأ نـار فتنة تأججت في سنـة ثمانين لاجل مغرم الإثنين وسبعين . وضمن للناس الأمان ، وطوع العاصي ، وقرب القاصي ، واستنزل أهل المنعة من الصياصي ، ساقه لذلك من بيـده النواصـي . ورجع لزاويته بنفطة .

وكان ما كان من الإغترار بالأمان ، فتغير الشيـخ وأصبـح من النادمين من أجـل ذلك ، والمؤمن لا يلدغ من جحر مرّتين .

وكان تقيا نقيا ، فقيها صوفيـا ، قسم حياته بين تـلاوة وذكر ، ونظـر في الملكوت بأعمال فكر ، ووعظ وإفادة ، وإخلاص في التهجد والعبادة ، وهداية إلى طرق السعادة ، وإصلاح ذات البين ، وإعانة المحتاجين ، ورحمة المساكين ، وهدايـة الضالين ، إلى غير ذلك من أخلاق الصالحين .

وكان رحمه الله فصيـح اللسان ، بليـغ البيان في أسرار آي القرآن ، صاحب ذوق في مقام العرفان ، متواضعا على رفعة هذا الشان ، يرشح وعاؤه بالرحمة والرأفة والحنان ، يحب الخير لكل إنسان ، داعيا لعباد الله بالهداية والإيمان والإحسان ، ما شئت من محاضرات أبرار ، ومطالع أسرار وأنوار ، وزهد أخيار .

ولم يزل على حاله ناظرا لمآله ، يحاسب نفسه عن دقائق أعماله ، ولقاء الله أحب آماله، إلى أن أحب اللهُ لقاءه ليلة الإثنين آخر ذي الحجة سنة 1282 (14 ماي 1866) ودفن بزاويته بنفطة . وترك الدنيا وأهل عصره يثنون عليه بخير ، والآخرة خير ، رحمه الله .

[371 ـ محمد بن محمد البنـا]

الشيـخ العالم أبو عبد الله محمد ابن الشيـخ أبي عبد الله محمد البنـا .

نشأ هذا الفاضل في بيته النبيه ، واقتدى بأبيه ، وتبلغ بالكفاف ، وزان بيته بخمول العفاف ، ثم تاقت نفسه الزكية إلى طلب العلوم ، وابتغاء ثمرات الفهوم ، فدخل جامع الزيتونة ، وتفيأ ظلاله وفنونه ، فأخذ عن الشيـخ أبي عبد الله محمد الطاهر بن مسعود ،

وعن شيخ الشيوخ أبي محمد حسن الشريف ، وعن الشيخ أبي العباس أحمد الأبي ، وعن الشيخ أبي إسحاق إبراهيم الرّياحي ، وهو الذي زكاه بالعلم والدين في ديوان المشير أبي العباس أحمد باي ، كما تقدم في خبر رفيقه المحقق أبي عبد الله محمد النيفر، وأخذ عن غيرهم من الشيوخ ، وامتلأ حوضه وتظلع ، وفاز بما اليه تشوف وتطلع ، ودرّس بالجامع وأفاد ، وانفق مما لا يخشى عليه النفاد ، بل مما يؤمل بانفاقه الإزدياد ، وانتفع به جم من العباد ، وبقي به عمله إلى يوم التناد .

ثم انتخب لخطة القضاء فزانها بعلمه وانصافه ، وما يحمد من جميل أوصافه ، فأجرى الأحكام الشرعية والنفوس به مطمئنة ، ومع ذلك يستشير في المظنة ، شأن قاضي الجنة .

ثم انتقل لخطة الفتوى ، فكان ركنها الأقوى ، وزانها بالعلم والتقوى ، مع غيرها من الخطط العلمية .

وتقدم إماما ثانيا بالجامع الأعظم ، وخطب من إنشائه على منبره بالنيابة ، وظهر في الناس من وعظه لا من لفظه الخشوع والإنابة ، مع ملازمة الدروس ، والتأنس برياض الطروس .

وكان عالما فقيها مطلعا ، جيد الحفظ ، ثاقب الفهم ، تقيا نقيا ، عالي الهمة ، متواضعا ، واسع الصدر ، لين العريكة ، جم الفضائل ، متحليا بالوقار والسكينة ، فائزا من محبة الناس بمكانة مكينة ، بعيدا عن التصنع والفضول ، معمور الأوقات بالعبادة ، من إقامة صلوات وفتوى وإفادة ، إلى أن رحل للدار الآخرة ، بعد أن قدم زاده ، يوم الإربعاء السادس عشر (1) من محرم سنة 1283 ثلاث وثمانين ومائتين والف (30 ماي 1866 م.) ، ودفن يوم الخميس بالجلاز ، ولم يتخلف عن جنازته إلا من له عذر ، وتخلف أمير العصر لعذر مرض ، وبعث آل بيته والأعيان ، ولم يعقب ولدا ذكرا ، وإنما أعقب الذكر الجميل ، رحمه الله تعالى رحمة واسعة ، آمين .

[372 ـ يوسف أمير عسكر زواوة]

أبو المحاسن يوسف أمير لواء عسكر زواوة.

هذا الرجل أصله من بلاد القرج ، جيء به للباي أبي محمد حمودة باشا صبيا في سن الأثغار ، وتربى مع مماليكه مثل إبنه ، وآل أمره بعد وفاة سيده إلى الباي أبي النخبة مصطفى باشا ، فتربى مع ابنه منخرطا في سلك مماليكه .

(1) هو 15 حسب التقويم .

ولما آلت الدولة له بعد أبيه ، اكتفى به في بعض أعمال الخدمة ، فأولاه كاهية ببنزرت ، فباشر العمل بسياسة وصدق ، ورأفة على الرعية ، وشدة ولين في موضعهما . ثم نقله إلى إمرة زواوة ، وسافر بهم إلى جربة وغيرها . وتحمل من شدتهم ما ينافي طبعه .

وكان قنوعا أشبه الناس بأخلاق الزهاد ، كريم النفس ، عالي الهمة ، على قلة ما بيده ، حسن الأخلاق ، متوددا إلى الناس ، محافظا على عرضه ، آية الله في الصبر والوفاء والصدق . شكاه رجل من أهل بنزرت للمشير أبي العباس أحمد باي بالمحكمة ، بأنه أخذ منه ثلاثمائة ريال ، وكان واقفا بين يديه ، فقال له المشير : « هل أخذت منه ما ذكره ؟ » ، فقال : « نعم » ، فاضطر المشير إلى أن قال له : « رَجِّعها له الآن » ، فرجَّعَها . ولما خرج من المحكمة قال للوزير : « ان يوسف لا يعرف عادة العمال » ، ولما كلمه الوزير في ذلك قال له : « سيدنا سألني ، وأستَقْبِح الكذب ، خصوصا مع سيدنا » ، فقال المشير عند ذلك : « ان يوسف لا يليق بطبعه إلا الخدمة العسكرية لا الخدمة العملية » ، ونقله بعد ذلك لعسكر زواوة ، فترفع عن أشياء من دخل أمثاله ، وتركها لأعيانهم .

[وكان] سليم الصدر ، بعيدا عن الفضول والحسد ، يراه اعتراضا على الله تعلى ، فصيح اللسان ، لطيف الشمائل ، حسن المجالسة ، مشتغلا بنفسه عن عيوب غيره ، متواضعا حييّا ، والحياء خير كله ، يميل إلى الخير في سائر أحواله ، يقول ما يراه حقا ولا يبالي .

ولم يزل بهذه الحالة المرضية ، إلى أن وافاه رائد المنية ، في رجب الأصب من سنة 1283 ثلاث وثمانين ومائتين والف (نوفمبر — ديسمبر 1866 م.) ، ودفن بزاوية سيدي عبد الوهاب ، صاحب الإمام الشاذلي رضي الله عنهما ، وأعقب صبية حمر الحواصل ، كفلهم الوزير أبو النخبة مصطفى خزنه دار ، وحنا عليهم حنو الوالد .

[373 ـ مصطفى آغة]

الوزير أبو النخبة مصطفى آغة ، وبهذا اللقب عرف .

أصل هذا الخيِّر من القرج ، ونشأ في خدمة الباشا أبي النخبة مصطفى باي ، واختص به ، وسافر معه ، وحمد خدمته ، وعلم مزيته ، وصاهره على بنته ، وتدرج إلى أن صار باش آغة ، في وجق الحاضرة .

وتقدم في دولة المشير أبي العباس أحمد باي لوزارة الحرب ، واستعان به في جمع العسكر ، وغير ذلك من المهمات ، ودفع به الملمات ، وسافر معه لباريز ، وتردد في السفارة للدولة العلية العثمانية ، ولطرابلس ، محمود الأثر ، طيب الخبر .

وله عناية بالعلم ، ومطالعة الكتب التاريخية والفقهية .

وكان خيّرا عفيفا ، ثقة أمينا ، مشاركا في الفقه ، لا سيما أبواب العبادات ، نقي العرض ، يسلك الطريق الجادة ، بعيدا عن الغلط (1) والتشبع بما ليس عنده ، يكره البطالة ، لا يفتر لسانه عن الذكر ، وأكثر أذكاره الحمد والشكر ، عالي الهمة ، عزيز النفس ، صعب المقادة ، يعرف معنى العلم ، ويعظم العلماء ، يغلب عليه الطبع العسكري ، في عدم الإلتفات إلى مقتضى الحال والسياسة ، مِنْ دينه النصيحة ، يقول الحق ولا يبالي ، وله في ذلك أخبار تذكر ، وآثار تشكر .

وكان المشير أبو العباس أحمد باي يتجاوز له في ذلك ، ما لا يكاد يتجاوزه لغيره ، والملك مطلق ، ما ذاك إلا لاخلاص السريرة مع الله ، فصيح اللسان ، ثابت الجنان ، متأنيا ، خلص بتأنيه الحاضرة من ورطة هرج في الدولة الأحمدية ، وذلك أن بعض أفراد العسة من زواوة بباب باردو ، وقعت منهم مشاجرة مع أمير آلاي عسكر الخيالة ، وتعصبوا على عادتهم ،ودخلوا بيت عستهم ، وذلك في العشاءين ، فأمره الباي باخراج المدافع ، ويرمي البيت حتى يهدمها عليهم ، فخرج ممتثلا ، وتوانى وتعلل ، وأخرج المتعصبين من البيت ، وأودعهم في السجن ، وأتى الباي ، وقال له : « ان هؤلاء الذين أساؤوا الأدب ، أخرجناهم من البيت ، وهم الآن في السجن ، إلى أن ترى رأيك فيهم غدا ، ولا حاجة حينئذ لرمي المحل بالمدفع ، في هذا الليل » .

[وكان] يكره الجور ، ويحب الخير بطبعه ، باشر أعمال بعض القبائل من الخيام ، فساسهم باللين ، الذي أسس فيهم ثروة ، وكاد ان ينسيهم ما في طباعهم من القسوة ، وعلى فضله وانصافه ، وحميد أوصافه ، كان شديد التعصب للمماليك من قبيلته ، بكيفية لا تشين جمال فضيلته .

---

(1) الغلط : الغرور ، الادعاء (عامية تونسية) .

ومال في آخر عمره إلى التخلي ، ولم يزل يدأب على ذلك ، إلى أن أسعفه أمير العصر المشير أبو عبد الله محمد الصادق باي ، فأجرى له ما يجرى لمن وهب قوة شبابه ، في خدمة الدولة ، إلى أن شاخ ، ورأى قرب المناخ ، فبقي ببستانه ، معروف الخدمة ، موفى الجراية ، مرموقا بعين الإجلال والعناية ، ولكل عمل ثواب ، ولكل أجل كتاب ، وطول الخدمة ، أوكد حرمة ، ولا بد لكل وقت من أعيان ، وسبحان من كل يوم هو في شان .

ولم يزل ببستانه في ظل الأمن والعافية ، شاكرا ربه على نعمه الوافية ، يتزود بأعماله إلى الدار الباقية ، متمسكا بعروة الله الوثقى ، إلى أن أجاب داعي الله ، والآخرة خير وأبقى ، يوم الأحد الثالث عشر [1] من شوال سنة 1283 ثلاث وثمانين ومائتين والف (17 فيفري 1867 م.) ، في بستانه المعروف بالكرم ، ودفن من الغد بمقبرة الأشراف ، جوار الولي العارف بالله سيدي عبد العزيز القرشي ، بمرسى الجَرّاح ، وشهد المشير أبو عبد الله محمد الصادق باي وآل بيته جنازته ، وقضى نهاره كله في ذلك ، ولم يتخلف عنها أحد من رجال الدولة ، وأعيان العسكر ، رحمه الله .

وأعقب أولادا أحسن آدابهم ، وجعل العلم دابَهم ، حتى رآهم في حياته من الأعيان ، كثر الله من أمثالهم .

[374 ــ محمد السبوعي]

أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد السبوعي .

هو أحد الأعيان من قبيلة جلاص ، خلفا عن سلف ، ولهم في خدمة الدولة القدم الراسخ ، ونشأ صاحب الترجمة بين يدي أبيه المتقدم خبره ، وتقلب في الخطط .

وكان كريم النفس ، حسن القرى ، فصيحا محجاجا ، أبيّ الضيم . وله في فتنة الإثنين والسبعين صوت مسموع في إخوته ، حتى انه اشار على قبيلته بقتل أخيه العبيدي ، لأنه من حزب الدولة ، ولأجل ذلك أبعده الباي عن القبيلة ، وألزمه سكنى الحاضرة ، إكراما لأخيه ، لما له من جميل الأثر في الخدمة ، وسكن صاحب الترجمة بتونس على

(1) هو 12 حسب التقويم .

فراش مرض ، مقعد عن كل غرض ، إلى أن توفي في غربته ، على فراش محنته ، أوائل ذي الحجة من سنة 1283 ثلاث وثمانين ومائتين والف (أوائل أفريل 1867 م.) ، ودفن بمقبرة الولي العارف بالله سيدي محرز بن خلف رضي الله عنه .

[375 ـ أحمد العلمي]

أبو العباس أحمد العلمي .

من أعيان الحاضرة ، نشأ في صيانة ، ومروءة رفعت شأنه ، وتعلم ما خرج به من ربقة الجهال ، ونظمه في سلك رجال الكمال ، وله بمعرفة الفرائض والحساب تقدم ، وآثر مثلى الطريقة ، على التكسب بالوثيقة ، فطلب الرزق من أبواب التجارة ، ورأى من بركة الصدق فيها آثاره ، فصار من أفراد الأعيان ، المعدودين في أهل الشان ، ووقع اختياره لمجلس الشورى ، وهو المجلس الأكبر ، فباشر مدة ثم استقال ، وكأنما نَشِط من عقال .

وكان خيرا عفيفا ، نزيه النفس ، نقي العرض ، مشتغلا بخويصّة نفسه ، إلى يوم رمسه ، في صفر من سنة 1284 أربع وثمانين ومائتين والف (جوان 1867 م.) .

[376 ـ رشيد]

أمير الأمراء أبو محمد رشيد .

أصل هذا الوجيه من مماليك الوزير أبي الربيع سليمان كاهية ، تربى بداره صغيرا ، وهو من القرج ، وقرأ ما تيسر له ، ثم أخذه الباشا أبو عبد الله حسين باي ، وأضافه لابنه أبي محمد حمودة باي ، ثم نقله للخدمة العسكرية ، إلى أن صار أمير آلاي بعسكر سوسة ، ثم أضيفت اليه قيادتها ، بعد قتل الوزير شاكير صاحب الطابع ، فخدمها قليلا من الزمن ، ثم استعفى منها ، لمباينتها الطبع العسكري ، وولع بعلم الصناعة الحربية ، وهو أول من اعتنى بتعريف كتبها ، في هذه الإيالة ، وحصل من علمها ملكة واسعة ، تشهد له أقرانه بالتقدم في ذلك :

ولم يزل يترقى إلى أن صار أمير أمراء في الدولة الاحمدية ، التي هو أحد أعيانها ورجالها ، وتوجه لسلطان الفرانسيس سفيرا ، واختاره المشير أبو العباس أحمد باي لامارة عسكره الذي أرسله لخدمة الدولة العلية العثمانية ، ومجموعهم أكثر من إثني عشر الف مقاتل . ومعه أسطول في البحر تحت امرته ، وذلك سنة 1270 كما تقدم تفصيل ذلك في الباب السادس (1) .

وهو أول من قاد عسكرا نظاميا من المغرب إلى المشرق ، وحمدت بهذه الوجهة إمرته ، وظهرت سريرته ، وساس هذا العسكر سياسة اقتضت طيب خبرهم ، وحسن أثرهم ، بحيث لم يحفظ عنهم ما يخدش وجه المروءة الإنسانية ، ولا ما يشين الوطن التونسي .

واتفق أن كان موضع قتالهم وخيما ، ومرض كثير من العسكر ، فعانى بنفسه مرضاهم ، ووارى موتاهم ، كما تواتر ذلك عنهم وعن غيرهم ، ورجع بهم إلى أرضهم ، محافظا على أبدانهم وعرضهم ، في يوم مشهود ، وموكب معدود .

وله محبة في الخير ، وإعانة المحتاج ، وبها استأذن الباي في بناء قنطرة بحلق المنجل ، من طريق سوسة ، فاستنفر الناس والعسكر ، وبناها بأيسر مصروف ، في أقرب وقت ، وعم نفعها السالك .

وسهل طريق خنقة الحمامات ، حتى عبرتها العجلات ، بسهولة من غير مصروف ، وذلك ان العسكر لما يأتي من سوسة إلى الحاضرة ، يقول لهم : « من فخامة العسكر أنه إذا كان مجتمعا ، ومرّ بأوعار في الطريق ، يسهلها إبقاء لأثره ، وأقام بهم أياما في هذه الخنقة حتى سهلها .

وكان لا يستخدم أحدا من العسكر في حاجات نفسه الخاصة به .

وعنايات المشير أحمد باي ، وابن عمه ، مصروفة له .

وأتى المشير ابو عبد الله محمد الصادق باي فأقره على مقامه ووجاهته ، واستعان به في المهم من الأمور ، واختاره ممن اختار لمجلس الشورى ، ولمجلسه الخاص . لم تُحفظ عنه سيئة ، ولا شَانَ عرضه ، حتى جاءت فتنة الإثنين والسبعين ، فبعثه إلى سوسة في البحر ، ليأتي بالعسكر منها ، وأبى أهل سوسة إخراجهم ، ورأى في وجوه العسكر

(1) انظر ص 157 ج 4 .

الإمتناع ، لان مصيبة تضعيف الأداء تشمل آباءهم وإخوتهم وأقاربهم والمسرّحَ منهم ، بعد أن أفنى في الخدمة شبابه ، وطيب عمره ، فتغافل عن ذلك ابقاء لستر تجملهم ، حيث لم يلجئهم إلى المكافحة بالعصيان ، وكاتب الباي بذلك ، فأجابه بالإستحسان ، وأسرها في نفسه ، وفتح أذنه للوشاية به .

حال هذا الرجل :

كان عالي الهمة ، سليم الصدر ، صادعا بالحق ، وهي إحدى الكُبَر عند ملوك الإطلاق ، شجاعا مقداما ، صبورا حازما ، صعب المقادة ، أبي الضيم ، غرّ السجية ، والمؤمن غرّ كريم ، متخلقا بالطبع العسكري ، كريم النفس ، حسن المعاشرة ، وفيّ العهد ، حافظا لمروءته من دنس المداهنة والملق .

ولم يزل على ما حصّله من العناية والإحترام ، وأيام دهره في ابتسام ، إلى ربيع الأول سنة 1282 اثنتين وثمانين (24 ربيع الأول 1282 — 17 أوت 1865 م.) فكان من الأعيان الذين أمرهم الباي بعدم الإتيان لقصره ، ولم يسلبهم شيئا من مالهم ، ولا من ألقابهم (1) ، فبقي بمحله إلى أن خرج أبو عبد الله محمد العادل باي لجبل خمير ، وتوجه أخوه باي المحالّ أبو الحسن علي باي بالمحلة ، واتفق أن وجده طريحا في فراش مرض الحمى ، فبعث له ولاطفه ، وضمن له الأمان ، واستنطقه ، فسمى له أفرادا ذكر أنهم أغروه ، وأن رشيدا صاحب الترجمة منهم ، وأعانه بمال وسلاح لخاصة نفسه ، وكاتب بذلك أخاه المشير .

وبمجرد وصول الكتاب من باي المحالّ ، بهذا الخبر الذي نقله ، رأى الباي أن ذلك من القرائن على تحقيق الدعوى ، فبعث له بمجرد وصول الكتاب ، من اقتحم عليه داره بتونس ، فدافع وحده بعض مدافعة ، وجرح بعض المأمورين بالقبض عليه ، فأوثقوه كتافا ، وجعلوه في كروسة ، وطاروا به إلى باردو ، فوجدوا الباي في انتظاره بصحن الصراية .

ولما دخلوا به شتمه ، وقال له : « غدرتني أولا ، وتجاوزت لك ، والآن تريد أن تسفك دمي بدمي » ، ولم يترك له لحظة للجواب ، وأمر بخنقه في بيت وزير

(1) انظر ص 54 ج 6 .

الحرب ، ثم خنق بعده اسماعيل الآتي ذكره ، في علو القسيالات ، وكان ذلك عشية يوم الجمعة سادس (1) جمادى الثانية سنة 1284 أربع وثمانين ومائتين والف (4 اكتوبر 1867 م.) ، ودفنا ليلا بزاوية السيدة بركة ، بربض باب الجزيرة .

ووقع العجب من هذا الإستعجال ، كما تقدم في الباب الثامن (2) ، وان وقع بعده الندم ، وهل يرد ما فات ، وعند الله تجتمع الخصوم ، في يوم العرض المعلوم ، رحمه الله .

وأعقب ابنا من زوجه الشريفة بنت أبي عبد الله محمد ابن الوزير العربي زروق ، اعتنى بتربيته خاله أمير اللواء ، ورئيس المجلس البلدي ، محمد العربي زروق ، وقرأ مبادىء العلوم بالجامع الأعظم ، وظهرت عليه سيماء النجابة والتقدم ، وهو الآن في مدارج الخطط العسكرية ، يعمر دار أبيه ، وينفق من إرثه ، في كفالة خاله وسميي جده العربي زروق ، وانتخبه الوزير المباشر أبو محمد خير الدين للاستعانة به في مأموريته ، كما انتخب بعض أولاد من الأعيان .

[377 ـ اسماعيل السني]

أمير الأمراء أبو الفداء اسماعيل صاحب الطابع .

أصل هذا الرجل من الروم ، من مماليك الباشا أبي عبد الله حسين باي ، جاء صغيرا في سن الإثغار ، وتربى في داره ، مضافا لأكبر بنيه أبي عبد الله محمد باي .

وقرأ شيئا من القرآن مع ابن سيده ومخدومه ، تعلم به شيئا من نقوش الكتابة ، ولمحبة ابن سيده فيه ، تسميه أقرانه « ولد الباي » .

واستكفى به مخدومه قبل الولاية في بعض مهماته المالية ، وثوقا بأمانته ، وكان يأتمنه على أسراره ، وزوّجه من شقيقته ، وأسكنه معه بداره ، وتوفيت في عصمته ، وتركت منه إبنا ، ثم تزوّج ببنت أبي محمد رشيد كاهية ، وتوفيت في عصمته أيضا ، وتركت منه إبنا .

---

(1) هو 5 حسب التقويم .

(2) انظر ص 97 ج 6 .

ولما تقدم مخدومه أبو عبد الله محمد للولاية ، بعد ابن عمه ، خرطه في سلك الوزراء اورجال الدولة ، وسماه صاحب الطابع ، وربما اغتر بهذا اللقب ، وذلك ان هذه الخطة ، إنّما عظمت برجال رفعوا شأنها ، وانتقلوا منها للوزارة ، وبقي عليهم لقبها ، مع ترفعهم عن مباشرتها ، وظن بعض الغافلين أن الخطة في نفسها عظيمة ، وليس كما ظن ، فانها كصاحب الدواة والسلاح وغيرهما ، والحاجة للكاتب في الدول أشد من الحاجة لصاحب هذه الخطة ، وولاه مخدومه عمل جربة ، ولم يزل يرقيه ويستدنيه ، وثوقا به ، ثم تنكر له في مرض موته ، لوشايات من بعض حساده .

ولما توفي سيده ، جامله المتولي بعده ، وخرطه في سلك رجال الدولة والوزارة ، كما خرطه في سلك المنتخبين لعمل القانون ، وأولاه وكالة الرابطة ، وحسن فيها أثره ، وأجلس جسده على منصة الرئاسة بمجلس التحقيق في الأحكام ، أيام القانون ، ونظمه في سلك من انتخب لمجلس الشورى ، المعروف بالمجلس الأكبر ، ولمجلسه الخاص . وهو أوّل من استحسن مصيبة الإثنين والسبعين (1) ، تضعيف الإعانة ، تزلفا وتقربا ، وهي البضاعة لكل خلّي من أدوات التقدم ، وسمعنا من مخدومه ، الذي أظهره ، غير مرة ، أنّه كان يزين له الخروج على ابن عمه ، ويسهل عليه امره ، يحكي ذلك ، رحمه الله ، في معرض صبره وتثبته .

حـالـه :

كان ظاهر العفة ، ملازما للصلوات والأذكار ، حتى كان يسميه بعض أصحابه في محاورة المباسطة بالسنّي ، متوسط الإدراك ، وان تشبع بما ليس عنده ، يروم الإلتحاق بالحذّاق ، بلا حافر ولا ساق ، مطواعا لأمر سيده ، حتى أن أهل جربة أهدوا له خمسين الف ريال ، لما ولد ابنه ، وكان ذلك وقت ضرب مخدومه على أيدي العمال ، في أخذ الزائد على الإعانة ، فردها إلى فقرائهم أحسن ردّ ، واعتنى في ولايته بأهل جربة ، ووقف بغاية جهده في مصالحهم وحقوقهم ، وان ختمها بسجن رجل من أعيانهم ، اسمه محمد بدرة ، لم يأته مهنئا بالعيد ، فسجنه في يومه ، وعجب أهل جربة من ذلك ، ورفعوا شكايتهم قائلين : « إن عاملنا ممن أختير لترتيب القانون المؤسس على العدل ، أمن العدل سجن إنسان في يوم عيد ، حيث تأخر عن تهنئة العامل ، من غير سؤال عن سبب التخلف ؟ » .

---

(1) انظر ص 114 ج 5 .

[وكان] يميل إلى صحبة أهل العلم ، عظيم الحياء ، جدي السجية ، لم يتدرب في السياسة ، ولا مارسها ممارسة من أراد اللحاق بهم .

ولما جاءت فتنة الإثنين والسبعين التي استحسن مثارها ، قدمه صاحبها أميرا على المحلة التي جهزها لإطفاء تلك النار ، وان اطفاها الله على يد الولي الصالح السالك العارف بالله سيدي مصطفى بن عزوز ، وقد نقل صاحب الترجمة في تلك الأيام عن العربان ، أنهم يطلبون ابطال المجالس بالكلية ، ولم يفه بها غير واحد من شرارهم ، من قبيلة ورتان ، وأخذه الله بعد الإمهال ، أخذ عزيز مقتدر .

وذلك ان صاحب هذه المحلة يكره القانون والمجالس بطبعه ، لقصوره عن مدارك الأفهام ، والمرء عدوّ ما جهل .

ثم رجع من تلك المحلة مريضا بالحمى ، وقام مقامه فيها الوزير أبو الضياء رستم ، وظهر فيها ما طبعه الله عليه من الثبات والسياسة ، فمهد العافية .

ولما رجع ألبسه النيشان الذي اخترعه ؛ وسماه نيشان العهد ، بعد أن ألبس مثله لصاحب الترجمة ، الذي خرج بالمحلة أولا .

وفي سنة 1282 ، بعد هذا النيشان بأيام ، بلغته عنه وعن بعض أعيان وشايات ، أمرهم لاجلها بلزوم منازلهم ، وان لا يغشوا قصره ، فبقي ببستانه المعروف بالبرطال ، في زوايا الخمول . وللرجل ولوع بالظهور والتقدم .

ثم خرج أبو عبد الله محمد العادل باي إلى الجبل عند خمير في جمادى الأولى من سنة 1284 أربع وثمانين ومائتين والف ، وبعث الباي أخاه أبا الحسن علي باي بالمحلة ، فلاطف أخاه وأمّنه وهو على فراش مرضه ، وسأله عن الذين معه في هذه الثورة ، فأخبر بصاحب الترجمة ، وأمير الأمراء رشيد المتقدم ذكره ، فكاتب باي المحال أخاه بذلك الخبر ، وبمجرد وصول المكتوب ، بعث له الباي ، وأُتي به من بستانه إلى محبسه بالصرايا ، ريثما يقدم أمير الأمراء رشيد ، المتقدم ذكره ، وفي حين وصوله أمر بخنقه ، من غير أن يعلمه بما اتهم به ، فضلا عن سماع جوابه ، واستعجل في ذلك ، أكثر مما يستعجله الجائع في فتل عنق دجاجة ، لسد رمق حياته ، ثم أمر بعده بخنق صاحب الترجمة ، وكان ذلك عشية يوم الجمعة سادس جمادى الثانية سنة 1284 أربع وثمانين ومائتين والف (5 جمادى الثانية — 4 اكتوبر 1867 م.) ، وأمر بدفنهما في

زاوية السيدة بركة ، فقبرا ليلا ، وذهبا كأمس الدابر ، شأن النفوس المحرمة في نظر الملك المطلق ، الذي لا وازع له من قانون شرعي أو سياسي ، والله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، واذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له ، وما لهم من دونه من وال .

وتكلمت قناصل عظماء الدول في هذا الإستعجال ، كما تقدم تفصيل ذلك في الباب الثامن ، من هذا الكتاب (1) .

[378 ـ محمد بوعصيدة]

أبو عبد الله محمد المعروف بأبي عصيدة .

أحد الأعيان من أبناء الحاضرة نشأ في طلب العلم وأخذ عن الشيخ الصالح العلامة شيخنا أبي عبد الله محمد بن ملوكة النحو والفرائض وغيرهما وأخذ عن شيخنا خاتمة المحققين أبي اسحاق إبراهيم الرياحي وعن شيخنا العلامة أبي العباس أحمد الأبي ، وعن شيخنا العلامة أبي عبد الله محمد بيرم الثالث .

وتسنم ذرى التحصيل وتصدر للتدريس فافاد ، وتقدم مجالس الأحكام فاجاد ، وعدّ من الأفراد .

وكان خيرا تقيا نقيا ، ذكيا المعيا ، عالي الهمة كريم النفس نقي العرض ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، ما نقص الاقلال من همته ، ولا غير شيئا من محمود سجيته .

ولم يزل على حالاته المرضية ، إلى أن لبى داعي المنية أواخر جمادى الثانية سنة 1284 (أواخر اكتوبر 1867) .

[379 ـ محمد زروق]

أبو عبد الله محمد ابن الوزير أبي عبد الله محمد العربي زروق ابن أبي عبد الله الحاج محمد زروق .

هو من بيت شرف أصيل ، ومجد أثيل ، نشأ في خدمة الدولة بين يدي أبيه . وكان الباي حمودة باشا الحسيني يستنجبه ، على صغر سنه . ثم امتحن بمحنة أبيه المتقدم

(1) انظر ص 99 ج 6 .

خيرها في الباب الثالث من هذا الموضوع (1) . ثم حال الحال وساعده الإقبال مع الباشا أبي عبد الله حسين باي فقربه نجيا ، واتخذه خلا وفيا ، ورفعه مكانا عليا ، ومع هذه المكانة والحظوة ما دنس شرفه بشر ، ولا تسبب لأحد في ضر ، ولا ذكر أحدا بين يدي مخدومه بسوء ، يقول الخير أو يصمت .

وكان كريم النفس ، عالي الهمة ، لين العريكة ، حسن اللقاء ، يحب أن يرى أثر نعمة الله عليه ، حسن المحادثة حلو المفاكهة ، وفي العهد جدي السجية ، سوي الظاهر والباطن ، شان السادات الاشراف .

ثم استقبل مشيبه بالأوبة والتوبة ، والنوافل والأذكار ، وزيارة الأولياء ، وانخرط في سلك الاتقياء ، ونبذ الحظوظ ظهريا ، وترك الغرور نسيا منسيا ، ومتعه الله بطول السنين ، وبرور نجباء البنين .

ولم يزل على محمود حالته ، مستغرق الأوقات في اذكاره وعبادته ، إلى آخر ما قدر له في حياته من ساعته ، في نهار يوم الأحد سابع (2) رجب من سنة 1284 أربع وثمانين ومائتين والف [3 نوفمبر 1867] ودفن بتربة آله الكرام في الجلاز . ولم ينقطع عمله بدعاء صالح الولد ، رحمه الله تعالى .

[380 ـ محمد المازري]

أبو عبد الله محمد المازري ابن الإمام العالم الصالح
الشيخ الطاهر بن مسعود .

نشأ في دوحة تقوى وعفة وصيانه ، واعتنى والده بتربيته ، وأخذ عنه وحصل ، وفاز بما تحصل ، وتصدر للتدريس بعد والده في مدرسته السليمانية وفي جامع الزيتونة .

واضطره الحال إلى التكسب بخطة التوثيق ، ثم صار من رجال مجلس الحكم ، فزان بالتقوى مجالس الأحكام .

وكان رحمه الله نقي العرض ، تقيا عفيفا ، واسع الصدر ، عزيز النفس ، متحليا بأخلاق الصالحين ، ناسجا على منوال آله المهتدين ، معظما محببا إلى الناس ، إلى آخر

(1) انظر ص 138 ج 3 .
(2) هو 6 حسب التقويم

ما قدر له من الأنفاس ، في الثامن من رجب سنة 1284 أربع وثمانين ومائتين والف (الثلاثاء 5 نوفمبر 1867 م.) ودفن بالجلاز قرب والده رضي الله تعالى عنه .

[381 ـ صالح زيد]

أبو الفلاح صالح زيد باش حانبه .

نشأ في الخدمة المخزنية ، وتدرج في سلمها من صبايحي إلى أن صار باش حانبه أواخر دولة المشير أبي العباس أحمد باي . وفي خلال ذلك باشر بعض الأعمال . ولاقى خطة باش حانبه وقد أخذت في النقصان على ما اقتضاه حال الزمان .

وأصيب بثقل في سمعه ، غطى ما علم من حذقه وطبعه ، فقنع باسم الولاية ، وان لم يستفد منها غاية .

وكان شجاعا جريئا ، باذل النصح في الخدمة ، يستكفى به في البعوث لحزمه ، يقدم على نفسه مصلحة من وراءه من الفرسان ، كما هو الشأن .

ولم يزل يتقلب في حالاته بتقلب الأيام ، إلى أن وافاه الحمام ، أواسط رجب من سنة 1284 أربع وثمانين ومائتين والف (أواسط نوفمبر 1867) ودفن بزاوية سيدى أحمد الرصاص .

[382 ـ قضوم الفرشيشى]

أبو عبد السلام قضوم بن محمد بن مراد الفرشيشي من أولاد علي .

نشأ هذا الرجل في حيه من الأعيان ، وتقدم بنفسه ، وزان ابناء جنسه ، وشاخ على قومه ، ولمشايخ العرب يومئذ حرمة مرعية .

ونال الحظوة عند الباي أبي محمد حمودة باشا ، يستنجبه ويسأله ويعتمد جوابه . وزاد في معناه المشير أبو العباس أحمد باي ، وولاه عمل قومه ، وقربه بما يقتضيه حاله ، ورقاه إلى رتبة لم تعهد لامثاله ، وانذر بفتنة الإثنين وسبعين ورآها قبل وقوعها ، وفي بعض القلوب عيون ، وإذا أراد الله إنفاذ قضائه وقدره سلب ذوي العقول عقولهم .

ولما جاءت الفتنة وشب ضرامها ، امتحن فيها من العامة التي قدرت ان تقول وتصول ، إلا أن صنائع المعروف وقته مصارع السوء ، فدارى القوم لمنجاة نفسه من الهلاك المحقق .

وامتحن من الخاصة أيضا ، فان بعض رجال الدولة اتهمه بالتقصير في الإصلاح ، لما يعلم من حاله ، وما تقدم من خصاله ، ورب ملوم لا ذنب له ، إذ القوة يومئذ بيد العامة ، والخاصة أذل من وتد بقاع ، حسبهم التحيل لمنجاتهم ، والناس اتباع من غلب .

ولاقى بسبب هذه التهمة السجن مع ابنه عبد السلام ، ثم تسرح وأُمر بالإقامة في الحاضرة ، ثم استعمل وامر بالتوجه لأهل عمله ، عند تراكم الخوف والجوع ونقص الأموال والأنفس والثمرات ، وهو لا يقدم غرضا على طاعة وازع الحكم . فتوجه وترك أكبر بنيه في محبسه الذي مات فيه ، ولما وصل قومَه أسف لحالهم مع أسفه على ابنه ففاجأه مرض موته ، فبقي به أياما وصار لرحمة ربه أواخر شعبان سنة 1284 أربع وثمانين ومائتين والف [أواخر ديسمبر 1867] ودفن بزاوية تالة .

وكان عالي الهمة ، جوادا لا ترى ابناء السبيل غير نار قراه ، جبان الكلب ، مهزول الفصيل ، لا يسأل عن السواد المقبل ، واسع الصدر شجاعا صبورا ، صادق اللهجة ، سويّ الظاهر والباطن ، فصيح اللسان ، يحمل الكل ويكسب المعدم ، ويعين على نوائب الدهر ، أحيا في هذا العصر ما أندرس من مفاخر العرب ، ولكل وقت حاتمه وأحنفه وكعبه ، آية الله في الوفاء ، قابله الله برضوانه وغفرانه واحسانه ، وهو الكريم الذي يحبّ الكريم .

[383 ـ عبد الحليم المحرزي]

الشيخ أبو عبد الله عبد الحليم المحرزي .

زان بيت مجده ، على قدم أبيه وجده ، وبركة الصدّيق عليهم تلوح ، وطيبها من بيتهم يفوح .

وحصل الملكة العلمية ، لا سيما في علمي الفرائض والحساب . وتصدر للتوثيق وعد من رجاله ، وفرسان مجاله ، ثم انتقل للشهادة على أحوال دار السكة بباردو .

وكان تقيا فاضلا وجيها ، حسن الأخلاق ، محمود المحاضرة ممتع المذاكرة ، محببا إلى الناس ، إلى آخر ما قدر له من الأنفاس ، في التاسع من رمضان سنة 1284 أربع وثمانين ومائتين والف (4 جانفي 1868) ودفن بزاوية جدهم ، منبت مجدهم ، رحمه الله .

[384 ـ محمود محسن]

أبو الثناء سيدي محمود ابن الإمام أبي الحسن سيدي علي ابن الشيخ سيدي أحمد ابن سيدي محمد ابن سيدي محسن ابن الشيخ سيدي أحمد الشريف الشهير بامام جامع دار الباشا ، وتقدم شيء من ترجمته مع الأيمة بجامع الزيتونة .

نشأ في بيت شرفه ، نشأة الجوهر في صدفه ، فقرأ القرآن على الشيخ الحافظ العفيف أبي محمد حسن بن عمر ، واقبل على العلم فأخذ عن ابن عمه الشريف الحسن ، وعن الشيخ الطاهر بن مسعود .

ثم الجأه حال الضيق ، إلى التعلل برشح من قلم التوثيق ، فتصدر لذلك متخلقا بالعدالة ، مرموقا بعين الجلالة . ثم قدمه الباشا أبو عبد الله حسين باي إماما ثالثا بالجامع الأعظم جامع الزيتونة ، وأولاه الشهادة على أوقاف الحرمين الشريفين ، وهي يومئذ من الخطط النبيهة ، وعدالته اقتضت معاينة ما يلزم لرمّ تلك الأحباس ، فأهدى له الباي فرسا ، عناية بشأنه .

ثم تدرج في سلم الإمامة إلى أن صار الإمام الأول ، وعليه في أمر الجامع المعول ، فقام بوظيفته وزانها وأعلى شأنها .

وكان شيخ العصر وتقي المصر شيخنا أبو اسحاق ابراهيم الرياحي يرغب في صحبته وانسه ، ويقدمه على نفسه ، وقدمه كما تقدم على صغار بنيه ، لما رأى فيه .

وكان محببا إلى الخاص والعام من أهل البلاد ، وحب الله ، كما ورد ، موصول بحب العباد .

وكان الشيخ الشاذلي بن المؤدب المفتي انف من المشي خلفه على عادة أيمة الجامع ، وبلغ ذلك إلى أبي النخبة مصطفى باي ، فبعثني اليه مع شيخنا القاضي أبي عبد الله محمد البحري بن عبد الستار في غرض الإصلاح بينهما مع المحافظة على عادة

الجامع . هذا أبو حفص عمر المحجوب القاضي كان يمشي خلف الشيخ علي البكري ؛ فحلف الشريف أن لا يتقدم على الشيخ الشاذلي ، ثم صفا جوّ الوداد بينهما ، شأن الأفاضل .

وكان المشير أبو العباس أحمد باي يعرف منزلته ، ويجله مع ما يبلغه عنه من بعض الوشاة ، بأنه لا يحبه ويميل إلى ابن عمه ، ويقول للواشي : « إن أحبني فهو من سعادتي وإن كانت الأخرى فما أفعل مع ابن علي وفاطمة ؟ » على عادة تشيعه في حب هؤلاء السادة .

وكان عالي الهمة نزيه النفس سليم الصدر ، فقيها نبيها حسن الأخلاق ، ممتع المحاضرة حسن اللقاء متواضعا على شرفه ، تقيا نقيا عفيفا ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، شديد المحافظة على العادات المألوفة في الجامع ، بل وفي سائر حالاته ، حتى أن المجلس البلدي أجرى ماء زغوان إلى ميضاة السلطان وميضاة الحفيان عند باب الجامع ، فانكر ذلك ورده من حيث ان الماء مغصوب ، وفيه ما فيه من الكلام ، وأي داع للتسبب في تطهير المسلمين بما فيه كلام ، وهو خلاف عادة البلد . آية الله في الوفاء حتى انه اعتراه مرض بعينيه وبجسده غيّر مزاجه لما توفي صديقه شيخنا الكاتب أبو عبد الله محمد بن سليمان المناعي .

وتعلق في آخر عمره بزهد الأبرار ، وكره المقام بهذه الدار ، يطلب من أصحابه الدعاء له بذلك ، وأحب لقاء الله فأحب الله لقاءه عشية يوم الجمعة السادس عشر(1) من رمضان المعظم سنة 1284 أربع وثمانين ومائتين والف (10 جانفي 1868) ، بعد أن أوصى بالصلاة عليه للشيخ الإمام المفتي التقي العالم أبي الحسن علي العفيف . ومن الغد صلى عليه أمام باب البهور بجامع الزيتونة ، وصار لجنازته موكب شهده الباي وآله ورجال الدولة ولم يتخلف إلاّ من به عذر من أهل البلاد ، وتزاحمت الناس على التبرك بحمل نعشه ، ودفن بتربة آله صلوات الله عليهم .

وقام مقامه في إمامة الجامع الأعظم ابن أخيه سيدى محمد بن سيدى محمد محسن ، وهو الإمام الثاني .

---

(1) هو 15 حسب التقويم .

[385 ـ عثمان البارودي]

أبو عمرو عثمان ابن الشيخ الإمام المفتي أبي عبد الله محمد
ابن الإمام المفتي أبي عبد الله الحاج حسين البارودي .

تركه والده صغيرا وكفله أخواه ، الشيخ الإمام أبو عبد الله حسين ، والشيخ الإمام أبو العباس أحمد . وأخذ عنهما ثم أخذ عن اعلام كالشيخ أحمد الأبي ، والشيخ محمد بيرم الثالث ، والشيخ ابراهيم الرياحي . وحصل ملكة علمية وانتقل للخطبة والإمامة إلى أن صار خطيبا بجامع باردو .

وكان تقيا عفيفا خيرا ، تقي العرض ، عالي الهمة ، حسن الأخلاق ، فقيها .

ولم يزل على المحمود من خلاله متجمّلا بكماله ، ناسجا على منوال آله ، إلى حين وفاته وانتقاله ، أواخر رمضان من سنة 1284 (أواخر جانفي 1868) ، وخلف ابنا قام مقامه ، وتسنم ذروة المنبر ومحراب الإمامة ، كثّر الله من أمثاله .

[386 ـ عثمان هاشم]

أبو عمرو عثمان بن محمد هاشم .

نشأ بين يدي أبيه ، معينا له على أسباب المعاش . وهو من أماثل الحاضرة ، ثم أخذ للخدمة العسكرية بقشلة الطبجية ، فبرع فيها وتقدم بنفسه .

وسافر مع الوزير أبي محمد شاكير صاحب الطابع في محلته لجبل ماطر ، ولم يستطع أحد من حساده وانظاره جحد ما حمد من خدمته .

وسفر عن الدولة لاسلامبول وغيرها من بلدان أروبا ولاميركا ، وانصاف الوزير خير الدين اقتضى ان اختاره مستشارا ، وتدرج في سلم الخطط العسكرية بباعه إلى أن صار أمير لواء .

وكان حازما شجاعا صبورا ، عالي الهمة كريم النفس حسن الأخلاق ، متوددا إلى الناس .

ولم يزل على حاله متجملا ببرود كماله وجميل خصاله ، إلى حين انتقاله في الثاني من شوال سنة 1284 (الاثنين 27 جانفي 1868) ، ودفن بموكب يناسب مقامه العسكري .

[387 ــ سعد بن عبيد]

من قبائل اتباع بني رزق من دريد ، وثبت في الخدمة بوجق الحوانب ، واختص به الوزير أبو النخبة مصطفى صاحب الطابع ، ثم اختص به الوزير أبو النخبة مصطفى خزنه دار ، وجعله واسطة بينه وبين عمال العربان في انهاء مصالحهم ، ومع هذه الخدمة تقلب في الأعمال ، وجبى المال ، ونال من الحظوة والقرب فوق الآمال ، وربما نظر لنفسه ، وجعل ذلك مناط فكره وحدسه ، وغفل عن واجب النصح لمخدومه ومصلحة بني جنسه .

وكان أميا لا يقرأ ولا يكتب ، عريقا في السذاجة البدوية ، لو أضاف إليها الهمة العربية .

ولم يزل على حاله إلى أن توفي في العشرين من شوال سنة 1284 اربع وثمانين ومائتين والف (الجمعة 14 فيفري 1868) ، ودفن بموكب مشهود ، وأعقب أولادا تسنموا ذرى الأعمال .

[388 ــ صولة الشعلي]

صولة بن الشيخ سعيد الشعلي ببيت بني زيد .

هذه القبيلة من أعز قبائل عمل الأعراض في النجدة والشجاعة والإيواء ، على قلة عددهم ، شأن قلة الكرام .

والشيخ سعيد هذا يعسوب قومه ، ومرجع رأيهم ، يقفون عنده ويسلمون له الرئاسة ، وهو الذي يتكلم على لسانهم وحده بين يدي الباي إذا وفدوا ، سجية انفردت بها هذه القبيلة ، وهي السبب في تقدمهم .

وله أثر جميل في الخدمة لما توجه المشير أبو العباس أحمد باي بعسكره الجرار إلى أوطان الساحل والأعراض سنة 1256 (1) .

(1) انظر ص 39 ج 4 .

ونشأ أكبر بنيه صاحب الترجمة على سنن أبيه وبه اقتدى ، ومن يشابه أَبَهُ فما اعتدى .

وكان كريم السجية ، ظاهر الهمة ، مولعا بالأخلاق المرضية ، والهمة العربية . وله اخوة نسجوا على هذا المنوال ، وتخلقوا بجميل الخلال .

وامتحن صاحب الترجمة من الجهتين في فتنة الإثنين والسبعين ، ثم توفي في وفدته للحاضرة غرة ذي القعدة من سنة 1284 (الاثنين 24 فيفري 1868) ، ودفن بالسلسلة .

[389 ــ على العروسى]

أبو الحسن علي بن محمد بن محمد العروسي .

نشأ في بيت مجده ، على سنن أبيه وجده ، ثم تقدم في مباشرة الخطط والأعمال ، كولاية صفاقس وغيرها من قبائل العربان . ثم أرسى أمره إلى التقدم لرئاسة مجلسي التجارة والشاشية ، فباشر أعماله مباشرة حسنة مرضية ، وكان نقي العرض ، طيب الأخلاق ، حسن المروءة ، محمود المعاشرة مع الناس ، إلى آخر ما قدر له من الأنفاس ، في غرة ذي القعدة سنة 1284 أربع وثمانين ومائتين والف (24 فيفري 1868) ودفن بتربة آله بالجلاز .

[390 ــ محمد الوزير]

أبو عبد الله محمد بن أبي محمد حسن الوزير .

من بيوت الأندلس وأعيان الحاضرة في القديم والحديث . نشأ بين يدي أبيه وحفظ القرآن وحصل ملكة علمية ثم أقبل على صناعة آله من المتجر في الشاشية وغيرها ، غير جانح لاسباب الولايات . ولما كسد سوق الشاشية بابتداء النقص في متجر الحاضرة ، تعلل من رشح قلم التوثيق اضطرارا .

ثم قدمه المشير أبو العباس أحمد باي وكيلا على خزائن الكتب العلمية بالجامع الأعظم ، لمكانته المكينة في الأمان .

وكان خيرا عفيفا تقيا نقيا وجيها ، لـه إلى الله وجهة حسنة ، ممن سلم الناس من يده ولسانه .

ولم يزل متجملا بهمته على اقلاله ، رافلا في برود كماله ، يزيد باخلاقه في مجد بيته وآله ، إلى حين انتقاله في ذي القعدة سنة 1284 (فيفري — مارس 1868) ، ودفن بمقبرة آله بالجلاز . وأعقب ولدا قـام مقامـه ، ونسـج على منواله ، كـثر الله في الأمـة من أمثـالـه .

[391 ـ عمـر ثــابت]

أبو حفص عمر ابن الشيـخ أبـي عبد الله محمد ثابت .

نشأ بين يدي أبيه ، فدربه على الكمال وما يزين بيتهم النبيه ، وحفظ القرآن وعلم ما يجب علمه من أصول العقائد وفقه الدين ، وله في علم الحساب اليد الطولى ، وتقدم لكتابة مجلس المتجر وهـي من الخطط النبيهة قديما وحديثا ، وصاحبها ممن يشار اليه . ثم الزمه المشير أبو عبد الله محمد باي مشيخة المدينة وصاحبها يسمى أمين الأمناء ، فامتنع وبكى وتضرع ، فوقع الزامه فباشرها على كره ، فأسبل قناع الستر ، واعتذر لما شاخ ، ورأى قرب المناخ ، فقبل منه العذر ، وابقى طيب الثناء وجميل الذكر .

واقبل على ما يقرب إلى الله زلفى ، من ملازمة الجماعة وتلاوة القرآن في غالب أوقاته ، وكان في ذلك نسخة من أبيه المتقدم ذكره .

حـــالــه :

كان خيرا عفيفا تقيا ، نقـي العرض واسع الصدر ، عالي الهمة حسن الأخلاق ، محببا إلى الناس .

ولم يزل بين تلاوة وعبادة ، وامارات سعادة ، إلى أن لبـى داعي الله والقى لرحمته المقـادة ، يوم الثلاثـاء الثالث والعشرين من ذي القعدة سنـة 1284 (17 مـارس 1868) ، واعقب ابنا يحيي ذكره وينشر فخره ، انخرط في سلك أهل العلم وعد من النجباء وأعيان الأدبـاء ، وطلب إلى مشيخة المدينـة فـاعرض عنهـا وأبـى ، كـثر الله للأمـة الإسلاميّة من أمثالـه .

[392 ـ أحمد الـوزيـر]

أبو العباس أحمد بن حسونة الوزير .

من أعيان بيوت الأندلس بالحاضرة ، نشأ في صيانة مجده ، واقتفى نهج أبيه وجده ، وتقدم لرئاسة مجلسي المتجر والشاشية ، ولم تحفظ عنه إلا الخصال المرضية ، وزان سلك الأعيان بالمجلس الأكبر .

وكان عزيز النفس ، عالي الهمة ، ثاقب الفكر فصيح اللسان ، نقي العرض ، محببا إلى الناس ، معدودا من الأعيان أهل الشان .

ولم يزل رافلا في خلاله المرضية ، إلى أن أجاب داعي المنية ، في الرابع والعشرين من ذي القعدة سنة 1284 (الاربعاء 18 مارس 1868) ، ودفن بتربة آله من الجلاز ، واعقب إبنا كان كأبيه بل زاد ، كثر الله من أمثاله في الأولاد .

[393 ـ علي الـدرنـاوي]

أبو الحسن علي بن محمد الدرناوي .

ربته جدته لأمه لتغيب أبيه وهو رضيع ، وحثته على التعلم ، فقرأ القرآن واقبل على العلم ، فأخذ عن أعيان من المتأخرين كالشيخ العلامة أبي عبد الله محمد النيفر ، والشيخ المحقق أبي عبد الله محمد بن عاشور ، وأخيه الشيخ الطاهر بن عاشور وغيرهم . وحصل ملكة علمية ، واضطره الإقلال إلى التكسب من رشح القلم ، فانتصب للتوثيق ، ثم صار خوجة العسكر بالمحمدية ، ثم قدمه المشير أبو العباس أحمد باي لقلم الإنشاء ، فكان من أواسط الكتاب . وبعثه غير مرة للدولة العلية مع الأمير كشلك محمد ، واستوثقه في عد النخيل مع الأمير أحمد زروق .

ثم سافر مع مشير العصر أبي عبد الله محمد الصادق باى في سائر محلاته ، ووفى له بعد موت أخيه .

وكان كريم النفس حسن المروءة ، عفيفا ذكيا ، ملازما لقناع التجمل حتى افرط ، وعده عليه العقلاء خروجا عن الطور ، ومن شذ عن طوره يفتضح ، طامح النفس إلى معالي الأمور ، لو ساعده البخت والوقت .

ولم تزل أبواب الثروة عنه مسدودة ، وآماله متسعة ممدودة ، إلى آخر أنفاسه المعدودة ، ظهر يوم الجمعة ثاني يوم عيد الأضحى (1) من سنة 1284 (3 أفريل 1868) ، ودفن بالسلسلة رحمه الله . واعقب ابنا ضعيف البدن ، اقامه مخدومه مقام أبيه على صغر سنه ، تفضلا منه .

[394 ـ محمد الطاهر بن عاشور]

أبو عبد الله محمد الطاهر بن محمد بن الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور .

نشأ هذا الذكي في حجر أبيه وتربية أخيه . وهو من بيت شرف وصلاح ، وترجم لجدهم الوزير في تاريخه وكذلك حسين خوجه . ولما حفظ القرآن بمكتب حوانيت عاشور أقبل على العلم ونبذ ما سواه ، فأخذ عن أخيه أبي عبد الله محمد بن عاشور ، وعن شيخنا أبي عبد الله محمد بن ملوكه ، وكان يستنجبه ويقدمه ، وعن شيخنا العلامة أبي عبد الله محمد بن الخوجة ، وعن شيخ الشيوخ أبي إسحاق إبراهيم الرياحي ، وعن شيخ الإسلام أبي عبد الله محمد بيرم الثالث ، وعن الشيخ المفتي أبي عبد الله محمد معاوية . وكان ذلك عند التفات الهمة من المشير أبي العباس أحمد باي إلى العلم وأهله ، بترتيب المدرسين وإجراء جراياتهم ، ووقف الكتب العلمية بالجامع على الطلبة . فحبس على طلب العلم شبابه ، ولازم أبوابه ، ولم يلبث ان اقتحم على الفحول أغيالها ، وطمح إلى الغايات البعيدة فنالها ، وفاض بالعلم حوضه ، واثمر روضه ، فتصدر للتدريس في النحو والبيان والأصول وغيرها من علوم الأدب ، فانثالت اليه الناس من كل حدب ، وجرى منه بالجامع الأعظم سيل الإفادة ، وسعد به سوق العلم أي سعادة ، يقدم الإفادة على سائر لذاته ، بداع قوي من ذاته . إذا تصدر للتدريس رأيت الدر الفاخر من البحر الزاخر ، ومصداق « كم ترك الأول للآخر » .

وانتفع به أعيان من أهل المملكة أي انتفاع ، ولم تزل رتبهم في ارتفاع ، فلم يرعهم إلا تقديمه لخطة القضاء ، فانطووا على أحر من جمر الغضى ، وذلك ان الرجل لما علا كعبه واشتهر في العلم صيته في قليل من الزمن ، وتحقق المشير أبو العباس أحمد

(1) هو 25 ذو الحجة حسب التقويم .

باي ان تحصيله كان في دولته ومن ثمرات عنايته قال في مجلسه : « هذه ثمرة غرسي نريد الإنتفاع بها في حياتي » واستشار فيه صاحبنا شيخ الإسلام أبا عبد الله محمد بيرم ، فلم يعبه الا بصغر السن ، فقال له : « هل تعلم أعلم منه ممن تقدمه بالسن ؟ » فاجاب بعدم العلم ، فقدمه للخطة في 25 رجب من سنة 1267 سبع وستين (الاثنين 26 ماي 1851) وكان يومئذ في الفنون المعقولة أحسن منه في الفقه .

وللرجل همة حملته على الإنقطاع إلى الدواوين الفقهية ، وعمّر بها أوقاته ، حتى تدارك في قليل من الزمن ما فاته ، وجرى مع فحول الفقهاء في مضمارهم ، ومعارك انظارهم ، يحذو في الفقه حذو العلامة أبي الفداء اسماعيل التميمي من مشاركة الأصول بالفروع ، لا يذكر فقها وترجيحا إلا بحديثه ويقول : « لا يعجبني أن أقول هكذا قال الفقهاء ، وما يمنعني أن أعلم الدليل مثل ما علموه ؟ » .

وباشر الخطة إذ ذاك بميزان عدل ، لا يلتفت إلى خوف ولا عزل ، وشرد أهل الزور ، وغلّ أيدي الملدين وأهل الفجور .

ولباي ذلك العصر عناية باخباره ، واستحسان لآثاره ، وأطلق يده في أخذ أوامر المنتصبين للاشهاد ان رأى ريبة ويبعث بالأوامر له . وكان كثيرا ما يقول لي : « ما فعل القاضي الشريف » ؟ ، فاحكي له ما يبلغني عنه من غريب منازعه وجيّد مباحثه ، فنرى السرور بوجهه . وعلى ثقل الخطة كان يريح نفسه بالتدريس في بعض الأحيان .

ورغب منه أعيان من تلامذته أن يكمل لهم شرح المحلي لجمع الجوامع فاجابهم لذلك بين العشاءين . وله حاشية على القطر ، وتقاييد على حاشية عبد الحكيم في البيان ، وشرح على بردة البوصيري . هذا ما يتعلق بترجمة الرجل في العلم وثقوب الفكر ومباشرته خطة القضاء .

ثم انتقل في دولة المشير أبي عبد الله محمد الصادق باي إلى خطة الفتوى ونقابة الأشراف والاحتساب على فواضل الأحباس في طرق البر العامة ، والنظارة على بيت المال ، على خلاف نص المحبّس وقصده ، بمقتضى التحبيس المعلق عند باب الشفاء من الجامع . وبذلك سلقته الألسن الحداد ، من الأكفاء والحساد .

ثم انتقل إلى مجلس الباي الخاص والمجلس الأكبر للشورى الحامي لحقوق المملكة والدولة والسكان ، فلم يكن عند الظن في مصلحة البلاد والعباد ، وربما أعان شراع الوحدة بالإستبداد ، لما رأى في ذلك من المصلحة بالإجتهاد .

وكان عالي الهمة ، زكي النفس ، لم يقنع بشرف النسب ، حتى أضاف له الشرف المكتسب ، من نور الفهم والتضلع بالعلم ، وهما نعمتان وكل ذي نعمة محسود . وعلى وجود حساده وتظاهر اضداده ، لم يجدوا في قضائه موضعا لإنتقاده .

[وكان] سليم الصدر ، حسن الأخلاق ، عذب البيان ، كاتبا شاعرا بليغا ، أبي الضيم ، ثابت الجنان ، طيب المعاشرة ، لا سيما مع تلامذته ، حتى حلّ منهم محل العين من الإنسان والإنسان من العين ، بعيدا عن التصنع في الزي الذي هو رأس مال المفلس ، يلتحف في الشتاء بالحُولي ، ويقول لمن يعذله دونك وقولي ، ما شئت من محاضرة تتحف المجالس والمحاضر ، ويسبي النواظر زهرها الناضر .

وعلى كل حال فقد عاش ممتّلاً الأغراض ، غير مكترث بما في أيدي الحسدة من سهام الإعتراض ، ومن نقص الهمة ، الحسد على النعمة .

ولم يزل في هذه الدار يدأب على أسباب الحظوة والارتقاء ، إلى أن رحل إلى جوار جده بدار البقاء ، نهار يوم الإثنين الحادي والعشرين (1) من حجة سنة 1284 (13 أفريل 1868) ببستانه بأريانة . وحمل جسده الشريف إلى داره بتونس ، ومن الغد دفن بزاوية جده مع آله الطيبين . وحضر جنازته الباي واخوته ورجال دولته ، واشتد عليه أسفه بالبكاء ، وكاد ان لا يتخلف عن جنازته أحد . وأعقب ابنا صغيرا تلوح عليه النجابة . ورثاه شاعر العصر أبو الثناء الشيخ محمود قابادو بقصيدة كلها عيون (2) .

[395 ـ أحمد سيالة]

أبو العباس أحمد بن أبي عبد الله محمد سيالة .

من أعيان هذه الحاضرة ، ولبيتهم المجد الأثيل بصفاقس قديما وحديثا . نشأ بين يدي أبيه ، ناسجا على منوال آله وذويه . وأخذ عن عمه شيئا من العلم خرج به من ربقة الجهل ، وأدى فريضة الحج ، وأقبل على شأنه ، وعد من أفراد زمانه .

---

(1) هو 20 حسب التقويم .

(2) مطلعها : خطب له الدين ارنى لحظ مذعور * والناس ما بين مبهوت ومبهور . (راجع الديوان ص 137 ج 1)

وكان عالي الهمة واسع الصدر ، نقي العرض عفيفا متواضعا ، حسن الأخلاق ، فصيح اللسان حسن الإدراك ، يغلب عليه الحياء ، من الأعيان المنتخبين لمجلس الشورى المعروف بالمجلس الأكبر .

ثم اختير شيخا للمدينة وامتنع وألح ، ووقع إلزامه فصبر ورآها بلية ، وبُعيد ذلك صبَّحته مُغيرات المنية ، أواخر محرم غرة عام 1285 (أواخر ماي 1868) ، ودفن بالسلسلة .

[396 ــ محمد الغماد]

أبو عبد الله محمد ابن الشيخ أبي العباس الحاج حميدة الغماد .

هو من آل الغماد المعدودين من أقدم بيوت البلاد ، طالما زانوا خططا علمية وسياسية ، ونشأ صاحب الترجمة مقتفيا أثرهم ، حافظا خبرهم ، وما قصر عن شأوهم باعتبار الوقت والحال ، ولكل زمان رجال .

تقدم شيخا لربض باب الجزيرة ، فاسبل الستر وأحسن السيرة ، ودل ذلك على ما أودع فيه من السريرة .

وكان عالي الهمة زكي النفس ، قانعا بقناع التجمل ، على شدة الأقلال ، حييا عفيفا صبورا ، نقي العرض متواضعا ، حسن الأخلاق متوددا إلى الناس ، يزور المرضى ويشهد الجنائز ويهش لقضاء حوائجهم .

ولم يزل على كماله محببا إلى الناس ، إلى آخر ما قدر له من الأنفاس ، في غرة صفر من سنة 1285 خمس وثمانين ومائتين والف (الاحد 24 ماي 1868) ، وساء الناس نعيه وتسابقوا لجنازته ، ودفن بتربة آله في الجلاز ، وأعقب ابنا صغيرا .

[397 ــ محمد الرصاع]

الشيخ أبو عبد الله محمد ابن الشيخ عثمان ابن الشيخ قاسم الرصاع .

نشأ بين يدي أبيه زينة لبيت مجده ، على سنن أبيه وجده ، ولبيت الرصاع في هذه الحاضرة مجد أصيل ، وفخر أثيل . قرأ على أبيه وغيره وحصل ملكة علمية لا سيما في الحساب والفرائض ، وتصدر للوثيقة ، وسار فيها على أقوم طريقة .

ثم تقدم بعد وفاة والده لخطة قضاء الفريضة والشهادة على بيت المال ، وباشرها بما اقتضاه مجده من صفات الكمال ، ثم اقتضت همته رفضها . وذلك ان الوزير أبا محمد شاكير صاحب الطابع قال له يوما مداعبا : « ان بيت المال بيدك وبيد الآغة تدفعان للدولة منها ما شئتم » ، فقال له : « أما الصندوق فهو بيد الآغه وهو أقرب مني إليكم ، وقدمتموني للشهادة عليه فيما يقبض وله فيما يصرف ، وحيث طرأ لكم شك في أمانتي فانظروا غيري من الآن » . وخرج ولم يدخل إلى باي العصر وهو الباشا أبو عبد الله حسين باي ، فقال والدي للوزير وكان من محبيه ونصحائه : « ان هذا الرجل من دار كبيرة ولا يرضى لعرضه ان يمس » ، فقال الوزير للوالد : « راجعه في عزمه » . فتوجه له ليلا وراجعه وألح عليه فأبى . فقدم الباي عوضه أبا عبد الله محمد القلشاني ، وهو من بيوت المجد أيضا . واختير صاحب الترجمة لمجلس الشورى المعروف بالمجلس الأكبر في آخر أمره ، ثم استقال لثقل وقع بسمعه .

وكان وجيها خيرا عفيفا ، محافظا على عرضه ومقامه ، أبي الضيم عزيز النفس عالي الهمة ، صادعا بالحق بعيدا عن المداهنة . وامتحن قبيل وفاته بموت أكبر بنيه ، على حال احتياج بضعف الشيبة اليه .

ولم يزل على حال مرضه أسيفا حزينا على فقده ، حتى جاوره بلحده . فتوفي رحمه الله يوم الخميس الحادي والعشرين (1) من صفر سنة 1285 خمس وثمانين ومائتين والف (11 جوان 1868) ، ودفن من الغد بتربة آله بالجلاز ، والدنيا مجاز ، واعقب أولادا يبقى بهم ذكره ، ولم ينقطع بوجودهم عمله .

[398 ـ محمود الأبي]

أبو الثناء محمود ابن العلامة أبي العباس أحمد ابن الوجيه محمود الأبي .

نشأ بين يدي أبيه ، وأخذ عنه وعن غيره من علماء العصر ، وحصل ملكة علمية تصدر بها للتدريس ، وتقدم لامامة جامع صاحب الطابع بعد وفاة أبيه . ثم صرف عنها لأن باي العصر بعث له يوم الختم في رمضان أن ينتظر في الختم قدومه ، ولما قرب وقت

(1) هو 19 حسب التقويم .

الغروب ، وسمع ان الباي رجع إلى باردو من شيخ الربض ، ختم . ولما انفض الموكب جاء الباي وتغير . ومن الغد عزله عن الإمامة فقط وبقي منتظما في سلك المدرسين .

وكان فقيها خيرا عفيفا ، نقي العرض مقبلا على خويصة نفسه ، صبورا قانعا بقناع التجمل .

ولم يزل على حاله ، والمحمود من خلاله ، إلى ساعة انتقاله ، يوم السبت الثالث والعشرين (1) من صفر سنة 1285 خمس وثمانين ومائتين والف (13 جوان 1868) ، ومن الغد دفن بتربة آله من الجلاز ، رحمه الله .

[399 ـ محمد برناز]

الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد

ابن الإمام المفتي أبي عبد الله حسين بن مصطفى برناز.

نشأ هذا العفيف بين يدي أبيه الذي ترجم له شيخ الإسلام أبو عبد الله محمد بيرم كما تقدم في هذا الموضوع (2) ، وأخذ عنه وعن العلامة أبي العباس أحمد الأبي ، وعن الشيخ المفتي أبي العباس حميدة بن الخوجة ، وعن الشيخ أبي عبد الله محمد بيرم ، وعن الشيخ الطاهر وغيرهم . وحصل ملكة في النحو والفقه والمنطق والأصلين وتصدر للتدريس بالجامع الأعظم وغيره ، وانخرط في سلك المدرسين ، وتقدم إماما بجامع يوسف داي وشيخ مدرسته ، ثم انتقل إلى إمامة جامع القصر .

وكان خيرا تقيا عفيفا ، نقي العرض ، يعجبه الخمول ويتأنس بالإنفراد ، ممن سلم الناس من يده ولسانه ، فقيها حافظا متثبتا ، حييا والحياء كله خير ، حسن النغمة في القاء الخطب ، معدودا من الأخيار ، إلى أن انتقل إلى تلك الدار ، في السادس والعشرين من صفر سنة 1285 خمس وثمانين ومائتين والف (18 جوان 1868) .

---

(1) هو 21 حسب التقويم .

(2) انظر ص 84 ج 7 .

[400 ـ محمـد الشاذلي العصفوري]

أبو عبد الله محمد الشاذلي بن أبـي محمد حمودة العصفوري .

نشأ بين يدي أبيه ، مقصور النظر على اجداث آبائه وذويه ، قـانعا من أوصافهم بمجد النسب ، عن المجد المكتسب وهو الحسب ، شأن الأعقاب في البيوت العالية ، من الإغترار بالرمم البالية .

ثم سولت له النفس الأمارة ، تقليد الإفرنج في كيفية التجارة ، فتداين لربـح المتجر بالربا ، حتى طار كسبه مع الهبا ، ويمحق الله الربا . وتغيب في الحـاضرة خشية مذلة الدين ، حتى ضمنه والده شان حنان الآباء على البنين ، وخرج بذلك من جميـع كسبه ، وصار لرحمة ربه ، وبقـي الإبن المضمون ، يعانـي مع الاقلال ثقل الديون .

وكان وجيها من أعيـان الطريقة الشاذلية ، ولم يزل على حاله إلى ان سترته يـد المنية ، في موفي صفر من سنة 1285 خمس وثمانين ومائتين والف (الاحد 21 جوان 1868) ودفن بتربة آله في الجلاز .

[401 ـ أحمـد بن حسين]

خاتمة المحققين الشيـخ أبو العباس أحمد بن حسين القمار الـكافي .

من أعيان بيوت الـكاف ، كان آله يتداولون خطط الأعمال السياسية ، ونجمت منهم أفراد . ونشأ هذا الشيـخ بين يـدي أبيه ، في ظل بيته النبيه ، فحفظ القرآن العظيم بالـكاف ، وتاقت همته العلية إلى التخلق بالصفات العلمية . فعزم على الرحيل من مسقط رأسه ومعاهد إيناسه ، ووافقه على ذلك والده وارتحل معه بأهله ، وسكن دارا بتونس للقيام بضروريات ابنه الذي اختار السكنى مع المهاجرين في طلب العلم . فسكن المدرسة السليمانية واختص بشيخها الشيـخ الطاهر بن مسعود ، وقرأ عليه النحو والفقه والمنطق والبيان والأصول ، وبلغ إلى درجة التحصيل ، مع ما فيه من الذكاء الأصيل ، ولما توفي الشيـخ الطاهر انتقل لمدرسة صاحب الطابع بجامعه ولازم شيخنا المحقق أبا إسحاق سيدي إبراهيم الرياحي ، وقرأ عليه تفسير القاضـي البيضاوي ، وصحيـح البخاري بشرح القسطلانـي ، والمختصر الخليلي . وقرأ على شيخنا المحقق أبـي العباس أحمد

الأبـي مختصر السعد البيانـي ، وغالب شرح المحلي لجمع الجوامع . ولما أمتلأ بالعلوم العقلية والنقلية حوضه ، واثمر روضه ، طلبه شيخنا أبو إسحاق ابراهيم الرياحـي أن يقرىء ابنه الشيـخ الطيب النحو وغيره ، وكان يعرف منزلته ويشهد له بالتقدم . فامتثل أمر شيخه وقال له : « نأتيه كل يوم إلى الدار» . فقال له الشيـخ : « العلم يؤتى إليه ولا يأتي » . فتأدب مع شيخه وقال له : « لا نقرىء في جامع صاحب الطابـع وانت المدرس به » . فاختار مسجدا قربه ، واستفاد منه ابن شيخه ومن معه من أعيان الطلبة أي استفادة ، وسعدوا بعلومه أي سعادة .

ثم ناداه الوطن ، وعز على شيخنا سيدي ابراهيم خروج مثله من الحاضرة . ثم تسبب له شيخنا أبو عبد الله سيدي محمد البحري بن عبد الستار ، وهو يومئذ قاضـي الجماعة ، في خطة القضاء بالكاف ، فتحملها على كره ، وذلك في عام 1248 ثمانية وأربعين ومائتين والف (33 — 1832)وقام في الخطة بما يجب لله ، نقـي العرض مشكور السيرة ، لا تأخذه في الله لومة لائم .

ونقل بيتهم من الرئاسة العرفية إلى الرئاسة الشرعية ، إلى أن توفي شيخنا عالم الملة أبو اسحاق إبراهيم الرياحـي ، على عهد الأمير المشير أبـي العباس أحمد باي فقال : « لا يسد هذا الثلم إلا مثل الشيـخ أحمد بن حسين الكافي» . فاستقدمه من الكاف وأولاه خطط شيخه ، عدا إمامة الجامع الأعظم ، وذلك في شوال من سنة 1266 [أوت — سبتمبر 1850] ، فتقدم على كره أيضا ، وصعب عليه فراق وطنه ومسقط رأسه ، وكـأنه استشعر نفرة من أهل البلد . وقام بالخطة أَوْفَى قيام ، واقبل على التدريس بجامع صاحب الطابـع ، فأفاد وأجاد ، ونفع الله به العباد .

وكان رحمه الله تقيا نقيا محققا ، إماما في المعقول والمنقول ، نزيه النفس عالي الهمة ، وقور المجلس يغلب عليه الصمت وحب الإنفراد . وامتحن قبيل وفاته بموت أكبـر بنيه الذي كان ينوبه في الخطبة بجامع أبـي محمد ، وهو من الأعيان .

ولم يزل هذا العالم على حاله ، متجملا بأردية كماله ، مقبلا على مـآله ، شأن العاملين الأبـرار ، إلى أن لبـى إلى تلك الدار ، وذلك ليلة الإثنين (1) غرة شعبان من سنة 1285 خمس وثمانين ومـائتين والف [16 نوفمبر 1868] ، ودفن بتربة أعدها لنفسه بدرب عسال قرب داره . وحضر جنازته أمير العصر والوزراء والأعيان .

---

(1) الاثنين هو يوم 30 رجب حسب التقويم .

وترك أولادا نجباء أكبرهم الآن من أعيان المدرسين ، نسخة من أبيه ، كثر الله من أمثاله في علماء المسلمين .

[402 ـ حمودة بوسن]

الكاتب أبو محمد حمودة بوسن .

ولد بتونس ، وتوفي والده وتركه صبيا ، فكفله عمه التاجر في حضانة والدته أخت الفقيه القارىء المعلم شيخنا أبي عبد الله محمد بن قاسم معتوق النابلي ، وعنه حفظ القرآن في مكتبه المعروف بكتاب سيدي ابن عروس ، ويبيت بدار خاله المذكور . ولما حفظ القرآن تاقت نفسه للعلم فقرأ على الشيخ محمد بن نصر القابسي ، والشيخ الطاهر ابن مسعود وغيره .

ثم سافر لأداء فريضة الحج ، بعد أن رشده عمه ودفع له إرثه من مخلف أبيه ، وغاب ريثما حج وزار ، ورجع إلى الحاضرة وأقبل على شأنه من قراءة العلم ، ثم اضطره الحال إلى التكسب ، ومعلوم ان كسب أمثالنا من رشح القلم ، فاستكتبه الوزير الشريف أبو عبد الله محمد العربي زروق خزنه دار ، ثم نقله الباشا أبو عبد الله حسين باي إلى قلم الحسبان في بيت خزنه دار ، ثم نقله إلى ديوان الإنشاء بالمحكمة ، واختص به في غالب أوقاته ، ولازم بابه ، يكتب له ما عسى أن يطرأ في غير أوقات الخدمة ، لما عنده من الميل إلى طبعه .

وكان فقيها أديبا كاتبا وفيا أمينا ، تغلب عليه السذاجة الإسلامية ، بعيدا عن الحضارة المسماة في هذه الأعصار تمدنا ، وهو سبب ميل الباي إليه ، شديدا في سد الذرائع ، وربما افرط حتى انه يرى هذا الزي النظامي العسكري قريبا من الكفر ، لمحافظته على السذاجة الإسلامية ، ويرى تقليد غير الإسلامي ولو في الأمور الضرورية منكرا يقارب الكفر ، وله في هذا المعنى المنازع الغريبة التي انفرد بها ، حتى اني لما رجعت من فرانسا مع المشير أحمد باي ، لا زمني ملازمة مستكشف عن حالي في العقيدة وأنا أرى ذلك منه .

ولم يزل على حاله إلى ان أقعده الكبر والهرم عن ملازمة الخدمة الملكية ، إذ قام بها ابنه الأكتب المتفنن محمد الطيب وانخرط في سلك الوقت وامتزج باهله .

ولم يزل على حاله في السذاجة الإسلامية ، ويرى طبع الوقت بلية ، إلى أن لبى داعي المنية ، رحمه الله ونفعه بما عقد عليه النية ، وذلك ليلة الإربعاء الحادي والعشرين من صفر سنة 1286 ست وثمانين ومائتين والف (2 جوان 1869) ، ودفن بتربة آله من مقبرة سيدي سفيان ، داخل باب الخضراء .

[403 ـ قاره عصمان]

قاره عصمان صاحب الطابع .

أصله من مماليك الوزير سليمان كاهية ، وتربى في خدمته وحجره ، ثم انتقل لخدمة الباي وتعلق بابنه مشير الوقت وأوقف نفسه على خدمته بالقلب والقالب ، وسافر معه في المحال مرضي السيرة ، وتزوج ابنة الباشا المرحوم حسين باي ، المتوفى عنها زوجها الوزير شاكير صاحب الطابع .

وكان حسن الأخلاق نقي العرض ، على قصور فيما يقتضي التقدم .

ولم يزل على حاله في سعادته ، إلى أوان منيته ، في الحادي عشر من أشرف الربيعين من سنة 1286 ست وثمانين ومائتين والف (21 جوان 1869) ببستانه في منوبة ، وحضر الباي والأعيان جنازته ، ودفن بزاوية سيدي عبد الوهاب .

[404 ـ مصطفى بيرم]

الشيخ العالم أبو النخبة مصطفى ابن شيخ الإسلام
أبي عبد الله محمد بن حسين بيرم .

لهذا البيت البيرمي في هذا القطر التونسي أخبار تذكر ، وآثار تشكر ، وقد تقدم الالماع بذكر هذا الفاضل عند ذكر والده ، وان جدهم الأول لما قدم للجهاد مع سنان باشا ، ويسر الله فتح هذه البلاد بذلك الجيش السعيد ، اختار السكنى بهذه المدينة ، وتزوج بها وصار من أهلها ، ومن ذريته من نجم في خدمة الرتب السياسية ، وناله ما ينال أهلها من خدمة الملوك . ووفق الله والد صاحب هذه الترجمة للاعتزاز بنور العلم كما تقدم في ترجمة والده . ولما توفي أواخر شوال سنة 1214 (أواخر مارس 1800)

تركه صغيرا ، فكفله أخوه شيخ الإسلام محمد بيرم الثاني ، ورباه كاولاد صلبه ، وزقه من خالص معارفه حتى صار نسخة من أبيه . ولما أنس منه الرشد سرحه للأخذ عن الأفاضل ، فأخذ عن شيخ الإسلام ابن أخيه محمد بيرم الثالث ، ثم أخذ عن أعلام كالشيخ السنوسي الكافي ، وأخيه أبي العباس أحمد زروق ، والشيخ أحمد العوادي ، والشيخ أحمد الأبي الحنفي ، والشيخ سيدي حسن الشريف إمام الجامع الأعظم ، والشيخ إبراهيم الرياحي ، والشيخ الطاهر بن مسعود ، والشيخ أحمد بوخريص أخذ عنه المطول لسعد الدين : والشيخ إسماعيل التميمي أخذ عنه مختصر ابن الحاجب الأصلي بشرح العضد .

ولما إمتلأ بزلال العلم حوضه ، واثمر روضه ، تصدر للاقراء . ثم قدمه المشير أبو العباس أحمد باي لخطة القضاء بالمذهب الحنفي في ذي القعدة سنة 1262 إثنتين وستين ومائتين والف (اكتوبر — نوفمبر 1846) ، وكانت يومئذ هي قطب دائرة الخطط الشرعية ، فاعطى القوس باريها ، وباشر الحكم بدار القاضي كل يوم بكرة وعشية ، على العادة السابقة من قضاة العدل ، ولم يقبل نازلة في داره ، وقام لله في النوازل الشرعية أوفى قيام ، وضرب على أيدي أهل الباطل من مردة الوكلاء للخصام ، ثم انتقل لخطة الفتوى في منتصف ربيع الثاني من 1277 (آخر أكتوبر 1860 م.) ، وتقديم من تقدمه لخطة الفتوى إنما هو الشحّ بمثله عن مفارقة خطة القضاء .

وكان هذا الفاضل متضلعا بالعلوم العقلية والنقلية ، وقور المجلس ، متواضعا على رفعة شأنه ، حسن المحادثة لا سيما في فن التاريخ ، فقد أخذه عن أخيه من أيام صباه ، تقيا نقي العرض ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، شأن قضاة العدل ، وشيمة أهل العلم والفضل ، محببا إلى الناس مرموقا فيهم بعين التعظيم والأجلال من العامة والخاصة ، على طول مقامه في خطة القضاء ، وهي مزلقة الأقدام . ولم يتكلم فيه عاقل ولا جاهل من الخاصة والعامة بما يخدش وجه الخطة ، مما يقال في القضاة المتأخرين من نسبتهم إلى الغرض لاسبابه المعلومة ، والحر عبد إذا طمع ، والعبد حر إذا قنع ، وان كانت هذه خصوصية في آل هذا البيت البيرمي ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء . والسبب في ذلك تباعدهم عن مظان هذا الريب ، خلفا عن سلف .

وقد كان أخو صاحب الترجمة شيخ الإسلام محمد بيرم الثاني أيام محنته بخطة القضاء ، يأتيه أمين الحجامين الحاج إسماعيل ليحلق راسه فلا يخاطبه ببنت شفة ، ولما يفرغ من الحلق يخرج ويدفع له أجره ، وقد كان هذا الأمين من أعيان الحنفية فاستثقل نفسه وتأخر عنه وصار لا يأتيه إلا بالإرسال فيقضي الوطر من صناعته ويخرج . ولما عوفي من الخطة بعث له على العادة فلما جاءه رحب به وسأله عن حاله وأولاده على ما كان يألف منه ، فقال له الحلاق : « يا سيدي مرحبا بك ! في أي موضع كنت ؟ » ، فقال له : « ألم تعلم أني كنت قاضيا ؟ وصاحب هذه الخطة يلزمه أن يتباعد عن مخالطة الناس بالتودد لهم » ، إلى غير ذلك . سمعت هذه الحكاية من صاحب الترجمة ، كرم الله تربته وقدسها ، وطيب روحه الزكية وانسها .

ولم يزل هذا العالم في أخلاقه العلية ، وسيرته البهية ، إلى أن رجعت نفسه المطمئنة إلى ربه راضية مرضية ، في أوائل ذي القعدة من سنة 1286 ست وثمانين ومائتين والف (أوائل فيفري 1870) ، ودفن بتربة آله مع أبيه وأخيه . ولم يتخلف عن جنازته أحد إلا لعذر ، وتبرك بحمل نعشه الوزراء والأمراء . وخلف ولدين كانا بفضل الله سبحانه نسخة منه في خلقه النفيس ، زانا المحراب والمنبر وحلق التدريس . كثر الله من أمثالهما في علماء الإسلام .

[405 ـ محمد محسن]

الإمام الشريف سيدي محمد ابن سيدي محمد ابن سيدي علي محسن .

نشأ هذا الفاضل في مجد بيتهم ، وبركة حيهم وميتهم ، وقرأ على عمه وغيره ما لا بد منه ولا يستغنى عنه . وانخرط في سلك أهل العلم ، وتزوج بنت عمه الإمام سيدي محمود محسن المتقدم ذكره . ثم أقبل على خويصة نفسه يتجر في حانوته بسوق العطارين ، شأن الأتقياء العابدين ، ولازم التعبد بتلاوة القرآن ، وعمّر به غالب الأزمان ، وتقدم إماما في الجامع الأعظم بسنة التراويح في شهر رمضان ، الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فوصلت تلاوته الخارجة من قلبه إلى قلوب السامعين ، والموعظة إذا صدرت من أهلها اثرت في الحين . ثم تقدم إماما ثالثا بالجامع لصلاة

الفريضة ، ثم ترقى إلى أن صار إماما أول بعد وفاة عمه سيدي محمود محسن في رمضان من سنة 1284 أربع وثمانين .

حال هذا الإمام :

[كان] حسن الأخلاق تقيا نقيا برا وفيا ، مراقبا لله في سائر حالاته ، متخلقا من الكمال بأفضل صفاته . انخرط مع الأعيان في سلك المجلس الأكبر أيام القانون ، فزان المجلس . لاتأخذه في الحق والنصيحة لومة لائم ، ونطق لسان سيرته عن طيب سريرته ، شان الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا .

ولم يزل على حاله ، والمحمود من خلاله ، رافلا في الذاتي من كماله ، إلى حين وفاته وانتقاله ، وكان ذلك يوم مولد جده صلى الله عليه وسلم في سنة 1289 تسع وثمانين ومائتين والف (الاثنين 20 ماي 1872) ، وأوصى أن يكون دفنه حذو الولي الصالح صاحب الإمام الشاذلي سيدي الجلاز ، فدفن حذوه في قبته . رحمه الله ونفعنا بمحبة آله ومحبته . ولم يتخلف عن موكب جنازته أحد من أهل البلاد الا من أقعده المرض . ومشى أمام جنازته الوزير المباشر أبو محمد خير الدين راجلا إلى أن واراه في قبره . واعقب أولادا أوسطهم الآن إمام الجامع الأعظم بصلاة التراويح في شهر رمضان ، وشيخ الكرسي المعد في الجامع للوعظ بتلاوة القرآن . وبقية أولاده تلوح عليهم سيماء جذب الولاية ، كعمهم سيدي علي .

[406 ـ حسن المقرون]

الأمير الشريف أبو محمد حسن ابن الشريف الوجيه
أبي حفص عمر المقرون المساكني .

هذا الفاضل من أعيان بيوت الشرف بمساكن ، من كبار بلدان الساحل ، ولوالده رفعة وسمعة بها . واختير للخدمة العسكرية ليكون أسوة لامثاله من الأعيان ، وخدم بالمحمدية من انباشي وتدرج في سلم الخدمة إلى ان صار أمير لواء . وأقبل في مبادئ أمره على تعلم الصناعة الحربية بجد واجتهاد حتى صارت هذه الصناعة طبيعية من ذاته ، والإشتغال بها من أكبر لذاته . وكان المشير أبو العباس أحمد باي يعرف منزلته ويوليه

ما يناسبها من الحظوة والتقريب زيادة على حظوة أبيه المعروفة المسلمة في بلاده ، واعطاه المشير أبو العباس أحمد باي الدار التي بناها الوزيرشاكير صاحب الطابع ببلد مساكن .

وله في خدمة الدولة آثار مشهورة وأخبار مذكورة . ووجهه الباي صاحب القانون إلى بلده مساكن في فتنة الإثنين والسبعين كما تقدم تفصيل ذلك في الباب الثامن(1) ، وخرج منها خائفا يترقب ، لأن الأمر يومئذ بيد العامة ، وأخوه وأمثاله يومئذ تلعب بهم أيدي العامة وأهل البطالة ، حتى كان ما كان من لطف الله بهذه الإيالة وخروج الوزير أبي العباس أحمد زروق بالمحلة وقهره للعامة بالساحل . وربما يقول القائل ان هذا اللطف من الله نعمة لكن في طيها نقمة أبادت الساحل وثروته وتركته كأمس الدابر . وهرب أخوه ، لما استل سيف انتقام المحلة ، إلى دار قنصل الأنقليز بسوسة ، ووراءه عقارب السعايات ، وانتاشه القنصل وأجاره من ذلك العدوان ، وطولب بعين من المال يدفعه معجلا ، وتلونت الأقوال في القاب جوره ، وهو السبب في خروجه من هذا القطر .

وكان في أيام القانون تقدم رئيسا على ضبطية الحاضرة ، فزانها وضبطها ورتب أسباب الامن والراحة ، فقصرت الأيدي العادية وامنت الساحة ، وكان تقدمه لهذه الرئاسة في شعبان سنة 1278 ثمان وسبعين (فيفري 1862 م.) ، باشارة الوزير المنصف أبي محمد خير الدين، كما تقدم في الباب الثامن (2) .

وكانت ولايته من الطاف الله بهذا القطر . وذلك أنه في فتنة الإثنين والسبعين والهرج الذي وقع في البلاد ، وكانت سفن الفرانسيس يومئذ بحلق الوادي ، وطلبوا النزول للبر للاعانة ، ولم يوافقهم الباي ، وقع من بعض الأوباش من سفلة العامة التي إذا اجتمعت ضرت وإذا افترقت نفعت ، وفيهم جم غفير ممن له رغبة في فتنة تقع في البلاد لفائدة تخصه ، وحرك بعض الصبيان لخطف شيء من ثياب بعض اليهود قرب باب البحر ، فطار اليه الخبر وهو بالدريبة ، فخرج في الحين راجلا ومعه غالب الضبطية إلى باب البحر ، وتمكن ببعض الصبيان وانفار من الذين انخرطوا في سلكهم وأتى بهم للدريبة ، وحكّم في أبشارهم الضرب بالعصى أمام الدريبة في شارع المارة ، ليرى مبصر ويسمع واع . وبات تلك الليلة يدور في البلاد راجلا وملأ السجن من هؤلاء ، ومنهم من أعاد

(1) انظر ص 178 ج 5 .

(2) انظر ص 92 ج 5 .

له الضرب. وكان الضرب يومئذ محجورا ، فكاتب الباي بأنني الآن أضرب بالعصا على خلاف القانون ، إرتكابا لأخف الضررين ، وأنا بين يدك غدا والآن . وأنجى الله هذه الحاضرة على يد هذا الشريف من نهب وسفك دماء ، وسفن الفرانسيس بشاطئها ويعلم الله ما وراء ذلك . ومن الغد شكره كل ساكن في البلاد من أهلها ومن غيرهم ، وشكره الباي ورجال دولته . ولو لم يكن له من المآثر إلا هذه لكفته في دينه ودنياه . ومع ذلك لزمه الهروب إلى دار قنصل الأنقليز ارتكابا لأخف الضررين ، وسافر مع أخيه على يد القنصل إلى طرابلس ومنها إلى مصر ، واستقر بها . وكاتبه الباي وأمّنه ، فرجع يقوده إيمان حب الوطن . واستعمله الباي على بنزرت فسار فيها بحزمه وإنصافه ، وما يحمد من أوصافه .

[وكان] يقرب إلى الأمية ، شغلته العلوم العسكرية عن اتقان الكتابة وتوابعها . ثم انهكه ضعف البدن وشيخوخة السن والجأه ذلك إلى الإستعفاء وقبل منه .

ولم يزل على مقامه واحترامه ، وامتحن قبيل وفاته بقطع رجله لمرض أصابه ، وخرج الأطباء يومئذ متعجبين من ثباته وصبره ، قريبا من قطع رجل عروة بن الزبير .

وكان شهما حازما ، نقي العرض ، بعيدا عن التصنع ، نزيه النفس عن المطامع التي تدنس النفس والخطط والرئاسة ، عالي الهمة يقدم أدنى مصلحة عمومية على أعظم مصلحة تخصه ، ناهيك من أخلاق علوية ، ونفس عظامية عصامية ، وهمة من المطامع برية .

ولم يزل على جميل حالاته ، رافلا في جميل صفاته ، إلى آخر ساعاته ، وذلك في اشرف الربيعين من سنة 1289 تسع وثمانين ومائتين والف (ماي 1872) ، وعزم أخوه على حمل جسده الشريف إلى تربة آله ببلد مساكن ، فمنعه الباي خوفا على بدنه من التغيير بحر الصيف ، وإكرام الميت الدفن . ودفن بالسلسلة كامثاله ، قابله الله بالرحمة والرضى.

[407 ـ حسن الشريف]

أبو محمد سيدي حسن ابن سيدي محمد ابن سيدي محمد ابن سيدي عبد الكبير الشريف ابن السادة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا .

نشأ هذا الفاضل في بيته الأصيل ، وشرفه الأثيل ، في حجر أبيه وجده . ولما توفي والده بالمرض الوبائي سنة 1266 ، إضطر للقيام على إخوته وأهل داره إلى أعمال الفلاحة

في الحبوب والشجرة المباركة ، وعاقه ذلك عن الإشتغال بالعلم كآبائه وأجداده ، وان كان الذي عاقه هو الزاد لمعاده ، وببركة ذلك لم يخرج الوصف العلمي من دارهم . وذلك أنه حنا على أصغر اخوته حنو الوالدة على الفطيم ، ورغبه في تحصيل العلم وأعانه عليه حتى كاد أن لا يبقي له وقتا لراحة بدنه ، مع ما فيه من حدة الفهم والذكاء . فاختار العالم الفاضل التقي الشيخ أبا الحسن علي العفيف أبا إفادة ، وهو مقدم على أبي الولادة ، وتبناه شيخه إذ لم يكن له ولد صلب ، وتفنّن في تربيته وافادته تفنن الآباء مع نجباء البنين ، وأخوه مع ذلك يحثه على ملازمة شيخه والإقتداء به ، حتى أراه الله فيه فوق أمنيته ، جزاء من الله على حسن نيته ، وطيب طويته . وعاد مجد العلم للدار والعود أحمد .

ثم اشتاقت نفسه الزكية ، لاداء فريضة الحج وزيارة جده خير البريئة ، فسافر في رفقة من أعيان تونس اتخذوه مركز دائرتهم ومرجع مشورتهم ، وجعلوا أموره لإمرتهم ، فلم يرعنا إلا نعي وفاته بعمل مصر في حال الكرنتية ، وباتت الحاضرة يوم وصول هذا النعي أسيفة حزينة ، في أواسط ربيع الأنور سنة 1289 تسع وثمانين ومائتين والف (أواسط ماي 1872) ، وهو ثالث الأشراف الذين فجعت البلاد بفقدهم في هذا الشهر ، جعل الله ذلك خاتمة الفجائع والشدائد .

حال هذا السيد :

كان تقيا نقيا ، برا وفيا ، حلو الشمائل ،متواضعا ، هينا لينا ، إلا في تغيير منكر . يهش لإعانة الضعفاء ، ويفرح بقضاء حوائجهم .

واختاره الباي ، في أعيان من أهل الحاضرة ، لجمع ما يتيسّر على يدهم من الصدقة للفقراء الذين ساقتهم المسغبة وفتنة الاثنين والسبعين لهذه الحاضرة ، فقاموا لله بما ظهر أثره وبقي خبره ، جزاهم الله جزاء المحسنين . وتقدم خبر ذلك في الباب الثامن . (1)

وقدّمه أيضا محتسبا على قبض الأعشار برابطة الطعام ، حذرا من التطفيف ، وويل للمطفّفين ! فقام لله بما يجده يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا .

(1) انظر ص 104 ج 6 .

وانخرط في سلك أهل المجلس الأكبر أيام القانون وصار كاهية الرئيس ، فقام لله بدين النصيحة لله ولرسوله ولأيمة المسلمين وعامّتهم ، لا تأخذه في ذلك لومة لائم . يقول الحق ولا يبالي ، سواء عنده في ذلك الأمير والمأمور .

وكان رحمه الله مقصدا لإعانة المضطرّين ، وللاعانة على نوائب الدهر . يعود المرضى ويشهد الجنائز ، وربّما نزل إلى القبر لمواراة الميت .

ولأهل تونس تيمّن به في أمورهم ، ولو برأي منه . وكل من عرفته لا ينطق باسمه إلاّ مقرونا بالسيادة . ولهم فيه تعظيم ومحبة زيادة على الواجب لآل البيت النبوي . وإذا أحبّ الله عبدا حبّبه . وحبّ العباد موصول بحب الله .

وماذا أقول فيه ، والذي ملأ الكون يكفيه . ومهما فاح من طيب الثناء عليه الأرج ، يقول لسان الحال : حدّث عن البحر ولا حرج . كرّم الله تربتَه وقدّسها ، وطيب روحه الزكية وأنّسها ، ونفع هذا القطر بمحبة آل البيت الذين حبهم إيمان وأمان .

(وهنا نمسك عنان القلم فيما أردنا جمعه من ترجمة هؤلاء الأعيان ، أسكنهم الله بحبوبة الجنان ، بحرمة من عمّت رسالته الإنس والجان ، سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم . كتبه الفقير العاجز أحمد بن أبي الضياف ، مسلّما على كل من يطلع عليه . غفر الله للجميع) (1) .

(1) ما بين القوسين ساقط من غ وع مثبت في ق .



ملحـــــق

من نسخة المرحوم الشيخ محمد القروي

قال العلامة ابن خلدون في مقدمة تاريخه ما نصه : ويلحق بمعنى الغلب في الحروب وأن أسبابه خفية وغير طبيعية حال الشهرة والصيت ، فقلّ أن تصادف موضعها في احد من طبقات الناس من الملوك والعلماء والصالحين والمنتحلين للفضائل على العموم ، وكثير ممن اشتهر بالشرّ وهو بخلافه ، وكثير ممن تجاوزت عنه الشهرة وهو أحق بها وأهلها ، وقد تصادف موضعها وتكون طبقاً على صاحبها . والسبب في ذلك ان الشهرة والصيت إنما هما بالأخبار ، والأخبار يدخلها الذهول عن المقاصد عند التناقل ، ويدخلها التعصب والتشيع ، ويدخلها الاوهام ، ويدخلها الجهل بمطابقة الحكايات للأحوال ، لخفائها بالتلبيس والتصنّع او الجهل الناقل ، ويدخلها التقرب لأصحاب التجلّة والمراتب الدنيوية بالثناء والمدح وتحسين الاحوال وإشاعة الذكر بذلك ، والنفوس مولعة بحب الثناء ، والناس متطاولون الى الدنيا واسبابها من جاه أو ثروة ، وليسوا في الأكثر براغبين في الفضائل ولا منافسين في أهلها ، وأين مطابقة الحقّ مع هذه كلها . فتختلّ الشهرة عن اسباب خفية من هذه وتكون غير مطابقة ، وكل ما حصل بسبب خفي فهو الذي يعبّر عنه بالبخت كما تقرر ، والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق (1) هـ .

قلت وامثال ذلك كثيرة في هذا التاريخ ، منها ترجمة مَمد خزنه دار التي تخلّص فيها المؤلف هنا ، بعد أن ذكرها مراراً في صلب التاريخ ، ليتمكن إشهارها حتى تناقلتها الالسن واعتقدها الناس . وحقيقتها ان الرجل يوناني الأصل أتى به الحاج محمد المزاز التاجر الصفاقسي من الاستانة ، وباعه لقائد الشوارع بثلثمائة ريال تونسي صغرى ، ثم صار الى شاكير بالبيع او بالهبة . ومن عادة البايات والكبراء هنا أنهم يقدّمون مماليكهم للاعمال الوجيهة ، وفي ذلك زيادة رفعة لأسيادهم ، لأن المملوك لايستنكف من شيء يريده سيده . فجعل شاكير

(1) الفقرة الاخيرة من الفصل السابع والثلاثين من المقدمة

صاحب الترجمة خزنه دار له ، وهي وظيفة خاصة لا عامة مثل مصطفى خزنه دار لأحمد باي لمّا كان وليّ عهد وتكليفه بمصاريفه وإيصال ما يرد له من المال، ولادفاتر في ذلك حيث أنهم أميّون . ثم صار هذا اللقب دوليا ، وجعل له محلّ وكتاب ودفاتر تحت مراقبة باش كاتب الدولة .

وسبب غضب شاكير على مملوكه محمد خزنه دار لأنه أتى بأمّه من بلادها ، وهي من الطبقة السفلى في قريتها ومتمسكة بدين اليونان . فرأى شاكير أن ذلك لايناسب حالة مملوكه المسلم ورهبان اليونان تتردد على داره . فشدّد عليه النكير ، وحجره مدّة ثم رضي عنه . ونقلت اليونانية الى دار بزنقة الجنون، قرب سوق النحاس ، فكانت تتبخطر هناك بصليب من ذهب في رقبتها . ولمّا ماتت جُعِل لها صندق مكسوّ بالقماش المؤبّر مصفح بالصفائح المذهّبة ، وكانت لها جنازة ملوك .

وأما الرصاصة التي أصابت ركبة محمد خزنه دار من يد محمد شولاق فإمّا أن يكون ذلك خطأً أو عمداً فأمرها بين اثنين لا غير . ودعوى أن شاكير أغراه ، لأنه حسد مملوكه على فضله ونجابته ، فهو أمر غير معقول ، إذ يبعد ان يعيب المالك ملكه ، وإن كرهه فما عليه إلا أن يبيعه بالحاضرة كما هو جائز في ذلك الوقت . نعم ، إن المماليك الجراكسة والقرج يكرهون المماليك اليونان لمبالغتهم في الملق لأسيادهم ودناءة طباعهم ، ويرون أن أداء مراسم العبودية يكون بقدر الحاجة وبدون إخلال بالمروءة ، وفي طباعهم إباءة الضيم وكرم الأخلاق وحبّ الإنسانية . ويرون فضلهم على اليونان لكونهم عريقين في الاسلام ، واثمانهم أضعاف أثمان غيرهم ، وقد شاهدت ما يؤيد ذلك في جرائد أثمان مشتراهم .

هذا وقد وجدت مكتوبين من محمد حزنه دار نقلتهما هنا من خطّه بحروفهما ، نصّ الاول :

الحمد لله . الى سيدي حفظكم الله . وبعد فإنه يوم التاريخ حْمَق عْلِيّ سِيدنا وغضُبْ عْلِيّ غَضْبة شْدِيدة وقال لي إِنْتِي تَعْمِل قَدّاشْ مِنْ حاجة مِن غير مَشْوَرة سِيدِك ، وما تخَبّروشي المَقْبُوض والمَصْرُوف ، وجِبْتْ

أُمّك مِن غير مَشْوَرْتُو . وانا ... (1) الا من الجواب الذي بعثه سيادتك . واليوم بقيت بين الناس ذليل أَذَلّ مِن ذِمّي . وانا مملوكك ، كان حكمت مملوكك وكان سمحت مملوكك . واما قول سيدنا انا بْعَثْت جِبْت امّي من غير مَشْوَرْت سيادتكم ، أنا لا عندي أم ولا بو إِنْتي أمّي وانْتي هو بابا ، وما عندي غير سيادتكم . واذا مراد سيادتكم بالحُكْم اُحْكُم فِيَّ سْيَادِتْكُم بِالوِجْه الذي تْحِبّ . والواصِل لسيادتكم تَجْرِيدة فيها مَقْبُوض ومَصْرُوف لتطلع عليها . والسلام من ابنكم مقبِّل أقدامكم مَحمد . الخميس في 8 صفر سنة 1248 .

والظاهر أن شاكير لم يجبه بما يقتضي رضاه عنه ، فعاد الى استعطافه بمكتوب آخر : ... واما سيدنا باقي معنا مثل ما خمرتكم . والله العظيم ، الذي في الكَرّاكه أَرْطَحُ (2) مِنّي . والبقره اذا تَحِت (3) تُكْثُر السكاكن . وكيف تكون سيادتكم راضي بهذا ، أنا عندي احلا من العسل . هذا عندي انا وعند سيادتكم اذا ما كان بالمروّة يكون بالصيف (4) . وربّنا ان شاء الله يهنّيك ، وهْنا سيادتكم خير لي من كْلام كلّ احد . والسلام من ابنكم مقبّل أقدامكم مَحمد . في صفر 1248 .

وهذه التفاصيل لا يجهلها المؤلف ، لأنه كان إذ ذاك كاتباً لشاكير ، كما أنه لا يجهل بعض مماليك اليونان لأهل البلاد وتحقيرهم ، وقولهم بكل مناسبة : « اولاد تونس زْكايِط (5) لا يصلحو لشي » . وهو سمعها كما سمعتها أنا مراراً....

---

(1) كلمة مطموسة

(2) ارطح = ارتح : اكثر راحة

(3) تحت = طاحت

(4) بالصيف = بالسيف : غصبا

(5) زكايط : مفرده زكطي : لئيم ، خبيث ، شرير



فهـــرس المـوضوعـــات

للمجلـد الثـامن من كتـاب

«اتحاف أهل الزمان ، بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان»

قسـم التـراجـم

المتـرجم — الصفحة

المترجم	الصفحة

المترجم	الصفحة

المتـرجم | الصفحة

المترجم	الصفحة

ISBN : 9973-10-191-X (T.4)

الإنجاز الفني: مخابر [illegible]

4، شارع محيي الدين القليبي ـ المنار 2 ـ تونس

الهاتف: 255 888 - الفاكس: 365 888

طبع بالمطبعة الأساسية المنطقة الصناعية – بن عروس تونس

الهاتف : 201 380 . Tél










Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

